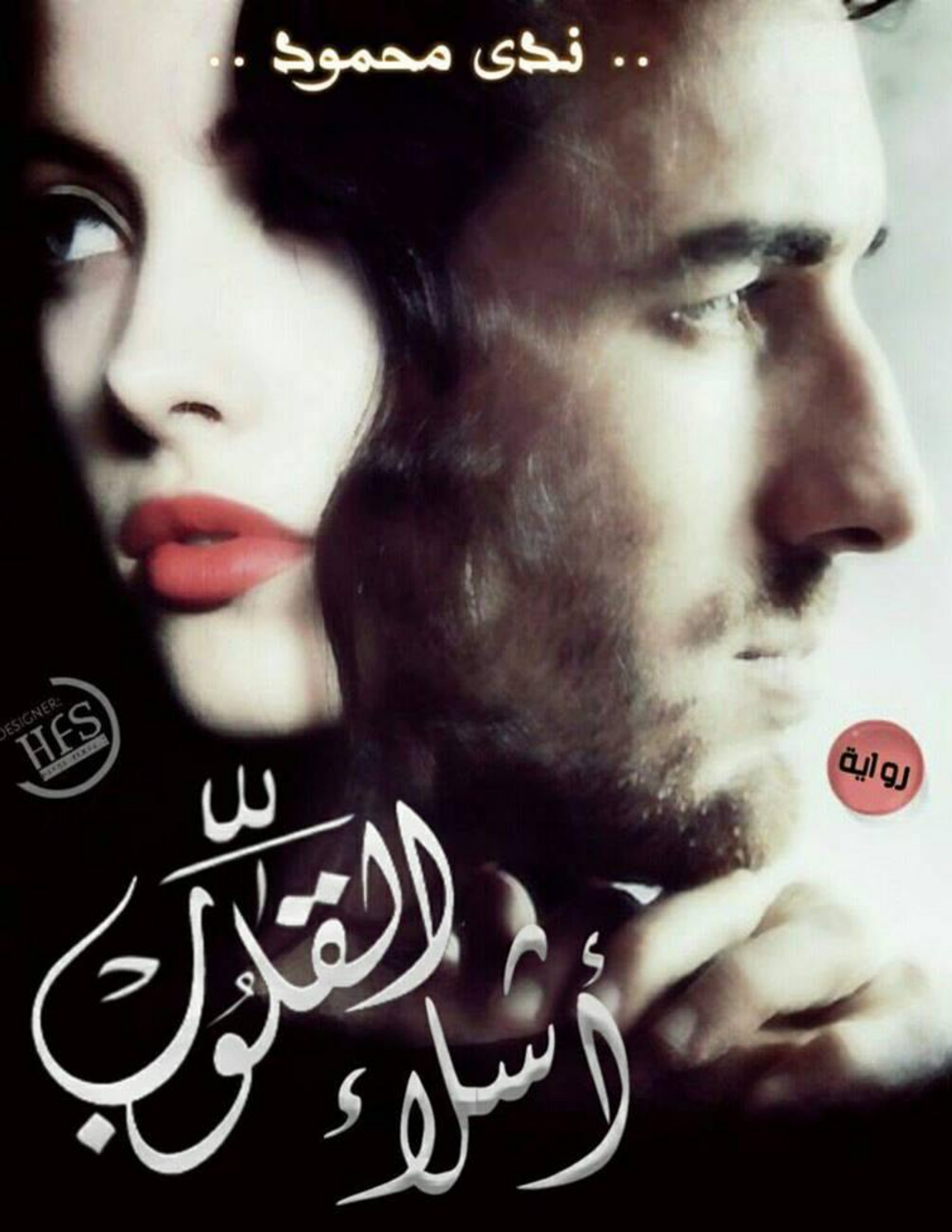
.. ندى محمود ..
رواية
أشلاء القلوب

رواية

أشلاء القلوب

للكاتبه

ندي محمود

تصميم داخلي وتنسيق

أمل النجار

Amal.N

ندى محمود

أشلاء قلوب ممزقة ، متناثرة الى أجزاء فى كل قطعة مختلفة من الارض ، يشاء القدر ليعيد لهم الحياة من جديد عن طريق جمع تلك الأشلاء فى قلب واحد يجتمعوا معًا على الضراء قبل السراء ، قلب واحد لن يستطيع الدهر تفرقتهما مهما فعل ... !!

الفصل الاول

أنتفضت فى نومتها بفزع ونظرات مُرتعدة عندما رأت زوجها يقف امام وجهها كالوحش الكاسر ويصرخ بها قائلاً :

_ الساعة 11 ياهانم هنفطر على العصر أن شاء الله ولا ايه !؟

: جلست على الفراش بخوف وهى تطالعه بنظرة مُنكسرة هامسة بضعف

_ حاضر يا أكرم هقوم احضر الفطار !

أنفجر بها كالغول وهو يجذبها من ذراعها صائحا بصوت جهورى ، ليدفعها بوحشية للامام يجبرها على التحرك :

_ حاضر من مكانك يعنى ، قومى اخلصى يلا غورى على المطبخ هتصحى نيرة تكونى خلصتى الاكل مفهووم

تلألأت العبرات فى عينى تلك المسكينة واجابته فى خفوت بصوت يعطى بحة مريرة :

_ حاضر !! ، حاضر !

رمقها شرزًا ثُمّ غادر وتركها متصلبة مكانها بأعين سابحة بها العبرات ،

أوشكت على أن تفرط بروحها بالفعل من هذه الحياة .. ولكن ليس عساها شئ سوى قول " حسبى الله ونعم الوكيل " حيثُ هو وحده القادر على اخراجها من هذا الوحل الذى تلطخت به ولا تستطيع الخروج منه ! ، أرتدت ملابسها وغلست وجهها وذهبت لتقوم بتحضير وجبة الأفطار .....

***

كان يجوب الطرق ايابًا وذهابًا وقِسمات القلق والتوتر بادية على وجهه ، يفرك يداه ببعضهم فى محاول لتخفيف التوتر عنه قليلاً وتارة يمسح على وجهه وهو يزفر بحرارة وتارة يعود لفرك يداه مجددًا ، يتدلى من وجهه نظرات خوف بل هلع ورعب خشية على زوجته وطفله الذى على ابواب قدومه الى الدنيا ! .....

: أقتربت منه امه مرتبة على كتفه هامسة بحنو اموى

_ اهدى يا أسيد ياحبيبى أن شاء الله هتقوم بالسلامة ، انا اتوترت معاك اكتر ما انا متوترة !

: بقلب يسحق تحت الأسى والشجن همهم

_ أهدى ازاى يا امى انتى عارفة الموضوع كويس ، ربنا يقومها

بالسلامة يارب

!! امين ياحبيبى امين _

دقائق مشحونة بجو مُتذبذب يحمل ذبذبات تبعث فى نفس كُل من الموجودين رجفة شديدة لعلمهم بوضعها ! ... واخيرًا بعد دقائق طويلة خرج الطبيب وهو ينزع قفازات يده عنه فى وجه عابس وحزين بشدة ، أقترب منه أُسيد اولاً هاتفًا بصوت رجولى مُترقب :

! طمنى يادكتور خير _

طالعهم الطبيب بأعين مُتأسفة وفى نبرة أسى غمغم :

احنا عملنا اللى علينا بس ده عمرها وقدرها مقدرناش ننقذها للاسف _

! بالاخص انها من البداية كان الحمل خطر عليها

لملم أشلاء قلبه التى تمزقت للتو على موت رفيقة دربه بعد أن القمه الطبيب بهذا اللفظ حجرًا لم يكن عساه سوى أن يصمت لبرهة من الوقت وهو مغمغض العينين ليهمهم بصوت شبه مُتردد ، يخشى السؤال فيسمع ما يمزق ماتبقى من قلبه :

! طيب والطفل يادكتور _

: فى حزن شديد وألم اجابه

! للاسف حتىَ الطفل نزل ميت من رحم والدته _

أحس وكأن ثقلاً يهبط على صدره حتىَ أن انفاسه ضاقت به وكأنه أصبح لا يرى شئ امامه سوى الظلام الدامس ، فكيف لهذا القلب الذى فى حجم قبضة اليد تحمل كُل هذه الصدمات المُتتالية الا يحق له التوقف عن العمل ..... ! لكى يريح نفسه من النزيف المستمر

حملقت ليلى بأبنها فى أعين دامعة فأشفقت عليه همت بجذبه الى احضانها ولكنه رفع يده فى وجهها مانعًا اياها من فعل ذلك الشئ فمازال يقف على رجليه لن ينحنى بعد !! ، مسح على وجهه ولحيته الكسيفة وهو يجاهد : بكل ما أوتيت إليه من قوة عدم زرف عيناه العبرات فقط مغمغمًا !! اللهم اجرنى فى مصيبتى يا الله ، أن لله وأن إليه راجعون _

كانت ترى عينى أبنها تشبه الدماء من شدة تقيده لدموعه من الهبوط فبكت بحرقة عليه وعلى زوجة إبنها وحفيدها الذى خسرته للتو ..... ايضًا

***

كانت تقوم بتحضير الافطار فى هدوء تام فدخلت تلك اللعينة المدعوة "
: بنيرة " لتعكر صفوها إكثر بكلماتها السامة قائلة
! ياعينى تعرفى ياملاك بتصعبى عليا جدًا والله ياقلبى _

تنفست الصعداء بخنق وأكملت تقطيع الطماطم وهى تجاهد فى منع عبراتها من السقوط فتناولت قطعة منها صغيرة وقطمت جزء صغير منه
: فى فمها مُغمغمة بنظرات شيطانية
انا بستغرب جداً عليكى ! ، حاولى تكسبى أكرم مع انها حاجة مستحيلة _
لانه بيحبنى انا طبعًا وده السبب اللى خلاه يتجوزنى عليكى ، بس انا
! مبحبش الستات اللى بتقعد محلك سر كده وضعيفة زيك كده

: أشتعلت دمائها فى عروقها لتهتف بغضب عارم
ومين قالك انى عايزة اكسبه اصلاً اولعى بيه ياختى ، قريب اوى _
هتطلق غصب عنه وسعتها هتعرفى انى مش ضعيفة واطلعى بره بقى بدل
! ما انغز السكينة دى فى بطنك واخلص منك

: أرتفعت ضحكتها الانثوية فى دلال هاتفة بمكر انوثى
انتى تعملى كده أشك ياحبيبتى لانك مش هتقدرى اصلاً _

: رفعت السكين فى وجهها وهى تصيح بها فى أستياء هادر

! أقدر يانيرة وبلاش تخلينى اعملها _

بإبتسامة لئيمة طالعتها غير مكتدرة لها وفجأة وجدت اكرم يقبض على يدها ويسحب من يدها السكين عنوة ليلقيها بصفعة اسقطتها أرضًا وهو : يصرخ بها قائلاً

ايه اللى بتعمليه ده انتى اتهبلتى ولا ايه ، متنسيش نفسك انتى هنا _ خدامة مش أكتر ولما تفكرى ترفعى صوتك ولا ايدك على ست البيت سعتها هقصلك لسانك واقطعلك ايدك دى

رأت نظرة مُتشفية فى أعين تلك المدعوة " نيرة " وهى تبتسم بخبث فى أنتصار ، فبادر هو صائحاً وهو يجذبها من خصلات شعرها بقوة فصرخت : هى باكية هاتفة

!!! سيب شعرى ياأكرم حرام عليك أاااه _

: قبضت نيرة على ذراعه وهى تمتم بتصنع الشفقة على حالها

خلاص ياحبيبى سيبها دى متستاهلش أصلاً ، هى اتعلمت خلاص وأظن _ ! ومش هتكررها تانى

كانت ملاك ترتجف بين يديه وهى تنتفض باكية من هذا العذاب الدائم : فتركها بنظرات أستحقار وغادر ، فضحكت نيرة قائلة فى تشفى ده علشان متفكريش تهددينى تانى بس ياقطة ، قومى يلا حضرى _ الفطار لاحسن انا جعانة اوى !

كانت تترنح فى الارض من البكاء حيثُ دخلت فى موجة بكاء عنيفة وضاقت انفاسها بشدة ، وأخذ صدرها يعلو ويهبط بشدة وهى تحاول ألتقاط انفاسها بصعوبة فنهضت من على الارض وهرولت نحو غُرفتها لتأخذ جرعة علاجها قبل أن تلفظ انفاسها الاخيرة ، وبمجرد ما أستنشقت ذلك العلاج فى فمها هدأت انفاسها قليلاً ، فجلست على الفراش وعبراتها تنهمر على وجنتيها بحرقة وصدرها لا يكف عن الصعود والهبوط كأنها كانت فى سباق للعدو للتو .....

***

داخل أحد المنازل الصغيرة حيثُ يكمن بها شاب فى متنصف عقده الثالث ذو ملامح رجولية جذابة ، تحمل فى طيأتها بعض من الحدة والصلابة .. ذو جسد رياضى مثير ! ، كان صوت الموسيقة مُرتفع فى أرجاء المنزل وبيد " سيجارة " ليست بعادية وفى الاخرى كأس خمر وبجوراه فتاة

بأمكانها اخضاع اى رجل لها بجمالها ودهائها ، قربت شفتيها من عنقه لتهمس بصوت انوثى قادر على افقاده عقله فى لحظتها ! وانفاسها الدافئة تلفح بشرته الخشنة !! :

تعرف يامراد انت وحشتنى اوى فى الفترة اللى غبت عنى فيها دى ، _ اوعى تكررها تانى ، انت مكنتش عارف انا كنت ازاى فى بعدك

كأى رجل أنصاع خلف وجبة غذائه كالبهيمة ليكن فريسة لصائده المحترف حرفة الصيد !! ، بنظرات شيطانية ولئيمة هتف :

وانتى اكتر ياقلب مراد ، السهرة صباحى النهردا _ !

انتفض جالساً بفزع لسماع صوت رنين هاتفه الصاخب فأمسك به وأنهى الاتصال بخنق بعدما رأى المتصل " والدته " ، ولكنها كانت مصرة للحديث معه حيثُ اجابها اخيرًا فى ضيق شديد :

نعم ياماما خير _ !!

أنفجرت به كقنبلة مدمرة فى بكاء حار وصوت متشنج :

انت هترد ازاى طبعاً وانت قاعد فى الزفت اللى حواليك ده ، مرات _ اخوك ماتت هى و ابنه اللى لسا مجاش يا استاذ وانت مش عايش فى الدنيا .. ده بدل ماتاجى تقف مع اخوك مش بترد عليا !

: وثب واقفًا متحفزًا وهو يهتف فى صدمة

ماتت ازاى ياامى وامتى ؟؟؟!!! ، انتوا فين دلوقتى طيب ؟ _

ملت عليه العنوان فأسرع هو بأرتداء حذائه وسترته وهو يخطف قبلة

: سريعة من وجنة تلك الفتاة هاتفاً

!! معلش بقى ياحبيبتى تتعوض فى يوم تانى _

تصنعت امامه الرضا والتفهم وهى من داخلها تشتعل لتركه المستمر لها ،

ولكنه لم يمهلها الفرصة حتىَ لتجيبه حيثُ ركض الى الخارج

..... ! مهرولاً

***

على الجهة الاخرى تحديداً فى أحدى قرى الصعيد ، على طاولة طويلة

يجلس ثلاث رجال يبتادلون اطراف الحديث الذى كان عبارة عن شجار

حاد بينهم ، أهتز الرُجلين من على الطاولة عندما ضرب ذلك الرجل

: العجوز بقبضة يده القوية على سطح الطاولة صائحًا

خُلص الكلام خلاص ، مش عايز اسمع سيرة فردوس ال***** انا _

معنديش بنات بالاسم ده وقسماً عظمًا اللى هجيب سيرتها قدامى لاكون

معرفه مين محمد الصاوى زين

: هتف ذلك الشاب ذو الثلاثون عام فى أنزعاج هادر

جرا ايه ياجدى هو احنا علشان اللى عملته عمتى نبقى ننسى _

.....بت

: كانت صرخته به كافية لجعله يصمت فورًا

ريان ! ، انا بتى ماتت من 25 سنة والاحسن انى اقول انى معنديش _

.....بنات واصل ، وفز جوم يلا عاد متعفرطنيش بدل مـ

: هتف ثروت فى نبرة رزينة

عارف يا ابوى وكلنا نسينا سندس واصل من الاساس ، بس على الاقل _

خلينا نعرف اذا كانت عايشة ولا لا ومعاها عيال ولا لا ، على الاقل نخلى

أسيد هو يتولى المهمة دى بما انه عايش فى القاهرة

: صرخ بهم فى صوت جهورى وهو يهب واقفًا ملقيًا أخر كلماته القاطعة

يمين الله اللى هيفتح الموضوع ده جدامى تانى لامسح بكرامته الارض _

، واللى هماه جوى اكده فيكم يتفضل يغور وراها وعلى الله اسمع أن فى

حد فيكم دور عليها سعتها ملوش قعاد فى البيت اهنه

جذب عصاه القوية وتسند عليها ليغادر تاركًا كُل منهم ينظر للاخر فى

: خنق ، فزفر ريان بقوة هاتفًا

!! ازاى جدى بالقسوة دى انا مش فاهم _

: فى صوت رخيم ومحذر تحدث ثروت الى ابنه قائلاً

انت سمعت جدك ياولدى ، خليك بعيد عن الموضوع ده واصل بلاش _

مشاكل يابنى

: هب واقفاً ثائرًا فى نظرة تحدى وعدم مبالاة تمامًا

وانا مش هرتاح غير لما اجيبها يا ابوى ، ايه ذنبها المسكينة دى باللى _

! عملته عمتى تتبهدل ليه واهلها لسا على وش الارض

: وأستدار ليغادر منفعلاً غير مباليًا لصياح ابيه المستمر له قائلاً

!! ريان استنى .. ريان _

***

..... فى صباح اليوم التالى

داخل بقعة كبيرة محاطة بقماش من اللون الاحمر وفى أخر تلك البقعة

يجلس " شيخ " يقوم بتلاوة القرأن الكريم بصوت عذب ، والجميع فى صمت تام حيثُ كانت تلك البقعة مخصصة للرجال فقط والنساء فى المنزل بالداخل وترتص عائلة الصاوى جميعها فى ورد البقعة يتقدمهم أسيد لكى يتلقى تعزية الناس له وبجانبه كُل من اخيه وجده وعمه وأبن عمه وبقية عائلته ، كان يرتدى بنطال وقميص من اللون الاسود جالسًا على المقعد فى خشوع يحدق فى اللاشئ امامه بصمت تام لا ينطق بحرف واحد مع اى شخص ! .. كانت ملامح وجهه كافية لعرض الدمار الذى داخله وتمزق قلبه ولكن كغالبية الرجال لا يظهر هذا ويتصنع القوة والثبات !!!! .....

أنتفضت اعضاء جميع الجالسين عندما صدر صوت صراخ مُرتفع من داخل المنزل حيثُ مجمع النساء ، فوثبوا واقفين فى هلع وهرولوا الى الداخل راكضين .. كان اول الراكضين نحو ليلى الساقطة على الارض هو مراد حيثُ صاح بالجميع فى فزع صارخًا :

_ ماما انتى سماعنى .. !!؟ ايه حصل!

_ اتصلوا بينا دلوقتى وقولوا لينا أن أسمى عملت حادث ومرات عمى اول خرج صوت سارة الباكى وهى تهتف بتشنج :

! ماسمعت ده اغمى عليها

: تهجمت ملامح الجميع وظهر عليهم الرعب حيثُ صاح محمد قائلاً

حادث كيف !! ، مستشفى ايه دى ؟ _

أنطلق البكاء العويل من الجالسين خوفًا من أن يصيب تلك الشابة مكروه بعد أن استطاعوا افاقة ليلى ، خرج صوت رجولى هز أركان المنزل من : أسيد صارخًا بالجميع

انا حالف مسمعش نفس وحدة ، كل وحدة تحط لسانها جوه بوقها _

! ومسمعش صوت لغاية ما نروح نطمن على أسمى

نظر الى ريان هاتفًا بثبات على غير المتوقع فتلك الذين يتحدثون عنها : شقيقته

خليك هنا انت ياريان انت ومراد وجدى وانا هروح انا وعمى _

! وهنطمنكم

: أنطقلت نظرة نارية من أعين مراد مغمغمًا

! انا رايح معاكم _

: وكذلك ليلى الذى صرخت باكية

!!! رجلى على رجلكم انا هتحصلى حاجة لو مطمنتش على بنتى _

: نظر محمد الى كُل من ثروت وريان هاتفًا بخشونة

خليك انت هنا ياثروت انت وريان واحنا هنروح _

: خرج صوت ثروت الحزم متمتمًا

تمام يا ابوى متنسوش تطمونا لاحسن هنقجد على اعصابنا لغاية ما نطمن عليها _

اماء برأسه له فى إيجاب وانطلقوا مهرولين الى تلك المستشفى ، صاعدين بسيارة أُسيد الذى أنطلق بها بسرعة البرق يخترق بها الحشود امامه !! .....

***

فتحت الباب ودخلت له فى مكتبه الخاص حيثُ كان ينهى أعمال له ، وقفت على مسافة بعيدة عنه هاتفة :

.....أكرم انا علاجى خلص امبارح و _

: فى جفاء مرير هتف ببرود

_ معيش فلوس ياملاك ، للاسف !!!

: فى نظرة بريئة وصوت هادئ خرج منها كعادتها

_ انت عارف يا أكرم انى مقدرش اقعد من غيره انا مبطلبش منك حاجة غير علاجى بس

: صمتت لتكمل فى صوت تخنقه العبرات

_ انا مش عارفة انت بتعمل معايا كده ليه انا عملتلك ايه ؟! ، حرام عليك والله ،طلقنى يا أكرم ابوس ايدك ، حتى العلاج مش عايز تدينى اجيبه ونيرة بمجرد ما تطلب منك حاجة بتجبهالها لو هتطلع السما !

: فى إبتسامة شامتة نهض وهو يضحك ساخرًا

_ هنبتدى فى المسكنة بقى والعياط ، هو انتى لو مجبتيش العلاج هيحصلك ايه هتموتى مثلاً ، والله يبقى أفضل عادى مش هيفرق معايا اصلاً ، بس تعرفى انا هديكى تجيبى العلاج علشان بصراحة اخاف تموتى وملاقيش خدامة شاطرة زيك كده !!!

أستدار وعاد الى مكتبه ليخرج بعض النقود من أحد الادراج ويليقها فى

: وجهها متمتمًا بأشمئزاز

خدى وغورى يلا حضرى الغدا _

أنحنت ارضًا لتلتقط النقود ودموعها تنهمر فى صمت ، على تلك الاهانة التى تتعرض لها يوميًا ، خرجت مُسرعة الى غُرفتها فيطغى عليها البكاء الحار .. أستمرت لنصف ساعة مُنخرطة فى نوبة بكائها العنيفة حتىَ كفت عن البكاء اخيرًا لتقف امام المرأة مُتألمة هيئتها الصغيرة نوعاً ما ، عينها العسليتين بشرتها البيضاء التى تحمل أستدارة الطفولة والبراءة ، جسدها ضئيل الوزن وصغير كفتاة لا تتعدى الثامنة عشر من عُمرها ، وشعرها بنى اللون الذى يصل الى عنقها .. مدت يدها تتلمسه مُتذكرة كيف تلك الساخطة " نيرة " قامت بقصه لها امام عيناه ولم يفعل لها شئ ، ولم تقوى هى على مواجهة هؤلاء الوحوش وحدها ، واخيرًا أتخذت قرارها وهو الفرار من هذا السجن لعلها تجد من تستنجد به لينقذها من برثان هذا الكائن عديم الشفقة والانسانية !!!

***

كانت أسمى مستلقية على الفراش وشبه نائمة ولكنها بمجرد سماعها لصوت الباب يفتح بقوة ، فتحت عينها دفعة واحدة لتجدهم عائلتها التى ركضت اولهم امها لتعانقها هاتفة فى صوت امومى حانى ممزوج بالقلق :

!أسمى ياحبيبتى انتى كويسة ؟ _

: أسعفت الكلمات من فمها فى خفوت تام

كويسة ياماما والله ده حادث صغير الحمدلله متقلقوش والدكتور طمنكم _
اكيد وقالكم انه مفيش غير كسر فى الرقبة والرجل بس

: بنظرة شرسة اجابتها مُنفعلة

وهو الكسر ده هين !!؟ _

: اتاها صوت جدها المهتم لاً

حصل كيف الحادث ده يابتى ؟ _

: صمتت لبرهة فى تردد حتىَ اجابتهم بتوتر بسيط

عادى ياجدو انا كنت جاية مع السواق زى العادة فى العربية وحصل _
الحادث

: أقترب منها مراد لينحنى ويقبل جبتها بحنان متشدقًا

! الحمدلله انك بخير ياحبيبتى _

بادلت اخيها نظرة الدفء والحب ومعلقة عين على اخيها الاخر " أسيد " الذى كان يحدقها فى نظرة تخلع القلب فايقنت حينها انه لم تنخل عليه خدعتها لهم وفهم الامر ! ، ولكنه برغم ذلك تقدم نحوها وعانقها هامساً بالقرب من اذنها :

_ هحاول اقنع نفسى باللى قولتيه ده يا أسمى لغاية ما نرجع البيت ونقعد مع بعض ، اهم حاجة دلوقتى انك كويسة ومحصلكيش حاجة

إبتسمت له بأرتباك لترى فى عينه الدفء الممزوج بالالم فمازال جرحه ينزف ، مدت يدها لتلمس باصابعها لحيته ووجنته طافقة بأسى :

_ انا هبقى كويسة يا أسيد صدقنى لما تكون انت كويس ، مش هكون مرتاحة طول ما انا شايفة الالم فى عينك كده !

اخيرًا ظهرت شبه إبتسامة مزيفة على ثغره وهو يشدد من عناقها مقبلاً رأسها هامسًا :

_ متشغليش بالك بيا ياقلب أسيد ، انا كويس !

هتفت فى صرامة وخنق :

_ انا عايزة اروح البيت مش عايزة اقعد هنا

: اجابتها ليلى رافضة ما قالته

تروحى فين يا أسمى لما ناخد أذن الدكتور الاول يابنتى ونطمن عليكى _ أكتر

: همت بأن تجيب مُعترضة فى أصرار فسمعت صوت مراد الخشن قائلاً

! اسمعى الكلام يا أسمى بلاش مقاوحة _

: أطرقت ارضًا فى ضيق مُغمغمة فى أستسلام

!! حاضر يامراد _

: اتاهم صوت محمد الفخم هاتفًا

تعال يا أسيد ورايا عايزك _

نظر الى جده بأستغراب وأنتصب فى وقفته ليتبعه الى الخارج فى ريبة

: شديدة ، أغلق باب الغُرفة ووقف امامه مردفًا

خير ياجدى ؟ _

: بلهيب نظراته وفى عينه نظرة غاضبة وغامضة تمتم

اللى عمل اكده معتز ال**** صح ؟ _

: مسح على شعره فى تأفف هامسًا فى صوت مخيف

معرفش انا شاكك فى كده ، أسمى عارفة حاجة ومقالتش لما نروح البيت هشوفها واعرف منها واتأكد _

: بدأ بألقاء السباب اللاعنة عليه وهو يهتف متوعدًا

لو هو صحيح يبقى سعتها هاخد روحه بأيدى _

: فى صوت رخيم ورزين تشدق أسيد

سبهولى انا ياجدى هعرف اتعامل مع ال****** اللى زيه كده متشتغلش دماغك بيه انت _

: رتب على كتفه فى إبتسامة مفتخرة مغمغمًا

! راجل من ضهر راجل ، خلي بالك زين ياولدى من اللى ميتسمى ده _

! متقلقش _

***

بينما ريان جالس فى هدوء وبجوراه ثروت كذلك كان على الجانب الاخر

منه يجلس مروان الذى كان لا يبدو عليه الارتياح قط ، فقط كانت قدماه تهتز بشدة من فرط توتره ، فحدجه ريان بطرف عينيه فى شك هامساً :

مالك يامروان مش قاعد على بعضك كده ليه !!؟ _

فى صوت متهدج وحاد غمغم :

انا هروح أطمن على أسمى مش معقول ده كله موصلوش ! _

هم بالوقوف فقبض على يده راغمًا اياه على الجلوس مجددًا خافتًا بالقرب من اذنه فى صوت رجولى نارى :

رايح فين بس يامعلم ! ، اقعد انا قولت لمراد يتصل بينا ويطمنا _ ومسيره يتصل اهدى عاد يامروان بلاش تفضح نفسك يابن العم ، خليك تقيل اكده !

تأفف بشدة رامقًا اياه بأقتضاب مغمغمًا :

هحاول اهدى ياريان هحاول ! _

نظر لهم ثروت هاتفًا فى فضول :

بتتحدتوا فى ايه امال بصوت واطى اكده ؟ _!

: فى إبتسامة بسيطة شله لئيمة اجاب ريان

! ولا حاجة يا ابوى ، موضوع بينى وبين مروان _

واخيراً وصلت البشارة حيثُ وجد مروان هاتفه يعلن عن أتصال من مراد

: فهتف فورًا فى تلهف

ايوة يامراد ، طمنا أسمى زينة !؟ _

: قال بودٍ باسمًا

كويسة ، اطمنوا واحتمال على بليل ترجع .. جدى وأسيد راجعين البيت _

دلوقتى وانا وماما هنقعد معاها لغاية بليل ، متنساش تقول لريان اللى

! قولتلك عليه يامروان

! تمام ، تمام اطمن انت _

انهى معه الاتصال ونظر الى عمه وريان

: باسمًا بأرتياح قائلاً

بيقول كويسة الحمدلله ، جدى وأُسيد راجعين وهو ومرات عمى _

هيقعدوا معاها لغاية بليل

تمتم ثروت حامدًا ربه لسلامة إبنه اخيه فرفع ريان حاجبه مًا بخبث

: لمروان

! خلاص اديك اطمنت اهو اهدى عاد _

***

أستر الظلام ستائره ليرتفع ضوء القمر فى السماء منيرًا الارجاء ، لعله يستطيع انارة الظلام ولكن لن يتمكن من جلو الظلام المغمم على قلوب أحدهم !! ..... فتح باب غرفته وقاد اول خطوة له نحو الداخل محلقًا بكل جزء منها ، لم يعتاد أن يدخل غُرغته بالاخص وهى فارغة ! ، فارغة من وجودها ، أغلق الباب ونزع سترته عنه وكذلك قميصه وهو يصدر تنهيدة حارة مهمومًا ، نفسه المتمردة تكابد الحقيقة ، ولهيب الالم يشتعل بداخله أكثر كلما دارت نظراته فى الغُرفة باحثًا عنها لم يجدها ، أستقرت نظرة ملؤها الشجن والاسى منه على أحد ملابس ابنه الذى كان سيولد الامس فألتقطه وحدق به بأعين تهيمان بالدموع عندما تذكر حديثها معه .....

بص بقى يا أُسيد بيه ده انا هلبسه لزيد اول مايتولد ، ومتقوليش وحش _ كفاية انى تعبت فيه وقعدت اخيط فيه وعملاه بأيديا دول

: اجابها ضاحكًا فى نعومة

_ لبسهوله باحبيبتى ، مقدرش اتكلم اصلاً حتى لو وحش !

: فغرت شفتيها فى صدمة عارمة مجيبة

_ يعنى هو وحش بجد يا أسيد ؟!

: ازداد ضحكه أكثر وهو يهتف

_ انا قولت حاجة زى كده !!!!؟

نكزته فى كتفه بقوة ضاحكة وسُرعان ماتلاشت الإبتسامة من وجهها

: هامسة بضعف

_ لو حصلى يا أسيد توعدنى انك تقول لابنى انى كان نفسى اوى اشوفه وقوله انى كمان عملتله البتاع ده اللى مش عارفة اسمه بأيدى

: قالت اخر كلماتها بمرح مرير فرأت نظرته الغاضبة منه متشدقا

_ ان شاء الله تقومى بالسلامة ياحبيبتى متقوليش كده !

: فاق من ذكرياته وهو يغمغم فى أحضان الظلام بصوت تخنقه العبرات

_ ربنا محرمكيش من ابنك ياحبيبتى بس حرمنى انا منكم ! ، الحمدلله

على كل حال

مسح تلك الدمعة التى فرت من عينه ليكمل نزع ملابسه فى شرود تام لا يشعر بأى شئ حوله .....

***

ارتدت ملابسها وأنتهت من تحضير امتعتها ، ثُمّ فتحت باب الغُرفة وتأكدت أن نيرة تلك نائمة فى غُرفتها فأمسكت بحقيبتها وهرولت نحو الباب لتذهب قبل عودة زوجها ، فتصلبت بأرضها عندما وجدت الباب يفتح ويدلف منه كالجبل فنظر الى حقيبة ملابسها وعاد بنظره لها فى وحشية هاتفاً :

_ ايه ده ياملاك ، بتحاولى تهربى تانى ولا ايه !

هزت رأسها بالنفى فى رعب جلى فباغتها بصفعة قادية منه على وجنتها ، صرخت على أثرها ... أغلق الباب بعنف وقبض على حجابها بقبضة فولاذية ساحبًا اياها خلفه كالحيوانة ليتجه بها نحو غرفتها ويدفعها بعنف على الفراش ويغلق الباب جيدًا ، فزحفت هى للخلف بأرتعاد وهى تتوسل إليه قائلة :

..... انا اسفة يا أكرم صدقنى مش هكررها تانى ، ابوس ايدك أاااا _

: قطع كلمتها صفعته الثانية لها وهو يصرخ بها فى صوت جهورى

المرة اللى فاتت سامحتك وعدتهالك لكن المرة دى لا ياملاك عايزاة _ تغفلينى وتهربى منى ليه كنت مين انتى يا****** ، ورحمة امى لاوريكى أكرم بجد على حقيقته دلوقتى !

أنتفضت باكية وهى ترتجف امامه وتبكى بنشيج مسموع بينما هو كان غير مبالى لها ، فأنهال عليها بالصفعات القوية تحت مسمى العقاب !! ، كانت رائحة الخمر العفنة تفوح من بين اسنانه ، ظلت تصرخ وتبكى بشدة محاولة الفرار منه دون فائدة حتى تراخت قواها تدريجيًا وفقدت وعيها !! .. والدماء تسيل من فمها وانفها

الفصل الثانى

ظلت تصرخ وتبكى بشدة محاولة الفرار منه دون فائدة حتى تراخت قواها تدريجيًا وفقدت وعيها والدماء تسيل من فمها وانفها .. !!

تسمر بأرضه فى خوف عندما رأها هكذا وانحنى إليها ليهز جسدها بقوة

هاتفًا :

_ ملاك ! ، انتى سمعانى ؟!!

لم يجد رد منها فأسرع ووضعها على الفراش جيداً باذلاً اقصى جهده ليفيقها ، وبعد دقائق فتحت عيناها ببطء وبمجرد ما رأته امامها أنتصبت

فى جلستها وهى تثب جالسة صائحة به ببكاء :

_ ابعد عنى متقربش منى ، حسبى الله ونعم الوكيل فيك !

قابل عبراتها وصياحها ببرود مستفز متمتمًا :

_ ده علشان تفتكرينى كويس لما تحاولى تهربى تانى

همت واقفة وهى تصرخ به فى صوت مرتجف ممزوج بدموعها

الحارقة :

_ انت بتعمل معايا كده ليه ، انا أذيتك فى ايه .. انا مش عايزة منك صدقنى وبتمنالك تعيش عيشة سعيدة وجميلة انت ونيرة بس بعيد عنى ،

! بعيد عنى يا اكرم طلقنى ومش هتشوف وشى تانى صدقنى

وقع نظره على منديل موجود فوق سطح المنضدة الصغيرة فتناوله باسمًا وأقترب منها بشدة ، فشهقت بفزع عندما وجدته يلف ذراعه حول خصرها ويجذبها إليه بعنف هامسًا بنظرات شيطانية وجريئة ونبرة ماكرة :

_ مقدرش اطلقك ياملاك والا ابقى راجل غبى لما اطلق وحدة فى حلاوتك دى ، من جهة المقارنة فأنتى متتقارنيش بنيرة ابدًا من جهة الحلاوة والشكل ، لانك تتحلى من على حبل المشنقة كلمة قليلة عليكى .. وانا ميهونش عليا اضيع الحلاوة دى كلها من ايدى ..... لانى من البداية اتجوزتك لانك عجبتينى بس انتى كنتى ساذجة جدًا لدرجة انك صدقتى بكل سهولة انى بحبك ووافقتى تتجوزينى ، انتى هنا علشان تخدمينى وبس وتلبى رغباتى مش اكتر وشيلى الطلاق ده من دماغك لانك مش هتنوليه

وانحنى لطبع قبلة على جانب ثغرها أشمئزت هى منها ليهمس بنبرة ذات معنى وهو يمد يده ليمسح نقاط الدماء على جانب ثغرها الاخر :

_ اخص عليا ايه القسوة دى ، حد يضرب القمر ده كده !

كانت تحدقه بنظرات مُنكسرة وأعين دامعة فدفعته بغيدًا عنها صائحة

: به

!!! اطلع بره ، اطلع _

تنهد الصعداء بأحتجاج وخرج ، اما نيرة التى كانت تستمع الى حديثهم ركضت الى غُرفتها فوراً لتستقل بفراشها وكأنها لم تسمع شئ ، وبداخلها أعاصير تدمر كُل شئ " أيفضل تلك الشمطاء عليها ، الا هى قبيحة الى تلك الدرجة مقارنة بها !! " ، أخذت تطقطق اصابعها بغيظ وهى تهمس بنبرة تحمل فى طيأتها الوعيد :

ماشى يا أكرم مبقاش انا نيرة اما وريتك وخليتك تلف حوالين نفسك ، _

!!!! اما ملاك فأنا عارفة هعمل ايه معاها كويس اوى

***

طرق الباب عدة طرقات ثُمّ دخل فقد كانت نائمة فى فراشها بثبات ، تقدم نحوها وجلس على حافة الفراش بجوراها .. ومد يده ليلمس على شعرها برقة هامسًا بصوت هادئ :

! أسمى .. أسمى _

فتحت عينها وتمتمت باسمة برقة عندما رأت اخيها :

نعم يا أُسيد _

: فى صوت متحشرج اجابها

! قومى ياحبيبتى عايز اتكلم معاكى _

تسارعت نبضات قلبها فور نطقه بهذه الكلمات وأغمضت عينها فورًا

: متصنعة شعورها بالنعاس الشديد وهى تجيبه بنعاس

!! خليها بكرة يا أسيد عليا النوم اوى دلوقتى _

: فى صوت رجولى مخيف غمغم

انتى سمعتى قولت ايه صح ! ، قومى يلا .. اغلسى وشك كده علشان _

تفوقى معايا انا وبكلمك

: أعتدلت فى جلستها ببطء على مضض وهى تردف

! انا فايقة كده قول عايز تتكلم معايا فى ايه _

: خرج صوته الخشن متسائلاً فى حدة

اللى ورا اللى حصل ده معتز ولا لا ؟ _

: فى صوت مرتبك وقلق تشدقت قائلة

....أسيد انا كويسة انت ليه أاااا _

: صاح بها فى صوت جهورى جعلها تنتفض جالسة

انا سألت سؤال واضح يبقى تجاوبى على قد السؤال هو ولا لا ؟ _

اماءت برأسها فى نظرات زائغة فهم واقفًا لولا يدها التى قبضت على ذراعه وهى تهتف بتوسل :

أسيد ابوس ايدك بلاش تتهور انت الفترة دى مضغوط اساسًا وممكن _ تعمل اى حاجة وانت مش حاسس تندم عليها بعد كده ، وحتى لو حاولت تلاقيه مش هتلاقيه لانى اللى اعرفه على حسب ماقالى انه هيسافر النهردا

دفع يدها بعنف بعيدًا عنه وغادر الغرفة فقابل مراد فى وجهه الذى قابله بأستغراب من هيئته ، فوجده يطفق فى صلابة :

تعالى ورايا يامراد عايزك ! _

هز كتفيه بتعجب وهو يمط شفتيه وسار خلف اخيه فى ريبة بالغة حول امره .... !!!

***

..... داخل مكتب أُسيد الخاص

: كان يسير ايابًا وذهابًا مشتعلاً بنيران السخط وهو يهتف

_ مراد انت كان ليك علاقة مع معتز قوية عنى ، متعرفش اى حاجة عنه !

: فى صوت هادئ وبداخله القوة والغضب

_ وهو انا لو كنت اعرف كنت قعدت قدامك القعدة دى ، ما كنت روحت وشربت من دمه !! ، بس مش هيروح منى بعيد لانى اعرف اغلب الرجالة اللى بيتعامل معاهم وقريب اوى هقولك تعالى لو عايز تصفى حسابك معاه بعد ما اصفى حسابى الاول !

ضرب بقبضة يده الفولازية على الحائط وهو يشتعل غيظاً ، فجلس الاخير على الاريكة بإرياحية ليهمس بدهشة بعد أن تفكر مليًا لبرهة من الوقت : _ تفتكر يا أُسيد انه ليه علاقة بفرع الشركة اللى اتحرق فى لندن !

: تنهد الصعداء فى تبرم متشدقا

_ أفتكر مفتكرش ليه ! ، وكله بيضاف لحسابه معايا ببداية من اللى عمله

مع مريم الله يرحمها ونهاية بأسمى اهى .. وانا مغلطش لما قولت عليه مش راجل وحرمة !!! ، انه يصفى حساب الرجالة مع الحريم يبقى مش راجل ، وأن شاء الله هاخد روحه لما يوقع تحت ايدى !

: نهض من مقعده ليرتب على كتفه فى خشوع قائلاً فى ضيق

_ بكلامك ده لو لقيته وحبيت اقولك مش هقولك ، اهدى كده يا أسيد انت اعصابك تعبانة من ساعة موت مريم اللى يرحمها ، اهدى واسترخى كده وخلينا نفكر بطريقة ناخد حقنا منه وفى نفس الوقت نخلص منه من غير ما ندخل فى سين وجيم

: خرج صوته الجهورى هز أركان الغُرفة

_ انت بتتكلم من عقلك هاا !! ، سبق وحاول يعتدى على مراتى ويخطفها ودلوقتى حاول يقتل أسمى وغير مصايبه التانية ، ده انا هتفنن فى قتله يامراد كده كده مبقيش فى حاجة اخاف عليها ، مراتى وابنى خسرتهم الحمدلله يعنى سواء اتسجنت او اتعدمت مش هتفرق

: اماء برأسه فى تفهم وفى نبرة متغطرسة اجابه

_ مش بقولك اعصابك تعبانة ومحتاج ترتاح ، اطلع ارتاح يا أسيد انت منمتش ليك يومين ونبقى نتكلم لما تهدى

***

..... مع أشراق شمس يوم جديد

: رتب محمد على ظهر حفيده وهو يعانقه قائلاً

_ شد حيلك ياولدى ، اوعى تنحنى ولا تنكسر .. ومتنساش تجولى لو عرفت حاجة عن المحروق ده معتز !

هز رأسه بموافقة ليه فاتجه وعانق مراد كذلك مودعًا اياه وتلقوا سلامهم ايضًا من عمهم بأستثناء ريان ومروان ! ، فتفوه مروان بشئ من المزاح :

_ ملوش لزمة احنا عاد نسلم كلها يومين وجايين تانى !

: بادله مراد مزاحه مجيبًا باللهجة الصعيدى

_ ملوش لزمة والله تتعب روحك خليك عندك واحنا ذات نفسنا هنجيلك !

قهقه الجميع بقوة بأستثناء أسيد الذى كان يتابع حديثم بوجوم تام فنظر ريان الى شقيقته وهتف قائلاً بخشونة :

_ هتاجى معانا ولا لا ياسارة ؟

: هزت رأسها نافية لتردف برقة

لا هقعد مع أسمى كام يوم لغاية ما اطمن عليها وتبقى كويسة _

: خرج صوت ثروت القوى مغمغمًا

خلاص سيبها ياريان خليها تقعد مع بت عمها لغاية ماتبجى زينة _ وتتعافى

أنضمت إليهم أسمى اخيرًا التى كانت تسير على عصاة طبية تتعكز عليها وتسير ببطء نحوهم حتى وصلت لجدها فعانقته بحرارة وكذلك عمها مودعة اياهم واكتفت بالسلام باليد على كل من ريان ومروان الذى نظر ..... ! لها بأعين دافئة تحمل فى ثنايها معانى جمة

أبتعد ريان عن حشدهم بل عن اسماعهم تمامًا حيثُ لا يستطيع أحد سماعه ليجيب على الهاتف فى ترقب :

!الو عملت ايه ؟ _

عرفت بيت الراجل اللى قولتلى عليه ياريان باشا ، بس مش متأكد اذا _ كنت هتلاقيه فى البيت ده ولا لا

: غمغم فى نبرة رجولية مستاءة

!! اخلص هات العنوان ملكش صالح _

: املاه العنوان فانهى معه الاتصال فورًا ونظر لهم هاتفًا على عجالة

انا رايح مشوار سريع امشوا وانا هحصلكم على البلد _

: هتف ثروت فى حيرة من امره

! على وين اكده ومشوار ايه اللى ظهر فجأة ده _

لم يجيبه بل صعد بسيارته وأنطلق بها بسرعة البرق وسط نظرات الجميع

!! .... المتعجبة له

***

طرقت الباب ودخلت فقد كانت جالسة على أحد المقاعد بسكون لا حياة فيها كالانسان الألى ، تحدق فى كُل شئ بعدم اهتمام وعقلها يفكر فى ألاف

: الاشياء ، فتقدمت نحوها وجلست على الفراش متمتمة بمكر انوثى

كنتى استعنتى بصديق قبل ما تعملى كده يمكن كنتى نجحتى فى اللى _

! عايزاه

: ثبتت ملاك نظرها عليها بقوة هاتفة بجدية

قصدك ايه يعنى !؟ _

اعتدلت فى جلستها أكثر لتضع ساق فوق الاخرى وتطفق فى غرور جلى

: امتزج بلؤم زائف

يعنى لو كنتى طلبتى مساعدتى مكنتش هقولك لا وكان زمانك دلوقتى _

هربتى من زمان !!!

: رفعت حاجبها بنظرات شائكة لتهمس بترقب فى فضول

انتى عايزة ايه بظبط يانيرة ؟ _!!

: قهقهت بأنوثة طاغية وهى تهتف بأستهزاء

هو انا عارفة انك ساذجة بس مش اوى كده ياملاك يعنى ، بصى ياستى _

انا عايزة اساعدك فى انك تهربى بس مش حبًا فيكى اكيد لا ، ده بس لانى

عايزة احافظ على جوزى وشايفة أن وجودك عائق وزى ماتقولى عايزة

اربيه شوية برضوا

: أنتصبت ملاك فى جلستها لتهتف بنظرات دقيقة ومترددة

_ وانا ايه اللى يضملى انك متقوليش لاكرم او تأذينى ؟؟!!

: فى نظرة متقدة كلها ذكاء اجابتها وهى تهب واقفة

_ لانى زى ماقولتلك وجودك هنا مش راجع بأى فايدة ليا وملقيتش حل انى اخلص منك غير انى اساعدك تهربى ، انا معايا نسخة من باب اوضتك لما يطلع اكرم بليل هفتحلك الباب وتمشى مجهزة حاجتك وكل حاجة علشان اول ما افتحلك تمشى علطول قبل ما يرجع ويحصل زى ماحصل امبارح !

كانت تتطلع إليها بحيرة من امرها ، الى ماذا تخطط ياترى تلك الخبيثة !!؟ .. ولكن كُل مايهمها الان انها ستساعدها فى التخلص من هذا العذاب المر ، فأماءت برأسها لها فى إيجاب لتستدير هى وتنصرف تاركة اياها مستغرق عليها التفكير العميق حول ماقالته وهل يحق أن تثق بها او لا .. !!!

***

ترجل ريان من سيارته امام احد المبانى الكبيرة ، تتكون من ما يقارب العشرة طوابق ! ، رفع نظره لاعلى يتفحص المبنى بتدقيق ومن ثُم قاد خطواته الثابتة نحو الداخل تجاه المصعد الكهربائى الذى فوجئ بوجود

فتاة به ، كانت ملابسها محتشمة مناسبة لسنها .. بمجرد ما رأته ارتبكت وتراجعت للخلف لتفسح له مجال للدخول ، فتراجع هو للخلف مغمغمًا بصوت رجولى هادئ :

_ اتفضلى انا هطلع على السلم !

وفى ظرف لحظة صعد على الدرج فى عجالة ، كانت ملابسه تتميز بلمسة رجولية جذابة كُلها وقار وهيبة ، ملامحه الوسيمة والمريبة فى ذات اللحظة ، صوته الخشن والقوى كانت كُلها أسباب تجعل اى فتاة تفتن به .....

وقف امام أحد المنازل وضغط على الجرس عدة مرات ولكن دون اجابة ، فوجد المصعد يتوقف وتخرج منه تلك الفتاة لتتجه لمنزلها فى الشقة المقابلة له ، فأستدار لها وهتف بهدوء :

_ هو مفيش حد اهنه ولا ايه ؟!

توقفت وأستدارت له لتهتف بجدية تامة :

_ هو حضرتك عايز مين بظبط ؟

أنتصب فى وقفته بوقار ليجيبها فى جمود :

_ فى وحدة اسمها فردوس ومعاها بنت مش المفروض انهم ساكنين هنا

: تمتمت الفتاة فى أسى

لا طنط فردوس اتوفت من حوالى اربع شهور وملاك اتجوزت بس _
معرفش عنها حاجة للاسف من ساعة ما اتجوزت وقلقانة عليها جدا

متعرفيش اللى اتجوزته ده مين ، بيته فين اى حاجة ؟ _

: هزت رأسها نافية فى أسف متمتمة

! لا للاسف معرفش غير إن اسمه اكرم _

: اخرج كارت صغير من جيبه ليناوله لها قائلاً بصلابة

! طاب ياريت لو عرفتى اى حاجة عنها تتصلى بيا ، اتفضلى _

تناولت من يده الكارت وحدقت به لتقرأ الاسم " ريان ثروت محمد
: الصاوى " لترمقه بدهشة هاتفة

!!!! انت ابن خالها _

: اماء برأسه له فى إيجاب فمدت يدها بالكارت مُجدداً مُتشدقة فى حزم

! اتفضل معلش انا مش هقدر اقولك حتى لو عرفت حاجة عن ملاك _

أصدر تنهيدة حارة ليخرج زفيرًا على تمهل وهو يجيبها بخشونة بعد أن أتضح الامر امامه :

_ واضح انك عارفة كل حاجة ! ، متقلقيش انا مش عايز أذيها ومش بفكر فى ده من اساسه علشان اكده اتمنى انك تقوليلى لو عرفتى حاجة ! ، وهى ذات نفسها تعرفنى

وسرعان ما رحل من امامها كالطيف وهى متصلبة تحملق فى ذلك الكارت بتوتر لتهز رأسها بنفى قاطع هاتفة :

_ مستحيل اخليهم يوصلوا لملاك ايه اللى يضملى يعملوا فيها ايه ما يمكن يقتلوها زى ما قتلوا باباها !!!!

***

أستل الليل ستائره ليبسط القمر ردائه فى السماء ينير الظلام الكاحل ، بينما فى وسط ذلك الظلام الدامس كان يجلس على أريكة هزازة فى حديقة المنزل وبيده سيجارة يستنشق الدخان وينفثه على تهمل فى جمود تام ، سارت ليلى نحوه فى خطواط شبه هادئة حتىَ توقفت امامه لتهتف فى صوت شبه غاضب :

_ ايه يا أسيد انت من امتى بتدخن اصلاً ؟!!!

: فى صوت أجشَّ غمغم بحدة

! ادخلى جوا يا امى وملكيش دعوة بيا ، سبينى وحدى _

جذبت من يده السيجارة بعنف والقتها على الارض لتدعسها بقدمها

: صائحة بهِ

اسيبك تدمر صحتك يعنى ، مش كفاية اخوك اللى رميت طوبته من _ زمان كمان انت ! ، عارفة وحاسة بيك بس مش انت وحدك اللى زعلان على مريم كلنا زيك وحد الله كده ياحبيبى ، انت من ساعة اللى حصل مش بتاكل غير لقمتين وبتقعد عليهم اليوم كله وعايز تشرب سجاير كمان

أنتصب واقفًا على قدميه ليهتف بخفوت مرير ونظرات تحمل فى ثناياها

: الالم

عمرك ما هتحسى بيا لا انتى ولا غيرك ، لان باختصار محدش عارف _ مدى النار اللى بتحرق فى روحى بالبطيء انا متجوز من خمس سنين ولفينا انا ومريم على دكاترة مصر كلها ومكفناش وسافرنا بره مصر علشان ربنا يكرمنا وبعد إنتظار خمس سنين خسرت ابنى اللى مستنيه ومراتى ، الحمدلله على كل حال طبعًا بس متقوليش انك حاسة بيا يا امى

وسُرعان ما رحل من امامها ليتجه نحو سيارته وسط صياحها عليه المتتالى وهو غير مبالى لها فقد صعد بها وأنطلق كالبرق ، فتأففت بضيق

: هاتفة

_ ليه يابنى بتعمل كده بس فى نفسك ! ، يارب استرها علينا يارب .. ربنا يهديك ياحبيبى !

***

نهض من الفراش ليرتدى ملابسه ويبقى عارى الصدر ، ليجذب قداحته من أعلى المنضدة ويشعل سيجارة ويضعها بين اسنانه ، ويخرج للشرفة ليجعل الهواء النقى بتخلل بين ثنايا صدره .. فجذبت هى الملاءة على جسدها وتناولت " الروب " خاصتها وارتدته لتنهض متجهة له وهى

: تهمس

_ مالك يابيبى ؟!

: حدقها بنظرة أستحقار قائلاً

_ مليش هيكون مالى يعنى !

: التصقت به لتخلل اصابعها بين شعره الغزيز متمتمة بدلال انوثى

_ هو انت مش ناوى نتجوز ولا ايه يامراد ، انا نفسى نبقى مع بعض

علطول

: أزاح يدها عنه بهدوء هاتفًا بإبتسامة متغطرسة فى نظرة وضيعة

!! نفسك تبقى معايا ولا مع فلوسى _

: رمقته فى نظرة متوترة قليلاً وفورًا هتفت بتصنع الغضب والانفعال

ايه اللى بتقوله ده يامراد انا عمرى مافكرت كده ، انت عارف كويس _

! اوى انى بحبك بجد

: أرتج المكان بصوت ضحكته الرجولية وهو يجيبها ساخرًا

لا والله بتحبينى !! ، ياه تصدقى اول مرة اعرف الخبر ده ! ، بلاش _

نحور على بعض يامياار لان احنا الاتنين عارفين كويس اووى انتى

عايزة ايه من ده كله ، فـ انا بقترح اننا خلينا نستمتع مع بعض كده أفضل

!! وانا هفضل عامل نفسى عبيط .. لان الجواز ده من سابع المستحيلات

: لينحنى ويطبع قبلة طويلة على وجنتها مغمغمًا بنبرة شيطانية

ولا انتى ايه رأيك ياحلوة ؟ _

أطالت النظر إليه بصمت فى نظرة ملتهبة تنم عن طوفان عاتى بداخلها !

، فدخل الى الداخل وأكمل أرتداء ملابسه ثُم جذب مفاتيح سيارته وهاتفه

..... ! وأنصرف تاركًا اياها تشتعل من الغيظ وتتوعد له

***

كانت ملاك أنتهت من تجهيز حقيبة ملابسه للذهاب كما اتفقت معها " نيرة

: " ودقائق معدودة وفتحت لها الباب وهى تهتف باسمة

يلا اطلعى انا عملت اللى ميتعملش علشان اخد المفتاح بتاع الاوضة من _

اكرم من غير ما يحس

حملت حقيبتها على يدها وأقتربت منها وهى تغمغم شاكرة اياها بنبرة

: ممتنة

! شكراً يانيرة بجد مش هنسالك اللى عملتيه ده معايا _

: فى خفوت تام بنبرة شبه باردة اجابتها

العفو ، مع أن انا عملت كده لانه فيه مصلحة ليا طبعاً بس برضوا _

منكرش انك صعبتى عليا بعد اللى عمله معاكى امبارح ، يلا امشى بسرعة

قبل ما يرجع

اماءت برأسها فى إيجاب وسرعان ما هرولت من امامها مغادرة المنزل ،

..... ! تاركة خلفها عذابها فى ذلك المنزل اللعين الأشبه بجهنم

ظلت تسير فى الشوارع بدون هدف محدد ، بين سدول الظلام وعكرة الليل كانت سائرة تلك التى لا يقال عنها سوى كائن من كائنات الله اللطيفة التى يجب حفظها داخل شئ حماية لها من الأذى والانكسار ولكن هيهات فلم تصبح الحياة حياة بدون ألم وأنكسار ، الهواء بارد والجو صقيع فقد كانت ترتجف من البرد لدرجة أن اسنانها تحتك ببعضهم ، تخشى الذهاب لمنزلهم فيذهب لها وهى امام بطش ذلك الحيوان لا شئ ، حتىَ صديقتها فلم تستطيع حمايتها منه ولا تريد جلب الاذية لهم ، قضت شطرًا من الليل وهى تسير بدون هدف حتىَ تعبت من كثرة المشى فجلست فى أحد الامكان المعزولة عن أنظار الناس وأستندت برأسها على الحائط ، تاركة العنان لدموعها بالسقوط متذكرة امها "

_ ملاك ياحبيبتى انا اكيد هياجى يومى عاجلاً ام اجلًة وانا حاسة انه قرب لو حصلى حاجة روحى لجدك وخلانك مظنش إن جدك هيكرهك انتى كمان زى مابيكرهنى هو واخواتى

: فى أعين ملتهبة اجابتها

_ لو أخر ناس فى الدنيا يا امى مش هلجألهم فى وقت محنتى ، مكنش رحيم على بنته هيبقى رحيم عليا انا ، شافك انتى وبتتعذبى وعارف أن

حالتك خطرة ولما بعتله اطلب منه مساعدة فى مصاريف علاجك شوفتى قال ايه ، كفاية انهم السبب فى موت بابا الله يرحمه .. انتى غلطتى اهاا فى اللى عملتيه بس متوصلش للقتل ياماما .. انا الناس دول مش عايزة منهم اى مساعدة !

: لامست على شعرها بحنو متمتمة

" رينا يكرمك يابنتى ويحفظك يارب _

انكبت على وجهها وجعلت تبكى بكاء مرًا ، حيث نخر الحزن قلبها بلا هوادة لتذكر حالها وامها وابيها الذى لم تراه فقد قتل قبل ولادتها ، لم تشعر بنفسها فأغمضت عيناها بأرهاق ولم تفتحها الا بعد ساعات عديدة ..... فحدقت بالمكان من حولها بدهشة وخوف

الفصل الثالث

حدقت بالمكان من حولها بدهشة وخوف وثبت جالسة بفزع عندما وجدت نفسها بغرفتها فى منزل زوجها ، لوهلة ظنت أن كل هذا حلم وأنها لم تهرب ولكنها تأكدت عندما رأت ملابسها ، وماهى الا دقائق وهل ذلك الوحش الكاسر من خلف الباب ، فأرتجفت أعضاء جسدها برعب جلى وفاضت عيناها بالعبرات كالاطفال ... فنزع سترته الجليدية عنه وشمر عن ذراعين مفتولتين وسحب حزام بنطاله بنظرات مهيبة ولفه حول اصابعه جيدًا قائلاً بقسوة :

واضح أن علقة امبارح مجابتش بنتيجة معاكى ياملاك ، طاب حتى اصبرى كام يوم اكون نسيت انك حاولتى تهربى ، لكن تانى يوم علطول كده ... احب اقولك انك مش هتهربى منى ابدًا ياروحى انا حاطلك جهاز تعقب فى تلفونك علشان كده ملقيتش اى صعوبة فى انى اعرف مكانك ، ودلوقتى بقى استعدى لانى ممكن اخليكى قاعدة فى السرير علطول

أجهشت فى البكاء ومن شدة خوفها عقد لسانها ولم تستطيع حتىَ أن تتوسله وتستعطفه أن يرحمها ، فقد بدأ عقابه بصفعة دامية منه ثُمّ نزل بالحزام على جسدها بجفاء وكأنها جماد لا يشعر بشئ ولكنها كانت تتلوى وتصرخ بين يديه والبكاء لم يتوقف للحظة .. حتىَ اصبحت لا قوة لديها

للمقاومة فاستسلمت لعقابه وضربه لها كالصنم الذى لا حياة فيه ، حتىَ كاد جسدها أن ينزف الدماء ، دلفت فى تلك اللحظة نيرة وسحبت من يده الحزام صارخة به بغضب :

_ كفاية يا أكرم حرام عليك ياخى !

هتف باسمًا باستنكار :

_ ومن امتى الحب ده يانيرة هانم ؟!

صاحت به مندفعة فى أنفعال :

_ مش حب ، بس انا عندى قلب ومستحملش اشوف اللى بيحصل ده واسكت ، اعمل فيها اى حاجة غير كده حرام عليك هتموت بين ايدك ، اتقى الله شوية !

كانت ملاك مستلقية على الفراش لا تعى اى شئ كالجماد الذى لا حياة فيه ، فقط تسيل العبرات من مقلتيها بصمت .. فألقى هو بالحزام على الارض وغادر ، فأسرعت هى نحوها تهتف فى اشفاق :

_ ملاك ردى عليا ، ملاك

كشفت عن جزء من جسدها فشهقت بهلع من هول المنظر فقد بدأ جسدها

ينزف الدماء ، تمزق قلبها

اربًا على تلك المسكينة ، اخيرًا خرج صوتها الضعيف وهى تهمس بعينان

: تهيمان بالدموع

! سبينى وحدى يانيرة _

فلوت فمها بأسى ونهضت تاركة اياها بمفردها فأنفجرت باكية بشدة ، بكاء أشبه بالصراخ وتكورت حول نفسها كالجنين فى بطن امه ، لم يكن عساها شئ سوى الاستغاثة بالله فهو وحده القادر على تخليصه مما فيه لعلها تكون ساعة أستجابة ويستجب الله لدعائها واستغاثتها به ! .....

***

أرتفع النور فى السماء والشمس الباسمة أرسلت شعاعها رفيقاً فوق المروج ، بينما كان يجلس فى مكتبه ينهى أعماله المتكدسة أقتحم الغُرفة

: دخول ريان الذى رمقه أُسيد بدهشة قائلة

! ايه يابنى انت مش لسا ماشى امبارح لحقت تاجى امتى تانى _

: قال فى شئ من الجدية

روحت ورجعت ، صد رد يعنى .. انت عارف فى شغل كتير هنا ولازم حد يكون موجود يخلصه وانت يدوب تلاحق على شركتك يا ابن العم ومروان كلها يومين وياجى كمان تانى _

: بادله الجدية التامة ليغمغم بخشونة

طاب كويس انك رجعت بقى ، أكرم المناوى عازمنا عنده النهردا على العشا _

: جلس على الاريكة وأردف بتعجب

عازمنا ! ، ويعزمنى انا ليه ده انا حتى مليش شغل معاه جامد زيك .. لا فكك منى يا أسيد روحله انت بنيابة عنى انا اصلا مبينزليش من زور الراجل ده ! _

: خرج صوته الرجولى الحازم فى إمتعاض

على أساس انى انا اللى بطيقه يا ريان ، مضطر استحمله علشان مصلحتنا معاه وهو مصلحجى رقم واحد مهو مش هيعزمنا عنده غير لمصلحة ليه واحنا هنستغل ده طبعا لصالحنا ، فأنت زى الشاطر كده هتاجى معايا علشان انا خلقى ديق اليومين دول واخاف يقول اى حاجة فاتجنن انا ، فتكون انت معايا تهدينى لو حصل حاجة زى كده _

: قهقه بخفة قائلاً فى مداعبة

!!!! وحياتك انا اللى عايز اللى يحوشنى عنه لاحسن ده راجل ملسلس _

: أرتسمت شبه إبتسامة على ثغره مجيبًا بهدوء

طيب قوم شوف لو وراك حاجة خلصها علشان منتأخرش على المعاد _

***

جالسًا على مقعده الهزاز فى غُرفته يحدق فى شاشة هاتفه ، يتحرق شوقًا للاطمئنان عليها ولكن مايعيقه تردده ! ، هب واقفًا متحفزًا ومسح على شعره الاسود الغزير بأضطراب وهو ينفث أنفاس حارة من بين شفتيه فحسم امره وأخرج رقم هاتفها ووضع الهاتف على أذنه منتظر اجابتها .....

على الجانب الاخر كانت هى تجلس بصحبة أبنه عمها " سارة " يتحدثون

: فى شتى الامور فصمتت سارة لبرهة من الوقت لتهتف بترقب

أسمى انا سامعة صوت موبايل بيرن شوفي ليكون تلفونك انا تلفونى _ فى ايدى اهو

: تلفتت حولها باحثة عنه بنظرها فى أستغراب فتشدقت بتهذيب

معلش ياسارة هتهولى مش هقدر اقوم هو تقريبًا تحت المخدة هناك _

: نهضت وامسكت به لتحدق بالمتصل مردفة بنظرة لئيمة

! ده مروان ! .. هو من امتى مروان بيتصل بيكى يا أسمى _

: عقدت الاخيرة حاجبيها مجيبة اياها فى دهشة

مروان ! ، مبيتصلش اصلا وهاتى التلفون ونضفى نيتك شوية هاا _

يمكن يكون فى حاجة مهمة علشان كده بيتصل

: ناولته اياها وهى تغمغم بمكر

خدى اما نشوف ايه هى الحاجة المهمة دى _

اجابت على الهاتف فأسرعت سارة والصقت اذنها فى الهاتف بجانبها

: لتستمع الى حديثهم الذى كان كالأتى

الو يامروان _

: تنحنح بنبرة رجولية مجيب بصوت هادئ

ايوة يا أسمى عاملة ايه ؟ _

: بنظرات زائغة هتفت فى خفوت

كويسة الحمدلله يامروان ، خير هو فى حاجة ولا ايه ؟ _

: بصوت يفيض رقة وحنانًا هتف باسمًا

وهو لازم يكون فى حاجة علشان أتصل يعنى !! ، عادى انا أتصلت _ أطمن عليكى

: أبتعدت عنها سارة لتهمس فى نظرات شيطانية وخبيثة

! حاجة مهمة اوى الصراحة _

ألتقطت أحد الزجاجات البلاستيك الممتئلة بالماء وضربتها بها بقوة على ذراعها لتصدر هى صوت صرخة شبه مرتفع ، فيخرج صوته الحازم : !ايه الصوت ده ؟ _

: هتفت مسرعة فى توتر جلى

لا ده التلفزيون كان عالى بس ، انا كويسة الحمدلله يامروان متقلقش ، _ فيك الخير والله ! .. ايه اخبار مرات عمى وجدى ؟

: لفظ الكلمات من بين شفتيه ببساطة فى مرح قائلاً

كله زين اهنه ، انا بس اللى بشد فى شعرى من الشغل وريان عاد مقيم _
! فى القاهرة خلاص

: تعالت صوت ضحكتها الرقيقة وهى تكمل مزاحه
لا ريان انا بقيت اشوفه اكتر مابشوف مراد وأسيد ! ، انت مش قولت _
جاى تانى ؟

اهاا احتمال اليومين الجايين بأذن الله اجى _

: فى خفوت انوثى وصوت رقيق رشق فى ثنايا قلبه فورًا
توصل بالسلامة أن شاء الله _

: افترت شفتيه عن إبتسامة وهو يقول مبتهجًا
إن شاء الله ، عايزة حاجة انا هقفل بس علشان فى حد بيرن _

: أنسدل صوتها الحرير ناعمًا مجيبة
! لا عايزة سلامتك ، سلام _

أنهت ألاتصال معه لتقابل نظرات تلك ال " سارة " الخبيثة وهى تهمهم

: مقلدة جملتها

عايزة سلامتك !! ، ياختى على الرقة ، لا انا اصلا مروان مكنتش مرتحاله وربنا من فترة والحمدلله اتأكدت من اللى كنت شاكة فيه خلاص ! _

: صرت أسمى على اسنانها وهى تهتف بتحذير

قومى من جمبى ياسارة عارفة ليه علشان انتى حقيرة ودماغك حقيرة زيك ، طاب ما أسيد بيهتم بيكى زيي واكتر لدرجة انى كنت بشك انه بيحبك اكتر منى ، ليه مقولتش انى مش مرتاحة لأسيد ! _

: أنتصبت فى جلستها بحماس شديد وهى تهتف بوضوح

اقولك ليه علشان كلنا عارفين أن أسيد كان بيحب مريم اكتر من روحه ومازال ، وثانيًا لان أسيد فعلاً بيعتبرنى زيك ومتأكدة انه عمره مافكر فى حاجة وانا بعتبره زى ريان كمان بس مروان الوضع مختلف بعدين بيبقى باين ياعديمة الخبرة اذا كان الشخص ده بيهتم لمجرد انه بيعتبرك زى اخته ولا حاجة تانى ، لكن اقوا ايه انتى اصلا ... ولا بلاش حرام اغلط فيكى واخد ذنوب علشان خاطر وحدة غبية زيك !!! _

: التفتت حولها باحثة عن زجاجة الماء صائحة بها

فينها هى اللى ضربتك بيها اما اديكى بيها على دماغك المرادى افتحها _ أن شاء الله ، قومى من جمبى ياسارة قومى هتفقعى مرارتى جاتك القرف

: نهضت من الفراش وهى تقهقه بقوة هاتفة بمشاكستها المعتادة

ماشية وسيبهالك ياعبيطة ، استنى بس اشوف مروان ده انا هزله زل ! _ ، ده انا كنت اتحنسه يامروان خدنى معاك فى طريقك وصلنى بالله عليك ياخى ولا فى مرة رضى فيها ويقولى مش فاضى ماشى يامروان هطلعه عليك اصبر عليا بس !

: سيطر جو من المرح عليهم لتجيبها أسمى ضاحكة

على أساس أن ريان كان بيوصلك يعنى ماكنتى بتلفى على البيت كله _ ياشحاتة وفين لما ريان يوافق لما انا اقوله خدها معاك ياخدك ، هو عمى بس اللى مبيرضاش يزعلك فى حاجة لكن انتى مهزقة فى البيت كله اصلاً يامهزقة

: خلعت حذاء قدمها بمهارة والقته عليها لتهتف فى أغتياظ

انا قولت حرام اخد ذنوب علشان وحدة زيك ، اصبرى ياحبيبتى الدنيا _ دوارة وكلكم هياجى عليكم دور واهو اولكم مروان !

لتلتقط حذائها مجددًا وترتديه لتغادر وهى تلقنها ببعض الكلمات الغاضبة والمغتاظة وتقابلهم الاخيرة بالضحك الشديد .....

وبينما هى فى طريقها الى غُرفتها وتهندم من هيئة حجابها الغير منظم ،

أصطدمت بمراد الذى طالعها باسمًا هاتفًا برجولة :

ايه بتتشاكلى مع دبان وشك ليه !؟ _

حدثته فى أنفعال مزيف :

اديك قولت يعنى ممكن اتشاكل معاك انت كمان ، وسعلى كده ! _

أصدر ضحكة رجولية مجيبًا فى برود :

انا بارد مش هوسع ياستى ! _

اخيرًا زين وجهها الابتسامة وهى تجيبه بمرح :

طاب كويس انك عارف يابارد ، ابعد يامراد ياخى عطشانة والله عايزة اشرب _

أفسح لها المجال للعبور وهى يطالعها بإبتسامة صافية فعادت له مُجددًا لتهمس فى فضول شديد بنظرات طفولية :

الا انت كنت فين من امبارح صح ؟ _

ليجيبها بتقليد لطريقتها فى إبتسامة:

_ وانتى مالك انتى ياحشرية كنت فين !

: بإبتسامة بلهاء فى مداعبة هتفت

_ متخفش والله سرك فى بير مخروم ، انت تعرف عنى انى بقول حاجة !

: مراد بضحك بسيط

_ انتى مش قولتى عايزة اروح اشرب ، ولا ارتويتى دلوقتى ، امشى يابت بلا كنت فين !

: زمت شفتيها فى غضب زائف مردفة بأغتياظ

_ تصدق انى مهزقة صح على رأى أسمى ، ماشى يامراد براحتك

***

..... فى أحدى محافظات الصعيد

كان يلتف الجميع حول مائدة الطعام يتنالون طعامهم بصمت حتى أخترق قفاعة الصمت أشجان الذى هتفت وهى تعلم تأثير تلك الكلمات التى

: ستقولها على كُل واحد جالسًا على الطاولة

_ عاد فردوس قطعت بينا كانت متسكتش واصل على الاكل وتخلى الاكل ليه طعم ، بس اهى محدش عارف وينها وبتها وين .. هى اللى عملت فى نفسها اكده !

تسلطت جميع أنظار من على الطاولة عليها ليترك محمد الذى يجلس فى ورد الطاولة المعلقة من يده بعنف صائحًا :

_ هتخلينا نطفح ولا ايه أشجان ، كام مرة انا هعيد وإزيد فى الموضوع ده وإن محدش يجيب سيرة الـ *** دى جدامى ، ولا عايزاه هى ولا بتها ، متخلنيش اجول الكلام ده تانى مفهووووم

: فى مكر دفين هتفت

_ ياعمى كانت صغيرة لما عملت اكده ومكنتش تعرف حاجة

: صرخ بصوت جهورى أوقع الرعب فى قلوب الجميع

_ وهو الموضوع خلص على اللى عملته بس ، اخوها مات بسببها ويتمت ابن اخوها اللى كان لسا سبع سنين واخوها التانى اللى كان عياله لسا صغيرين ، وحدة كانت عندها عشرين سنة مكنتش فاهمة الغلط من الصح ، هى لو كانت قاعدة كنت زمانى دخلت السجن فيها

: نظر ثروت الى زوجته بنظرة نارية هاتفًا

ياتاكلى بسكاتك ياتغورى على اوضتك فوق _

: أنفعلت بشدة لتهتف بغضب

واسكت ليه ماكلنا عارفين أن عزت مكنش عايز يتجوز أحلام ومرات _ عمى الله يرحمها هى اللى غصبت عليه وانه كان مشيه بطال ! وانا مش عارفة اصلاً هى اللى مقعدها لغاية دلوقتى بعد ماجوزها مات خلاص

: وجدت صفعة قوية تهوى على وجنتها من زوجها وهى يصيح بها

اطلعى على الاوضة واستنينى _

بينما أحلام فنهضت من على الطاولة مسرعة الى غرفتها بأعلى وهى تبكى بقوة ، فهب مروان على قدمه فى نظرات مشتعلة وصوت رجولى

: مهيب هاتفًا

علشان يكون فى معلومكم بس امى خط أحمر وقسمًا عظمًا ماهرحم حد _ لو فكر انه يدايقها بالكلام بس ، ومن بكرة هاخد امى ونروح نعيش فى بيتنا مش علشان حد لا علشان انا مش عايز اشوفها زعلانة بأى شكل من الاشكال ، انا مش هرد عليكى يامرات عمى اكتر من كده بس احترامًا

لعمى وجدى

: صاح به جده فى أستياء

! لا كتر خيرك يا ولد عزت عملت احترام جوى لينا واضح الاحترام _

! انا وسبق وقولت الكلام ده ياجدى انا عندى امى معرفش ابويا _

ثُمّ أستدار ليصعد خلف امه بينما ثروت فرمقها بنظرة ارجفتها وهو : يصرخ

! غورى فوق وحسابى معاكى بعدين _

***

خرجت من المرحاض وهى تلف المنشفة حول جسدها لتقف امام المرأة تتأمل هيئة جسدها ، وعلامات " الحزام " على كُل من ظهرها وذراعيها لم تستطيع حتى لمسهم ، ألمهم لم يكن أقوى من ما عاشته فى الماضى وماتعيشه فى الحاضر الان ، وجهها التى ذهبت ملامحه الجميلة من شدة الحزن حتىَ انها أصبحت تمتلك فى وجهها أثار عذابها معه .. أسفل عينها بقعة سوداء كبيرة وبجانب ثغرها كذلك، أصبحت كقطعة خردة قديمة لا تصلح للحياة ، لوهلة كانت تفكر فى تخليص حياتها من هذا العذاب ولكن

تلك المرة ليس عن طريق الهروب بل عن طريق الانتقال الى خالقها ! ، فأصبحت تسأل نفسها بأستمرار " هل انا على قيد الحياة حتى الان حتى اتعذب وأهان وأذل لماذا انا على قيد الحياة اذا " وتعود وتستغفر ربها مرارًا وتكرارًا على ماتقوله وكعادتها تتطلع لنفسها فى المرأة وتبتسم رغم كُل شئ وكأنها تواسى نفسها بأن الفرج قريب كما وعد الله عباده أن بعد العسر يسر .....

ليدلف فجأة بدون سابق أنذار الغُرفة فيتوقف قليلاً مكانه وهو يطالعها بنظرات جريئة مقتربًا منها فى صوت لئيم :

_ ايه الحلاوة دى بس يالولو

مد يده ليتحسس بأصابعه بشرة جلدها الناعمة على ذراعها فدفعت يده بوحشية وهى تصيح به بشراسة غير معتادة :

_ عايز ايه يا أكرم !

جذبها من ذراعها بعنف وهو يغمغم منذرًا فى نظرات وضيعة :

_ شكلك شوفتى نفسك لما قولتلك انك تتحلى من على حبل المشنقة ، لا متنسيش نفسك ياقطة لانك هتفضلى خدامة برضوا عندى مهما حصل ويارب اشوف صوتك ده بيعلى عليا تانى ياملاك انتى مطيعة ماشاء الله

وهتسمعى الكلام طبعا

: فى نظرات متحدية وعدم مبالة بتهديداته لها هتفت

_ مبقيش ليا حاجة اخاف عليها يا أكرم لو عايز تضربنى تانى بالحزام اتفضل بس المرة الجاية ياريت متسبنيش غير لما تتأكد انى أنتقلت لرحمة ربى .. وعلشان اقولك بس أن الله لا يرضى بالظلم وهياجى عليك يوم وتدوق من اللى بتدوقهولى

: ترك ذراعها بسخط متمتمًا

_ فى ناس جايين دلوقتى مش عايز اشوف وشك تحت فاهمة ، لغاية ما يمشوا تقعدى فى الاوضة هنا !

***

أطرق الباب بهدوء ثُمّ دخل وتحرك نحوها ليضمها الى صدره هاتفًا بنبرة ناعمة تحمل فى طيأتها الحزم :

_ ما عاش ولا كان اللى يخلى دموعك تنزل وانا لسا عايش ياست الكل

: أبتعدت أحلام عنه لترفع رأسها وتقبل جبين ابنها قائلة بحنان امومى

_ ربنا يخليك ليا يابنى ويحفظك ويكرمك فى حياتك

: مد يده وجفف عبراتها هامسًا بنبرة لم تخل من الرقة

مش مرات عمى اللى تخليكى تبكى ، ولما تقول حاجة زى كده تانى _
تردى عليها يا امى ومتسبهاش تقول كده واوعى تقولى جدى ولا عمى
وعيب ومعرفش ايه ، انتى خلى بس واحد منهم يرفع صوته عليكى
وشوفى هعمل فيهم ايه كلهم

: ثُمّ أكمل بنظرات حاسمة ونفس غاضبة

كده كده بكرة هنمشى ونسبهالهم مخضرة _

: فى أعين متساءلة تحمل الدهشة اجابته

نمشى فين يامروان ؟ _

: فى شئ من الخنق تشدق بصوت رجولى صارم

هنروح نقعد فى بيتنا القديم ، انا اصلا جبت اخرى من عمايل مرات _
عمى ومش ضامن ممكن اعمل ايه لو عملت حاجة تانى فخلينا بعيد عنهم
احسن

: همهمت بخفوت فى أطاعة لامر ابنها

! اللى تشوفه يابنى _

***

توقفت سيارة أُسيد الصاوى امام منزل أكرم المناوى ليترجل منها هو وريان ، كانت هيبتهم طاغية على الجميع .. حيثُ كان أسيد طويل القامة ذو أستقامة رياضية تهابه جاذبية لا تقاوم يرتدى بنطال من اللون الاسود اعلاه قميص باللون الابيض اعلاهم سترة جلدية تناسب برودة الشتاء والصقيع ، اما ريان فكانت ملابسه لا تختلف كثيرًا عن أُسيد ولكن لكل منهم جاذبية خاصة به .....

تقدم نحوهم أكرم بأبتسامة عذبة ، ليقف امامها ويصافحهم بحرارة هاتفًا بلطف بديع :

البيت نور والله _

خرج صوت أُسيد الرجولى هاتفًا :

منور بأهله _

خرجت ملاك الى شرفة غُرفته فتصلبت بأرضها عندما رأت ريان ، تسارعت انفاسها واستخوذت عليها حالة من السعادة المفرطة وهى تحمد ربها ، وكأن الله ارسله إليها ليكون نجاتها من ذلك الوحل .....

اصطحبهم اكرم الى الداخل وجلسوا يتبادلون الاحاديث فى العمل بأهتمام جلى ، بينما هى فحاولت فتح الباب فقد كان مغلق ، لعنت ذلك المنزل وذلك المدعو بـ " أكرم " ، فأخذت تضرب على الباب بكُل ما اوتيت إليها من قوة صائحة :

!! ريان .. رياان _

رفع الثلاث رجال أنظراهم الى أعلى حيثُ أنبعاث الصوت ولكل منهم كانت قِسمات وجهه تنم عن شئ مُختلف ! ، فقد فرت الدماء من وجهه أكرم وأتسع بؤبؤى عينيه بصدمة ممزوجة بالاضطراب ، وأسيد كانت عيناه تتساؤل ببفضول عن ذلك الصوت ، اما ريان فكانت قِسمات وجهه تنم عن دهشة ممتزجة بالتلهف لعلمه الجيد لذلك الصوت المألوف عليه .....

الفصل الرابع

اما ريان فكانت قِسمات وجهه تنم عن دهشة ممتزجة بالتلهف لعلمه الجيد لذلك الصوت المألوف عليه ، فنظر الى أكرم وبأعين ملتهبة هتف : _ ايه ده ؟!

هب واقفًا بأرتباك جلى وهو يهتف بتلعثم : _ معرفش ثانية هروح اشوف ايه ده !

أسرع الى أعلى حيثُ غرفتها وهو يتوعد لها ، فتبادلوا كُل منهم النظرات فى ترقب ، وسرعان ما تذكر كلام تلك الفتاة " متعرفيش اللى اتجوزته _ ده مين ، بيته فين اى حاجة ؟

هزت رأسها نافية فى أسف متمتمة : _ لا للاسف معرفش غير إن اسمه اكرم ! "

كان أسيد يجلس صامتًا وكأنه ينتظر معرفة مصدر ذلك الصوت المجهول بالنسبة له !! .....

***

دلف لها كالتور الهائج ليقبض على عنقها خانقًا اياها وهو يهتف بخفوت مهيب :

انتى فاكرة نفسك ايه ، هاا هتهربى منى يعنى مثلاً .. أقسم بالله لو سمعت نفسك تانى ياملاك لاكون قاتلك ودافنك فى أرضك _

ولكن هيهات فقد تمردت السجينة على سجانها الى الحد الذى جعلها تقف امامها وهى لا تكمن ذرة خوف منه بداخلها ، فدفعت يده بشراسة عنها وهى تكمل صياحها وصراخها الهيستيرى قائلة :

ريااااان ، انا ملاك الحقنى ! _

هنا باغتها بصفعة منه هوت بها على الارض خارت دماء فمها على أثرها ، وخرج غالقًا الباب خلفه فقابل ريان فى وجهه هامسًا بصوت يحمل فى داخل التحذير :

افتح الباب يا أكرم _

أكرم بخشونة فى غضب :

شرفتونى ، تحبوا اوصلكم للباب ولا عارفين الطريق !! _

اخيرًا هاجت ثورته الخامدة منذ بداية الامر ليجذبه أسيد من ملابسه مُردفًا بصوت يقارب الى فحيح الافعى فى نظرات نارية اوقعت فى نفسه الرعب :

: !! فأن كان هناك من يخشاه فهو أسيد

انا بقول تاجى توصلنى أفضل بس وحدى يا أكرم علشان فى مواضيع كتير عايز اتكلم معاك فيهم _

لم يهتم لهم ريان فقد فتح الباب على مصراعيه ليتأكد من ظنونه حين وجدها ملقية على الارض تبكى بغزارة ، هرول نحوها ليهتف بتلهف :

!ملاك انتى كويسة؟ _

نظرت له بوجه ممتلئ بالعبرات وأعين متوسلة تترجاه هاتفة :

! ريان ابوس ايدك خدنى من هنا متسبنيش مع الراجل ده _

همس فى صوت محتقن :

أكرم جوزك مش كده ؟ _

اماءت برأسها فى بكاء حار فأكمل بلهيب النيران المشتعلة فى عيناه بعد أن لاحظ الكدمات التى فى وجهها والدماء السائلة من فمها :

هو اللى عامل فيكى كده ؟ _

كانت تومئ له للمرة الثانية فى أنكسار فأنتصب فى وقفته ليتجه نحوه وينتزعه من يبن أيدى أُسيد لينهال عليه باللكمات والضربات المتتالية : ويبشعه بألفاظ نابية ، ابعده عنه أُسيد وهو يصرخ به بصوت جهورى !!! ريان انت اتجننت ، فى ايه _

: صاح بصوت يرتجف من شدة الانفعال

، دلوقتى فهمت ليه مش معرف حد بجوازك علشان عارف ********** _

انى لو شميت خبر بس هاخد روحك وده اللى هعمله فعلاً

: كانت نظرة أُسيد الصارمة له وهو يهمس بخفوت منذر

! ريان بلاش تعفرتنى اهدى وأرسى كده _

مازال لم يعرف شئ عن أشكال معناتها معه المختلفة لم يعرف سوى عن ..... !!! الذى رأه بعنياه فماذا أن ببقية الامور

رأت ملاك نظراته المخيفة له فلجأت بريان لتقف خلفه كالاطفال احتماء به من بطش ذلك الوغد ! ، حيثُ وقف على قدميه وهتف بنبرة تحمل فى طياتها التهديد :

لو مطلعتوش من البيت دلوقتى هطلب ليكم البوليس _

وهم بجذب ملاك من ذراعها فتصدر له أسيد تلك المرة مُتدقشًا فى إبتسامة مريبة :

بقت تخصنا خلاص _

هتفت بصوت انوثى رقيق ومرتعش :

طلقنى يا أكرم من غير مشاكل وكل واحد فينا هيروح لحاله _

خرج صوت ريان المتحشرج قائلاً بنظرات ملتهبة :

بعد اللى عامله فيكى ده غصب عنه هيطلقك ! _

أنقض أكرم عليه ليوجه له لكمة قوية وهو يصرخ به و يترنح من شدة الانفعال :

انت مين علشان تتدخل بينى وبين مراتى _

أظهر على انيابه وبرزت عروق رقبته ، فتمطع بعنقه للجانبين وهو يهيأ نفسه لما سيفعله به الان فرأى نظرة أسيد الرزينة التى تحمل بداخلها الخبث وهو يغمغم يخشونة مريبة وإبتسامة أوقعت الرعب فى ثنايا قلب " ذلك ال " اكرم :

خد ملاك ياريان وسبلى أكرم بيه فى كلام كتير بينى و بينه هنتفاهم انا _ وهو

تظاهر بالثبات امامه واعضائه ترتجف بداخله ، ورمق زوجته التى مازالت تلوذ بريان وتتشبث بملابسه فهتف أُسيد بإبتسامة متغطرسًا : متخفش عليها فى ايد أمينه ، يلا ياباشا بقى _

سار معه ويشعر بالخطر يقترب منه فى كل خطوة يسيرها معه بينما ريان وملاك فتبعوهم وكل منهم أستقل فى سيارته ، وقبل أن يستقل أُسيد بسيارته رمق ريان بنظرة وإبتسامة يعلمها جيداً ، جعلته يصعد بسيارته فى أرتياح !!.....

***

توقفت السيارة فى مكانها المخصص ليترجل مراد منها ويسير نحو باب المنزل ، ولكنه توقف عندما لمح شئ يقف فى الظلام الدامس ، تسمر بأرضه لبرهة يدقق النظر محاولاً معرفة من هذا ! ، لوهلة ظنه لص حيث أسرع فى خطاه نحوه متحفزًا وعندما أقترب أتضح انها امرأة بداية الامر عجز عن تحديد هويتها ولكنه بعد ثوانٍ تمكن من معرفتها ، أقترب منها أكثر وهتف بصوت رجولى صارم :

سارة بتعلمى ايه هنا دلوقتى !؟ _

أرتشعت وأنتفضت فى وقفتها حتى كاد الهاتف يسقط من يدها ، فأغلقت الاتصال وأخفته خلف ظهرها لتجيبه بنظرات مرتعدة وصوت متلعثم :

! هاااا ... لا لا مش بعمل حاجة كنت بكلم وحدة صحبتى _

نظر الى هيئتها بنظرات شائكة ليهتف بحدة :

ولما هى صحبتك مالك مش على بعضك كده ليه ! ، وبعدين هى صحبتك مينفعش تكلميها فى اوضتك فوق ايه اللى موقفك فى الضلمة دلوقتى وفى حراس وخدم

فركت كفيها ببعضهم وهى تردف بتوتر :

! انا اسفة ، انا نزلت اتكلم عادى مكنتش اعرف _

!! طاب اطلعى على الاوضة يلا ومتكررهاش تانى _

أسرعت تغادر من امامه فى خوف ، فنظر اسفله ليرى عقد يأخذ شكل قلب ، أنحنى والتقطته يتحسسه بأصابعه هم بفتحه لتنتشله من يده وهى تهتف بصوت به رجفة بسيطة :

_ وقعت منى ، شكراً !

رأت عيناه المخيفة فقد أيقن أنها تُكمن شئ ليس بهين ولكنه أكتفى بتلك النظرات التى جعلتها تهرول الى الداخل هاربة منه .... !

***

وقف امام السيارة متشدقاً بشئ من العنف :

_ ايه هتقعد فى العربية ولا ايه !

ترجل أكرم من السيارة وتلفت حوله يحاول رؤية اى بشر فى تلك البقعة الصحراوية والمهجورة لا يوجد بها سوى مخزن صغير ، فنظر له وغمغم بخوف بسيط :

_ جايينا هنا ليه يا أسيد

وضع قبضتى يديه فى جيبى سترته الجليدية ليتحرك نحوه مجيبًا فى خفوت مريب :

_ أصل انا راجل حقانى اوى الصراحة يا أكرم وبحب زى ما ادى للناس حقها اخد حقى كمان واحنا فى حسبات كتير بينا محتاجين نصفيها

: بنظرات مرتبكة أردف

! حسبات ايه يعنى فلوس قصدك _

: اجابه باسمًا بمكر

ايه هو انا شكلى مادى اوى كده ! ، تعالى وهقولك حسبات ايه دى يا أكرم بيه _

تقدم أكرم امامه يتبعه هو ، حتى دخلا الى ذلك المخزن الصغير لينظر له

: أسيد هاتفًا بغضب زائف

ولاد الحرام مخلوش حاجة فى المخزن ، شايف المخزن ده كان مليان بضاعة تمنها فوق 40 مليون ، معندكش فكرة مين عمل كده وسرق البضاعة ؟ _

أزدرد ريقه وقد تغير لون وجهه الى الاصفر وعيناه تعكس نظرات توحى بالرعب وبدأ العرق يسيل من على جبينه فأكمل أسيد بهدوء ما قبل

: العاصفة

شكلك معندكش فكرة تحب اقولك انا ؟ _

: بصوت مبحوح اجابه

انت عايز ايه يا أسيد _

: شمر عن ذراعين مفتولتين وهو يتمتم بحنجرة قوية

! انا عايز كل خير ، زى ما قولتلك هنصفى الحسابات _

وبدون مقدمات كان ينقض عليه ليبرحه ضربًا حتى خر على الارض امامه كالجماد الذى لا حياة فيه لينتصب فى وقفته ويحرك ذراعه لاعلى وأسفل متصنعًا الالم وهو يهتف :

كده صفينا اول حساب ، الحساب التانى بقى هتمضيلى على شيك بـ 40 مليون دلوقتى _

أنحنى يجزعة للامام ليكون قريبًا منه تابع حديثه بصراخ هز أركان الحوائط :

فاكر نفسك مين هتضحك على أسيد الصاوى وتغفله ، كان غيرك أشطر _ لا وكمان رايح تعزمنا يااه ده انت قلبك ميت بقى ، لا والغباء واصل لـ عالى عندك يعنى انت متجوز بنت عمتنا وبتعمل فيها كده وجاى level تعزم ريان اللى هو اصلا عارفها اكتر منى بس اهو الموضوع جه فى صالحى

أخرج من جيب بنطاله " شيك " وقلم وناوله اياهم صائحا بصوت جعله يرتجف :

امضى يلا _ !

قام بأمضاء منه على تنازل 40 مليون من املاكه له فجذب الشيك من يده وهو يغمغم بنظرات وضيعة وأشمئزاز :

خليك هنا لغاية ما اشوف هعمل فيك ايه وموضوع طلاق ملاك ده _ هنشوفه بعدين !

وجد أحد خواصه يدخل عليه وهو يهتف برسمية :

اوامرك يا أسيد بيه _

هندم من ملابسه جيدًا وهو يقف شامخًا ليجيبه بغضب :

يتكتف ويتربط وتخلوا عينكم عليه واياكم يفلت منكم واستنوا الاوامر _ منى !

***

صاح بها مزمجرًا :

كل ده يحصل معاكى ومتقوليش يا ملاك _ !

: همست بأعين تهيمان بالدموع وصوت مزقه الحزن

_ مقدرتش اوصلك ياريان صدقنى واكرم مكنش بيطلعنى من البيت حاولت كتير اوصلك واستنجد بيك من اللى انا فيه معرفتش ، انا مكنتش عايشة اصلاً كنت شبه ميتة الاهانة والمرار اللى شوفته معاه عمرى ما عشته

: ضغط على شفاه السفلى وهو يهتف بنبرة متوعدة

_ مبقاش ريان الصاوى اما خليتك تتمنى الموت ومتطلهوش ، أسيد نقذك منى بس النهردا ... وانتى انا حتى عمتى معرفتش انها ماتت غير من يومين وقابلت وحدة جيرانكم بتقول انها صاحبتك وقالتلى ان عمتى ماتت وأن انتى اتجوزتى

: بأعين تشع بحنين الشوق هتفت

_ بجد شوفت زمردة ياريان ، وحشتنى اوى نفسى اشوفها ليا فترة طويلة مشوفتهاش !

: خرج صوته الرجولى وهو شاخصًا بصره عليها

_ المهم دلوقتى انتى هتاجى معايا البلد وهتقعدى هناك وموضوع طلاقك ده انا هظبطه متقلقيش

: أنتصبت فى جلستها ثائرة وهى تلقمه بهذا اللفظ حجرًا

_ انت بتتكلم من عقلك انا عندى اقعد فى الشارع ولا انى ادخل البيت ده ، مش هنسى الاذية اللى سببوها لامى وبابا اللى مات غدر بسببهم واولهم ابوك ياريان كان عارف باللى هيحصل ومحاولش حتى يمنع اللى عمل كده ، بس انا مستنية ايه من ناس مشفقوش على بنتهم هيشفقوا على الغريب !

لوى فمه بعبوس وهو يشيح بنظره عنها فى ضيق واضح فزفرت هى بخنق مُكملة بأعتذار :

_ انا اسفة ياريان مصدش اضايقك والله بس انا بجد مش عايزة اى حد من العيلة دى ، انت الوحيد اللى بنسبالى كل حاجة انت وسارة وعارف معزتك عندى وبحبك ازاى متزعلش منى ارجوك

: تنفس الصعداء بأقتضاب متشدقًا بوجه متهجم

_ خلاص ياملاك طلاما رافضة تاجى البيت معايا ، روحى اقعدى عند أسيد مؤقتًا لغاية ما أظبط الامور !

: بريبة تتجلى فى عيناها هتفت متساءلة

_ أسيد مين ده ؟؟!

_ اللى كان معايا ياملاك ابن خالك ياسر ، اقعدى معاهم مؤقتًا .. هى معاه اخته وسارة كمان قاعدة هناك الفترة دى يعنى مش هتكونى وحده ومرات عمى كمان

: تلاطمت افكارها وترددت مليا لتجيبه بعدم اقتناع

_ انت مالك النهردا ياريان ، عايزانى اروح عنده وانا اصلا اول مرة اشوفه النهردا ولا اعرفه ولا حاجة ولا حتى اعرف امه ولا اخته معرفش غير سارة

: بنبرة شبه ضجرة هتف بحزم

_ مهو مش هتاجى معايا يبقى هتروحى عند أسيد ياملاك لانى مستحيل اسيبك تقعدى فى شقة وحدك ، هاا تختارى ايه تاجى معايا ولا تقعدى عند أسيد

أشاحت بوجهها عنه معربة عن أعتراضاها على الاختيارين فوجدته يهتف مقررًا بالنيابة عنها :

_ تمام طلاما مش هتختارى انتى هختار انا هتقعدى عند أسيد !!!

أجرى أتصال به واخبره انه فى طريقه إليه وفور وصوله جذبه الى أحد الاركان بعيدًا عن مسمعها ليهتف بخفوت :

عملت ايه ؟ _

بصوت غلبه الوجوم اجابه :

عملت ايه يعنى ، عملت الواجب معاه متقلقش قاعد تحت ايدى ، ايه هتروح معاك البلد ولا لا؟ مظنش انها وافقت _

اكيد طبعًا موافقتش انت مش محتاج اقولك ملاك وعندها ازاى انت عارفها كويس قولتلها تروح تقعد عندك لغاية ما الاوضاع تتظبط _

نظر لها بأعين صارمة جعلتها ترتبك بشدة وتشيح بوجهه للجهة الاخرى لتتقى نظراته الحادة وهى تتساءل كيف ستعيش مع ذلك الرجل اذا كان ينظر لها هكذا من اول لقاء بينهم ، بينما ريان فهمس له بنبرة لا تحمل نقاشًا :

انا اقنعتها تروح تقعد عندك بالعافية _

اماء برأسه اماءة بسيطة فى عدم أعتراض مجيبًا :

_ متقلقش انا هعرف اتعامل معاها ازاى !

: هز رأسه بالإيجاب له ثُم عاد لها ليهمس بصوت ينسدل كالحرير ناعمًا

_ ملاك روحى مع أُسيد بقى وانا هرجع البلد لان ورايا شغل مش هينفع اتأخر عليه اكتر من كده متقلقيش هبقى على أتصال معاكى علطول

قبضت على يده وهى تهتف بنبرة راجية وأعين دامعة بلهجة شبه طفولية وبريئة :

_ خليك معايا النهردا ياريان علشان خاطرى ، انا خايفة ما اروح مع اللى اسمه أسيد ده مشوفتش بيبصلى ازاى متسبنيش بالله عليك

: فى نظرة دافئة ونبرة عاشقة تحمل الحنان والقليل من المزاح

_ مين أسيد !! لا يمكن بيتهألك ، اصلك لسا متعرفهوش متخافيش مش هيعضك ياقلبى والله .. يلا قومى ولو عوزتى حاجة خدى رقمى من أسيد ورنى عليا

كفكفكت عبراتها كالاطفال وتمنت لو تتمكن من معانقته قبل مغادرته ولكن لا يجوز فأكتفت بتودعيه باليد ! ، ثُم سارت على حرج بجوار أسيد لتسقل بالمقعد الخلفى للسيارة وهى تنظر فى كُل شئ سوى وجهه وكأنها تتفادى

نظراتها التى أنزلت الرعب فى قلبها فورًا ، تارة تتابع الطريق وتارة تفرك يداها ببعضهم وتنظر اسفلها ، كان ينظر لها فى المرأة العلوية نظرات قوية ، ليخترق فقاعة الصمت طافقًا بنبرة غريبة :

عمتى ماتت امتى وازاى ؟ _

سعلت بخفة لتزيل بحة صوتها ولكنها لم تنجح حيث اجابته بصوت يكاد لا يسمع فى خوف جلى :

أاااا ... من تلات شهور كده كان عندها ورم فى المخ ومقدرتش اعملها العملية فى المعاد المناسب فتوفت ! _

أكمل بنفس نبرته السابقة :

واتجوزتى الحيوان ده بعد موت عمتى علطول ؟ _

اماءت بإيجاب على أستحياء وهى تهرب منه بنظراتها لتهمس فى صوت انوثى رقيق :

معلش ممكن توقف العربية قدام اى سوبر ماركت بعد اذنك عايزة اشترى اى حاجة اكلها لانى جعانة جدا الحقيقة _

أوقف السيارة وتشدق بصرامة فى لهجة مخيفة :

خليكى مكانك هنا هروح اجبلك اللى عايزاه واجى _

: هتفت فى أعتراض تام وتبرم

! لا لو سمحت سيبنى انا انزل متقلقش معايا فلوس يعنى _

: فى نبرة شبه متغطرسة وأعين ثاقبة

طاب كويس خليها معاكى بقى الفلوس تنفعك وقت زنقة انا مسألتكيش _

معاكى ولا لا ، مش عايز كلام كتير ياملاك هاا

: وسرعان ما أستدار وسار مبتعدًا عنها ليتهتف هى بأنفعال فى أغتياظ

انت يا اخينا انت ! ، هو بيتكلم من منخيره كده ليه !!! ... هو انا _

ناقصة ياربى ، من ده لده ياقلبى لا تحزن ، ماشى ياريان اما اشوفك بس

! همسك فيك بأيدى وسنانى ومش هخليك تمشى من غيرى تانى

***

كانت كل من أسمى وليلى يجلسوا على أحد الارائك الكبيرة فى " الصالون

: " يتحدثون عن أمر ليس بهين حيث هتفت أسمى بنبرة شبه ضجرة

ماما بلاش جنان تقولى لأسيد ومراد ايه متخلنيش اندم انى قولتلك _

: صاحت بها ليلى وقد تملكها الغضب بأكملها

_ ده واحد حيوان وزى ما أذاكى قبل كده هيأذيكى تانى وانتى عارفة مكانه ومش عايزة تقوليلنا ، ولا لتكونى لسا خايفة عليه ياهانم

: هزت رأسها نافية فى أضطراب بسيط وهو تتشدق بأندفاع

_ خايفة عليه ايه بس ياماما انا لو أطول أشرب من دمه ، انا خايفة على أسيد ومراد انا مش هعرف ولادك اكتر منك ، وانتى عارفة أسيد بذات هيعمل ايه لو عرف مكانه والله يا امى هيقتله وادينى بحلف قدامك كفاية انه حاول يعتدى على مريم الله يرحمها ويقتلها لو مستغنية عن ابنك روحى قوليلوا يا ليلى هانم مكان معتز فى (.....) بس بعد كده متلوميش غير نفسك على اللى هيحصل

: هزت برأسها عدة مرات متتالية فى عدم أقتناع وهى تتمتم بحسم

_ مهو لو مقولتش لأسيد او مراد انا هتصرف انا لانى ممكن اسيب البنى ادم ده يعيش حياته براحة

: أستقرت فى عيناها نظرة ساخرة وهى تجيبها بأستنكار

_ ايه هتقولى لريان ولا لجدى ولا لعمى ولا لمروان ولا لمين بظبط علشان يكونوا فى معلومك دول انيل والله وتخيلى لو عرف أسيد انك

روحتى قولتى لواحد منهم ومقولتيش ليه هيعمل ايه ، ماما ياحبيبتى افهمى ده مش حل صدقينى الحل انك تسبيها ماشية كده وربنا هيسترها أن شاء الله

حدجتها بأعين معترضة على ذلك الرأى ولكن لم يكن عساها شئ سوى أثر هذا الرأى حفاظًا على ابنائها من الضياع ..... !!!!

***

أستقرت السيارة داخل قصر " ياسر الصاوى " .. فترجل هو من السيارة والاخيرة ظلت بالسيارة وهى تفرك يداها بتوتر ، اتاها صوته الاجشّ وعندما احنى رأسه لينظر لها من نافذة السيارة وهو يقول :

_ انزلى يلا ، ؟!! ايه ولا النهردا هتباتى فى العربية خير !

فتحت الباب على مضض ونزلت فرفعت نظرها الى ذلك القصر بذهول والتفت حول نفسها تتفحص الحديقة الضخمة والفخمة مثل المنزل ، فعلت ثغرها ابتسامة ساخرة وهى تهتف بصوت باطنى " اذا كان هذا هو منزل أحد أبناء محمد الصاوى فكيف هو منزل العائلة ، ايعيشون فى كل هذا الهناء والرخاء وانا وامى شهدنا جميع أشكال العذاب والاهانة .. توفت ولم يعلم بوفاتها احد كانت فى أمس احتياجها لبعض المساعدة ولم يمد لها

أحد يد المساعدة ، كيف يمكنكوا العيش بهناء بعد كل هذا ، لن أسامح اى شخص منكم "

: أنتفضت على صوته وهو يهتف متعجبًا

_ ملاااااك ، سرحتى فين كده !

: أبتسمت له بسخرية هاتفة بمرارة

_ لا بس بتخيل اذا كان ده بيت ياسر الصاوى فبيت محمد الصاوى نفسه ازاى ، اللى عايش حياته بكل سعادة وبنته ماتت بعد سنين بتعافر فى المرض ومكنش فى حد جنبها غيرى ، حتى جوزها قتلوه ... ماعلينا ممكن تطلبلى ريان عايزة اكلمه ؟

اخرج هاتفه واجرى أتصال وناوله اياه وهو يدقق النظر بها فى صمت تام يفكر فى حديثها .. فأبتعدت هى عنه قليلاً لتجيب على ريان بشئ من الغضب :

_ انت فين ياريان !؟

: قطب حاجبيه من نبرة صوتها وغمغم فى قلق جلى

_ فى الطريق رايح البلد فى ايه ياملاك حد عملك حاجة ؟!!

: زفرت بخنق وخرج صوتها محتنق

_ مش عايزة اقعد فى البيت ده ياريان صدقنى مش هستحمل اشوف اى حد منهم ، ارجوك تعالى خدنى وودينى فى اى مكان

: فى صوت رجولى حانى أستطرد باسمًا

_ معلش ياملاك استحملى انا كلها يومين وهاجى تانى وهاخدك !

: صاحت فى صوت شبه مرتفع وهى تهتف ببكاء

_ انا مجرد ما بصيت على البيت مقدرتش مبالك لو دخلت جوه وشوفتهم ، افهمنى ياريان الناس دى هما السبب فى اللى انا فيه ده واللى عشته لو مجيتش واخدتنى انا همشى وحدى

وجدت من يسحب الهاتف من على أذنها بعنف ويجيب على ريان بصلابة قائلاً :

_ كمل طريقك ياريان متقلقش

: ريان فى شئ من الاهتمام والقلق البالغ

_ بالله عليك يا أسيد خلى بالك عليها ، حاول تهديها

أنزل الهاتف من على أذنه ووضعه فى جيب بنطاله ليحدقها بنظرة مرعبة مغمغمًا :

_ اولاً احنا ملناش اى دخل باللى عشتيه سواء انتى او عمتى عايزة تقعدى معايا يابنت الناس لغاية ما ياجى ريان اهلاً وسهلاً مش عايزة يبقى زى ماقولتى لريان همشى وحدى انا مش همنعك

سالت عبراتها الحارقة على وجنتيها وهى تحدقه بأعين بريئة كبراءة الاطفال لتصرخ به فى أنفعال ونشيج مسموع :

_ انت بتكلمنى كده ليه من ساعة ماشوفتنى ، لاكون قتلتلك قتيل وانا معرفش ، صحيح هكون مستنية ايه منك ماهى العيلة كلها واحدة ماشاء الله .. مش عايزة اقعد ولا ادخل البيت ده اصلا عندى اقعد فى الشارع ولا انى ادخل معاك بعد اللى قولته ده

وأستدارت لترحل تاركة الاخير مستمرًا يتابعها وهى تغادر المنزل بأقصى سرعة .... !!

الفصل الخامس

وأستدارت لترحل تاركة الاخير مستمرًا يتابعها وهى تغادر المنزل بأقصى سرعة .... !!

شعر برجولته تتهمه على تلك الجريمة الذى سيفعلها أن ترك تلك القطة الصغيرة تسير ليلاً وتتجول فى الشوارع لتكون فريسة للكلاب ، فأستغفر ربه وركض خلفها ليقبض على ذراعها ليوقفها هاتفًا على مضض :

_ مفيش خروج ياملاك ادخلى جوه يلا ، انا أاااا .. مكنتش أقصد انا بس بتعصب بسرعة اليومين دول

ضحكت بخفة قائلة متغطرسة :

_ ايه مش كنت دلوقتى اتفضلى مش همنعك ايه اللى اتغير ، ثانيًا انت مالك انت وبصفة ايه تقولى مفيش خروج هاا ! ، ثالثًا وده الاهم شكرًا جدا يا أسيد بيه على التوصيلة انا المكان اللى هروح قريب من هنا اصلاً يعنى وفرت عليا المشوار ولو ريان أتصل قوله مشيت وهو هيعرف انا روحت فين !

لم يتمكن من التحكم فى أنفعالاته فصرخ بها فى غضب عارم :

_ ايوة يعنى هتروحى فين فى نص الليل دلوقتى ، ادخلى ولو عايزة

! تمشى ابقى امشى الصبح يلا

انكمش جسدها من صراخه بها وهتفت بصوت تخنقه العبرات وأعين دامعة :

_ مش عايزة ادخل ، وابعد عنى لو سمحت !

تفهم خوفها منه وانها كطفل صغير لا تتحمل صراخ احدهم بها ، ولا تأتى بالعنف والشدة بل بالارضاء واقناعها بطريقة حانية ! ، فصر على اسنانه متشدقًا بصوت هادئ تمامًا :

_ طيب ادخلى يلا مش هقعد اعيد وازيد فى كلامى كتير ياملاك ، مش هاكلك انا .. فى الواقع كان نفسى يبقى اول لقاء لطيف بس انتى عنيدة وهتتعبينى فبلاش عند واتفضلى

ببكاء حار يشبه بكاء الاطفال صاحت فى صوت متشنج :

_ قولتلك مش عايزة اقعد معاك ، انا قولت لريان اصلا ميسبنيش معاك وبرضوا مشى وسابنى ، وابعد بقى من قدامى كده يا اسمك ايه خلينى امشى !!!

جملتها الاخيرة جعلت الضحكة القوية تخرج اخيرًا منه التى لم تخرج منذ

: وفاة زوجته لتعيد الجمال لوجهه مجددًا ويجيبها ضاحكًا

أُسمى أسيد ، مكنتش متوقع انى بخوف زي كده ، بعد كده هبقى اخد بالى لما اتكلم معاكى لانك واضح انك حساسة زيادة عن اللزوم ، على العموم حقك عليا يلا بقى ! _

كما توقع طفلة ! أن كنت تريد ارضائها فتعامل معها بكل لطف ، سارت معه الى الداخل وهى تجفف عبراتها بظهر يدها بينما هو فمسح على وجهه وشعره وهو يزفر بشئ من الضيق حتى دخلا الى المنزل فقابلوا كل من أسمى وليلى الذين هبوا واقفين يحدوقون بتلك الفتاة المجهولة فى : أستغراب وأعين متسائلة حين قالت ليلى بريبة شديد

!مين دى يا أسيد ؟ _

كانت هى تطرق ارضًا فى حياء وقلق حتى سمعت نبرته التى مازالت : ! تخيفها حتى الان وتجعلها ترتعب عندما يتحدث

دى ملاك بنت عمتى فردوس هتقعد معانا لفترة كده _

همت بأن تجيبه ليلى فى نظرات تنم عن أعتراض وأستياء منها فأكمل هو : مقاطعًا بصرامة وصوت يهتز له البدن

وقبل ما حد ينطق يحرف انا قولت هتقعد معنى كده أن الامر صدر _

! خلاص ومفيش مجال للنقاش

_ يعنى ايه مفيش مجال للنقاش ، واتلميت عليها فين دى ولا انت نسيت كلام عمك وجدك ... البنت دى مش هتقعد فى البيت هنا يا أسيد انا ايه عرفنى كانت عايشة ازاى مش يمكن تكون زي امها !

رفعت نظرها بهم ومن ثُم به فى أعين منكسرة وهمت بالاستدار والرحيل ، فغرز يده الفولازية فى رسغها وهو يهتف بشئ من الصياح :

_ امى ، انا قولت اللى عندى خلاص وعلى الله حد يدايقها ، دى ضيفة هنا واحترام الضيف واجب ولا ايه ياصاحبة الواجب .. خوديها يا أسمى على اوضتها

حول نظرته الهادئة لها يشير لها بالذهاب معها وكأنه يقول لها " لا تقلقى !!!!..... "

***

اصطحبتها أسمى الى أحد الغُرف لترمقها بنظرة بغيضة مغمغمة :

_ وانتى عرفتى أسيد من فين بقى ؟؟

لم يخرج صوت منها ، أكتفت بملامح وجهها المنكسرة والضعيفة وهى تحدقها بصمت فأكملت أسمى حديثها فى إبتسامة أستنكار :

_ هتقولى ازاى ، ولا ليكون هدفك هو انك تاخدى حق امك وابوكى احب اقولك انك مش هتطولى هنا يعنى مش هتلحقى تعملى حاجة أاااااا.....

اتاها صوت اخيها الجهورى وهو يهتف بنظرة اوقعت الرعب فى قلبها : أسمى انا قولت ايه تحت ، غورى على اوضتك يلا وحسابى معاكى بعدين !

_

صرخت به لاول مرة فى مرارة وسخط هادر ممزوج بصوت تخنقه العبرات :

_ لا مش همشى يا أسيد انت نسيت ان عمتى دى هى السبب فى موت بابا وعمى عزت !!! وانت جايبلنا بنتها وعايزين نتعامل معاها بحب ونرحب بيها أحسن ترحيب

جذبها من ذراعها بعنف وهو يصيح بها بأنفعال : انزلى تحت استنينى جايلك

_

أستقرت نظرة شرسة منها على ملاك المتصلبة وعبراتها على وجنتيها

غزيرة ، ثُم هبطت لاسفل كما اخبرها ... فتوجه هو لها ليجدها تطفق بصوت مبحوح :

_ اولاً انا امى مقتلتش حد فاهم ، ثانيًا انا مش عايزة اقعد هنا انا مهربتش من أكرم ومن تعذيبه ليا علشان اجى للانيل منه

زفر بخنق وهو يمسح على شعره الاسود الغزير ليجيبها بشئ من الحدة :

_ أكرم هتطلقى منه زى ماعدناكى انا وريان وانك تتخيلى انى اسيبك تمشى بليل دلوقتى فانا بقترح انك تفضلى تتخيلى كده لانه مش هيحصل قولتلك بكرة الصبح عايزة تمشى امشى

تكلمت عيناها بالنيابة عنها لترد بأعتراضها عليه لتقابل نظرته الثاقبة كالصقر التى لا تنم عن اى تنازل منه لما قاله ، اقنعها عقلها بأن الذهاب صباحًا سيكون فى صالحها أكثر ... خرج صوته الخشن قائلاً :

_ نامى والصباح رباح أن شاء الله ، ولو عوزتى حاجة انا موجود فى الاوضة اللى قدامك دى

أصبح عقلها يتساءل بشدة حول ماهية هذا الرجل لحظات تجده يعاملها بقسوة ولحظات بحنان وهدوء ، حتمًا انه رجل غريب الاطوار لا يستطيع

أحد فهم طريقة تفكيره بسهولة .. نظرت حولها باحثة عنه فلم تجده ..... !! فرجحت انه ذهب بينما هى تقف شاردة بأمره

***

فتح الباب على مصراعيه لينتفضوا بفزع من هيئته المرعبة وبالاخص أسمى ، أزداد رعبهم عندما صرخ فى صوت مهيب :

اللى عملتيه ده ايه معناه ، ممكن افهم يا أسمى هانم _

أنتصرت لها ليلى لتهتف بثبات تام :

مغلتطش فى اللى قالته ابوك قعد يحمي عمتك دى لغاية ما مات بسببها _ وانت دلوقتى بتحمى بنتها ايه مش هامك لا انا ولا اخواتك

ضرب بقبضة يده القوية على الحائط وهو يهتف فى أنفعال جلى :

امى كلنا عارفين كويس اوى أن عمى عزت مات ليه انتوا اللى مش عايزين تصدقوا وبتحاولوا ترموا اللوم على عمتى وبابا مات موتة عادية زى اى أنسان ومش هتعرفوا اكتر منى لانى كنت معاه فى اللحظة دى ... لو مش عاملين احترام ليا انتى وبنتك اعملوا احترام لياسر الصاوى الله يرحمه وانه هو السبب انى اجيب ملاك هنا البيت وانتوا فاهمينى كويس !

: غارت عليه كالوحش الهائج وهى تصيح بأعتراض قاطع

لا مش فاهمين يا أسيد ، وانا مش عايزة البنت دى تقعد فى البيت هنا _

!! ومش هتقعد زى ماجبتها تمشيها بكرة

أنتصب وقفته وهو يحدقها بشموخ وأعين ثابتة تمامًا لم تعى اى أهتمام

: هامسًا

مش هتمشى يا امى الا بمزاجها ، واتمنى أن اللى حصل ده ميتكررش _

تانى لا منك ولا من الابلة اللى وراكى

: دخل مراد فى تلك اللحظة وهو يهتف بأستغراب شديد

!فى ايه صوتكم عالى كده ليه ؟ _

: وجد امه تصرخ بأخيه قائلاً

! بتعصى اوامرى يا أسيد ، دى اخرتها يا ابن ياسر _

: تصنع البرود التام وهو يهتف بحدة

انا قولت اللى عندى ومعنديش حاجة اقولها تانى _

وسرعان ما أستدار وغادر تاركًا ليلى وأسمى يشتعلون من الغيظ لتهتف ليلى بنظرات تحمل فى طيأتها الوعيد :

_ تمشى بمزاجها ! ، وانا هخليها تمشى بمزاجها ، انا بتعصى اوامرى يا أسيد لا وبتوقف فى وشى علشان البنت اللى امها السبب فى موت ابوك !!!

خرج صوت مراد المصدوم متشدقًا:

_ هى ملاك هنا !؟

وقع نظر أسمى عليه التى حدقته بغيظ وتمتمت بأستياء : ايه هو انت تعرفها كمان !؟

صاحت ليلى متغطرسة :

_ اهاا مهو هيختلف ايه عن اخوه !

لم يعيرهم أهتمام فقد حدق فى اللاشئ بشرود يتأمل الامر ويتساءل حول ماذا حدث حتى جعل أسيد يجلبها المنزل !!! .....

***

دلف الى غرفته ونزع سترته عنه ، ليزفر بقوة فى أقتضاب .. ألقى بجسده الصلب على الفراش محدقًا فى سقف الغُرفة داخله أعاصير ، دومات تعافر فى أزالة كُل ماهو مثمر وجميل ، جاهدًا هو فى الصمود امامها وبالفعل تخطاها ولكن بعد أن تركت أثرًا لا يمكن محوه بسهولة .. تلك الاعاصير التى نشبت فور موت حبيبته وزوجته مستمرة فى نشاطها حتى تحقق هدفها ..... !!

جلس منتصبًا ثُم فتح أحد الادراج وأخرج منها عُقدًا يبدو باهظ الثمن تحسسه بأصابعه فى إبتسامة مريرة يسترجع لحظات حياته السعيدة !..

_ "" ده ليا يا أُسيد !؟

: تقدم نحوها خطوة ليهمس فى نبرة تقطر حنانًا وعشقًا

طبعًا ليكى ياروح أُسيد امال لمين يعنى ! _

تفحصت العُقد جيدًا بنظرها ثُم عاودت النظر له وهى تردف برقة أشعلت نيرانه :

_ بس ده باين عليه غالى اووى يا أُسيد ملوش لزمة لو كنت جبت اى حاجة كانت هتعجبنى او اساسا مكنتش جبت حاجة كفاية انك معايا

مد أصابع يده ليزيح خصلة شعرها المُتمردة من على عينها ويمرر ابهامه على وجنتها بحنو مغمغمًا بصوت رجولى جذاب :

_ الغالى يلبس الغالى ياقلبى ثُم انى عندى كام مريم يعنى هى وحدة لو طلبت نجوم السما اجبهالها

ارتمت داخل احضانه بعاطفة عشق جياشة وهى تهمس له بصوت انوثى هادئ :

_ ربنا يخليك ليا ياحبيبى وميحرمنيش منك يارب

ابعدها عنه بهدوء ليديرها حتى أصبح ظهرها فى وجهه ، ولف العقد حول عنقها ثُم انحنى بجزعة للامام ليحتضنها من الخلف هامسًا بجانب اذنها فى مكر بسيط :

_ هياكل حتة منك ايه ده ياناس ، على الله اشوفك طالعة بيه ده يتلبس فى الاوضة هنا بس مفهووم ! ""

افاق من شجونه الحزينة فتأفف بشدة من فرط مشاعره التى تتحرق لرؤيتها مرة وحدة ولكن هيهات فماذا عسى ابن أدم أن يفعل سوى القبول بتلك الحقيقة وهى الموت ! ، مسح على وجهه وهو يهمس بصوت خرج من صميم قلبه :

_ يا الله انت العالم بحال عبدك فهون عليه تلك المصائب !

***

..... فى أحد محافظات الصعيد

يجلس احدهم على مقعد فاخر وبيده كأس نبيذ هتف وقد بدأ تأثير الكحول يظهر عليه وهو يتحدث الى صديقه قائلاً :

_ لسا مشوفتوش حاجة يا عيلة الصاوى ، واحد واحد بالدور وهبدأ براس الافعى محمد الصاوى وبعده ثروت وبعده ريان افندى اللى عاملى فيها سبع رجالة فى بعضها واما ياسر بقى فاللى خلف مماتش مراد ده مش هيملى عينى ولا يطفى نارى خلينا فى الابن الاكبر أسيد بيه

اجابه صديقه بنبرة رخيمة فى احتجاج :

_ قوم يامعتز شكلك كترت العيار النهردا

خرجت ضحكته القوية وهو يطفق ساخرًا :

_ فاكرنى بهزر ياك لا انا مبهزرش يا خالد حق ابويا اللى قتلوه هاخده بس مش هيكفينى واحد بس يعنى راس قصاد راس لا ده انا هنيهم كلهم ، ومش حق ابويا بس لا حتى حق اختى ومرات ابويا المسكينة دى ،

اتحرمت من اختى بسببهم ياخالد فاهم يعنى ايه معرفش عنها حاجة وينها بتعمل ايه معرفش اى حاجة قلبت عليها الدنيا برضوا ملقتهاش وهما اللى هيدفعوا التمن ... !!!

***

فى صباح يوم مشرق ..... !!

أستيقظت وهندمت من مظهرها جيدًا وهبطت الى أسفل لكى تغادر ذلك المنزل الذى لا مكان لها فيه ! ، أعترى طريقها حراس المنزل هتف احدهم :

_ على فين ياهانم الاوامر أن محدش يطلع من البيت من دون أذن أسيد بيه وهو مسمحش لينا اننا نخليكى تخرجى

أنفعلت عليه ملاك صائحة لتظهر عن مخالبها :

_ أسيد ايه ده !! ، عدينى يا أستاذ بالذوق انا مش ناقصة !!

ألتفتت خلفها عندما أستمعت الى صوت ليلى القادمة نحوها وهى تقول بلؤم بسيط :

_ ايه الصوت العالى ده فى ايه !؟؟

تجاهلتها تمامًا وهى تزفر بنفاذ صبر لتنظر الى الحارس قائلة بشئ من الانفعال :

_ اتصلى بأُسيد لو سمحت اكلمه !

أخرج الرجل هاتفه واجرى أتصال بسيده ثُم اعطاه اياها فأجابت عليه فى زمجرة :

_ على اساس أن الصبح لو عايزة امشى ، همشى ايه غيرت رأيك ولا ايه يا أُسيد

خرجت نبرة صوته الرجولية القوية قائلاً :

_ لا يا ملاك انا عند كلمتى ، انتى عايزة تمشى دلوقتى يعنى ؟!

هدأت ثورتها فورًا وتمتمت بخفوت بعد أن عادت لنبرتها الرقيقة : _ ايوة والحراس مش عايزين يطلعونى ، ايه معناه ده ؟

تنفس الصعداء فى عبوس فقد ملت نفسه من كل شئ ، اجاب بإيجاز : _ ماشى يا ملاك ممكن تصبرى لما ارجع البيت وانا هاخدك واوديكى المكان اللى عايزاه لانى دلوقتى ورايا اجتماع ومش فاضى

: كادت أن تجيبه فوجدته أنهى الاتصال ، فصاحت فى ضجر

بيستهبل يعنى !! ، بقولك ايه انت هتطلعنى غصب عنك مهو انا مش _

! مسجونة هنا ومجبورة استنى البشمهندس لما ياجى

: اتاها نبرة ليلى الصارمة وهى تهتف بنظرة مريبة

واضح انك مش ساهلة وهتتعبينا ، قالك مش هتطلعى غير لما يسمح _

أسيد بكده يعنى مفيش خروج عاملة غارة ليه .. هتقعدى هنا يبقى تعيشى

على عيشتنا فاهمة وبلاش الصوت العالى ده هاا

حدقتها بأعين سابحة بها العبارات ولكنها ام يكن لديها الجراءة الكافية

: للاجابة عليها سوى بقولها الضعيف

! ومين قالك انى هقعد هنا اساسًا _

: لوت فمها ليلى مبتسمة بخبث مردفة

!!! يبقى احسن برضوا والله _

تركتها ملاك وسارت مسرعة الى غُرفتها وهى تحاول منع عبراتها من

!... السقوط

***

فتح مروان باب المنزل بوجه مشرق ليدخل وينزع حذائه عنه وهو يصيح على امه شبه ضاحكًا :

_ انتى فين يا لولو ، ياحلوم طيب !!

خرجت من المطبخ لترمقه بنظرة تتصنع الغضب :

_ حلوم فى عينك ، عايز ايه يازفت !!

تهجمت ملامح وجهه وأبدى الدهشة وهو يطفق بضيق :

_ زفت بقى دى اخرتها يانبع الحنان طاب انا غلطان كنت جايبلك خبر حلو !

أسرعت أحلام نحوه فى نظرات شغوفة وقد تزين وجهها الجميل وهى تقول :

_ اوعى يكون اللى فى بالى يامروان ؟

ضحك بقوة وضمها لصدره وهو يقبل جبينها بنعومة هامسًا بصوت ينسدل كالحرير ناعمًا :

ايوة هو ياست الكل ، جهزى نفسك يلا عاد اخر الشهر ده هاخدك ونروح نعمل عمرة _

تلألأت العبرات فى مُقلتيها وضمت ابنها بشدة وهى تقبله فهمس هو بحنان :

خلاص عاد يا امى انا معملتش اكده علشان اشوف دموعك ، بدل ماتبكى ادعيلى دعوة حلوة _

قال اخر جملة له بشئ من المرح فكفكفت دموعها وهى ترفع كفيها الى اعلى هاتفة بصوت ينبع من صميم قلبها ودعوة صادقة :

ربنا يكرمك يا مروان يا ابن بطنى ويبعد عنك ولاد الحرام ويفتح فى وشك ابواب رزقه يارب _

تأفف بخنق هاتفًا فى عبوس :

مش هى دى اللى عايزاها ياحجة !! ، ادعى كده بأيه ربنا يكرمك ببنت الحلال اللى قلبك رايدها _

رفعت كفيها مُجددًا تكرر ماقاله بنفس نبرتها السابقة فى عدم وعى لما تقوله وبعد انتهائها نظرت له وهمست بلؤم وهى ترفع أحد حاجبيها :

وهى مين دى عاد اللى قلبك رايدها يا واد !!؟ _

: هتف مازحًا فى إبتسامة صافية

وانتى مالك انتى عاد ، انتى ادعى وانتى ساكتة ! معلكيش غير تدعى _

: ضربته بقوة على ذراعه وهى تغمغم بحنو امومى

طاب امشى يلا غير هدومك علشان احط الغدا _

***

كان مستلقيًا على فراشه فى صمت تام يعقد كفيه خلف رأسه يحدق فى اللاشئ بشرود ، جزء من عقله استحوذت عليه تلك " الملاك " ، تمنى لو كانت معه الان امام عينيه ، حتى يكون متفرغ لمراقبتها وسلامتها ، تلك الوردة الصغيرة التى تلمع كالجوهرة عندما تشرق وتضحك لا تستحق سوى رجل يتقن جيدًا الاعتناء بتلك الورود .... فتحت " أشجان " الباب بقوة ودخلت كالعاصفة وهى تهتف :

اهلا يا أستاذ ريان ، ليه تاعب نفسك وجاى البيت تشوف امك وابوك .. _

خليك جاعد فى القاهرة علطول عند ولاد عمك ، عاملين ايه ليكم عايزة افهم حتى اختك عاجباها الجعدة هناك

زفر بنفاذ صبر وهو يمسح على وجهه ، ثُم هب واقفًا على قدميه

: هامسًا

امى بالله عليكى انا مش حامل كلمة ، سبينى فى حالى وروحى شوفى _

! وراكى ايه

: صاحت به فى أندفاع وهى تتجه نحوه

ليه مالك أن شاء الله ، انا مش مرتحالك اصلاً الفترة دى ياريان _

! وروحتك كل يومين عند أسيد مش مريحانى

: تكدر صفوه همس وهو يجاهد فى السيطرة على انفعاله

انا مش صغير هاا مش عيل لسا عندى 10 سنين ، قوليلى مين _

هيتولى الشغل غيرى انا وأسيد ، مروان اخره يساعدنا فى حجات بسيطة

ولا مراد اللى عايش لنفسه .. وخودى على كده لانى هاجى يومين وامشى

تانى اطلعى من نفوخى عاد

قبضت على ذراعه بعنف وادارته لها لتستقر نظرة ملتهبة منها فى عيناه

: وهى تطفق بترقب

لتكون بتروح تقابل عمتك وبنتها ! ، عارف جدك وابوك لو عرفوا _

هيعملوا ايه ، اوعى يكون صح ياريان

ازاح يدها عن ذراعه بنظرات متمردة وغاضبة لينحنى ويقرب وجهه من وجهها هامسًا بنبرة لا تحمل ادنى خوف او تردد :

_ ابقى روحى وقولى لجدى وابويا أن ريان مبيخفش

ثُم تركها ورحل فجلست على الفراش وهى تطلم بخوف :

_ يامرارى هو ده اللى كنت خايفة منه ، ده عمى محمد لو عرف هيقلب البيت !

***

كانت تتحدث فى الهاتف بشئ من الصياح :

_ ريان انا مليش دعوة سواء جيت او مجيتش انا مش هقعد هنا ثانية واحدة

اجابها متسائلاً فى زهو :

_ ايوة انا عايز افهم عايزة تمشى ليه حد دايقك ، أسيد دايقك يابنت الناس ؟!

همست بتبرم فى تمرد واضح :

_ لا امه مشوفتهاش بتكلمنى ازاى ، انت ليه سبتنى ومشيت اصلاً !

: صرخ بصوت رجولى بأنزعاج شامل ، جعلها تنتفض من نبرة صوته

_ ما قولتلك ياملاك تعالى معايا واقعدى هناك وملكيش دعوة بى وابويا انتى اللى قولتى مش عايزة اقعد عند الناس دول ، ودلوقتى مش عايزة اقعد عند أسيد امال عايزة تقعدى فين يعنى ، بلاش شغل العيال ده ياملاك استحملى يومين لغاية ما اجى ، واياكى تمشى من عند أسيد فاهمة ، مش هتروحى تقعدى فى بيت وحدك ياهانم

تلألأ بؤبؤى عيناها بالعبرات ولمعت عيناها العسلية وهى تهتف بصوت يكاد لا يخرج يغلبه البكاء :

_ انت بتزعقلى ليه ياريان ، انا غلطانة انى كلمتك اصلاً وملكش دعوة بيا اعمل اللى انا عايزاه

ثُم ألقت بالهاتف على الفراش وهى تهز قدميها بشدة من الغيظ وعيناها تشبه جمرتين النيران المشتعلة ، ملامحها الصغيرة والبريئة كافية لجعل اى رجل ينصاع لتلك الدموع الطفولية وهذا ماحدث عندما سمعت طرق الباب وهرولت لتفتح ظانة منها انها " سارة " ولكن صدمت بأُسيد الذى دقق النظر فى وجهها لبرهة من الزمن هامسًا بصوت رخيم :

مالك ؟! _

أطرقت أرضًا كى تخفى دموعها التى تسيل كالشلال وهى تهمس بتشنج يحتوى على رجفة وصوت متقطع :

كل..مت ريان وزعقلى لما قولتله انى عايزة امشى _

استقرت نظرة ملؤها الدفء وهو يهمس بشئ من المرح :

وده كله علشان زعقلك ولا علشان مش عايزك تمشى ! _

التسمت فى نبرته السخرية فهتفت بضجر هادر :

.....انت بتتريق صح ! ، ما انت مشوفتش الصبح م _

صمتت قبل أن تُكمل كلمتها وهى تتنهد بعمق لتتابع بحدة :

انا لسا عند قرارى وعايزة امشى وافتكر انك وعدتنى _

طيب انا معاكى هخليكى تمشى وبعدين هتروحى فين هاا _

صمتت لبرهة من الوقت تفكر فى حديثه ثُم هتفت بعناد شديد :

هروح مكان ما اروح محدش ليه دعوة ! _

: أسيد بنظرة حازمة فى غضب

_ مفيش حاجة اسمها محدش ليه دعوة ، متنسيش انك لسا متجوزة ومطلقتيش ، بكتيرها بكرة او بعده هقولك يلا علشان ننهى الموضوع ده وتتطلقى وتخيلى انك تروحى تقعدى فى بيت وحدك اكرم ممكن يعمل ايه لو عرف مكانك ، علشان كده القعاد وسطينا لصالحك .. اعقلى ياملاك وبلاش عند لو عايزة لسا ومصممة تمشى انا معاكى روحى البسى يلا

تسمرت بأرضها تحدق به فى تردد ، فهى لا تخشى شئ سوى ذلك الحيوان " أكرم " يكفيها ما رأته منه ، قلبها يسحق تحت الأسى والشجن ويمزقه الالم ... وكأنه قرأ افكارها فهمس بخفوت فى إبتسامة عذبة وهو يناولها هاتف يبدو باهظ الثمن :

_ كويس طلعتى عاقلة اديكى ، خدى التلفون ده علشان لو عوزت اكلمك انا سجلت رقمى عندك !

: توردت وجنتيها من الخجل وطفقت تقول برقة

_ شكرا يا أسيد انا أاااا .....

رأت نظرة فى عيناه كافية لجعلها تصمت فورًا وتأخذ الهاتف من يده

!! .... وتغلق الباب فى أرتيعاب

***

خرج مراد من باب المنزل وهو يهندم من مظهره الرجولى الجذاب ، يستعد للذهاب الى أنهاء بعض الاعمال وبعدها لسهرته الليلية كعادته ! ، فلمح بعينه سارة التى تقف فى أحد اركان الحديقة وتتحدث فى الهاتف ، اقترب منها بخطواط هادئة دون أن تشعر فقد تعشش الشك بداخله منذ تلك الليلة .. سمع صوت ضحكاتها الشبه عالية وهى تهتف ببراءة : بتستهبل انت يا اسلام والله _ !

الفصل السادس

رفع حاجبه اليسار لاعلى مندهشًا وهو يهمس لنفسه فى زمجرة واضحة : مع مزيج من الغطرسة

_ اسلام بيستهبل لاا ملوش حق !

أسرع فى خطاه نحوها بأعين ملتهبة وبدون أنذار سحب الهاتف من على اذنها ، فأنتفضت هى كالذى لدغته عقرب ورمقته برعب جلى ، بينما هو فوضع الهاتف على اذنه يستمع الى هذا الوغد الذى يقول بنبرة عشق : تعرفى ياسارة انا بحمد ربنا والله انه رزقنى بيكى مش متخيل حياتى من غيرك انا ممكن اموت _

خرج صوته الرجولى الخشن وهو يقول ساخرًا :

_ متخافش هناجى نعزى ونعمل الواجب !

الجمت الدهشة لسانه فهمس بشئ من الخوف بعد لحظات : _ مين معايا ؟؟!

رأت فى عيناه البنيتين الاعصار المدمرة وهو يصيح به يلقنه بألفاظ تتناسب مع تلك النوعية من الرجال :

********** سارة معاك يا _

أنزل الهاتف من على اذنه ورمقه بنظرة نفثت الرعب فى قلبها وصرخ بها بأستياء :

ايه ده ياسارة هاا ، انتى يطلع منك كده _ !

أنهمرت دموعها وهتفت فى توسل بنسيج مسموع :

انا اسفة يا مراد ، اسفة _

أكمل صياحه المنفعل وهى يهتف :

لا وكلام حب ومعرفش ايه ، انا مليش كلام معاكى ولا حكم عليكى انا _ هقول لابوكى واخوكى وهما يتصرفوا معاكى

أجشهت فى البكاء وهى تقبض على ذراعه وتقول راجية ، يكاد البكاء يشقها الى نصفين :

لا متقولش لريان ابوس ايدك يامراد ، ريان لو عرف هيقطع راسى هو _ وابويا .. هو واعدنى انه هياجى يتقدملى اخر الشهر ده !

صر على اسنانه ليبرز عن مخالبه المخيفة :

_ وانتى زى الحمارة صدقتى طبعًا ، هو لو عايزك فعلاً هيقعد يتكلم ويحب فيكى فى التلفون ولا هياجى ويدخل البيت من بابه ، ردى عليا ياسارة هانم

صراخه المرتفع كافى لجعل جميع من فى المنزل ينتابهم الفضول حول ما يحدث ويخرجوا ليروا ماذا يحدث ، أزدردت سارة ريقها بتوتر جلى فوضعها لا تحسد عليه الان ، ركضت نحوها ملاك فى فزع وتبعتها أسمى : أمسكت ملاك بوجهها بين كفيها لتهتف بقلق

_ مالك ياسارة بتعيطى ليه !؟

أرتمت داخل احضانها وهى تصدر شهيق مسموع ، فهتف أسيد فى نظرة : متقدة بحرارة

_ فى ايه وبتزعق لبنت عمك ليه ؟

رمقها مراد بنظرة اوقعت الرعب فى قلبها جعلتها تدفن وجهها بين ثنايا : صدر ملاك ، ليجيبه بلهجة صارمة

_ مفيش حاجة ، هى عارفة كويس انا بزعق ليه وأظن هى عرفت غلطها دلوقتى

: حدقت ليلى بالجميع فى ريبة وهتفت بأستغراب

طاب ماتفهمنا غلطت فى ايه يخلى صوتك عالى كده ! ، بعدين مش _

! شايفها مش مبطلة عياط ازاى

بنبرة جديدة تمامًا لم يعهدها أحدهم فى المنزل وصوت مرتفع قليلاً فى

: غضب عارم

غلطت فى اللى غلطت فيه ، محدش ليه دعوة انا وهيا حلينا الموضوع _

خلصنا

تفحصت ملاك هيئته فقد كان فارع الطول لديه نظرة توقع الرعب فى اى غريب لن يختلف عن اخيه كثيرًا ، لم تعد تخشى غضب واحد فقط فى هذا المنزل بل اصبحا أثنين اليوم بعد أن رأت ذلك الوحش الكاسر المتحول ! .. أستدار وغادر فلحق به أُسيد ليصيح مناديًا عليه بصلابة فتوقف والتفت له وهو يلوى فمه بخنق ، فرأى فى عينى اخيه نظرة نارية

: ملتهبة ثُم رفع سبابته فى وجهه ليقول منذرًا

اى كان اللى عملته ملكش حق تزعقلها كده فاهم ، ومتنساش انها _

ضيفة هنا كلها كام يوم وترجع البلد فأذا كان غلطت فى حاجة ابوها واخوها لما تروح هناك يتصرفوا معاها ، احنا ملناش دعوة هى مش أسمى على تزعق وتشخت فيها براحتك .. واضح الكلام يامراد على الله

اللى حصل ده يتكرر تانى

اصدر تأففًا قوى وهو يحدجه ساخرًا بغيظ ثُم يتجه ويصعد بسيارته وينطلق بها .. بينما هى فأصطحبها كل من أسمى وملاك الى اعلى وهما يحاولان تهدئة روعها .....!

: أقتربت ليلى من أسيد لتهتف بتبرم وهى تلوى فمها

_ على اساس أن البتاعة اللى اسمها ملاك دى هتمشى النهردا ممشيت اليه ؟!

: هتف فى أنزعاج شامل

_ مش هتمشى يا امى قاعدة ، ايه ياليلى هانم خليكى رحيمة شوية اخليها تمشى وتروح فين يعنى ، تقعد فى الشارع واهلها قاعدين فى بيوتهم مرتاحين

: صاحت به بوحشية

_ واحنا مالنا ماتغور فى اى مكان ، يعنى هى بقيت علينا اذا كان جدها مش عايزها .. انا البنت دى مش عايزاها تقعد فى بيتى انا مش عايزة مشاكل ، ايه يضملى متكونش متفقة مع اخوها الحيوان ده " معتز " وعايزة تأذينا .. !

: تمطع بعنقه للجانبين فى نفاذ صبر من هذا الشجار الذى لا ينتهى

_ امى اقسملك بالله انا فيا اللى مكفينى مش كل ماتشوفينى تنرفزينى كده ، قلتها كلمة ومش هتنيها ملاك قاعدة هنا ومش هتمشى ومش عايزة اسمع انها اشتكت منك او من أسمى ، هتسألى ليه هقولك علشان دى وصية بابا قبل ما يموت وانا مش هكسر وصيته علشان سبب تافه زى ده !

***

خرج ريان من المرحاض وهو يدندن بأحد الاغانى الشهيرة ، يلف المنشفة حول نصفه السفلى ، عارى الصدرى وبيده منشفة صغيرة يجفف بها شعره الغزير ، ليقطع حالته المزاجية صوت رنين هاتفه فأجاب عليه هاتفًا :

_ الو خير عملت ايه ؟

_ عيب عليك ياريان بيه قولتلك يومين وهتلاقى قراره قدامك عرفت مكانه قاعد فى قرية اسمها (.....) فى نجع حمادى هتروح هناك وهتسأل عليه وهو هناك اشهر من النار على العلم هيدلوك على بيته علطول

: تهللت اساريره وهو يتشدق

عفارم عليك ، هو ده الشغل ولا بلاش _

: أنهى الاتصال معه وهمس لنفسه بنظرة متوعدة

وقعت تحت ايدى يامعتز الكلب ، انا هكتفى بتعذيبك بس لكن اللى خايف منه الصراحة أسيد واللى هيعمله فيك ، علشان تتعلم بعد كده متلعبش مع ولاد عيلة الصاوى _

ثُم أكمل دندنته وهو يرقص بخفة ويبدأ فى أرتداء ملابسه والحماس يكاد يصل الى اعلى مراتبه لديه لكى ينال من عدوه ..... !!

***

داخل غُرفة سارة .....

: هتفت أسمى متسائلة فى قلق

سارة اهدى وفهمينا فى ايه ؟ !_

نقلت نظرها بينها وبين ملاك لترى فى عيناهم الفضول الشديد حول ماحدث فأستجمعت ما تبقى منها وهمست بخفوت وهى ترتجف من فرط

: بكائها

انا اعرف واحد من بدرى وبنتكلم انا وهو وهو بيحبنى وانا برضوا _
وهو واعدنى انه هياجى يتقدملى اخر الشهر والنهردا كنت بكلمه ومراد
شافنى واخد منى الموبايل ورد عليه وهزقه وبعدين بهدلنى انا وقالى انه
هيقول لريان وبابا وهما يتصرفوا معايا وريان لو عرف هيقطم رقبتى

: تنفست الصعداء ملاك فى أقتضاب لتقول فى شئ من الاندفاع

تصدقى تستاهلى اللى عمله فيكى ، انتى هبلة يابت يعنى قالك هياجى _
يتقدملك وانتى صدقتيه بكل سهولة هو لو عايزك فعلا هيكلمك تلفون ليه !
، لولا انى اخاف عليكى من ريان وجنانه كنت قولتله لكن انا عرفاه كويس

: فى هدوء تام وصوت رزين قالت أسمى

متخافيش اذا كان مرضيش يقولنا احنا هيقول لريان وعمى ، مستحيل _
اصلاً هو بيخوفك بس مش اكتر

: اماءت برأسها لهم فى أرتياح بسيط فتشدقت ملاك بحدة بسيطة

اياكى تكلمى الولد ده تانى فاهمة ياسارة والا قسمًا عظمًا انا بنفسى _
اللى هروح اقول لريان ، احنا ايه عرفنا ممكن يأذيكى بأى شكل من
الاشكال

: سارة بضيق زائف فى عبوس

ايه ياملاك انتى معايا ولا عليا !؟ _

معاكى بس مش مع اللى عملتيه _

أستقرت نظرة ساخرة فى عينى أسمى على ملاك لتردف بقسوة وهى تلقى الكلمات حجرًا :

واللى عملته عمتى ايه ، وانتى الله اعلم كنتى فين وبتعملى ايه .. _

الافضل انك تفضلى انتى بذات ساكتة

: وصبت واقفة وهى ترفع سبابتها محذرة وتهتف بغضب عارم

أسمى احترمى حدودك فاهمة ، ولو جبتى سيرة ماما تانى هتشوفى _

وحدة تانى ومش هيهمنى حد

تابعتها وهى تغادر بغطرسة فسلطت نظرها سارة عليها فى أعين صارمة تلومناها على ما قالته لتقول بغيظ :

!! ايه اللى قولتيه ده يا أسمى _

: بعدم أكتراث امتزج بغرور وهى تطفق

! مقولتش حاجة غلط _

: فى أنزعاج شامل اجابتها سارة بحرارة

لا غلطانة انتى عرفك كانت فين بتتكلمى على اساس ايه ، ملاك دى _ يابخته اللى عنده زوجة ولا اخت ولا بنت زيها تتحط كده على الجرح يطيب ، وكانت متجوزة من واحد حيوان مشوفتيش جسمها واللى عامله فيها وعمتى انا كنت بروحلها انا وريان لو كنتى شوفتيها عمرك ما كنتى هتقولى اللى بتقوليه ده انها السبب فى موت عمى ، وحتى أسيد ومراد يعرفوها لكن ملاك متعرفنيش غيرى انا وريان علشان كده مش عايزة تقعد هنا ، متبقيش انتى والزمن عليها كمان يا أسمى خليكى حنينة معاها هى ملهاش ذنب فى اى حاجة بالعكس دى هى الضحية فى كل حاجة من بداية اللى عملته عمتى هى اللى دفعت التمن مش حد تانى

زفرت بضيق زائف بعد أن بدأت تشفق عليها قليلاً فهبت واقفة وأستدارت لتغادر فى وجه ينم عن عدم رضاها .....

***

بعد مرور ساعات قليلة أرتدت ملابسها وهبطت الدرج سائرة نحو مكتبه ،

لتطرق الباب عدة طرقات رقيقة فيأتيها صوته يسمح للطارق بالدخول ، دلفت الى الداخل وجعلت ذراعيها خلف ظهرها وهى تفركهما ببعضهم بقلق ، كانت رشيقة العود تنضج بشرتها بالبياض والملاحة ملابسها فضافضة لدرجة لا تظهر اى شئ من مفاتن جسدها حجابها يصل اللى اسفل ظهرها من الخلف ومن الامام حتى أسفل صدرها ، شعرت بالدماء تصعد لوجنتيها عندما رأته يثبت نظره عليها منتظرًا منها القاء عليه

: ماتريد قوله فهمست بصوت يكاد لا يسمع ومضطرب

أسيد انا كنت عايزة اروح لوحدة صحبتى ممكن تقول للحراس يطلعونى _

: قال بخفوت فى هدوء

فين بيتها صحبتك دى ؟ _

فى الشقة اللى قدام بيتنا القديم ، انا مشوفتهاش من ساعة ما اتجوزت اكرم ! _

: اجابها بودٍ فى خشوع وهو يهب واقفًا

تمام يلا هوصلك فى طريقى انا كده كده طالع ولما تاجى طالعة من عندها اتصلى بيا _

ندى محمود

: قطبت حاجبيها لتتمتم بحيرة

!!وانت تعرف مكان بيتنا من فين ؟ _

جذب مقاتيح سيارته وهاتفه ليخرج صوته الاجشّ قائلاً متجاهلاً سؤالها : تمامًا

انا هستناكى فى العربية بره _

احدث صمته ضجيجًا فى نفسها وقد هيمن عليها الفضول حول معرفة الكثير من الاشياء وقررت أن تسأله عن كل شئ اليوم ولن تتركه يرحل بدون أن تفهم منه ..... !!!

***

بعد مرور ساعات قليلة حيث أستر الليل ردائه كاملاً وارتفع ضوء القمر فى السماء منيرًا قلوب البعض ليبشرهم بالنور القريب الذى سينير حياتهم وبعضهم يزيد من ظلامهم ، كان يجلس مراد فى الظلام الدامس يحدق فى النجوم الساهرة بشرود قلبه يشعر به بنغزة تكاد تقتله قتلاً لا يعرف سببها .. تسللت من خلفه أسمى فأقتربت من اذنه لتهمس باسمة : العاشق الولهان سرحان فى ايه ؟ _!

التفت خلفه بشئ بسيط من الفزع ليطالعها بإبتسامة دافئة فتلتف هى لتجلس على الاريكة بجانبه رامقة اياها فى ريبة من امره ، ففتح لها ذراعيه داعيًا اياها للانضمام الى احضانه فلبت طلبه بكل سرور ، أخذت تحدق معه فى السماء لدقائق ليس بقصيرة حتى قطعت ذلك الصمت المرير لتهمس بعد إن ابتعدت عنه :

_ مالك يامراد ؟ .. انا ملاحظة انك ليك كام يوم كده مدايق من ايه طاب أسيد وعارفين سبب ديقته وعصبيته وانه اتغير شوية طاب وانت !؟

اجابها باسمًا بمرارة وقد سحق تحت الأسى والشجن : _ على الاقل أسيد عارف هو كده ليه لكن انا مش عارف

أسمى بشئ من الغضب والانفعال : _ لا انت عارف بس بتضحك على نفسك ، لسا بتفكر فى الزفتة دى صح بعد ده كله ولسا بتفكر فيها يامراد

تأفف بقوة فى خنق وتمتم فى أحضان الظلام بصوت حازم : _ قومى يا أسمى من جمبى !

: صاحت به فى أنزعاج شامل وقد تملكها الغضب

_ لا مش هقوم ، مش هقوم يامراد ... فى ايه اكتر من انها حاولت تسرقك وراحت عند الدكتور وسقطت ابنك من غير ماتعرف وضحكت عليك وفهمتك انها وقعت وعلشان كده سقطت وكله كوم وخيانتها ليك كوم تانى ، بعد ده كله ولسا بتفكر فيها ومش قادر تنساها ، تعرف انها لو شفتها الحيوانة دى هشرب من دمها !!

: خرج صوته الجهورى وهو يصرخ بها بصوت جعل اعضائها تنتفض

_ قولت قومى يا أسمى

: هبت واقفة ثائرة وهى تقول بأمتعاض

_ خليك كده بتضحك على نفسك بدل ماتبص لحياتك قاعد بتفكر فى القذرة دى !

همت لترحل فرأت مروان قادمًا اليهم ، تملكتها الدهشة للحظات ولكن سرعان ماتحولت لابتسامة عذبة وصافية وهى تقول بمرح بسيط :

_ ايه ده جيت امتى مش تقول انك جاى طيب يامروان اخص عليك

: بنظرة حانية تود ضمها همس باسمًا

! انا بكرة وراجع تانى فى شغل هخلصه سريع وهرجع _

: مراد مستنكرًا

ليه بيجروا وراك ولا وراك الديوان علشان صد رد كده _

: ضحك بخفة فأقتربت أسمى من مروان لتهمس له بزمجرة

شوفه يامروان لاحسن لا انا ولا ماما بنقدر نتكلم معاه هو وأسيد ، اظن _

! انت فهمتنى انا قصدى على ايه

اماء برأسه لها فى إيجاب وتفهم ليشير لها بعينه أن تذهب وانه سيحل

..... ذلك الامر بطريقته الخاصة

***

سارت نحوها وهى تحمل بيدها صينية فوقها كوب ممتلئ بمشروب

: طازجة فهتفت ملاك معاتبة

والله انتى بتستهبلى يازمردة مش كفاية الاكل اللى عملاه هو انا غريبة _

: قالت بشئ من الضحك

علشان تحبسى ياحبيبتى .. انا مش مصدقة ازاى يحصل كل ده معاكى _

ومتقوليش بأى طريقة ياملاك لو اتصلتى بيا وعرفتينى كنت هتصرف

: ملاك ببساطة فى إبتسامة ساحرة

_ دلوقتى مبقيش ينفع الكلام ده قولى الحمدلله ان ربنا بعتلى ريان وأسيد والا كان ممكن متلقنيش قدامك لو ممتش منه كنت انا هخلص منى نفسى وارتاح

: فى نبرة شبه ضجر هتفت زمردة

_ انتى هبلة يابت ايه الكلام ده ، انا لو اعرف ان ريان ده مش عايز يأذيكى مكنتش قولتله كده بس اول ماعرفت انه ريان ابن ثروت صديته علطول

: غمغمت مبتسمة فى وجه مشرق وجميل

_ انا اصلاً مليش غيرك انتى وريان وسارة

: ثُم أكملت فى نظرات أسى وشجن

_ هتفضلوا لغاية امتى كده يازمردة انتى ليكى حق زي كل واحد فى البيت هناك ، ليه متروحيش تاخدى حقك انتى ؟

: صمتت لبرهة ثُم نظرت لها وهمست بعينان تهيمان بالدموع

وانتى ليه متروحيش تاخدى حقك منهم ؟! ، مش هتردى صح اقولك _

ليه علشان احنا الاتنين زى بعض ياملاك اتربينا وكبرنا من غير اب ولا عيلة بس اتربينا على ايد عمتى فرودس وماما وانا مليش ام واحدة لا اتنين امى وعمتى فرودس الله يرحمها وانتى كذلك ، كبرنا على كده اتعودنا على حياتنا يمكن كنا اسعد منهم تعرفى كده على الاقل مكنش فى حاجة فى دماغنا غير اننا نلعب وناكل وننام ونستنى امى وامك لما يرجعوا من الشغل وناكل وننام مرتاحين يكفى اننا كنا بنحط راسنا على المخدة بليل وانا مرتاحين الضمير ، هما اللى مش مرتاحين

لم تتمالك ملاك نفسها فأنخرطت تبكى معها بحرارة وهى تعانقها بشدة

: وهى تهمس بصوت مزقه الحزن

صدقينى كل ده هيعدى يازمردة وربنا هيعوضنا وهياخدلنا حقنا من كل _

واحد ظلمنا !

مررت يدها لاعلى واسفل على ظهرها بحنان وهى تهتف بصوت باكى

: تحاول اظهار نبرة المرح

انت بنت نكدية والله ابعدى يابت جاتك القرف نكدتى عليا !! _

أبتعدت عنها لتطالعها مُبتسمة بحب وهى تجفف عبراتها لتقول زهرة بحماس :

احكيلى انتى عاملة دلوقتى عند أُسيد ده ؟ _

بصوت يخالطه البكاء اجابتها :

وهو انا من امتى برتاح يازمردة .. لا مرات خالى ولا أسمى طايقنى علشان كده عايزة امشى لكن أُسيد الصراحة كويس جدا معايا ومش هقدر اجى اقعد عندك لان اكيد اكرم اول مكان هيتوقعه هو بيتكم فا لو مشيت مش عارفة هروح فين _

بجدية تامة فى حدة اجابتها :

ايوة هتروحى فين يعنى ، طلاما هو كويس معاكى ملكيش دعوة بأمه واخته ياملاك هما هيفهموكى مع الوقت صدقينى وهيحبوكى _

قطع حديثهم صوت رنين الهاتف الصاخب فأمسكت به واجابت بهدوء : الو _

اتاها صوت تعرفه جيدًا لا تستطيع نسيانه مهما فعلت جعلها تتعرف عليه فى الحال وهو يقول :

لو خلصتى انا مستنيكى تحت ياملاك _

: تعثرت الكلمات فى فمها لتخرج غير منتظمة وهى تقول

هاا .. انت .. اووف ماشى يا أُسيد نازلة ؟ _

: أردفت زمردة بضحك خفيف وهى تطالعها بترقب

! ما شاء الله بياجى على السيرة _

هبت واقفة وهى تتشدق بحنان جلى بعد أن عانقتها عناق حار مودعة

: اياها

يلا بقى انا همشى وبأذن الله هحاول اجى تانى ولو مقدرتش هتصل _

بيكى واوصفلك الطريق وتاجى انتى

اماءت له فى لطف لترافقها حتى الباب وتودعها لتهبط هى الدرج حتى

: تغادر المبنى تمامًا وتستقل بالسيارة بجوراه وهى تهمس بخجل بسيط

معلش تعبتك معايا ؟ _

: لفظ الحروف ببطء من بين شفتيه قائلاً

! اظن أن انا اللى قولتلك انى هاجى اخدك مش انتى _

طفح الكيل من حالاته المزاجية المتغيرة هذه ليس مجبورة على تحملها لتصيح به فى أندفاع :

ومحدش غصبك تاجى تاخدنى قولتلك هروح واجى وحدى انت اللى صممت ، كمان انا الغلطانة فى الاخر لما بقوله تعبتك معايا .. عارف انت انسان غريب والله يعنى اكيد فيك حاجة غلط ساعة تتكلم بحنان وهدوء وساعة مش طايقنى ، فى ايه يا أُسيد لو زهقت منى قولى وانا همشى ..... والله علطول انا اصلاً أاااااا

وجدته يضع يده على فمها مقتربًا منها ليغرس فى عينها شعاع عينه الثاقب مهمهمًا بصلابة :

وعلشان انا انسان غريب بقى زى ما قولتى ياملاك متكتريش فى الكلام معايا علشان لا انا ولا انتى ضامنين ردة فعلى

تسارعت نبضات قلبها واطرقت الطبول حتى كاد يسمعها عيناه الرمادية تحولت الى سوداء من فرط غضبه يكاد قلبها يدب من بين اضلعه كلما لفحت انفاسه الملتهبة صفحة وجهها ولكنها نجحت فى السيطرة على مشاعرها حيثُ دفعت يده بعنف عن فمها وتهم بفتح باب السيارة لتترجل منها وتذهب بمفردها فيقبض على ذراعها ويجلسها بالسيارة عنوة

: صائحًا

رايحة فين ، اقعدى مكانك مش ناقص جنان انا _

غامت عيناها الدمع وهى تنتزع يده من على ذراعها بشراسة ونظرات نارية فأنطلق بالسيارة وهى تستند برأسها على زجاج السيارة تتابع الطريق فى صمت حتى هتفت بخفوت فى صوت مبحوح :

وقف العربية لو سمحت هنا ؟ _

!!اليه ؟ _

: صاحت بغضب هادر

! هتوقفها ولا انزل منها هى وماشية _

أستقرت نظرة مشفقة منه عليها وعندما نظرت له أشاحت بوجهها للجهة الاخرى فورًا بأضطراب وهى تحاول التكلم بنبرة طبيعية :

مقولتش انت تعرفنى ازاى وعايزة اعرف كل حاجة دلوقتى ؟ _

: تنهد بتذمر وطفق يقول بخفوت بعد أن جلس بإرياحية اكثر

ملاك هو انتى فكرانى ايه انا كل حاجة عارفها عن العيلة دى واعرف _

حجات عن كل واحد محدش يعرفها زى ما انا عارف ان صحبتك دى زمردة بنت عمى عزت ، عمى مات قبل بابا طبعًا ووصاه على بنته ومراته دول وكان بيروح يطمن عليهم علطول وبالنسبة ليكم انتى وعمتى محدش كان عارف مكانكم غير لما جيتوا وسكنتوا قدام زمردة ، بابا طبعًا مكنش قادر يسامحها على اللى عملته وبرغم كده مش قادر يسيبها من غير حد يكون معاها او كده ، وقتها انا كنت عشرين سنة وريان كذلك بعدها مات بابا ووصانى عليكم انتوا وزمردة فانا بعت ريان وخليته هو اللى يتولى المهمة دى ويطمن عليكم من كل فترة لفترة وانا اتوليت مهمة زمردة وطبعا ده كله من غير ماحد يعرف انا وريان ومراد بس اللى كنا عارفين الموضوع ده وسارة كمان ، يعنى كنت عارف كل حاجة عنكم حتى كنا حاطين ناس بيراقبوكم ولما الراجل بتاع الشقة كان عايز يمشيكم علشان مدفعتوش الاجار وانتوا افتكرتوا أن اللى دفعه ريان لا انا اللى دفعت ريان وقتها كان مسافر بره مصر بس من وقت ما سبتوا الشقة محدش عرفلكم طريق .. اظن عرفتى دلوقتى ليه اتعصبت لما قولتى لريان أن الناس دول هما السبب فى اللى انا فيه لانك مكنتيش تعرفى اى حاجة !

تملكتها الصدمة وهى تارة تحدق به وتارة فى الماء امامها هاتفة بعدم استيعاب :

مش مصدقة اللى بسمعه بجد دلوقتى فهمت ليه لما شوفتنى عند اكرم _

مستغربتش ولا حتى سألت ريان مين دى ودافعت عنى كأنك تعرفنى من سنين ، كنتوا عارفين كل حاجة وسبتونا فى اللى احنا فيه اكتفيتوا بأنكم تشوفوا لو عايزين حاجة ولا لا صح ، هل سألتوا نفسكم فى مرة ياترى محتاجين ضهر بتسندوا عليه محتاجين يشعروا بالامان والحنان محتاجين عيلة يتربوا بينها ، مسألتوش نفسكم صح عارف ليه يا أسيد علشان مكنش عندكم وقت تفكروا كل واحد فيكم عايش حياته سعيد واحنا كان بيوصل بينا لدرجة اننا بننام انا وزمردة ورا الباب احنا وصغيرين معتقدين اننا هنقدر نمنع الحرامى لو جرب يدخل البيت ، مجربتش طبعا لا انت ولا ريان ولا سارة ولا مراد تكبروا من غير اب من غير حماية اتعودتوا أن كل اللى بتعزوه بيجليكم ، بس العيب مش فيكم ولا فى جدى ولا امى ولا عمى العيب فينا انا وزمردة احنا اللى ملناش حظ فى الحياة دى اتكتب على جبينا الشقى

قالت أخر جملها وهى تنخرط فى موجة بكاء عنيفة ، كلماتها صوبت نحو قلبه الضربة القادية ، مزقته اربًا .. شعر بقلبه ينسحق تحت الأسى والشجن فهمس بصوت ينسدل الحرير ناعمًا :

_ ملاك كفاية بكى لو سمحتى انا مكنتش اقصد كده صدقينى ، لو كان بأيدى انا وريان حاجة كنا اخدناكم وودناكم البيت بس مكناش عايزين المشاكل ليكم اعتقد انتى عارفة جدى كويس هو ده السبب اللى خلانا

منفكرش فى اننا نجيبكم البيت ، انا كان قصدى اوضحلك انكم مكنتوش وحدكم واننا دايما كنا معاكم ومازالت معاكى

التقى شعاع عينها فى عينه بدون قصد ثوانٍ مرت كالسنين عليها ليقطع : تلك اللحظات صوت هاتفه فيخرجبه من جيبه ويقول بجدية

الو ياريان خير متصل فى اخر الليل كده ليه ؟ _

: ريان فى نظرات خبيثة ومتقدة

جهز نفسك معانا طلعة بكرة لنجع حمادى مش اى طلعة بس _

: هب واقفًا متحمسًا وهو يهتف بنبرة رجولية

تبقى عملتها يا ابن ثروت .. قولتلك انه مش هيبعد عن نجع حمادى _ وهتلاقيه فيها اكيد ، متقلقش انا مجهز نفسى اساسًا من زمان للحظة دى هاخد روحه بأذن الله

: هتف ريان فى لهجة لا تقبل النقاش ومحذرة

! اياك يا أُسيد تقول لملاك أن الحيوان ده اخوها _

: نظر لها للحظات فى تردد ثُم اجابه بخشونة

لما اشوفك نبقى نتكلم فى الموضوع ده ياريان _

تمام ، سلام هتصل بيك بكرة وهنتفق هنتقابل فين وامتى _

: أنزل الهاتف من على اذنه وهى يتنهد بقوة فهمست هى بفضول بسيط
! اعتقد انكم عرفتوا مكان اللى اسمه معتز ده _

: عقد حاجبيه ورفع حاجبه الايسر قائلاً بريبة
!وانتى تعرفيه من فين ؟؟ _

ريان قالى على بعض المشاكل والمصايب اللى عملها لما اصريت عليه _
انه يقولى .. على اى حال خدوا بالكم واضح انه واحد مش سهل والله هو
الافضل انكم مترحوش ابدًا لكن العيلة كلها عندها عرق العند وبتعمل اللى
فى دماغها دايما يعنى مهما قلت مش هيجيب نتيجة لا معاك ولا مع ريان

: إبتسم لها بصفاء ليتمتم بودٍ
كويس انك عارفة ، مش يلا علشان نروح ولا ايه ؟ _

اماءت برقة ساحرة فى إيجاب وهى تنهض واقفة على قدميها لتتبعه الى

السيارة .....

***

مع أشراقة شمس يوم جديد والسماء مزينة بقطع غيوم متقطعة ، كان يجلس أسيد منتظر قدوم خليله حتى أتى ليصعدا بالسيارة وينطلقوا نحو منزله .....

أوقف أسيد السيارة داخل أحد القرى الصغيرة حيثُ مكتظة بالاطفال الذين يلعبون والرجال الذين فى اعمالهم ببساطة كانت تعكس مظاهر الحياة البسيطة ، كان كل من يمر يرمقهم بنظرات تفحص وأستغراب من تلك السيارة الفاخرة وملابسهم وهيئتهم التى تعكس رغد العيش .. تقدم أسيد وتبعه ريان نحو أحد المنازل الصغيرة المتكونة من طابق ارضى ، فطرق ريان بطريقة لا يمكن القول عنها سوى انها همجية ، لحظات وفتح لهم فرأوا على وجهه إبتسامة ماكرة وكأنه كان منتظر قدومهم ! .. تلقى ضربة قادية من أسيد ابرحته أرضًا وهو يتحسس بأنامله الدماء التى بدأت تسيل من جانب ثغره ، ثُم دلفا واغلقوا الباب فأنقض عليه أسيد يكمل مابدأه للتو وكأنه يفرغ شحنة غضبه المكتظة بداخله منذ وفاة زوجته فى ذلك الوغد .. أستطاع ريان افلات معتز من بين يديه بصعوبة وهو يصيح به بصوت جهورى يحمل فى داخله التحذير :

هتدفع تمن افعالك الـ **** دلوقتى يامعتز ، مقدرتش اقتلك وقتها _

علشان كان عندى عيلة خايف عليها لكن دلوقتى معنديش حاجة اخاف عليها

: خرج صوته متغطرسًا ضاحكًا

_ ومستنى ايه اقتلنى يلا !

هتف ريان فى تلك اللحظة فى نظرة تشتعل بفعل العواصف الهائجة داخله :

_ مستعجل على موتك اوى ، متخفش هنحققلك امنيتك بس مش قبل ما نشبع من تعذيبك

قطع حديثهم صوت رنين ريان التى تجاهله تمامًا فهتف معتز مبتسمًا بمكر :

_ برأى ترد يمكن تكون حاجة مهمة ؟!

: صر أسيد على اسنانه فجذبه من ملابسه وهو يصرخ به بتحذير

_ ****** اقسم بالله لو طلع انك أذيت حد لاكون دافنك فى أرضك يا

أخرج ريان هاتفه ونقل نظره بين أسيد ومعتز فى توتر بسيط ثُم اجاب

: بخفوت

الو _

تيقن أسيد انه حدث شئ بالفعل عندما رأى علامات الصدمة بادية على وجهه وهو يرمقه بذهول .....

ذكرى محمود

الفصل السابع

تيقن أسيد انه حدث شئ بالفعل عندما رأى علامات الصدمة بادية على وجهه وهو يرمقه بذهول فأنزل الهاتف من على اذنه وهو يتمتم بدهشة :

_ بابا فى حد ضربه بالنار وهو فى المستشفى دلوقتى وبيقولوا أن الرصاصة قريبة من القلب ؟!

كان معتز يقف شامخًا مبتسمًا بأنتصار وهو يقول :

_ ده اول واحد بس لسا كله بالدور !

غار ريان عليه وهو يبرحه ضربًا فأبعده أسيد عنه وهو يصرخ به منفعلاً :

_ أرجع البلد دلوقتى ياريان اطمن على عمى وطمنى وسيبنى معاه هخليه يتمنى الموت وميطلهوش !

وقعت نظرة من ريان على معتز ، نظرة مخيفة ولكنها لم تؤثر به .. ثُم أستدار وغادر مهرولاً على عجالة فسحب أسيد معتز الى الخارج وجعله يصعد بالسيارة عنوة وهو مازال مبتسمًا بلؤم لا يبشر بخير !! .....

***

لم يتمكن أحد من أخماد نيران سارة التى تحولت الى صراخ وبكاء هستيرى وهو تقول :

_ انا عايزة اروح البلد اطمن على بابا .. ابعدى يا أسمى سبينى

هتفت ليلى بنظرات مشفقة فى أسى :

_ اهدى ياسارة ياحبيبتى مراد هياجى دلوقتى وياخدنا ، اهدى

جثت على الارض وهى تدخل فى نوبة بكاء عنيفة وتنوح بكل ما اوتيت اليها من قوة فرمقت أسمى ملاك الواقفة وملامح وجهها واضح عليها الحزن وصرخت بها فى قسوة :

_ صدقتى ياسارة اننا كان عندينا حق لما قولت انها جاية تنتقم بس واهو عمى فى المستشفى دلوقتى ، عارفة لو عمى حصله حاجة مش هيكفينى فيكى روحك لو عندك ذرة دم خدى هدومك يلا وغورى من هنا

ليلى بخنق فى خبث :

_ لا تمشى ازاى لاقية أكل وشرب ومكان تنام فيه ببلاش هتمشى ليه كفاية اخوكى اللى بيدافع عنها !

هطلت عبراتها من تلك الكلمات الجارحة التى تلقتها للتو منهم وكأنها خنجر طُعنت به فى قلبها وركضت الى غرفتها وهى تبكى بحرقة .. ثوانٍ وأتى مراد واخذهم وذهب ، اما هى فبدلت ملابسها وأخذت حقيبة ملابسها الصغيرة وغادرت المنزل فورًا وعندما حاول الحُراس منهم تحولت الى وحش كاسر فأفسحوا لها الطريق ... عادت مُجددًا الى التجول فى الطرقات وليس معها شئ سوى حقيبة ملابسها ، دموعها تسيل على وجنتيها بصمت ، ظلت تسير فى الطرقات وهى لا تعرف الى اين تأخذها قدماها ومع سدول الظلان واعتكار الليل وأشتداد البرد كانت لا تشعر بأى شئ فقط تفكر فى طريقة تدبر بها تلك الليلة من حيثُ طعام ومكان تنام به ، حققت الايام جميع مخاوفها لها لم يبقى شئ ولم تفقده او تذوقته ، جميعهم مذاقهم مرًا ولكن منهم من كان دواء لامراض كثيرة فيها ومنهم من سبب لها المرض ، توقفت فجأة عندما شعرت بضيق نفسها ثوانٍ محدودة ولم تتمكن من أخذ نفسها فجثت على الارض وبدأت تفتش فى الحقيبة على دواءها فلم تجده ، أستسلمت تلك المرة فأستندت على الحائط وهو تعافر فى ألتقاط بعض الاكسجين حتى بدأت تفقد وعيها تدريجيًا .....

***

كان الجميع مجتمع داخل المستشفى منتظرين استعادة وعيها ولم تتوقف أشجان وسارة عن البكاء فأقترب منهم ريان هاتفًا بنظرات حادة :

_ امى كفاية بكى عاد مش الدكتور عمل العملية وهو كويس ، لازم يتحط فى العناية المشددة علشان يبقى تحت العناية الخاصة

: صاحت أشجان به فى جنون وعدم وعى لما تقوله

_ انت هتسيب اللى عمل كده فى ابوك وتقعد ساكت

: تأفف بخنق وهو يهمس بنبرة تحمل فى طيأتها الوعيد

_ هسيبه فعلاً بس بعد ما أخد روحه بأيدى

: خرج صوت ليلى الغاضب الذى لا يخل من اللؤم الدفين

_ اللى عمل كده كلنا عارفينه كويس اووى !

أستقرت نظرة مراد على امه عندما فهم مقصدها نظرة منزعجة ، فهمت هى من نظرته انه يأمرها بالصمت بينما ريان فمسح على شعره بزمجرة واضحة وهو يهمس بصلابة :

_ الشخص اللى بتتكلمى عنه يامرات عمى ميقدرش يأذى قطة هيحاول يقتل !؟

أنضم اليهم أسيد اخيرًا وهو يسير مسرعًا نحوهم حتى وصل لهم ووضع يده على كتف ريان هامسًا :

عامل ايه عمى يا ريان _

غمغم براحة بسيطة فى هدوء :

كويس الحمدلله بس فى العناية المشددة ادعيله يا أسيد _

ربنا يقومه بالسلامة يارب _

انحنى على أذنه ليهمس فى غضب عارم :

متقلقش عملت معاه الواجب وقاعد فى (....) ، بس مش مرتحله _ حاسس انه بيخطط لحاجة مش معقول الهدوء اللى هو فيه ده والراحة دى

همس ريان باسمًا :

استنى بس اروحله انا وهطير الراحة من عينه ! _

لوى فمه بأعتراض واضح وكأنه لم يعجبه كلامه ثُم سار ليقف فى أحد الاركان بعيدًا بسنتى مترات قليلة عنهم ، ساندًا رأسه على الحائط خلفه

ويرفع قدم عن الارض ليسندها على الحائط ايضًا عاقدًا ذراعيه امام صدره ، وسرعان ماخطرت على ذهنه عندما أغمض عينه تلك اللحظة التى كان يقف هكذا منتظر خروج الطبيب ليبشره بسلامة زوجته وقدوم صغيره على الحياة ، متذكرًا كيف كانت حالته فى تلك اللحظة كيف كان يحاول الصمود على قدميه بصعوبة حتمًا أن كانت أتت عاصفة أخرى كانت ستهوى به الى الهاوية.....

أنتفض جسده عندما سمع صوت رنين هاتفه فى جيبه فأنتصب فى وقفته واجاب قائلاً :

الو مين معايا ؟ _

خرج صوت رجل يبدو شيخًا قدى فُنى وهو حى :

ايوة ده رقم أسيد الصاوى _

اجابه أسيد بترقب فى أستغراب :

ايوة انا مين انت ؟ _!

فى بنت شابة اكيد انت تعرفها يابنى لقيتها واقعة فى الشارع ومعاها شنطة جبتها على المستشفى ولما دورت فى التلفون بتاعها كان انت اخر رقم تكلمه وفى البطاقة بتعتها مكتوب اسمها ملاك _

: هتف أسيد فى دهشة وقلق شديد

!طيب قولى مستشفى ايه بسرعة؟ _

اخبره بعنوانها فهم بالتحرك على عجالة من امره لولا ليلى التى قالت فى : فزع

مين فى المستشفى يا أسيد ؟ _

: أسيد بنظرة نارية تنم عن نفس غاضة

! هنبقى نتكلم فى البيت يا امى عن الموضوع ده _

: اوقفه ريان قبل أن يرحل وهو يرمقه بنظرات دقيقة هامسًا

!ملاك هى اللى فى المستشفى صح ؟ _

: بخفوت ونبرة رزينة اجابه قائلاً

ايوة متقلقش هطمن عليها واطمنك خليك انت هنا علشان لو عمى فاق _ تكون جمبه

: اماء له بعبوس شديد فى خنق مجيبًا بنبرة متهمة

استغفر الله العظيم ، ماشى يا أسيد ابقى طمنى بالله عليك لاحسن انا _
مش حامل توتر اعصاب تانى

رتب على كتفه بنظرة دافئة وأنطلق الى خارج المستشفى
..... مهرولاً

***

ساعات محدودة وكان يقف بسيارته امام باب المستشفى ليترجل منها ويقود خطواته السريعة نحو الداخلة متجهًا الى الطابق التى تكمن به بعد أن سأل عن اسمها فى " الاستقبال " .. وضع يده على المقبض وهم بفتح الباب فوجد الطبيب يخرج من الداخل فوقف يتحدث معه كالاتى :

خير يادكتور طمنى ، انا ابن خالها _

بلطف جلى وإبتسامة مشرقة ممتزجة ببعض المزاح :

اهدى طيب مفيش حاجة تستدعى القلق ده كله ، هى كويسة اوى _
الحمدلله هو حصل معاها كده بس لانها اهملت فى علاجها ومكنش معاها وقت الازمة

فغر مُقلتيه بذهول وهو يجيبه بعدم فهم وأستيعاب :

أزمة ايه بظبط يادكتور معلش فهمنى _

: تحولت نبرة الطبيب الى الجدية وبعض الحزن

واضح انك متعرفش ، هى عندها مشاكل بسيطة فى القلب وبسببها _ بيجليها ضيق تنفس حاد بيأدى للاغماء انا معرفش لو هى متابعة مع دكتور مقالهاش تعمل عملية ليه لانها حاجة بسيطة لو عمليه هتنهى عليها خالص ومش هتكون خطرة وممكن يكون الدكتور قالها وهى رفضت

: أغمض عينه بتأثر على تلك المسكينة وهو يتأفف بخنق مجيبًا

تمام يادكتور شكرًا ، كده كده انا هاخدها عند دكتور تانى ولو قالها فى _ عمليه او حاجة هخليها تعملها

تمام جدا ، الف سلامة عليها _

ودعه بإبتسامة شبه متصنعة وفتح الباب ليدلف لها ، كانت مستلقية فى فراشها نائمة كالملاك قد بدأ يظهر على وجهها الشحوب مُجددًا ، جذب أحد المقاعد وجلس امامها يتفحص ملامح وجهها المرتخية وانفاسها شبه المنتظمة ! ، ملامحها بشرتها البيضاء شفتيها التى برغم حالتها لم تفقد

لونها الوردى الجميل ، لوهلة شعر بها زوجته لشدة تشابههم فى الشكل وبعض الصفات ، العناد ، الرقة ، تلك الإبتسامة التى كانت تجعله يرفرف جناحيه فى السماء عندما يراها على ثغر زوجته ، حساسيتها المفرطة تجاه اى شخص غريب كطفل صغير يخشى الاقتراب من الغرباء .... بدأت تحرك جفنيها تستعد للاستيقاظ وضعت يدها على قلبها وهى تصدر تأوها

: شديد فهتف هو بهلع

_ ملاك انتى كويسة ، ملاك ؟!

فتحت جزء بسيط من عيناها لترى صورته ضبابية وهى تلفظ انفاسها من بين شفتيها بصعوبة ، شعرت انها ستلفظ انفاسها الاخيرة فى تلك اللحظة وضعت يداها المرتجفة والباردة بشدة على يده هامسة بعدم وعى لم

: تلفظه

_ أسيد خليك جمبى ابوس ايدك

نظر الى يدها بدهشة بسيطة وسرعان ما وضع كفة يده الاخرى فوقها

: وهو يرتب عليها قائلاً بلطف جميل

_ انا جمبك ياملاك ، ثانية هروح انده الدكتور

ذهب وجلب الطبيب فوراً وبعد اجراء الفحص كانت هى تعود لتنفسها

: بطبيعية ليقول الطبيب باسمًا

هاا يا مدام ملاك بقيتى كويسة دلوقتى _

: بصوت ضعيف يكاد لا يخرج

الحمدلله يادكتور هو انا امتى اقدر اخرج ؟ _

مستعجلة كده ليه بس ، لو عايزة تخرجى مفيش مشكلة بس متهمليش _ علاجك ياريت وكمان تشوفى الدكتور اللى متابعة معاه لو قالك على عملية تعمليها بأقرب وقت ياريت لانك انتى شايفة وضعك ازاى

رأت نظرة أسيد لها التى تنم عن نفس غاضبة ومتضايقة فهتفت بتوتر

: بسيط

.....أن شاء الله يادكتور انت عارف العملية بتحتاج فـ _

: قاطعها بصرامة ونبرة رجولية وهو يجيب الطبيب

متقلقش يادكتور لو فى عمليه هتعملها فى أقرب وقت _

إبتسم الطبيب ثُم ودعهما وأنصرف ، فجلس هو على الاريكة الصغيرة وهو يحدق بها بنظرات قاتلة تحاول هى تفادى تلك النظرات المريبة

: بالنسبة لها فهتفت منفعلة قائلة

بتبصلى كده ليه مكنش قصدى على فكرة اخبى عليك انت وريان بس _ قولت ملوش لزمة اقولكم يعنى اذا كان جوزى كان بيدينى فلوس العلاج بالذل والاهانة وبيرميلى الفلوس فى وش فمرضتيش احس بالشفقة من ريان وخبيت الموضوع ده ، مفيش حد يعرف غيرى اساسًا

: صاح مُنفعلاً فى أستياء

وانتى بتشبهينا بال**** ده ياملاك ، الموضوع مفهوش شفقة ولا غيره _ ده موضوع مينفعش نتأخر فيه وكل ما نتأخر فيه هيكون فيه خطر على حياتك

: أشاحت بوجهها وهى تجيب بمرارة

ومين قالك اصلا انى فارقة معايا حياتى ، ده الموت راحة ولله ، على _ اى حال انا هشوف الدكتور وأن شاء الله ميقوليش فى عملية وحتى لو قالى مش .....

: مقاطعًا بنظرة نارية ارعبتها قليلاً

هتعمليها ياملاك غصب عنك وانا بنفسى هروح معاكى عند الدكتور _ علشان اتأكد ، لسا كمان استنى لما ريان يعرف انك خبيتى عنه حاجة زى

كده

: أعتدلت فى جلستها وهى تهتف بغضب فى نبرة محذرة

_ مش هيعرف يا أسيد ولو عرف صدقنى همشى ولا انت ولا هو هتعرفولى مكان ولا اى حد ، كفاية انت عرفت انا مكنتش عايزة اقول لحد اصلا لا ريان ولا زمردة ولا سارة هيعرفوا حاجة

: صمتت ثوانٍ وهو يقول بضجر

_ اممم همشى ، زى ماعملتى كده النهردا .. احنا متفقين ايه يا ملاك وامبارح كنا بنتكلم ومفيش حاجة طلع امتى موضوع المشيان ده فى دماغك ، امى وأسمى قالولك ايه ومن غير لف ودوران تقولى علطول

: بثبات تام فى شموخ اجابت

_ مقالوش حاجة انا مشيت وحدى محبيتش اقعد اكتر من كده والا ابقى ضيفة باردة يعنى مشيت من هناك برغبتى محدش قالى كلمة ولا قالى امشى ، واتمنى انك تفهم رغبتى فى انى مش عايزة ارجع تانى

: هب واقفًا وجذب المقعد لجلس مقابلها مباشرًا هامسًا بمكر

_ ملاك يمكن انتى كنتى بتقدرى تضحكى على ريان وتقنعيه بكلامك اللى

مش مقتنع اساسا ، بس انا مش ريان ومفيش كلمة من اللى قولتيها دخلت دماغى بس همثل انى صدقتك وهمشى على كلامك وهتفهم رغبتك .. بس فكرينى انا قولتلك ايه امبارح ، قولتلك أن انتى وزمردة وصية بابا مش كده يعنى متتوقعيش منى انى هسيبك تلفى فى الشوراع وانا موجود وكمان قولت انى دايما كنت معاكى انا وريان ومازالت معاكى ... مفهووووم الكلام !

حالة من السكون الجميل سادت بينهما ، نشبت داخلها روح تضج بالسعادة لم تنكر أنجذابها له منذ اول يوم دخلت فيه منزله ووقف بجانبها امام والدته .. لان الصمت بينهم حتى قطعه هو مُكملاً :

_ ودلوقتى لو مش عايزة تاجى البيت معايا تمام بس هتروحى تقعدى فى بيتى والافضل انك تشوفى زمردة تاجى تقعد معاكى علشان متقعديش وحدك ده غير انى هاخدك بكرة ونروح ننهى موضوع طلاقك ده وهتكونى فى شهور العدة يعنى لا هقدر اشوفك ولا اكلمك فلازم يكون فى حد معاكى علشان اكلمه واتعامل معاه

تمتمت بأستغراب بعد إن تفكرت مليًا :

_ أسيد هو ريان ميعرفش ان زمردة بنت عمه صح ؟

: اماء لها بإيجاب ثُم هب واقفًا وهو يمد يده لها قائلاً بودٍ

يلا قومى علشان نروح وبليل هجيلك ونروح للدكتور مفهووم _

امسكت بيده فساعدها على النهوض وهى تجيب له فى موافقة من دون مقاومة وقد تلونت وجنتيها ، حمل حقيبة ملابسها وسارت معه الى الخارج ، كانت تتبعه كقطة صغيرة تطلب الامان ! .....

***

..... فى مساء ذلك اليوم

اسرع الجميع الى ثروت عندما اخبرهم الطبيب انهم استعاد وعيه وتحسنت حالته ويستطيعوا الدخول لها ، هرولت أشجان وسارة اليهم كل واحدة من ناحية تحتضنه وهما يبكيان بشدة فخرج صوته ضعيف قائلاً بمرح :

حد قالكم انى مت بعّدى اكده انتى وهيا انا مش حامل صداع _

: إبتسم الجميع بعذوبة فأبتعدت عنه أشجان قائلة بضيق

اخص عليك يا ثروت بقى كده _

: أقترب منه ريان لينحنى ويبقبل يده قائلاً بحنو

حمدلله على سلامتك ياحج ، صدقنى ماهسيب اللى عمل كده يتهنى يوم واحد فى حياته _

: ثروت بهدوء وصوت خافت

سيبك دلوك من الكلام ده ياولدى انا زين الحمدلله ، انا عارف اللى عمل كده اختارنى انا بذات ليه _

: صاحت أشجان بغضب عارم

حسبى الله ونعم الوكيل فى اللى عمل كده _

: أقترب منه محمد وقال بدفء

حمدلله على سلامتك ياولدى _

الله يسلمك يا ابوى _

سادت الاحدايث بينهم والمزاح والمرح الى مايقارب ربع ساعة حتى أبتعد ريان عن حشدهم بل غادر الغُرفة بأكملها ليخرج هاتفه ويجرى أتصال با

: أسيد ليجيبه قائلاً

_ الو يا ريان طمنى عمى فاق ؟

_ فاق الحمدلله متقلقش يخير ، هو ده اللى هطمنك يا أسيد انا قاعد من الصبح على اعصابى مالها ملاك طمنى

: نظر أسيد بجوراه لها فأشارت له بحزم أن لا يقول شئ فأردف بجدية

_ مفيش حاجة تعبت شوية والدكتور قالها انيميا ومبتهتمش بصحتها اليومين دول ، معرفتش اكلمك لانى بعد ما روحلتها كان معايا كام حاجة خلصتها ونسيت خالص ، انا هخلص حاجة كده وهاجى البلد عند عمى ونتكلم على رواقة

: همس بخفوت فى أرتياح

_ طاب الحمدلله كنت قلقان عليها ، اول ما افضى هكملها واطمن عليها ، يلا مستنيك سلام !

: انهى الاتصال معه ثُم نظر لها وهتف بزمجرة مزيفة

_ ادينى كدبت علشانك ياهانم ياريت بس يطمر وتبطلى عند

: افترت شفتاها عن إبتسامة جميلة وهى تقول برقة ممزوجة بمرح

!!! لا دى كدبة بيضة ، ربنا يجعلها فى ميزان سيئاتك _

: تجلجل المكان بضحكته الرجولية وهو يهتف من بين ضحكاته

طاب قومى ياختى يلا شوفى لو فى حاجة نقصاكى علشان نمشى _

لاحسن نتأخر على الدكتور

: بوجه مشرق وثبت واقفة وهى تقول بصوت رقيق

حاضر ثانية هاخد شنطتى واجى _

ثوانٍ وكانت امامها وهى جاهزة تمامًا ففتح الباب وتبعته هى للخارج

..... وصعدا بالسيارة ثُم رحلا

***

فى صباح اليوم التالى ، يوم مشرق اخيرًا شعرت ملاك أن الشمس

ستظهر عن جزء من شعاعها بطلاقها اليوم من ذلك الحيوان الذى لا

..... يمتلك فى قلبه ذرة رحمة

كانت تجلس هى وكلٌ من زمردة فى مكتب المأذون منتظرين قدوم أسيد

وريان بصحبة أكرم واخيرًا أتوا فصدمت ملاك من منظره فى كل جزء من وجهه يوجد بقعة حمراء أثر الضرب التى تعرض له على يد أسيد ورجاله ، توجه وجلس امامها وهو يرمقها شرزًا متوعدًا لها شعرت ببعض الخوف ولكن أطمئنت عندما تذكرت وجود أسيد وريان معها وانه لا يستطيع أذيتها بوجودهم فأظهرت القوة والثبات امامه .. اما المأذون فهتف بدهشة :

_ ايه اللى عمل فيك كده بس يابنى ؟!

نظر الى أسيد الذى كانت نظراته كالصقر الحاد أنزلت الرعب فى قلبه فهتف بغضب :

_ لا دى مشكلة كبيرة حصلت وولاد الحرام عملوا كده ، مش يلا نبدأ بأجراءات الطلاق

وكعادة اى مأذون حاول فى البداية أن يردهم عن قرارهم بتذكيرهم أن الطلاق يهتز لعرشه الرحمن وأن أبغض الحلال عند الله الطلاق غيرها من النصائح فهتف ريان بشئ من الانفعال :

_ متتعبش نفسك مفيش حد فيهم هيتراجع عن الطلاق

تتفس الصعداء بيأس ثُم بدأ بأجراءات الطلاق التى أنتهت بسماع ذلك

الوغد وهو يلقى على مسامعها " يمين الطلاق " كانت فى أشد سعادتها تلك اللحظة ونظرت الى زمردة وهى تتنهد بأرتياح وسعادة واضحة فى عيناها ثُم نهضوا جميعًا وغادروا المكتب فنظر أكرم لها وهتف منذرًا : لسا حسابنا مخلصش ياملاك وهدفعك تمن اللى عملتيه ده وابقى قولى لى أكرم قال _

تصدر له ريان وهو يتشدق بصوت رجولى مخيف :

ده جرب كده وشوف ايه اللى هيحصلك ؟ _!

سحبه أسيد من يده بهدوء وهو يغمغم مبتسمًا بخبث :

سيبه يا ريان هو عارف كويس هيحصله ايه لو فكر يعمل حاجة من اللى بيقولها لانه مظنش انه هينسى اللى حصله فى المخزن ، صراحة انا هكون مستمتع جدا لو كررتها تانى ولا انت ايه رأيك ؟ _

قال اخر جملاته وهو يغمز لها بلؤم شبه ضاحكًا فأشتعل فعيل نيرانه وهو ينصرف فورًا و يتوعد لهم جميعًا ، التفت ريان الى ملاك ليهمس بنظرة عاشقة :

وعدتك انى هخلصك منه وادينى وفيت ياملاك _

: برقة طاغية همست

_ ده العادى عليك ياريان علشان كده كنت مرتاحة

كان يتابع أسيد حديثهم مُبتسمًا ثُم أقترب من ملاك وهو يطلب منها القدوم معه بعيدًا عنهم قليلاً فلبت طلبه وأبتعدوا عن مسمعهم وهو يقول بنبرة لا تقبل النقاش :

_ انتى سمعتى الدكتور قال ايه امبارح صح ، لغاية ماتخلصى شهور العدة هتحافظى على علاجك ياملاك فاهمة علشان بعد ماتخلص نروح للدكتور ونحدد معاد العملية

: بعينان تبتسمان من الداخل لسعادتها وهى تهمس بإيجاب

_ حاضر بس مش هو قالى اعمل تحليل واودهوله النهردا !؟

: مسح على شعره وهو يردف بتأسف

_ اممم تصدقى نسيت الموضوع ده ، طاب يلا هنروح دلوقتى وهخلى ريان يوصل زمردة للبيت وبعد كده انا ارجعك البيت علشان تبدأى العدة

كانت نظرة ريان لهم مشتعلة عيناه تكاد تخرج النيران منها ، فقد تأججت نيران الغيرة داخله لاحظت زمردة ذلك فأبتسمت بمكر ولكن اختفت

إبتسامتها فورًا عندما رأت نظرته النارية لها فتصنعت انها لا تراه وهى تحدق بالسماء بأضطراب جلى ، أرغمت اياه على الابتسام وهو يتعجب على تلك الفتاة البلهاء التى تعتقد انها كذلك ستهرب بما فعلته

: أقترب أسيد من منه لينحنى نحو اذنه ويهمس بخشونة

ريان خد زمردة ووصلها للبيت وانا وملاك هنروح مشوار سريع _ وناجى وراكم

: بغيرة مدمرة وأغتياظ ممزوج بالانفعال

مشوار ايه اللى مينفعش تتكلموا قدامنا فيه ، ايه هو سرى للدرجة دى _ يا أسيد بيه

: بأقتضاب اجابه محتجًا

اهاا سرى ياريان اعمل اللى قولتلك عليه يا ابن العم يلا من غير _ عصبية هاا

***

كانت سارة تقف خارج غُرفة والدها تتحدث عبر الهاتف مع أحد اصدقائها وتشرح لها ما حدث بخصوص حادثة والدها والأسى يستحوذ عليها فرأت

مراد يخرج من الغُرفة ليقع نظره عليها ، ويرمقها متغطرسًا عندما أعتقد انها تتحدث مع ذلك الشاب فأنهت الاتصال مع صديقتها فورًا وركضت خلفه وهى تنادى عليه ، فتوقف والتفت لها ليهمس بجفاء : خير ياسارة !!؟ _

أنزوت نظرها عنه هامسة بتوضيح :

انا مكنتش بكلم على فكرة اسلام دى وحدة صحبتى ! _

رأت شبح إبتسامة مستنكرة على ثغره وهو يقول بعدم اهتمام :

اولاً انا مسألتكيش بتكلمى مين ، ثانيًا دى حاجة متخصنيش اذا كنتى بتكلميه او لا _

غامت عيناها بالعبرات وهى تتمتم معتذرة :

مراد بالله عليك بلاش اللى بتعمله ده ، ثُم انى قطعت علاقتى بيه خلاص ومكنش قصدى انى اعمل حاجة غلط انا بس قولت أن كلامنا على الفون هيبقى مؤقتًا لغاية مياجى يتقدملى وتبقى فى حاجة رسمى _

غلبه الوجوم وهو يحدج بها بصمت مرير ذلك الصمت احدث فى نفسها ضجيجًا حيث جعل شجونها تهيج من جديد عندما طفق يقول بقسوة :

مؤقتًا مش مؤقتًا انا مليش دعوة ياسارة انا مش اخوكى ولا ابوكى _ علشان احاسبك ، والافضل انك تمشى دلوقتى ومتتكلميش فى الموضوع ده لان لو حد طلع وسمعك هتكونى فى موقف انا مش هقدر اعملك فيه حاجة

قال كلمته الاخيرة وهو يستدير ويرحل ، فتتصلب هى بأرضها وتسلط نظرها عليه وهو يغادر بأعين منطفئة ، نخر الحزن قلبها بلا هوادة نظرة عدم الثقة وتخييب الامال الذى فى عينه تمزق قلبها اربًا بلا رحمة .....

***

خرج مروان باحثًا عن أسمى فى حديقة المستشفى ، توقف لحظات يقلب نظره بين الجالسين فلم يجدها من ضمنهم .. فأخرج هاتفه وحاول الاتصال بها ولكن كان هاتفها خارج التغطية ! ، شعر بنغزة بسيطة فى قلبه لا يعرف سببها فأنطلق كالمجنون يبحث عنها بكل قطعة فى المستشفى ، وكأن قدماه ألتصقت بغراة فى الارض عندما رأها فاقدة الوعى ويحملها رجل ، ليدخل بها سيارة كبيرة .. فضربت أشارات الإنظار فى عقله ليصرخ بصوت رجولى هادر قائلاً :

أسمى _

ركض نحوها محاولاً اللحاق بها ولكن كان ذلك الرجل يضعها بالسيارة

..... وينطلق بها بسرعة البرق

الفصل الثامن

ركض نحوها محاولاً اللحاق بها ولكن كان ذلك الرجل يضعها بالسيارة وينطلق بها بسرعة البرق .....

: أستقل بسيارته مسرعًا واجرى أتصال بأسيد فاجابه بهدوء تام

_ ايوة يامروان عامل ايه ؟

: خرج صوته اللاهث والذى لا ينم عن خير ابدًا

_ أسمى اتخطفت يا أسيد !

: هب واقفًا ثائرًا وهو يهتف فى شبه صيحة

_ اييه !! ، اتخطفت ازاى وكانت فين ؟

: مروان بأرتيعاد جلى وقلق

_ معرفش يا أسيد كانت فى المستشفى انا بحاول الحق العربية اللى خطفاها دى !

أنهى الاتصال فورًا معه ونظر الى ملاك التى كانت تثبت نظرها عليه

: بأهتمام لتتأكد عندما يقول أن اسمى اختطفت لتغمغم بخشوع فى حنان

روح يا أسيد شوف اختك متقلقش عليا انا هروح البيت وراك علطول _

: فى نبرة محذرة وحزم تشدق

متتحركيش من هنا لوحدك انا هبعتلك السواق ياجى ياخدك فاهمة _ ياملاك

اماءت له بموافقة ونظرة مطيعة فهرول هو مسرعًا الى الخارج بعد أن ادرك ماسيفعله جيدًا ، تاركًا اياها تحدق على آثره بشرود بدأت تشفق عليه بالفعل ، شعور ينمو بداخلها كأنه بذرة القت فى تربة خصبة تجعل تلك الشجر تنمو وتثمر بسرعة ، باتت تشعر بالخطر لمجرد قربه منها ، اصبحت عيناها تتحدث بالنيابة عنها فى وجوده وكأن الكلمات تخرج وحدها عندما تراه ، ذلك الشعور يقتلها فى الثانية الف مرة ... نفضت تلك الافكار عن عقلها بصعوبة ثُم جلست على أحد المقاعد منتظرة قدوم السائق كما امرها .....

***

ترجل أسيد من سيارته وقاد خطواته نحو ذلك المكان كالأسد الذى ينتظر الانقضاض على فريسته بفارغ الصبر حتى ينال منها ويشبع جوعه وتعطشه ، توقفت سيارة مروان وترجل الاخير لاحقًا به بعد أن اخبره

أسيد بأن يلحقه ولا يهلك نفسه بملاحقة تلك السيارة .. فتح الباب على مصراعيه ليتجه تجاه معتز المكبل على أحد المقاعد ويحدقه ضاحكًا بخبث ، أغار عليه كالوحش الهائج الذى لا يرى امامه شئ وهو يبرحه ضربًا ، وقف مروان يتابعه بصمت فى بداية الامر ولكن عندما أزداد الامر خطورة فأقترب منه وحاول ابعاده عنه فدفع يده بوحشية ليقبض على عنقه خانقًا : ذلك الوغد وهو يصرخ به بصوت لا يحمل اى شئ يدل على المزاح

_ ورب العزة يامعتز الكلب لو ما نطقت وقولت أسمى فين لاخد روحك بأيدى دلوقتى وانت جربتنى قبل كده كتير وعارف انى مش بهزر

تغير لون وجهه من كتمان انفاسه حتى كاد يلفظ انفاسه الاخيرة بالفعل : لولا مروان الذى أزاح يد أسيد صارخًا به بحدة

_ أسيد بلاش جنان موته مش هيفدنا بحاجة سيبه خليه يعرف يتكلم ، اخلص اتكلم أسمى فين؟

سعل بقوة وهو يحدق بهم بصمت لئيم ، ذلك الحيوان يلعب على أوتار اعصابهم بمهارة فصرخ به بصوت جهورى تأجج فى المكان : واضح انك مش هامك تموت او تعيش صح انا حذرتك بس شكلك

_ فاكرنى بهدد بس

أشار له بيده أن يتوقف قبل أن يقترب منه وهو يقول بمكر فى نبرة فظة :

_ هقولك مكان أسمى بس عندى شرط ، هتخليهم يسبونى امشى والا اختك يا اما مش هتشوفها تانى يا اما هترجع مفيش امل منها أظن فهمتنى !!

تلك اللحظة لم يستطع مروان حجب نفسه عنه بعد أخر جملة نطقها فهجم عليه وهو يكمل ما بدأه أسيد حتى يصرخ به بنبرة تحمل فى طيأتها الوعيد :

_ أقسم بالله لو حد لمس شعرة وحدة منها ما هيكفينى فيك عيلتك كلها

أنحى أسيد بجزعة للامام متمتمًا بنظرات مخيفة :

_ تمام هسيبك وهتاجى معانا تورينا مكانها بس اوعى عقلك الغبى ده يُهيئ لك انك هتقدر تضحك علينا ولو اى حركة منك كده او كده هتكون ميت فى أرضك واختى انا هعرف اوصلها ازاى

إبتسم له بخبث وهو يومئ اماءة خفيفة بموافقة على الاتفاق .....

***

عادت ملاك الى المنزل ففتحت لها زمردة وهى تستقبلها بحماس قائلة :

بمكر

_ ايه ياسندريلا موصلكيش أسيد بيه ليه !

بوجه عابس اجابتها وهى تتجه لتجلس على أحد المقاعد قائلة :

_ جاله تلفون من مروان وقاله أن أسمى اتخطفت فأضطرا يسبنى وبعتنى مع السواق ، تعرفى برغم من أن أسمى مبتحبنيش وشكلى هشوف منها بلاوى لسا بس الصراحة ادايقت عليها جدًا والله يازمردة

رتبت على كتفها بنعومة قائلة :

_ ان شاء الله هيلاقيها وترجع سالمة ، ابقى شوية كده اتصلى بيه واسأليه عملوا ايه

هزت رأسها نافية وهى تقول بمرارة فى حزن :

_ للاسف مش هقدر اكلمه ولا اشوفه خلاص لغاية ماتخلص العدة هبدأ العدة من دلوقتى انا هتصلك بيه شوية واخليكى انتى تكلميه وتقوليوا انى قلقت وتعرفى منه اذا كانت أسمى كويسة ولا لا

: رفعت حاجبها بلؤم هامسة فى نبرة شبه مرحة

شايفة انك اخدتى على أسيد ده اوى ياملاك ، مش مرتحالك والله ، ايه _

! مش قادرة تقعدى من غير ماتكلميه ولا تشوفيه لغاية ماتخلص العدة

رمقتها بتوتر جلى وقد تحول وجهها الى الوان الطيف فجأة وهى تنهض

: لتقول بأضطراب

انا هروح اغير هدومى _

..... ! أبتسمت لها بحنو فقد أستطاعت فهمها بسهولة

***

لم يتمكن احدًا من اقافة نواحها وبكائها على ابنتها حيث كان كُل من ريان

: ومراد وسارة بجوراها رتبت سارة على ظهرها بحنو هامسة

اهدى يامرات عمى أسيد ومروان راحوا يجبوها _

: صاحت بها كالمجنونة

! لا انا مش هطمن غير لما اشوفها قدام عينى _

: إخرج ريان الكلمات من حلقه صلبة كالصخر قائلاً

متقلقيش أسيد عارف هيعمل ايه كويس وكلها ساعة وهتلاقى أسمى _
قصادك يامرات عمى

كان مراد يقف كالجماد يحدق بهم جميعًا يتابع حديثهم ، وعيناه مشتعلة كجمرتين من النيران وبالاخص يثبت شعاع عينه على ريان وبعد ماقاله : اندفع نحوه وجذبه من ذراعه هامسًا بنبرة رجولية ضجرة

هتفهمنى فى ايه دلوقتى ياريان ومخلتنيش اروح ورا أسيد ليه ، و اللى _
عمل كده فى عمى هو اللى خطف أسمى صح

: زم شفتيه بضيق وهو يجيبه برزانة

ايوة ياريان معتز عمل كده ، واحنا مسكناه وكنا رابطينه فى المحزن _
لغاية مانشوف هنعمل معاه ايه بعد اللى عمله مع بابا بس طلع **** خطف أسمى وابتذ بيها أسيد انه يسيبه ويقوله على مكانها والا هيقتلها يا .....

: كان يصغى له بأهتمام شديد وعندما تقوف هتف بترقب

! يا ايه ياريان انطق متختبرش صبرى _

: أخفض نظره ارضًا وهو يهمس بخنق واضح

يا خيخلى رجالاته يعتدوا عليها ، وطبعًا أسيد مكنش قدامه حل غير انه يسيبه _

ضرب بقبضة يده على الحائط وهو يزأر زئيرًا داخليًا ليسحب نفسه وينطلق مغادرًا وهو يكاد ينفجر فى من يراه امامه فصاحت ليلى منادية عليه فلم يعيرها اهتمام ، نظرت الى ريان وهتفت :

قولتله ايه ياريان ؟ _!

زفر بغضب هادر ولم يجيبها بينما أندفع هو الاخر لاحقًا بذلك البركان الذى على وشك الانفجار وتدمير الاخضر واليابس .....

***

كانت أشجان تجلس بجوار زوجها ومحمد الصاوى الذى كانوا يتحدثون حول أمر أسمى وهما على أتصال مستمر مع مروان ، وجدت هاتفها يصدر رنينه فنظرت الى المتصل فأضطرب وجهها قليلاً ثُم نهضت من جوراهم واتجهت نحو غرفتها وهى تتلفت حولها خشية من أن احد يسمعها او يراها ، ثُم دخلت الى الغرفة واغلقت الباب لتجيب قائلة :

ايوة عملت ايه ؟ _!

البنت اللى قولتى عليها قاعدة فى (.....) ياهانم وقاعدة معاها بنت خالها _

: ظهرت قمسات الدهشة على وجهها وهى تهتف بتعجب

!بنت خالها مين دى اسمها ايه ؟ _

اسمها زمردة تقريبًا امها ماتت من سنتين _

أنهت الاتصال معه وهى تحملق فى اللاشئ امامها بذهول ، وتتساءل ابنة !!..... من زمردة تلك ياترى ايعقل أن تكون ابنة عزت

***

اصطحبهم معتز الى المكان الذى يخبأ به أسمى ، كان أشبه بأحد الاماكن !!..... الذى مر عليه قرون منظره يثير الاشمئزاز حقًا

فتح الباب فوجدوا أسمى مكبلة على الارض من قدميها ويداها وتطرق رأسها أرضًا فقدت قدرتها على الصريخ والاستغاثة بأحد لينقذها ، بدت خائفة بل مرتعبة هيئتها جعلت الزعر يأخذ طريقه الى قلب اخيها ومروان ، حجابها زحف للخلف ليظهر عن جزء من شعرها الاسود الحريرى وملابسها غير مهندمة ، أشتعلت نيران مروان ليجذبه من ملابسه وهو

: يصرخ به بصوت جهورى

!ده انا هشرب من دمك دلوقتى انطق رجالتك عملوا فيها ايه ؟ _

هرول أسيد نحو شقيقته ليمسك بوجهها يهزه بخفة محاولاً افاقتها وهو

: يقول بهلع بسيط

أسمى ياحبيبتى انتى سمعانى _

فتحت عيناها بضعف لترفع رأسها نحوه ويخرج صوتها المبحوح وهى

: تبتسم بسعادة

أسيد _

حاوط رأسها بيده القوية ليضمها الى صدره ، لتنفجر هى باكية بشدة حتى

: تسمع صوته يقول

حد قربلك يا أسمى قولى ياحبيبتى _

: هزت رأسها نافية وهى تهتف ببكاء حار

انا كويسة يا أسيد خدنى من هنا ابوس ايدك _

ابعدها عنه وبدأ بحل الحبال عن يدها وقدميها ليساعدها على النهوض

ويعدل من حجابها ويلف ذراعيه حول كتفها ضامًا اياها الى احضانه وهو يسير بجوراها ليتوقف امام معتز ويتركها ، محملقًا به بنظرة متقدة كلها ذكاء ليقترب ويهمس بجانب اذنه قريب لفحيح الافعى :

_ حسابك تقل اوى معايا يل ابن سيف الدين بداية من اللى عملته مع مريم وحتى النهردا

صمت لثانية ثم عاود يلفظ الكلمات من بين شفتيه ببطء :

_ أسيد الصاوى ميتهددش ، النهردا وافقت على شرطك علشان احمى أسمى مش اكتر ، لسا متعرفش يعنى ايه أسيد يحط حد فى دماغه وانا حطيتك خلاص ، بتلعب مع الشخص الغلط صدقنى لانك فى النهاية هتطلع خسران بس خسران حياتك ، هدفعك تمن عمايلك واحدة واحدة ونصيحة منى اببى لما تنام بليل خلى عينك مفتوحة لان ممكن تلاقينى فى اى لحظة جيت واخدت روحك هبقى واحد من مخاوفك يامعتز

كان مروان يقف يحدق به مبتسمًا بلؤم ليقترب هو الاخر منه هامسًا بخبث بعد أن اخذ أسيد أسمى وهى مسلطة نظرها على معتز بعتاب وخيبة أمل لم تعهدها من قبل حتى قبل أن يفعله اليوم كانت تدافع عنه :

_ اللعبة مخلصتش لا دى لسا هتبدأ ، واضح أن السحر انقلب على الساحر ، أبدأ عد عدك التنازلى من اللحظة دى !

: ثُم يغادر خلفهم ليجد أسيد يقول له بخشونة

مروان خد أسمى وصلها البيت وانا معايا مشوار هخلصه واجى واركم _

: تنهد بعمق ليقترب ويهمس بجانب اذنه فى جدية

أسيد بلاش جنان هاا متتهورش وتعمل حاجة تندم عليها بعد كده _

رتب على كتفه بنظرة دافئة مبتسمًا يطمئنه ثُم ضم أسمى ومرر يده على ظهرها وقبل جبينها ليشير لها بعينه أن تذهب بصحبة مروان ، فتحدقه بأعين متوسلة يعلم تلك النظرة جيدًا فقابلها برزانة وهو يتجه نحو سيارته وينطلق بها لتستدير هى وتتحرك نحو سيارة مروان وتصعد بها بجوراه

: وهى تبكى بحرقة فهتف مروان بقلق

مالك يا أسمى ، انتى كويسة مش كده ؟ _

اماءت برأسها فى إيجاب بعد أن كفكفت دموعها وهمست بصوت مزقه الخزن وأعين تهيمان بالدموع :

كويسة يامروان الحمدلله ، من جهة مش مصدقة أن معتز يعمل فيا كده _ ويستغلنى وانه ازاى ضحك عليا واقنعنى انه بيحبنى وبعد ما عملنا الخطوبة وكنا خلاص هنعمل الفرح اكتشفنا حقيقته ، ومن جهة خايفة

على أسيد هو غضبه وحش ومش عايزاه يبقى قريب من معتز بأى شكل من الاشكال لانه ممكن يأذيه

: بصوت يقطر حنانًا ورقة همس

قولى الحمدلله أن ربنا كشفه قبل ما يفوت الاوان ، وأسيد متخافيش _ عليه يمكن يكون متهور شوية بس مش بيعمل اى حاجة غير لما يحسبلها الف حساب ... يلا امسحى دموعك عاد

جففت عبراتها بعد أن اعطاها منديلاً ورقيًا ومع زجاجة ماء لتشرب وتبل حلقها الجاف ثُم ينطلق بالسيارة عائدًا الى المنزل.....!!

***

: اجاب أسيد على الهاتف ليقابل ثوران اخيه البرمانى وهو يصيح

مبتردش ليه يا أسيد _ !

: قابله ببرود تام قائلاً

أسمى جاية فى الطريق مع مروان وكويسة متقلقوش وانا ورايا مشوار وهاجى وراهم _

لم يمهله الاجابة فأغلق الاتصال والقى بالهاتف على المقعد بجوراه واستكمل طريقه ، داخله نيران هامدة تتوهج كلما تذكر مافعله ذلك الوغد تأكل جسده من الداخل كالمرض الذى ينتشر فى جميع اجزاء الجسم ..... ليقضى عليه شئ فشيًا

***

كانا يجلسان امام التلفاز يشاهدون أحد الافلام وبيدهم صحن ممتلئ بـ (الفشار) لتهتف زمردة بفضول فى حيرة :

الا قوليلى موضوع ايه ده اللى اخدك أسيد فيه على جمب واتكلمتوا فيه _

ارتبكت قليلاً وهى تقول لها بتلعثم :

هاا ، لا عادى بيقولى لو احتجتى حاجة اتصلى بيا وقوليلى وبيقولى انه هياجى ياخدنى بعد شهور العدة علشان اروح اقعد عندهم _

أعتدلت فى جلستها لتصبح مقابلة لها وتقول بمكر :

ملاك متكدبيش عليا لانك اصلا مبتعرفيش تكدبى ومكشوفة اوى ، قولى اخلصى قالك ايه _

: بأرتباك أشد وتوتر اجابت وهى تشيح بنظرها عنها

وانا هكدب ليه يعنى يازمردة قالى كده ولو مش مصدقانى ابقى اسأليه !؟ _

: اطالت النظر اليها فى نظرات شائكة وهى تضيق عينها ثُم تطفق بمرح

ماشى ياملاك ، المهم انتى مشوفتيش ريان كان بيبصلكم ازاى حتة وكان هيولع فى أسيد والله وانا لما شفته كده ابتسمت راح بصلى بنظرة ياساتر قمت انا علطول عملت نفسى مش شيفاه وقعدت ابص واتأمل فى السما بس منظرى كان مسخرة وربنا كل ما افتكره اضحك _

: بادلتها الضحك وهى تقول من بين ضحكاتها

! تستاهلى وانتى تضحكى ليه اصلا ياباردة _

: بلهجة صارمة تحمل فى داخلها اللؤم

بضحك لانى فهمته من نظرة وحدة وانتى حمارة بيكلمك علطول ويقعد معاكى ومفهمتيش حاجة ، وعارفة هتقولى ايه دلوقتى هتقولى قصدك ايه يعنى ! ، هقولك قصدى ياغبية أن ريان بيعشقك مش بيحبك _

هزت رأسها بحركة نافية وهى تلتقط من الصحن وتضع فى فمها قائلة

: بعدم اقتناع

بيحبنى ايه انتى عبيطة يابت ، ريان بيعتبرنى زى سارة وانا كذلك يعنى _

! مفيش الكلام ده

التقطت الاخرى ايضًا من الصحن والقته فى فمها هاتفة بسخرية فى

: غيظ

مش بقولك حمارة ، اسكتى خالص كده ياملاك انا مش ناقصة فقعة _

مرارة

***

ترجلت من السيارة بصحبته امام المنزل وهو يطالعها مُبتسمًا بحنو ، سارت نحو الداخل بخطواط بطيئة مازالت الصدمة مسيطرة عليها والخوف يتملكها ولكن بمجرد ما رأت مراد اسرعت نحوه لترتمى داخل احضانه ، تحتمى به فليس لديها احد تحتمى به سوى اخوتها .. شدد من

: عناقها وهو يقبل رأسها بأرتياح هاتفًا

! أسمى انتى كويسة ياقلبى _

هزت رأسها بإيجاب لتجد ليلى تهرول فى خطواتها تكاد تركض لتعانق

: ابنتها وهى تهتف باكية

_ أسمى حبيبتى كنت هتجن من الخوف عليكى يابنتى انتى كويسة !

كانت لا تجيبهم فقط تكتفى بإيماء رأسها فى تأكيد سؤالهم لتنظر نحو مراد وتهتف باكية :

_ مراد روح ورا أسيد ابوس ايدك شوفه خايفة ليعمل حاجة مجنونة

نقل نظره بين الجميع فى دهشة وهم بالفعل أن يذهب ويتصل بأخيه يعرف موقعه عندما شعر بالقلق فأوقفه مروان بيده هاتفًا بهدوء رزين :

_ أقعد يامراد سيبه ممكن يكون راح مكان يرتاح شوية مظنش انه هيعمل حاجة ، أسيد مش غبى للدرجة دى .. اصبر ساعتين كده وهنتصل بيه ونشوفه هيكون هدى شوية

لوى مراد فمه بعد إن بدأ انه لا يقتنع بكلامه فأقترب منه ريان قائلاً بنفس نبرة مروان :

_ وانا رأى كده برضوا يامراد اهدى بس انتوا الاتنين متعصبين ولا انت هتعرف تهديه ولا هو

ضغط بقوة على قبضة يده وهو يصيح متوعدًا :

_ معتز ال ****** يوقع تحت ايدى وهشرب من دمه انا مش أسيد اللى

هكتفى بتعذبيه لا انا معنديش وقت هقتله فى لحظتها

:عادت مُجددًا تلك المدعوة بليلى لتقول بأمتعاض وأنفعال

كل ده من ورا عمايلك انت واخوك ، خليكم بتحموا الزفتة اللى اسمها _ ملاك دى اللى مشوفناش من وراها خير اذا كان اخوها كدف فهى هتكون ايه !

: صاح مراد كالجمرة المتوهجة بالنيران

امى سيبى البنت فى حالها لو سمحتى ، ومتتكلميش وانتى مش عارفة _ حاجة مش اى حاجة هتحصل هترمى بلاها على ملاك ، ايه دخلها هى باللى بيحصل مش كفاية اللى شافته واللى عاشته بسبب جدى وعمى وكلهم عارفين هى حصلها ايه كويس ومحدش قلبه حن عليها ، من النهردا اللى هيقول كلمة واحدة عن ملاك انا اللى هتصدرله مش أسيد

كانت عيناه الملتهبة كافية لتسلل الخوف الى قلب أسمى وليلى قليلاً ، حتمًا انه يحب ملاك ولكن لا شك انه حب اخوى يريد حمايتها كما يحمى شقيقته ، مراقبته لها هو وأسيد طوال السنين الماضية ومعرفة كل شئ عنها كان سبب كافى لجعلها يحبها من دون أن يعاشرها ..... !!

***

فتح خالد الباب ليتفاجئ بأسيد امامه انتابه شعور بالخوف قليلاً وشعر ببرودة فى أطراف اصابعه عندما رأها فهتف أسيد باسمًا :

_ ايه ياخالد هتيبسنى واقف على الباب كده ولا ايه !

أفسح له الطريق وهو يشير بيده أن يدخل ونظرات زائغة ، فدخل أسيد وأتخذ مقعدًا له على الاريكة وهو يتفحص المنزل هاتفًا بأستنكار :

_ ماشاء الله المكان ولا الكابريهات ، قال وبيدور على اخته ايه هيبجبها تعيش معاه فى المخروبة دى ، ولا يمكن هيخليها تخدم عليه هو واشكاله الزبالة زيه

أزدرد خالد ريقه بتوتر ليتشدق بتردد :

_ هو انت جيت هنا ليه يا أسيد

وثب واقفًا وهو يبتسم بخبث وصوت أجشّ :

_ جيت ليه يا أسيد جيت ليه ! ، اقولك جيت ليه خالد تخيل كده لما معتز يعرف أن خالد صديقه الصدوق هو اللى قتل ابوه بالاشتراك مع أشجان هيحصل ايه ، والله انا لو حبيت الحقك منه مش هلحق لانى عقبال ما اجى هيكون قتلك .. انا عارف بلاوى كتير للاسف عن كل واحد بس ساكت اهو

عندك مثال أشجان مرات عمى اكتر وحدة عارف عنها بلاوى بس ساكت ليه علشان عمى وريان وسارة وزى ما انا عارف أن عمتى فرودس مماتش بسبب المرض وزى ما عارف كمان انك سبق وحاولت تقتل ملاك .. ياااه بتخيل لو معتز عرف انك عملت ده كله هيعمل فيك ايه ، بس طبعًا متفتكرش انى نسيت ده لا كله مسجل فى الحسابات وكل واحد عمل حاجة هياجى عليه الدور ويدفع تمنها بس الفكرة انى مستنى الوقت المناسب علشان لما اصوب السهم ياجى فى الهدف

فرت الدماء من وجهه وتسارعت نبضات قلبه برعب وهو يرمقه بأعين مرتعدة ، بدأ العرق يسيل من على جبينه ليهمس بصوت مبحوح : هو انت عايز ايه يا أسيد بظبط !؟ _

ظهرت إبتسامته اللئيمة وهو يقول بنظرة مشتعلة بفعيل الانتصار : كده ابتديت تفهمنى ، عايزك تراقب معتز عينك متغفلش عنه وتعرف كل حاجة بيعملها لو دخل الحمام تقولى وبما انك علطول معاه فهتكون سهلة عليك دلوقتى عايزك تراقبه بس وبعدين هقولك تعمل ايه تانى _

صمت لبرهة من الوقت وهو يحدق به بصمت متفكرًا ليجيبه وكأنه قرأ افكاره :

عارف بتفكر فى ايه ، بتقول وانا اساعدك ليه وانت كده كده برضوا _ مش هتسيبنى من غير عقاب على اللى عملته.. انا غير اخرى هبلغ البوليس عليك وهتتحبس تاخد مؤبد بقى تتعدم دى حاجة مليش فيها انما لما اقول لمعتز فانت هتتقل وبأبشع موتة ، انت ايه رأيك تموت ولا تدخل السجن .. فكر ورد عليا واوعى لسانك يوقع بكلمة كده ولا كده مع أشجان فاهم ، هستنى الرد منك بليل علشان نبدأ من بكرة

أستدار وأنصرف تاركًا اياه يحاول أستيعاب ما يحدث كيف له أن يعرف كل هذا ..... !!

***

ترامقت النجوم الساهرة محلقة فوق الرءوس ، عيناه تدوران فى ذلك المنزل الصغير المطل على البحر ، دائمًا زوجته تكون محتلة مركز الصدارة فى عقله لا يستطيع حتى نسيانها ليوم واحد ، يتذكر كيف قضى شهور وايام بصحبتها فى ذلك المنزل الان هو موجود به من دونها ، وكأنه أرض خراب لا تُصلح لاستصلاحها او زراعتها من جديد ، قلبه يسحق تحت الأسى والشجن حتى املأ قلبه الشجن ، لعلى أنفاس الليل الباردة تخفف من حرارة حزن ... نهض وتوجه نحو غرفة النوم لينزع حذائه عنه وسترته ويتسطح بجسده على الفراش مستسلمًا

للنوم .....!!

ساعات اخذت الظلمة ترق وتلوح بشائر النور الموعود فى الافق و ترسل الشمس شعاعها رفيقًا فوق المروج الخضراء والسحب تزين الماء بقطع بيضاء ، أستفاق بفزع على صوت طرق الباب القوى ، ليعتدل فى نومته ويمسح على وجهه وشعره بخنق وينهض ليفتح الباب ليندهش بوجود مراد وامه امامه التى عانقته بشدة وهى تهتف ببكاء :

كده يا أسيد كنا هنموت من القلق عليك اليوم كله امبارح وانت قافل تلفونك ومش هامك حد _

طالعها بإبتسامة ناعمة وهو يمسك بيدها ليقبلها بحنان هامسًا :

حقك عليا يالولو بس كنت محتاج اقعد وحدى شوية واريح دماغى وبعدين انتوا قلقتنين ليه مش معقول يعنى هعمل حاجة غبية ، كان فى مشوار عايز اعمله وبعد كده جيت على هنا ... ثم أن مين المتخلف اللى بيخبط كده اكيد انت صح ، راعى أن فى ناس نايمة جوا _

هتف مراد شبه ضاحكًا :

تسلم يا ابو الواجب ، اخويا الكبير بقى هعمل ايه نستحمل لسانه الطويل ! _

: بغضب مزيف هتف

انت ايه اللى جايبك يامراد !؟ _

: دخل وجلس على الاريكة ليردف بمرح وبرود مستفز

جاى اغتت عليك عندك مانع _

: نظرت ليلى لأسيد وبأعين دامعة تمتمت راجية

أسيد اوعى تكون بتكدب عليا وعملت حاجة ؟ _

: بصوت لين ورقيق غمغم

هكون عملت ايه يعنى يا امى قتله مثلاً متخافيش معملتش حاجة ، يلا _

علشان اوصلك البيت قبل ما اروح الشغل

: صاحت فى أستياء برفض قاطع ولهجة لا تقبل النقاش

شغل ايه ، انا جايبة أكل معايا مش هتمشى قبل ما تفطر _

: ليقول مراد مازحًا

ياسلام على حنان الام ! ، ولما انتى حنينة كده منشفة ريق ملاك _

الغلبانة ليه هاا يامفترية

: لتصرخ به وهى تلتقط أحد الاحذية من الارض وتلقيها عليه بزمجرة مفترية فى عينك قليل الادب هقول ايه ما انا معرفتش اربى ، قوم فز _ مش قولت ورايا شغل على أساس أن الشغل مقطع بعضه معاك قوم ياخويا قوم لتتأخر على الديوان بتاعك

استطاع تفادى الحذاء وهو يضحك بشدة ناظرًا الى اخيه الذى يشاركه الضحك قائلاً :

_ شايف مش بقول حنينة ، بتحبنى اوى والله !!

همت بألتقاط الفردة الثانية من الحذاء لتلقيها عليه فنهض فورًا وامسك بيدها وهو يقبل رأسها قائلاً :

_ طاب ورحمة ياسر الغالى ما انتى تاعبة نفسك ، أسفين يا ابو صلاح !

ضربته على كتفه بقوة وهى تقول بضجر زائف وعيناها تضحك بحنو امومى :

_ امشى ياحيوان !!

لتسدير وتتجه نحو المطبخ لتحضر لهم وجبة الافطار ، وبسرعة البرق

يتحول مراد من حالة المزاح والمرح الى الجدية وهو يسحب اخيه ليجلسوا على الاريكة هاتفًا بحدة :

_ هتقولى كل حاجة يا أسيد دلوقتى كنت فين امبارح وحصل ايه من ساعة ما كنت حابس معتز فى المخزن !

***

كانت قد ذهبت زمردة الى عملها وبقت ملاك بالمنزل بمفردها تارة تفكر فى أسيد وتتساءل ترى لماذا كان هاتفه مغلق طوال أمس هل اصابه شئ حتى ريان كان لا يجيب على هاتفه ، وجدت هاتفها يصدر رنينه فوثبت واقفة وهى تركض لعله يكون هو ، بالطبع لن تستطيع محادثته ولكنه أن كان هو فقلبها سيهدأ قليلاً على الاقل ستتأكد انه بخير ولكنه كان رقم مجهول ، فأجابت بعد إن ظنت انها من الممكن ان تكون سارة تريد الاطمئنان عليها ولكن وقفت الكلمات فى حلقها والرعب تسلل الى كل جزء فى جسدها عندما سمعت صوت المتحدث !! .....

الفصل التاسع

وقفت الكلمات فى حلقها والرعب تسلل الى كل جزء فى جسدها عندما سمعت صوت المتحدث ، وكأن دلو من الماء البارد سكب فوق رأسها وسط حالة الصقيع تلك الايام ! ، سمعته يردف بثقة :

_ عاملة ايه ياملاكى وحشتينى اوى والله ، انا حبيت أتصل بيكى واقولك بس انى دايما هتلاقينى معاكى يعنى ممكن تبصى وراكى تلاقينى واقف

بتلقائية فى رعب التفتت خلفها تتأكد من عدم وجوده ليستطرد بوعيد مخيف :

_ اوعى تفتكرى انك كده هربتى منى ، اصبرى ياملاك فى الوقت المناسب هدفعك تمن اللى عملتيه فيا ، انا اكرم المناوى يحصل فيا كده بسببك .. !! اهاا وبالمناسبة حلوة البيجامة الخضرا اللى لابساها دى

القت بالهاتف على الفراش وهى تلهث انفاسها بسرعة وتتلفت حولها تكاد تفقد عقلها ، كيف عرف ماذا ترتدى ؟! .. أسرعت واغلقت جميع النوافذ حتى أعتم المنزل تمامًا لتجثى على الارض ، واضعة رأسها بين قدميها وتجهش بالبكاء الحارق والمرير ..... !

***

خرجت زمردة من مكان عملها وقد ذهبت لشراء بعض مستلزمات المنزل وكانت فى طريق عودتها الى المنزل حيث أعطى هاتفها أشارة رنينه : فأجابت على الرقم المجهول بصرامة

الو مين معايا _

: هتف ريان بنبرة رجولية شبه معتذرة

!أسف يا أنسة زمردة لو ازعجتك ، بس هو انتى فى البيت ؟ _

: ارتبكت قليلاً وهمست على استحياء

لا انا برا البيت الحقيقة ليه هو حصل حاجة ؟ _

اصلى برن على موبايل ملاك مقفول ، انتى متأكدة انك لما سبتيها كانت كويسة _

قمسات وجهها تحولت فورًا الى الفزع وقد بدأت الوساوس تأخذ طريقها : اللى قلبها وهى تجيبه بإيجاز

ايوة كانت كويسة ، انا على العموم رايحة البيت دلوقتى وهشوفها وأتصل بيك اطمنك _

: اجابها برفض قاطع ونبرة مهتمة

قوليلى انتى فين وانا هاجى اخدك واروح معاكى البيت لان حتى انا مش مطمن _

تلفتت حولها تبحث عن اى شئ تصف له المكان الذى تقف به من خلاله حتى وجدته واخبرته العنوان ، دقائق وكانت سيارته ترتص امامها ، ليترجل هو ويحمل عن يدها الاكياس ويضعها بمقعد السيارة الخلفى ثُم يفتح باب المقعد المجاور له وهو يحثها على الصعود لتهمهم هى بنبرة مهذبة فى حياء :

لا انا هركب ورا شكرًا _

: مط شفتيه للامام بعدم حيلة وأغلق الباب وهو يهتف

على راحتك ! _

التف وصعد بمقعده الخاص به وصعدت بالمقعد الخلفى لتسمعه يقول بجدية :

أتصلى بيها تانى يمكن تكون فتحت تلفونها _

اماءت له فى موافقة وهى تخرج هاتفها محاولة الاتصال به وهو ينظر لها بترقب يراقب تعابير وجهها ففهم انه مازال خارج التغطية عندما وجدها تزم شفتيها بيأس فى قلق مماثل له ، فيحرك هو محرك السيارة وينطلق بها كالسهم ..... !!

***

فتح الباب بحذر بعد أن سمحت للطارق بالدخول وحين وقع نظرها على اخيها صاحت بسعادة غامرة :

_ أسيد !

ليدخل ويغلق الباب ، ثُم يسير نحوها ويجلس بجانبها متمتمًا بنعومة : عاملة ايه دلوقتى يا أسمى ؟ _

قابل نفورها وانزعاجها منه وهى تشيح بوجهها للجهة الاخرى فى تمرد بإبتسامة عذبة لينكزها على كتفها متشدقا بمزاح :

_ ايه هى سوكة زعلانة منى ولا ايه !

اشتعلت نيران الغيظ لديها وهى تصيح :

_ أسيد قولتلك مليون مرة متقولش سوكة دى متنرفزنيش

: ضم شفتيه محاولاً عدم ظهور إبتسامته وهو يقول ببرود

_ وهو انا قولت حاجة غلط ما انتى كنتى سوكة فعلاً يا أسمى تحبى افكرك لما كنتى تضربى الولاد فى المدرسة وياجوا اهلهم يشتكوا اللى هو المفروض العكس الواد بيضرب البنت واهل البنت هما اللى بيرحوا يشتكوا بس انتى مختلفة عن الاخرين طبعًا افكرك عملتى ايه فى مروان لما اتريق عليكى فى مرة

صرخت به بعد أن أصبحت كجمرة نيران مشتعلة وتنفث دخان من فمها : بدلاً من ثانى أكسيد الكربون

_ اطلع بره يا أسيد ومتكلمنيش تانى لشهرين قدام !!

: ضحك بشدة مردفًا من بين ضحكاته

_ انتى مدايقة ليه عايزة افهم !؟

: تجمعت الدموع فى عيناها وهى تصيح به فى عتاب شديد

_ مدايقة ليه ! ، اليوم كله امبارح قافل تلفونك من ساعة ما طلعنا من عند معتز ووقتها كنت متعصب اللى هو احنا اتأكدنا انك حصلك حاجة وحشة ، لو كان حصلك حاجة مكنتش هسامح نفسى ، لا وبعد ده كله جاى

!! بتغلس عليا كمان ايه البرود ده

ضمها الى صدره ليطبع قبلات متتالية على شعرها ويخلل اصابعه بين خصلات شعرها وباليد الاخرى يمررها على ظهرها نزولاً من اعلى اى أسفل وهو يهمس بصوت يقطر حنانًا وحبًا :

_ ايه ياناس العسل اللى بتخاف على اخوها دى اكتر من نفسها ، متخافيش ياروحى مش هقتله يعنى .. هدفعه تمن اللى عمله بس على طريقة أسيد الصاوى

ابعدها عنه ليمسح دموعها بأناملها ويلصق شفتيه بجبينها فى قبلة اخوية دافئة دامت للحظات ليقول بشئ من الحدة :

_ مش عايز اشوف دموعك تانى يا أسمى فاهمة

اماءت بحبٌ لتكفكف عن البكاء وتهتف بنبرة مقتضبة :

_ هى اللى اسمها ملاك دى فين يا أسيد ؟!

تحولت نظراته الى الخنق ليجيبها بلهجة حازمة لا تقبل النقاش :

_ شئ ميخصكيش هى فين يا أسمى ، كنتوا مدايقين انتى وامك من قعدتها هنا واهى مشيت ولو سمعت انك انتى او ماما حاولتوا تدايقوها

بأى شكل من الاشكال هيكون فى تصرف تانى منى كفاية اللى عملتوه معاها يوم الحادث اللى حصل مع عمى !

لينهض ويرحل تاركًا اياها تجلس على فراشها وهى تلوح بيدها فى الهواء بطريقة استهزاء فى أغتياظ عندما تذكرتها ..... !!

***

وصلا الى المنزل فتحت زمردة الباب فدهشت بأن المنزل فى ظلام هكذا ، التفتت الى ريان الذى بادلها الدهشة فى نظراته لتركض الى غرفتها وهى تصيح بأسمها ويقف الاخير وقلبه يكاد يدب من بين اضلعه على حبيبته التى لا يستطيع حتى رؤيتها يتحرق قلقلاً لرؤيتها والاطمئنان عليها ..... !!

وجدتها جالسة على الارض ومنخرطة فى نوبة بكاء عنيفة ، رفعت نظرها لها وحاولت نطق اسمها من بين شفتيها متقطع :

زم..ردة _

جثت على ركبتيها امامها وعانقتها بشدة وهى تقول بهلع :

مالك ياملاك فى ايه حصل ايه ، وعاملة فى نفسك كده ليه !؟ _

: خرج صوتها المتقطع بنشيج مسموع

تعبت يازمردة تعبت ، هو انا مليش نفس اعيش يومين مرتاحة ، _
هلاقيها من أكرم ولا مرات خالى وأسمى ولا من الدنيا وحياتى كلها .. انا بجد مش قادرة خلاص من ساعة ما جيت على الدنيا وانا بتعذب ومازال العذاب مستمر وهيفضل ملاحقنى لغاية ما اموت

غامت عيناها بالعبرات لتشدد من احتضانها وهى تملس على شعرها

: هامسة بصوت تخنقه العبرات

ياهبلة ده ربنا بيختبرك ، أن بعد العسر يسر ياملاك ياحبيبتى اصبرى _
علشان تنولى افضل ماعنده صدقينى كله هيعدى والله ، انتى قوليلى حصل ايه بس خلاكى كده ؟؟!

شعرت بنغزة بسيطة فى قلبها فهدأت من روعها قليلاً وتوقفت عن البكاء

: حين أخذت تستنشق انفاسها بصعوبة فتابعت بصوت حانى

طاب لو مش هتتكلمى قومى اغسلى وشك كده ولما تهدى نبقى نتلكم _

هزت رأسها بالموافقة لتضغط على قدمها وتنهض سائرة نحو المرحاض ببطء شديد ، فتجفف زمردة عبراتها جيدًا وتعود الى ريان الذى تطلع اليها

: بتفحص عيناها المتلألأ واللامعة جعلته يسألها بتلقائية

فى ايه ، ملاك كويسة _

:اماءت اماءة خفيفة فى إيجاب وهى تهمس بصوت مبحوح

احم .. كويسة هى متقلقش بس لقيتها مدايقة شوية يمكن علشان كده _

مهمتش تفتح تلفونها او تشوفه لو فاصل شحن تحطه على الشاحن

: فى خفوت ونبرة دقيقة

!متأكدة انها كويسة يعنى لو فى حاجة قولى متخبيش عنى ؟ _

: هزت كتفيها لاعلى فى عدم حيلة قائلة

ولو فى حاجة هخبى عليك ليه ياريان ... أقصد يا أستاذ ريان ، هى زى _

الفل والله متخفش

: تفرس وجهها بنظراته القاتلة ليردف بضيق

ماشى لو احتجتوا حاجة رنى عليا من الرقم اللى رنيت عليكى بيه او _

قولى للرجالة اللى بره .. وابقى سلميلى على ملاك ؟

إبتسمت له بودٍ متصنع وهى تومئ بموافقة ، بدأت تسأم من اسئلته تلك

ونظراته لها كأنها تعمل لديه ماهذا المتعجرف ! لا تستوعب انه ابن عمها

اصبحت تتساءل ماسبب حب ملاك وتعلقها به الى تلك الدرجة ؟! ، فقررت تهتف ببرود مستفز مثبتة نظرها على وجهها تراقب أثر وقع كلماتها عليه :

_ حاضر هتصل بيك مع انه أسيد مش بيخلينا محتاجين حاجة وبالاخص ملاك

فهم ماترمى اليه تلك الوقحة ، تلعب على أوتار اعصابه سريعة الاشتعال ليقترب منها ويهمس بكلمات نزلت على قلبها كالصاعقة وكأنه يلقنها درس على ماقالته الذى لم يكن بنية بريئة تمامًا :

_ قصدك لو ملاك محتاجة حاجة مش محتاجين ، اصلاً انتى مين علشان سواء انا او أسيد نهتم بيكى ، قبل ماتقولى اى حاجة احسبيها الاول لانى فهمت كويس اوى قصدك ايه باللى قولتيه ده

ليستدير وينصرف ، تاركًا خلفه تلك المسكينة متسمرة بأرضها طعنها فى وسط قلبها بكلماتها الجارحة ، لولا وجود ملاك لكانت تركت ذلك المنزل على الفور وعادت الى منزلها حيثُ تكون بعيدة عن تلك العائلة بقدر الامكان ولكن لا تستطيع ترك ملاك بمفردها ..... !!

***

خرجت أسمى الى حديقة المنزل لتستنشق بعض الهواء الصافى لتنصدم بوجود مروان الذى كان يتحدث عبر الهاتف بعصبية ، كانت تحمل بيدها فنجان قهوة صغير فأقتربت منه وهى تتفحص قِسمات وجهه بتدقيق الى حين أتضح انه يتحدث مع مراد وقفت امامه لتبتسم فى وجهه بصفاء فيبادلها الابتسامة ويستمر فى حديثه الى حين انتهى وتفرغ لها ليتشدق بحبٍّ دفين :

_ عاملة ايه دلوقتى يا أسمى ؟!

اجابته بعذوبة فى مرح :

_ كويسة اوى ولو مكنتش كويسة مكنتش هتلاقينى عاملة فنجان القهوة ده

أتسعت إبتسامته المشاكسة وهو يأخذه من يدها هاتفًا بجدية وهو يرتشف منه :

_ عملاه ليا يعنى ، حاسة بيا والله اخوكى ورملى دماغى شكرًا جدا يا أسمى !

تهجم وجهها وهى تهتف بغيظ طفولى :

_ ومين قالك انى عملاه ليك ، هات فنجان القهوة يامروان بالذوق !

: بحدة مزيفة اجابها وهو يرفع أحد حاجبيه لاعلى

ايه النتانة دى ، مدام انتى مزاجك حلو اوى كده روحى اعملى واحد غيره واستعجلى أسيد اللى ساعتين بيستحمى ده ، امشى يابت يلا _

صرت على اسنانها باغتياظ وهى تهتف محذرة بينما الاخير جلس على المقعد وهو يرتشف القهوة بأستمتاع وكأنه كان فى حاجة ماسة له :

مروان متبقاش نطع اخلص مش قادرة اعمل واحد تانى والله .. مروووووان الفنجان هيخلص _

اخرجه من فمه وهو يضحك بعد أن وقفت القهوة فى حلقه وأخذ يسعل بقوة لتقول هى بشماتة مبتسمة :

احسن علشان تحترم نفسك بعد كده ومتخدش حاجة من ايدى تانى _

: رفع نظره لها ليصيح بها بصوت مبحوح من أثر السعال

امشى غورى هاتيلى مايه كله ده علشان فنجان قهوة مش عايز حاجة من وشك يا أسمى _

: قهقهت بشدة لتجيبه من بين ضحكاتها

اشرب قهوة تانى يمكن الكحة تروح لغاية ما اجبلك مايه _

لتستدير وتهرول الى الداخل لتجلب له كوب ماء اما هو فأسند الفنجان بجانبه ومازال السعال لم يتركه ..... !!!

***

مرت الايام كالسنين على بعضهم وبالاخص ملاك ، التى قضت شهور عدتها فى رعب مستمر من ذلك الوغد " أكرم " الذى كان يرسل لها الرسائل بأستمرار منها من كانت رسائل وعيد وتهديد ومنها من كانت لاخافتها ، تحول الامر حتى كادت تصبح مجنونة بسببه اصبحت تتخيل أشياء غريبة فى المنزل كالمجانين ، ظنت أن المنزل مسكون بالاشباح ولكن ايقنت انه بسبب مايزرعه فى قلبها من الرعب حول أذيتها وأذية كل من بجانبها بداية بأسيد ويتبعه ريان ثُم زمردة التى لاحظت حالتها الغريبة تلك ، يصيبها الفزع من أقل صوت ، توتر دائم ، خوف من شئ مجهول ، بكاء مستمر بدون سبب .. حققت الايام مخاوفها بالنسبة لها ، تلك الزهرة المتفتحة والجميلة قد ذبلت وهكلت نظرًا للظروف القاسية التى نموت بها ، صحراء قاسية لا يوجد بها سوى الحيوانات المفترسة ، جميعهم يتسابقون لقطف تلك الزهرة واكلها ، تحاول البحث عن اى شئ يشبهها فى تلك الصحراء لينقذها ولكن بقيت اخيرًا وحيدة والان عندما يأتون

لقطفها سيجدونها هُكلت وذبلت ! ، بريق عيناها الجميل انطفأ تحولت الى مجرد جسد يعيش بدون روح ، حاولت زمردة اخبار اى من أسيد او ريان بحالتها ولكنه كانت تكرر تهددها بأنها أن اخبرت اى منهم فستذهب ولن تعود ابدًا ، لا تريد الحاق الأذى بهم أكثر من ذلك هى مازالت تفكر فى طريقة تحذرهم من بطش أكرم الذى سيلحقهم بسببها ..... !

اما مراد وسارة فمازالت الحالة بينهم على النحو الذى كان عليه سابقًا تحاول مرارًا وتكرارًا التماس اى شئ يشعرها بأنها سامحها على ما فعلته فتسقبل املها بخيبة أمل جديدة ، حتمًا خيبت اماله بها لم يكن يظن انها تفعل شئ كهذا من دون علم أحد دومًا كان يحميها من كل شئ يحبها بالقدر الذى يحب به شقيقته !!! .....

زمردة وريان تعقدت علاقتهم بشدة خاصة بعد ما القاه على مسمعها تلك المسكينة بدون وعى لما يقوله كم هو قاسى عليها وهو لا يعلم اى شئ عنها حتى لا يعرف من هى !!!

قضى أسيد تلك الشهور ما بين عمله وبين ملاحقة المدعو بمعتز ومراقبة تحركاته بالتفصيل والتردد على ملاك بأستمرار ليتأكد من سلامتهم وعدم احتياجهم لشئ طبعًا دون أن يرى حالتها المزرية التى تخفيها عنهم وهى مريضة .... !!

***

كان يجلس فى منزل الصغير بالتحديد فى شرفته مستلقى على ارضية الشرفة يحدق بالسماء بصمت وبيده سيجارته يدخلها الى فمه ويخرجها مصاحبة نفيث شرس ممتلئ بالدخان ، لينهض من على الارض ويدخل ليسكب كاسٍ من الخمر ويشربه دفعة واحدة وكأنه يحاول بهذا نسيان من فعلته به زوجته .. تذكرها عندما اكتشف خيانتها وقتلها لطفلهم الذى لا يتعدى الشهرين فى احشائها .....

" _ مراد ابوس ايدك اسمعنى ده كدب انا معملتش كده ومستحيل اعمل اكده معقول يعنى هقتل ابنى ؟!

: جذبها من خصلات شعرها بعنف وهو يصرخ بها بوحشية

_ كدب وخيانتك ليا كدب ياروان ، حظك انى اكتشفت كل عمايلك القذرة دفعة وحدة ، انا بستغرب على نفسى ازاى كنت مغفل للدرجة دى واستغليتى حبى ليكى وضحكتى عليا

: هتفت متوسلة اياها وهى تجهش بالبكاء

_ طاب ادينى فرصة اشرحلك بس يامراد علشان خاطرى

: بصوت ساخر مرير اجابها وهو يهمس بغضب

_ ايه هو انا راجل وحش اوى ياروان للدرجة اللى تخليكى مش عايزة

منى عيال ، انتى اتجوزتينى ليه علشان الفلوس خوديها الفلوس وغورى بيها لا عايزك ولا عايز وشك لو كنتى قولتى كده من البداية كنا هننهى الموضوع ده ببساطة وبمجرد ماتولدى هطلقك واديكى اللى عايزاه ، لكن !! ايه ذنبه الروح اللى قتلتيها دى هاااا

انهال عليها بالصفعات لتسقط أرضًا وهى تصرخ باكية لا تستطيع التقاط انفاسها حتى لينحنى ويلقى على مسامعها لفظه بدون أن يرف له جفن بقسوة وجفاء هادرين :

!! انتى طالق _

استفاق من بحر شجونه الثائرة على صوت طرق الباب ليسير نحوه ويفتحه فيقابل تلك المدعوة بـ " ميار " امامه فيترك الباب مفتوح ويسير نحو الاريكة ليلقى بجسده المرهق عليها قائلاً :

خير يا ميار ايه اللى جابك _

دلفت واغلقت الباب لتتشدق بدلال انوثى ومكر :

ده بدل ما تقولى وحشتينى يامياار اى حاجة كده اخص عليك يابيبى _

طالعها ببرود تام وهو يشير لها بعينه الثاقبة :

ميار اتمنى انك متنسيش مقامك ، ثُم أن ايه اللى جابك انا اتصلت بيكى _
وقولتلك تعالى ، لا صح ! ، يبقى زى الشاطرة كده تلفى وترجعى من
خالص ومش مستعد لاى حركة mood مكان ماجيتى علشان انا مش فى
غبية دلوقتى ممكن اعملها معاكى

: قطبت حاجبيها بذهول وهى تقول بسخط
ايه ده انت بتكلمنى كده ليه يامراد _

هب واقفًا ليقترب منها بخطواط واثبة كالوحش الكاسر الذى يوشك على
: التحول
حاجة تانى نسيتها اسمى مراد بيه ، ويلا غورى من وشى بقى انا مس _
فايقلك

قال جملته الاخيرة وهو يلوح لها بيده بعدم اهتمام فقابلتها هى بنيران
: متوهجة وأعين نارية متحدثة إليه بوعيد ظاهر
ماشى يامراد بيه ، بس انا عارفة مين اللى خلتك كده معايا ومش _
! هسييها صدقنى

لم يكترث لحديثها الفارغ بالنسبة له فليس هناك واحدة او أخرى فى حياته

!!! ..... ، حياته كما ترون خالية من اى شئ

***

كالعادة كل صباح تذهب زمردة الى عملها وتترك ملاك وحيدة ، هدأت ثورتها الداخلية قليلاً وغطت الطمانينة قلبها بعض الشئ ، ولكن مستمرة الهلاوس فى ملاحقتها ! ، تتجاوز كل شئ كما تجازوته قديمًا ، اطمئنت نفسها وهدأت خاصة بعد أن انتهت عدتها ورأت ريان ليلة أمس كانت فى حاجة ماسة لرؤيته ليبث فى نفسها شعور الأمان من جديد كما أعتاد دومًا ، تتناطح الافكار والتساؤلات فى عقلها كالاتى " تُرىَ ماسبب عدم مجيئ أُسيد الى حتى الان هل حدث معه شيئًا " ... " هل ماقالته زمردة حول أمر ريان صحيحًا أصبحت تشك به بالفعل بالاخص عندما سألته أمس عن أسيد رأيت كيف تهجمت ملامحه وتحولت عيناه الحانية الى حادة كنظرة صقر أسود اللون !! "

واقفة فى المطبخ منتظرة غليان المياه لسكبها فى كوب الشاى الخاص بها سابحة فى حرب افكارها ومشاعرها التى لا تنتهى لم تفق سوى على صوت فرقعات المياه تعطى الاشارة لغليانها فـ أطفأت النيران واذا بها تسكب الماء صك سمعها مُجددًا الى تلك الاصوات التى تسمعها يوميًا ، أصوات صنبور ماه يفتح منبعث من الحمام فتركض اليها كالعادة ولا تجد شيئًا ، فيخالطها عقلها بأنه حتمًا شبحًا يعيش بذلك المنزل من سيفعل كل

هذا ... أزدردت ريقها برعب لتستدير خلفها لتعود الى المطبخ ، فتجد ذلك الشبح الذى يخالطها عقله عنه امامه لا تستطيع القول عنه سوى انه ..... شبح خاص بأخافتها هى

الفصل العاشر

فتجد ذلك الشبح الذى يخالطها عقلها عنه امامه لا تستطيع القول عنه سوى انه شبح خاص بأخافتها هى ، لفظت حروف اسمه من بين شفتيها المرتجفة بحروف أيضًا خرجت متقطعة : !

أك..ر ..م _

لم يمهلها فرصة لتهيئ قلبها الذى سقط بين قدميها للتو من الخوف حيثُ قبض على رسغها يلصقها به محاوطًا خصرها بذراعه ليحنى رأسه نحو اذنها وهو يتعمد اخراج زفيرًا حارًا يضرب فى أذنها ورقبتها كالثلج ، ساكنة تمامًا بين يديه تجاهد فى إلمام شتات شجاعتها القليلة التى تبعثرت للتو .. أغمضت عيناها بخوف وهى تستمع الى همسه فى اذنها كهمس الرعد :

لسا مشوفتيش حاجة من اكرم ياملاك ، هدفعك تمن اللى عملتيه معايا _ دم ، انا حبيت اوريكى بس أن مفيش حاجة تقدر توقف فى طريق اللى عايزه لا أسيد بتاعك ده ولا ريان وادينى دخلت برغم الحراس اللى قاعدين برا دول وانتى بين ايديا دلوقتى واقدر اعمل اللى انا عايزه فيكى ، بلغى البيه أسيد سلامى وقوليلوا أكرم بيسلم عليك ومتنسيش تقوليلى انه

بيقولك دورك جاى وانك مش هتقدر تبعده عنى ولا تحمينى منه مهما عملت لانك زى ماشوفتى انا عامل زى عفريت العلبة اللى بيطلع فجأة وفى اى مكان !!

ابعدها عنها لتستقر نظرة منه عليها ساخرة ثُم يرحل مثلما دخل من النافذة ، لتتمكن هى من التقاط الهواء قليلاً التى حبس داخل رئيتها للحظات أوشك على قتلها ،جثت على الارض وتكورت كالجنين منغمسة مع الرياح العاصفة داخلها لتخرج فى هيئة دموع متتابعة لا تتوقف ..... !!

***

فتحت عيناها ببطء وعندما سمعت همهمات خفيفة بجانبها ، وثبت جالسة وهى ترمقهم بنظرة مرتعدة لتجد زمردة تهتف بقلق وهى تنهض لتجلس بجوراها :

اهدى ياملاك ياحبيبتى ، قوليلنا حصل ايه معاكى _

وقع نظرها على أسيد الذى حدقها بنظرة دافئة بها شئ من الانزعاج ، لم تراه منذ أكثر من ثلاث أشهر بدا لها مختلفًا عن اخر مرة رأته فيها لحيته نموت الضعفين وشعره الاسود الكثيف المنظم كأنه ذهب لمصفف الشعر

للتو ، بدا أكثر جذابية ووقار لحيته تلك أظهرت رجولته الطاغية أكثر .. لا يوجد أنكار انها أشتاقت له ولصوته الذى كان يخيفها ، لنبرته الغاضبة منها عندما تتمرد عليه ، لنظرته الدافئة وابتسامته ! .....

رأته وهو يشير لزمردة بالخروج ليخلوا بها بمفردهم ، توترت فى بداية الامر ولكن تحول ذلك التوتر الى خوف عندما وجدته ينهض ويسير نحو النافذة يحدق بالخارج لثوانٍ تلك الثوانِ مرت كساعات مشحونة بجو من التوتر ، أحدث صمته أضطرابًا بداخلها وأدركت انه لا يبشر بخير ابدًا

: حدث ماتوقعت عندما رأته يستدير لها ويصيح بعصبية

_ على كده لو مكنتش زمردة النهردا قالتلى على موضوع اكرم كنتى هتفضلى لغاية امتى مخبية عنى ؟!

أنزوت نظرها عنه فى أسف فأقترب منها وهو يكمل صياحه منفعلاً ، منظرها يثير جنونه ، عيناها المنتفخة من أثر البكاء والهالات السواء اسفل عيناها من عدم النوم وجهها الذى ذهب بريقه ولمعانه ، حقًا كانت فى حالة مزرية :

_ مش شايفة شكلك ازاى ، واكيد طبعًا مش منتظمة فى علاجك ده اذا كنتى بتاخديه اساسًا ، فهمينى ياملاك وادينى سبب واحد يخليكى تخبى عنى حاجة زى كده لمدة اكتر من تلات شهور لغاية ماتوصل حالتك

للمنظر ده ، اتكلمى ومتقعديش ساكتة كده لان سكاتك ده بيعفرتنى اكتر !!

: هطلت عبراتها لتقول بصوت مرتعش ونبرة لا تحمل الندم

_ ولو كانت زمردة مقالتش ليك مكنتش هقولك يا أسيد لا انت ولا ريان ، كفاية اوى اللى حصلكم بسببى ودلوقتى أكرم بيهددنى وبيقولى انه هيأذيكم وبذات انت ، يعنى انا حتى لو فكرت وحبيت اقول لحد فهيكون ريان مش انت .. انا طبيعى قلقانة وخايفة يعملك حاجة فعلاً اقوم اقولك علشان ازيد الطينة بلة !

: قاد خطواته نحوها ليهمس امام وجهها بنظرة ارعبتها

_ ومنظرك ده عاجبك ده لو الوضع ده كان استمر لاسبوع تانى كنت هلاقيكى ميتة انتى يمكن مش مدركة انك مريضة قلب واقل حاجة بتأثر عليكى ، انتى مجنونة وهتجنينى معاكى ! ... ملاك علشان نبقى على نور مع بعض يابنت العمة من هنا ورايح مفيش حاجة تخبيها عنى او عن ريان وبذات انا ، ودلوقتى هتقوليلى كل حاجة حصلت معاكى من البداية بالتفصيل عايزة اسمع منك تانى بالتفصيل نهاية باللى حصل معاكى النهردا ده

ترددت كثيرًا قبل أن تتكلم ولكنه ارغمها على الحديث بنظراته الملتهبة التى لم تعهدها من قبل ، لتبدأ بسرد له كل شئ بأدق التفاصيل من البداية ..... نهاية بقدومه الى المنزل اليوم وتهديده المباشر لها !

نظراته أزدادت حقدًا وغلً ايعقد وثيقة معه تعلن قدوم الحرب لا محال ، ذلك الوغد يجرؤ على تهديده وتحديه فى انه لن ينجح فى حماية ابنة عمته منه ، من الواضح انه عقد الوثيقة مع الشخص الخطأ أعلن تحديه السخيف امام من سيسحقه هو وتحديه ووثيقته وتهديده .. كانت تراقب وقع كلماتها على وجهه الذى تحول الى شعلة نيران متوهجة .. استحوذ عليه الصمت لدقائق طويلة يفكر فى شئ عجزت عن توقعه حتى فهمست بريبة :

_ ساكت ليه يا أسيد ؟؟!

هب واقفًا ليجيبها بحزم :

_ قومى خدى دش وفوقى وبعدين جهزى شنطتك وانا شوية كده هاجى اخدك انتى وزمردة

لم يعطيها الفرصة لتتحدث حين وجدته أنصرف من امامها كالبرق ، الى ماذا يخطط ياترىَ ؟ ، ماذا سيفعل ؟ ، بماذا يفكر ؟ ، كلها اسئلة دارت فى حلقة واحدة داخل ذهنها تبحث عن اجابه ، حلقة حلزونية متصلة ببعضها

كل الاسئلة تؤدى الى نفس الطريق وهو أنه حتمًا مايفكر به ليس بأمرًا هينًا ..... !!!

***

واقفًا امام المرأة يصفصف شعره مُبتسمًا بجذابية سارح فى ملكوته الخاص ، اقتحمت ذلك الملكوت كالعادة أشجان وهى تدلف له وتهتف مبتسمة بخبث :

_ خير مبسوط كده ليه ؟!

: نظر الى انعكاس صورتها فى المرأة وهمس بنبرة هادئة

_ حرام اتبسط يعنى يا امى ؟؟!!

: سارت نحوه وهى تغمغم بنعومة وصوت رقيق يحمل الاهتمام

_ لا طبعًا وهو انا اطول لما اشوف ابنى مبسوط ، بس مش ناوى تتجوز بقى ياريان انت خلاص بقيت 30 سنة يابنى هتقعد لغاية امتى تانى !

ترك الفرشاة من يده وادار جسده ليكون فى مواجهته وقد لاحت على ثغره إبتسامة ماكرة وهو يتمتم :

_ هتجوز يا امى انا كده كده كنت ناوى لما ارجع القاهرة كمان يومين

اظبط الموضوع ده ، بس مظنش أن اللى هتجوزها هتكونى مبسوطة بيها ، او هتوافقوا عليها اساسًا لانها ملاك

رأى الصدمة أحتلت وجهها بعد أن نطق اسمها ، رامقة اياه بصمت وكأنها لا تصدق ماتسمعه اذناها الان ، لم يمهلها الفرصة للافاقة من تلك الصدمة حين القمها بصاعقة أشد منها : !

سواء وافقتوا او رفضتوا فأنا هتجوزها _

تسارعت انفاسها وأضطربت نفسها ان أتت تلك الفتاة الى ذلك المنزل ورأتها ستفضح كُل شئ ، فهى تعرف شكلها جيدًا عندما حاولت قتلها ..... !

***

كان قد حل المساء واعتم الليل وهى منتظرة قدومه كما قال لها ، اراح تفكيرها المستمر به عندما أتصل بها واجابت عليه بتلهف : !

ايه يا أسيد انا من بدرى اوى جاهزة ومستنياك ، ليه اتأخرت كده ؟ _

اتاها صوته صارم وصلب وهو يقول :

انزلى ياملاك انا فى مستنيكى فى العربية تحت بس من غير شنطتك ! _

ضيقت عيناها واصابتها الحيرة لتجيبه بالموافقة وتترك الهاتف وتهبط له .. صعدت بالسيارة بجوراه مسلطة انظارها عليه بحيرة تطلب منه التحدث بسرعة قبل أن يقتلها الفضول ، فتنفس هو الصعداء ماسحًا على وجهه وهو يزفر بتردد بسيط ومن ثُم طفق يقول بصوته الرجولى :

القوى

انا فكرت فى الموضوع ده من الصبح وحاولت الاقى حل غيره ملقيتش _ ، ملاك انا عايز احميكى بأى شكل من الاشكال بجد ومش لاقى طريقة اقدر احميكى بيها وانك تكونى قدام عينى دايمًا غير اننا نتجوز .. القرار يرجعلك طبعًا وافقتى او لا دى حاجة ترجعلك انتى انا عرضت عليكى الحل وانتى عليكى تقررى

ماقاله جعلها تفقد حاسة التكلم ، أنعقدت الالسن وسبحت الافكار فى محيط لا نهاية له ، تركها فى نصفه تنظر من كل أتجاه فلا ترىَ سوى الماء ، سعادتها بطلب الزواج مُحيت فورًا من الخوف الذى تملكها ، خوف من كل شئ دائما تحاول الهروب من تلك العائلة ، تجاهد قدر الامكان أن تكون بعيدة عنهم ببلاد وهو يطلب منها الزواج يعنى هذا انها سترتبط بهم للابد ..... !!

رأت نظراته المترقبة وكأنه ينتظر الاجابة منها فأذا بها تجيبه بسؤال أخر

: فى ريبة

هو انت بتعمل معايا كده ليه بجد عايزة افهم مش معقول كله ده بسبب _ وصية عمى اكيد فى حاجة تانى !

هز رأسه بالإيجاب وهو ينظر لها مثبتًا نظره فى عيناها قائلاً بهمس جميل :

عايز تعرفى بعمل كده ليه ، لانى بحمل نفسى الذنب فى موت عمتى _ مقدرتش احافظ على الامانة اللى أمنى بابا عليها ، ضيعت وحدة مش عايز أضيع التانية ياملاك .. يمكن انتى مكنتيش تعرفى مدى حبى لعمتى ازاى يعنى انتى اخر حاجة بقيالى منها وعلشان ابقى صريح معاكى اكتر انتى من زمان ياملاك غالية عندى اوى ويمكن بخاف عليكى اكتر مابخاف على نفسى ، بمعنى أصح انتى مكانتك فى قلبى متختلفش عن مكانة أسمى فى حاجة ... عرفتى انا بعمل معاكى كده ليه ، دلوقتى هسيبك تطلعى تفكرى فى الموضوع لغاية بكرة الصبح وهتصل بيكى اعرف قرارك ايه وسلميلى على زمردة !

تواثب قلبها بشدة يطرق طبوله ويعلن الاحتفالات بعد أن بدأ يعتقد انه يعشقها ولكن هيهات فقد انهى حديثه بشئ يوضح مكانتها بوضوح ! ... اماءت بهدوء فى خجل جلى بعد أن توردت وجنتيها وترجلت من السيارة

..... فورًا لتسرع فى خطاها الى المنزل فى أرتباك

***

: دخلت غرفتها وأغلقت الباب لتجيب على المتصل بضيق

ايوة يا أسلام عايز ايه ؟ _

وصل لهدفه الاول عندما استجابت لاتصاله المُلح ليجيبها بعشق مزيف

: ولكنه أستطاع تمثيله بمهارة لاوقاعها فى شبكاه كالفريسة الخرقاء

انا مش عارف هما قالولك ايه خلوكى كده وبذات ابن عمك ده ! ، بس _

اللى عايزك تعرفيه أن انا فعلاً بحبك ياسارة وانتى عارفة كده وصدقينى

بعمل كل مابوسعى علشان لما اجى اتقدملك اهلك يلاقونى مناسب ليكى

ويقبلونى

: بجفاء تام وغضب

لو بتحبنى بجد اثبتلى ده يا اسلام تعالى واتقدملى انت ايه عرفك يمكن _

!! يقبلوك ، ولغاية ماتاجى وتتقدملى ملناش كلام مع بعض

: بألحاح شديد فى لؤم دفين أردف

طب حتى خلينا نتقابل مرة ، ارجوكِ يا سارة _

: زفرت بأمتعاض فى نفاذ صبر لتجيبه ببرود مشاعر

انا فى البلد فى يا اسلام مش هقدر اقابلك لما اروح القاهرة نبقى _

! نشوف الموضوع ده .. وسلام بقى

القت بالهاتف على الفراش وهى تتأفف بخنق جلى ، انتابها شعور دامى داخلها يعاتبها انها حادثته ، مازالت تلح على مراد لتجعل مشاعره تلين بعض الشئ تجاهها ، موجة غضبه العاتية دمرت كل شئ وعندما ذهبت لم تترك اى شئ كما كان ، رسبت العواطف فى الاعماق بينهم .. كانت علاقتهم تتعدى حاجز القرابة لم تكن قرابة فقط بل كانت صداقة بُنيت على ..... أعمدة أن انهارت أنهار معها كل شئ

***

فتحت الباب ودخلت لتغلقه بقوة وتستند بظهرها عليه ، صدرها يعلو ويهبط كـ الذى يركض لساعات بدون توقف ، تتذكر كلماته ، همسه الجميل له ، نظراته الدافئة ، عرضه الذى نزل عليها كالبرق الذى يحرق الاخضر واليابس ... رأتها زمردة بذلك الوضع فهرولت نحوها وهى

: تردف بفزع

!بت ياملاك مالك فى ايه ؟؟ _

: لفظت حروف أسمه من بين شفتيها بأرتجاف

! أســـيـــد _

: صاحت فى ريبة شديد

ماله أسيد !؟ _

: ثبتت نظرها فى عينها وهى تهمس بتوتر

!!! عرض عليا الجواز _

: سمعت صيحتها المنصدمة وهى تقول بعدم تصديق

جواز ايه ، أسيد قالك كده مش معقول لا ! ، منظره ميوحيش انه ليه _

!!! فى الحجات دى

: اندفعت تصيح بها فى نفاذ صبر

حجات ايه انتى متخلفة يازمردة ، هو انا بقولك عرض عليا نتجوز _

!! عرفى

قهقهت بشدة لتسحبها وتجلسها على المقعد الوثير وهى تهتف بفضول

: كاد يقتلها

_ لا ده انتى تحكيلى كل حاجة من طقطق لسلام عليكم ، يلا بسرعة اخلصى لاحسن هتشل مكانى من الفضول اخلصى

علت وجه ملاك البريء ابتسامة دافئة عليها لتبدأ بسرد لها ماحدث كما يريح فضولها هذا ! ، فتصمت زمردة لبضعة من الوقت ومن ثُم تجيبها بعد أن تفكرت مليًا :

_ أن جيتى للحق فهو عنده حق ، مفيش حل انك تبقى فى أمان من أكرم الحيوان ده غير لما تبقى معاه دايما وقدام عينه لكن كده هو مهما عمل انتى برضوا اسمك عايشة وحدك وده بيدى فرصة لاكرم اكبر انه يأذيكى بسهولة

: همست متبرمة فى عبوس وضيق

_ ماشى انا معاكى فى الموضوع ده يازمردة ، بس بجد مش عايزة تحصله حاجة وحشة بسببى سواء هو او ريان عايزاهم يبقوا بعاد خالص عن موضوع اكرم ده ، ده غير انتى تخيلى انه يدخل على امه واخته اللى بيكرهونى سم ويقولهم انا وملاك هنتجوز ، انا مش مستعدة للوضع ده ابدًا يازمردة

أنتصبت فى جلستها بوجه مبتهج لتجيبها بعد إن اخذت شهيقًا قوى واخرجته زفيرًا على تمهل ، عارضة سؤالها الجريء فى جدية : هسألك سؤال وتجاوبى عليه ، انتى عايزة أسيد ولا لا ؟ _!

رمقتها بطرف عينها فى أضطراب بدأت الان تحس بأن حبها يهفو إليه من تحت غشاء القلق لا تعرف بماذا تجيبها ولكنها حتمًا آثرت الصراحة حيثُ اماءت لها بهدوء فى حياء بسيط فأردفت هى متشجعة بحرارة الحديث :

_ بس ملكيش دعوة بقى بمرات عمى او أسمى انتى هتتجوزى أسيد مش هما ، وبصراحة ده فى صالحك ياملاك لانك كده هتكونى فى امان اكتر ، ورغم كده فكرى برضوا مع نفسك وردى عليه بكرة

مطت شفتيها مضمومتين بعدم حيلة من امرها وجهلها بماذا تفعل ، اتوافق ام ترفض ، تلاقى كل من السلاحين فى حرب قادية ، حرب شهدت أجتماع كل من العقل الذى يؤمن بالابتعاد عنهم تمامًا ورفض ذلك العرض السخيف ! ، والقلب الذى يريد قُرب معشوقه يريد أن يشعر بالامان الذى يبحث عنه فى صحراء الظلم منذ سنوات يريد ملاذ يبنى عشه تحت ظله ، شدة الثورة التى تعصف بين ضلوعها تكاد تكسرهم الى أشلاء مثلما تمزق قلبها ..... !!؟

***

تحدثت عبر الهاتف وهى تصيح بمن تحدثه فى لهجة لا تقبل النقاش نبرة : لا تحمل مثقال ذرة من المزح

_ خالد انت هتجبلى قرار ملاك ده بالتفصيل عايشة فين ومع مين وبتعمل ايه

: عارضها بهدوء فى خوف

_ مابلاش يا أشجان هانم انا بفضل اننا نخلينا بعاد عن ملاك الفترة دى

: ثارت به كالبركان وهى تصيح بقسوة

_ ومالك خايف اكده ليه ، متنساش انك مشترك معايا فى كل حاجة من البداية يعنى خلاص طريقنا بقى واحد ومجبور تكمل معايا وانا مش هسيب بنت فردوس دى تخربلى جوازى وتكره ولدى فيا ، هتعرفلى مكانها يا خالد وهتقولى وخلال اليومين الجايين فاهم

: مسح على شعره وهو يهتف بخوف جلى فى سخط

_ يا أشجان هانم افهمينى ارجوكى مهو لو ملاك دى حصلها حاجة انا وانتى هنروح فى داهية مش لوحدى يعنى ، فخلينا بعيد عنها افضل لينا

!! صدقينى

: حسمت امرها لتجيبه بثقة ممزوجة بلهيب الانتقام

اعمل اللى قولتلك عليه احسلك وملكش دعوة ياخالد ، انا مقولتلك _

! هقلتها انا عايزة عنوانها بس

: لم تمحنه حل اخر سوى القبول بما تريده ليهتف مغلوب على امره منها

!! تمام يا هانم هعرف واقولك _

***

تتحسس تلك العلبة الحمراء الصغيرة ، تتساءل أن كان منظر العلبة هكذا فماذا ستحمل بداخلها وبالفعل فتحتها ولم تخطئ ، فقد كان خاتم مرصع بقطع الماظ صغيرة ذو لون ذهبى ، هادى ، كلاسيكى ، من اشتراه لديه ذوق خاص فى أختيار الاشياء .. تحسسته بأناملها فى إبتسامة خبيثة ، ثم وضعته فى الوسطى وهى تحرك يدها فى الهواء تراقب لمعان الالماظ مع الضوء ، وكأن الخاتم ازداد جمالاً فى اصبعها ، ريبة تتجلى فى عينها حين مضت فترة ذهول وهى تفكر " هل يخطط للتقدم لخطبة فتاة وذلك الخاتم لها ، ترىَ من تلك الفتاة الذى تجعله يشترى خاتم باهظ الثمن هكذا : " ... امسكت بهاتفها وأجرت أتصال به فيأتيها صوته الناعس قائلاً

_ الو يا أسمى فى ايه !؟

هتفت بصوت أشبه بالضحك فى مكر وهى تحرك اصبعها امامها تتفحص الخاتم :

_ حلو اوى الخاتم دى يامروان ! ، تعرف شكله حلو اوى على ايدى .. جايبه لمين بقى يالئيم انت

وثب من فراشه واقفًا وفتح الادراج يبحث عنه فلم يجده ، ضرب على رأسه وهو يلعن ويسب نفسه فيجيبها بمضض :

_ اخدتى الخاتم ازاى يا أسمى

مبتسمة فى لؤم همست بأستمتاع :

_ لما كنا بنتكلم فى الجنينة تحت انت نسيته ومشيت ، بس ايه ده طلعت مريش يامروان لا وكمان زوقك حلو لتكون ناوى تخطب !؟

أتسعت إبتسامته التلقائية ليجلس على الفراش ويردف بنعومة :

_ طاب كويس انه عجبك ، طلاما عجبك يبقى هيعجب اللى اشتريته ليها طبعًا اصلها زيك مبيعجبهاش العجب

: فى براءة هتفت ضاحكة

طاب ماتقولى مين دى والخطوبة امتى علشان اجهز نفسى _

هتعرفى متستعجليش على رزقك وهتجهزى نفسك كمان اصبرى بس ، _
المهم دلوقتى تشيلى الخاتم ده علشان لما اجى اخده

: أنتصبت جالسة وهى تضع ساق فوق الاخرى وتجيبه بغرور

تدفع كام وادهولك !؟ _

: طفق يقول فى تهديد واضح يحمل القليل من المرح

أسمى بلاش تتنصحى عليا بدل ما اقلع اللى فى رجلى واديكى بيه ، _
يانتنة يلى مستخسرة فيا فنجان القهوة

: هاجت بركانيها وثارت لتهتف فى وعيد مغتاظة

انا نتنة ! ، ماشى يامروان ابقى شوف مين هيديك الخاتم بقى علشان _
تديه لحبيبة القلب ده انا هذلك ذل عليه اصبر عليا

لم تمهله ثانية حتى ليجيبها فأنزل الهاتف من على اذنه وهو يضيق عينيه
بدهشة ، فترتسم الابتسامة على ثغره فى عشق ..... !

***

أستيقظت من نومها فى صباح يحمل الفرج ، يحمل كل شئ جميل بالنسبة لها ، فى كل مرة تقول ستشرق الشمس ولكن يخيب ظنها فى الاخير ولكن تلك المرة تشعر وأن الشمس ستشرق من جديد بالفعل ، ستعيد النور الى داخلها المظلم وقلبها الهالك على أيدى الحيونات المفترسة ، سئمت العيش من كونها ضعيفة دائمًا تضحى بما تحبه لاجل الاخرين او بسبب خوفها منهم ، قررت وحسمت القرار انها ستوافق على عرضه ، تريد قربه ، تريد إن تشعر به بجانبها دومًا ، عندما تلوذ يكون هو اول من تلوذ له ، يكون سندها عمودها الصامد التى تستند عليه فى أوقات انهيارها ، أن كان ترددها لسبب فسيكون لخوفها عليه وليس للخوف من أحد .....

نهضت من فراشها وذهبت الى المرحاض لتأخذ حمامًا دافئًا سامحة للمياء بأنعاشها وازالة ارقها وتعبها ... وعند خروجها كان الهاتف يعلن أتصال صاحب الحديث اليوم لتجيبه بخفوت :

ايوة يا أسيد ! _

بصفاء وعذوبة تمتم :

صباح الخير _

صباح النور _

: تحولت نبرته الى الجدية البسيطة مغمغمًا بتساءل

فكرت فى اللى قولتلك عليه امبارح بليل ؟ _

: اماءت برأسها وهى تجيبه بحسم أمتزج ببعض الاستحياء

!!! ايوة فكرت ، مـ.. احم ، موافقة يا أسيد _

ارتفعت الابتسامة الى ثغره وكأنه كان على ثقة انها ستوافق واجابها

: بصوت رجولى قوى

تمام جهزى نفسك يلا علشان هاجى اخدك ونروح نكتب الكتاب وخلى _

زمردة كمان تجهز

: صاحت بصدمة فى توتر

كتب كتاب بسرعة كده يا أسيد ، وبعدين هو مش موضوع ساهل لازم _

يكون فى شهود وموضوع كبير

: بخشوع تام وإبتسامتها التمستها فى صوته

ولا كبير ولا حاجة ياملاك ، انا مجهز كل حاجة وبعدين اننا نسرع ده _ فى صالحنا لانى مش ضامن ممكن يعمل ال*** اكرم ده تانى لو أتاخرنا اكتر

هزت رأسها بالموافقة وهى تجيب مجبرة على الموافقة على ذلك الزواج السريع ، مازالت لم تهيء نفسها لمقابلة كل من أسمى وزوجة عمها : تمام يا أُسيد هجهز نفسى وارن عليك ! _

ضمها كفيها الى صدرها ، تقيس نبضات قلبها المتسارعة ، احيانًا كثيرة يستشعرها عقلها الباطن انها داخل دوامة حُلم لا ينتهى حتى يهلكها ، والأن تحس أن هذا الحُلم غير مساره من اليسار الى اليمين ، من كابوس تحول إلى حُلم تتجسد فيه كُل أشكال السعادة والطمائنينة التى ستحظى بها بقربه ، لا تريد أستباق الاحداث قبل حدوثها ، تود أن تُفاجء بكل حدث جميل سيقابلها فيما بعد ، فى تلك اللحظات لا يمكنها فعل شئ سوى التضرع إلى الله ودعائه ، فلبت ما أمرها به عقلها ورفعت يدها تتضرع بالدعاء إلى الله فى نفس مطمئنة تدعو من صميم قلبها وثقة تامة فى أستجابة خالقها " يالهى أن كان هذا الزواج شرًا لى فأصرفنى عنه وأن كان خيرًا فأجعل لى منه نصيبًا ، أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالاستجابة ولدى ثقة تامة فى أستجابتك ، أخرجنى من هذا الوحل الذى تلطخت به منذ

سنين ، كُن معى ولا تتركنى بمفردى ، انك انت العليم بذات الصدور وماتخفيه الأنفس فى جوفها " .....

بدأت بالفعل فى أرتداء ملابسها الفضفاضة وتجهيز حقيبة ملابسها وأذا بها تذهب إلى زمردة فى غرفتها فتفيقها من نومها بحرص وحذر ، فتلوح بيدها فى خنق طالبة أن تتركها وشأنها وتجعلها تكُمل نومتها ولكنها وثبت واقفة كالذى لدغته عقرب عندما صكت سمعها كلماتها وهى تقول بهدوء تام :

_ أسيد أتصل بيا وانا قولتله موافقة وقالى هنكتب كتب الكتاب دلوقتى وانا لبست وجهزت نفسى وانتى قومى يلا جهزى نفسك لانى مستحيل اسيبك وحدك مضمنش أكرم ممكن يعمل ايه ؟!

فركت عيناها بعدم أستيعاب هاتفة بذهول :

_ دلوقتى علطول يعنى ، لا لا أسيد ده مستحيل يكون طبيعى ، ماشى انتى وافقتى وتمام بس مش بالسرعة دى !!!

_ يلا البسى يازمردة مش وقته الكلام ده ، هو يمكن يكون على وصول اساسًا

هزت رأسها مرات متتابعة فى حماس يكاد يصيبها بالجنون وهى تندفع

نحو المرحاض لتجهز نفسها وتخرج ترتدى ملابسها ، فتسدير ملاك وتعود الى غُرفتها ، منهم من يصيبها الحماس لحد الجنون ومنهم من أدركها التوتر والارتباك واستدرجها الى متاهة عجزت عن الخروج منها ، عقلها الصغير ذو العقلية الطفولية ألتف حوله التوتر والخجل والارتباك فى لفيف من القيود التى تمنعها عن التفكير بأى شئ وتوقفه عن العمل ..... !

***

مايقارب الساعة حتى أمرها بالنزول وانه فى انتظارهم بالأسفل ، فعلت ما أمرها به فى طاعة ، أستقلت بالسيارة بجوراه وأتخذت زمردة مقعدًا لها فى الجزء الخلفى للسيارة ، ثُم أنطلق الى مكتب المأذون الذى سيعقد زواجهم ، كان بإنتظارهم هناك مراد يبدو انه سيكون أحد الشاهدين على الزواج ، وسُرعان ما بدأو بأجراءات الزواج وأنتهى كل شئ على سنة الله ونبيه وكما يرضيه لينتهى بقول المأذون مُبتسمًا بصفاء : بارك الله لكم وجمع بينكم فى خير _

وتلقوا المباركات من المأذون بصدر رحب ثُم خرجا ، ودّ مراد أن يبارك لاخيه على زواجه ولكنه على أشد العلم بأنه ليس سعيد بهذا الزواج فقد قام به ، حتى تكون فى حمايته ولا يستطيع أحد أذيتها ، مازال لم يتقبل

وفاة رفيقة دربه قلبه يزرف الدماء لفراقها كيف له أن يتزوج ويعيش حياة سعيدة ، عكس ما ظهر على وجه ملاك من معالم السعادة التى تحاول اخفائها تحت قناع أن ذلك الزواج لم يكن سوى لحمايتها وانه سينتهى قريبًا ...!!

سحب مراد أُسيد من يده إلى زواية بعيدًا عن مسامعهم ليقول بجدية طاغية :

_ مش شايف ان جوازك من غير ما ماما تعرف هيصعب الموضوع وانك تحطها تحت الامر الواقع هيعقد الامور أكتر ، انا الصراحة مش صعبان عليا غير المسكينة ملاك اللى هتتاخد فى الرجلين وسط امك وأسمى

_ رتب على كتف اخيه بنظرات هادئة وناعمة وهو يقول بنظرة كُلها ثقة متقلقش انا حاسب حساب كل ده ، ثُم انى مش متجوز ملاك علشان ابهدلها معايا

طالعه بعدم حيلة امتزجت بإبتسامة دافئة ، كانا الفتيات يراقبوا حديثهم وبالاخص زمردة التى كالعادة كانت مراقبتها لهم بدافع الفضول اما ملاك فكان حديثهم المنفرد يزيدها توتر وخوف من القادم ، اعادها الى الواقع صوته وهو يقول مشيرًا لهم بيده :

_ يلا علشان نمشى ؟!

تحركت نحوه بخطواط بطيئة ، أستحوذ على قِسمات وجهها البريئة حالة من الزعر والخوف ، تغير لون وجهها الى الاصفرار فجأة بدأت الرؤية تصبح ضبابية امامها ، دوار شديد راودها لولا استنادها بيدها على الحائط لكانت فى الارض يحاولون افاقتها ، أخفضت رأسهًا ارضًا مغمضة عينها ، ساكنة تمامًا ثابتة فى أرضها منتظرة تحررها من تلك الدوامة التى سببت لها الدوار والأرق .. فتحت عيناها بضعف على صوته التى التسمت فيها نبرة القلق :

_ مالك ياملاك انتى كويسة ، اخدك ونروح للدكتور !؟

: هزت رأسها بنفى قاطع مجيبة بصوت مبحوح

_ لا انا كويسة بس دوخت شوية !

: اتاها صوت زمردة الذى لا يختلف عن أسيد زيادة عنه ببعض الغضب

_ لازم تدوخى مش نايمة على الفجر ومكالتيش حاجة من امبارح ، اقعدى وهروح اجبلك حاجة تاكليها

أحست زمردةبقرصة منها فى ذراعها تحسها على الصمت رامقة اياها بنظرة نارية ترغمها على الصمت فقد فتحت عليها أعاصير غضبه الان

بمعرفته عن امتناعها عن الاكل وبالتالى عن تناول الدواء ، رأت فى عينه نظرة متقدة ملتهبة تعرفها جيدًا شعرت بحلقها أصبح مرًا كالعلقم وهى تبتلع ريقها اخيرًا تحدث الاخير بصوت اجشَّ :

_ امشى ياملاك وفى البيت نشوف موضوع الاكل ده !

دقات قلبها تسارعت بخوف من براكينه وبطشه ولكنه لم يمهلها الوقت لتتفرغ إلى نفسها وتشعر بالخوف أكثر ، فأنتفض جسده وكأنها لمست كهرباء وهى واقفة فى وسط الماء حين احاطها بذراعيه من كتفيها يساعدها على السير ، سارت معه على أستحياء تخطف نظرة سريعة إليه فى حبٌ من آن إلى آن حتى توقفا امام السيارة فنظرت الى زمردة قائلة :

_ انتى مجبتيش شنطتك ليه يا زمردة مش هتاجى معانا !!

هزت رأسها نافية بأعتذار مهذب :

_ لا ياملاك مش هاجى اجى ليه اصلا انا هروح البيت اخد شنطتى وهرجع بيتنا !

القت نظرة إلى زوجها نظرة ساخطة وهى تقول له منفعلة :

_ أتكلم معاها انت علشان لو انا اتكلمت هبهدلها فى الشارع

: خرج صوته الرجولى فى حزم

مينفعش يازمردة تقعدى وحدك فى الوقت ده بذات قبل كده انتى كنتى بتقعدى وحدك لان مفيش حاجة ممكن تأذيكى لكن دلوقتى فى _

: هزت كتفيها لاعلى فى عبوس قائلة

عارفة يا أسيد بس صدقنى مش هرتاح لو قعدت هناك الافضل انى اقعد فى بيتنا متقلقوش عليا _

: تحدث مراد إليهم فى نبرة رزينة مغمغمًا

خلاص متغطهوش عليها انا هشدد الحراسة قدام بيتهم ومفيش حاجة هتحصل _

: أندفعت تصيح ملاك بنبرة شبه مُرتفعة فى أستياء

مهو كان فى حراسة برضوا يامراد لما دخل أكرم البيت وهددنى ، أكرم انا عارفة كويس انه مش انا هدفه يعنى مش عايز يأذينى انا عايز يأذى ريان وأسيد وزمردة _

: همس لها أسيد بصرامة فى نظرة مشتعلة أوقعت بقلبها

وطى صوتك ياملاك احنا مش فى البيت _

أخذت تغرز الارض بكعب حذائها والنيران تجعل كل خلية يجسدها تغلى

: فيزداد غليانها حين وجدته يهتف الى مراد قائلاً

خدها وصلها البيت يامراد واعمل اللى قولتلك عليه _

فيشير لها مراد بيده نحو السيارة مبتسمًا فتلبى طلبه فى طاعة وتصعد بالمقعد المجاور له فيستقل هو بجوراها وينطلق بها كالسهم بخترق

: الحشود .. رمقته ملاك شرزًا لتنفجر به فى عصبية

ازاى تخليها تمشى وحديها على أساس انك غصبت عليا ومخلتنيش _

اقعد فى بيتنا وحدى سبتها ليه ولا هى عادى تحصلها حاجة لكن انا لا

رأت بعيناه نظرة أستقرت مخيفة بل مرعبة فتوقعت سببها من تلك الطريقة التى تاحدثه بها ، التزمت الصمت جاهدة فى عدم أظهار ارتيعادها

: ليهمس هو بصلابة

مسبتهاش لما تهدى هكلمها واشوف حل معاها ، واخر مرة تتكلمى _

! بالطريقة دى اركبى يلا العربية

صاحب الحالة المزاجية عاد من جديد ، عادت طريقته التى تجعل منها شخص يخشاه كمن يرى وحشًا امامه ، بدأت تتفهمه قليلاً وعرفت ايضًا

انه ، فى الوقت الذى يحادثها بجفاء يكون هناك ما عكر صفوه قبل أن يقابلها فتلتمس له العذر بعض الشئ وتبتعد عنه حتى لا ترى بركان يخرج حممه لتدمر الاخضر واليابس .. صعدت بالسيارة بدون أن تتفوه ببنت شفة .....

ترجلت من السيارة امام منزلها الجديد الذى لن يكون ذو اختلاف عن سابقه فيزداد توترها ورعبها أكثر ، ودت لو تقبض على يده وتتشبت بملابسه تسلب منه بعض القوة ، تمنت عناق دافء منه يعيد له شجاعتها المسلوبة ولكن خجلها كان حاجز كحاجز الماء والنار يمنعها عنه او بالكاد هو الذى يصنع ذلك الحاجز ، خطت عتبة المنزل ودخلت لتقابل أسمى وزوجة عمها كأول مرة قابلتهم بها على تلك العتبة وكأن الايام تعيد نفسها ولكن بظروف أصعب واكثر قسوة ، اتضح ذلك عندما وقفت ليلى تقول مستنكرة :

_ ايه هى الضيفة جات تانى ولا ايه !!

بثبات وصوت قوى أستطرد :

_ مبقتش ضيفة يا امى بقت صاحبة بيت يعنى بقى بيتها !

عادت لسخريتها وهى تقول مبتسمة :

_ ايه لتكون كتبتلها البيت من غير ما نعرف كمان يا أسيد !؟

أخترق صوته مسامعهم كالرعد ، ولكن الكلمات كان وقعها أكثر كالنفخ فى الصور الذى احياهم فى لحظة واماتهم فى لحظة اخرى ، او أشبه بوقف الزمن !! :

لا بقت مراتى _ !

الفصل الحادى عشر

أخترق صوته مسامعهم كالرعد ، ولكن الكلمات كان وقعها أكثر كالنفخ فى الصور الذى احياهم فى لحظة واماتهم فى لحظة اخرى ، او أشبه بوقف الزمن !! :

_ لا بقت مراتى !

لحظات من الصمت هيمنت على الجميع ، تهجمت ملامح ليلى وأسمى وأختلطت الصدمة بالثوران الهائج وهو يستمعون الى كلمة " مراتى " أذانهم تحاول تكذيب ما يلقى عليها ، أصبحت ليلى كجمرة نار متوجهة وأسمى أكتفت بتعابير وجهها الثورانية وكان السبق لليلى فى الصياح قائلة :

_ مراتك ايه !!! ، انت بتهزر صح ! ، لا مهو مش معقول توصل معاك لكده يا أسيد .. هو ده اللى كنت خايفة منه دلوقتى وضحت نيتها كويس اوى الله اعلم قالتلك ايه واقنعتك بده ، مهى حربايه ليها كذا شكل ولون وبتمثل دور الغلبانة والبريئة

غامت عيناها بالعبرات الحارقة فتلك الكلمات ثقيلة على القلب ، الى متى ستظل بهذا العذاب ، أفرت هى من بطش نيرة وأكرم لتقابل زوجة خالها

: وابنتها ، سمعت صوته الرقيق هامسًا بجانب أذنها

اطلعى على اوضتى فوق انتى عرفاها _

اماءت بموافقة فى أعين دامعة وهرولت مُسرعة إلى اعلى وسط نظراتهم

: النارية التى تكاد تحترقها أرضًا ، فتعود مُجددًا ليلى لصياحها الغاضب

مش واضح زعلك على مراتك ، رايح تتجوز وهى مكملتش لسا ست _

..... شهور ، لا ورايح تتجوز مين أاااا

صرخ بصوت جهورى أهتزت له أركان المنزل أيقظت البركان الخامد

: بداخله بذكرها زوجته ، جعلهم يقتلعون عن الكلام فورًا فى خوف

جوازى من ملاك ملوش اى علاقة بحزنى على مريم ده حاجة وده _

حاجة ، قسمًا برب العزة وادينى بحلف اللى هيدايق ملاك بحاجة هتشوفوا

أسيد اللى انتوا عارفينه والكلام بذات ليكى يا أسمى هانم .. بقت مراتى

خلاص واللى هيوجه اى اهانة ليها كأنه بيهنى انا وصل الكلام يارب اللى

حصل دلوقتى ده ميتكررش تانى

سمعت صوته فى الغُرفة ، أرتعدت اوصالها وفقدت القدرة على التحرك ،

كان هذا أخر شئ تود حدوثه أن يرفع صوته على والدته واخته ، ستفتر

العلاقة بينهم بسببها ، عاتبت نفسها وأنبها ضميرها ، أين كان عقلها

حين وافقت على هذا الزواج الذى لن يجدى نفعًا لاى من أطراف البيت وبالاخص هى ، كان بأمكانها أن تطلب منه المساعدة فى تخلصيها من هذا العذاب ولكن عن طريق ترك البلاد ، ترك كل شئ خلفها تعيش فى مكان جديد بحياة أفضل لعلها تجد فى تلك البلد الشخص المناسب لها الذى يخرجها من الظلمات ، تكاد الشجون تشق صدرها وتقسع اضلاعها .. !!!!! خالطتها فكرة مجنونة وهى أن تطلب منه الطلاق بمجرد قدومه

بالاسفل تقدمت ليلى ناحية ابنه تتطلع اليه بخيبة أمل وأسف لتهتف بصوت يخالطه البكاء :

_ هتعمل ايه يعنى يا ابن ياسر لو زعلت ست الحسن لتكون هتمد ايدك عليا ، مهو ده اللى ناقص فاضل ايه بعد ما تعلى صوتك وتهددنى ، روح خليها تنفعك اللى بتعصى امك علشانها دى

لتسدير وتتجه نحو غرفتها والعبرات تنهار على وجنتيها لترمق أسمى اخيها نظرة غاضبة ولا تختلف كثيرًا عن نظرة والدتها ، ثُم ركضت تلحق بها وكذلك الاخير صعد الى غرفته ليفتح الباب على مصراعيه ويدفعه بعنف ليصدر صوتًا أهتزت له أركان الغُرفة ومعها جسدها الذى أرتجف رعبًا من هيئته المخيفة وعيناه التى تحولت الى كتلة دماء أوشكت على الانفجار ... راقبته وهو ينزع سترته عنه ويلقيها بعنف على الفراش

بجانبها ثُم يتجه ليجلس على الاريكة الوثيرة دافئًا وجهه بين ثنايا قبضتى يديه ، ساد الصمت لدقائق طويلة بينهم حتى خرج صوتها المبحوح الذى يغالبه البكاء :

_ كل ده بسببى ، صدقنى لو كنت اعرف أن الامور هتوصل لكده مكنتش وافقت على الجواز ده نهائى انا توقعت انها هتتعصب فعلاً وهتحصل مشكلة بس مش للدرجة دى !

ظل على وضعيته كما هو لم ينبث ببنت شفة او يرفع نظره لها حتى فطغى البكاء عليها مردفة بنشيج مسموع :

_ روح صالح امك يا أسيد وبوس على ايدها وراسها متخلهاش تغضب عليك بسببى ، امك مش هتتعوض لكن انا هروح وهتاجى الف وحدة غيرى !! ، ولو طلبت منك تطلقنى متقولهاش لا

رفع رأسه اخيرًا متاملاً وجهها الذى امتلأ عبارات ، رأى الطيبة الناطقة فى وجهها ، لم يخطئ عندما شبهها بطفل صغير يستطيع نسيان من احزنه فى ظرف لحظات ، طفل لا يحمل فى ثنايا قلبه حقدًا او كره تجاه أحد : ، صافى القلب كصفاء المطر .. أكملت بصوت مرير :

_ هى عندها حق فى كل حاجة بتعملها انا لو مكانها هعمل كده ، يعنى هى مقتنعة أن ماما كانت السبب فى موت جوزها طبيعى هتكرهنى وهتكون

معاملتها ليا كده وعلشان كده انا مش برد عليها وبستحمل كلامها وبسكت ، انا مش زعلانة والله غير انى اتعودت على كده كمان انا عارفة انه هياجى يوم وهتعرف لوحدها انها ظلمتنى والامور هتتحسن

: نهض من مقعده ليسير ويجلس بجانبها هامسًا بنبرة تفيض حنانًا

_ انتى ملكيش ذنب فى حاجة ياملاك !

: هتفت ببكاء مرير وقد سيطرت عليها موجة بكاء عنيفة

_ لا ليا متقولش مليش ذنب ، انت حملتنى اكبر ذنب دلوقتى وهو انك بتعصى امك وتتعصب عليها بسببى .. عندهم حق انا من ساعة ماجيت مجبتش الخير وجات المشاكل معايا

احاط وجهها بكفيه متشدقًا بعينان تبتسمان وصوت ينسدل كالحرير ناعمًا :

_ معندهمش حق طبعًا ، هو فى ملاك بيجيب الشر والمشاكل لما يدخل البيت ! ، يلا اهدى وامسحى دموعك كده

: دفعت كفيه بعنف صائحة به لاول مرة فى أنفعال جلى

_ مش هـهدى يا أسيد غير لما تروح تصالح امك وتعمل اللى تطلبه منك ،

متحملنيش ذنب زى ده ارجوك .. قوم يلا

هز رأسه بالموافقة فى هدوء وهب واقفًا متحفزًا ثُم أنصرف متوجهًا نحو غُرفة امه ... !!

***

أشار للنادل بيده وثوانٍ وكان امامهم وهو يقول اه بنبرة رسمية ممزوجة بإبتسامة عذبة :

طلبات حضرتك ايه ؟ _

علق نظره على زمردة مجيبًا بخفوت رجولى :

هتشربى ايه ؟ _

تنهدت بعمق زامة شفتيها بضيق زائف فقد أجبرها على القدوم معه أبت أن تتحدث لولا نظرته الصارمة يأمرها بالاجابة فهتفت باقتضاب :

عصير مانجا _ !!

انتصب فى جلسته وأردف محدثًا النادل بخشونة :

اتنين عصير مانجا _ !

اراخت ظهرها على المقعد غارزة طرف حذائها فى الارض بعصبية وترمقه شرزًا واخيرًا تحدثت بأنزعاج :

عايزة ايه يامراد هاا ، اخلص _

اشتعلت دمائه فى عروقه ليهتف بسخط زائف :

فى ايه يابت ما تتعدلى بدل ما اعدلك !! _

أستقرت فى عيناها نظرة ملؤها الكبر والاستعلاء ، فتأففت بخنق وهى تهتف بغيظ :

هتعملى ايه يعنى ! ، انا معرفش انتو شايفين نفسكم على ايه ، اخلص قول عايز ايه علشان انا واصلة معايا لهنا _

قالت أخر جملاتها وهى تسير الى تفاحتها فمد يده بكوب الماء متمتمًا بإبتسامة مستفزة :

طاب خدى اشربى ونزليها لتكتم على نفسك !! _

أشاحت للجهة الاخرى مستغفرة ربها مرارًا وتكرارًا تجاهد فى أخفاء الضحكة التى تنشب الحروب لخروجها ، نظرت له وهمست بوجوم ولكن

: العيون تبتسم

! مش وقت هزارك البايخ ده على فكرة _

: ضحكة صامتة ظهرت على محياه فأستطرد مبتهجًا

طيب سيبك دلوقتى من الهزار ولمى لسانك الطويل ده احسلك ، _

وقوليلى مش عايزة تقولى لمروان ليه انك اختة

: تنفست الصعداء بأمتعاض لتجيبه بمرارة

انا مرتاحة كده يامراد ، انت شايف اللى حاصل لملاك من ساعة _

مادخلت العيلة صدقنى كنا عايشين مرتاحين .. ثُم إن ملاك عملوا معاها

كده ولسا كمان جدى وعمى لما يعرفوا أن هى وأسيد اتجوزوا هيعملوا

ايه يبقى انا هيعملوا ايه معايا

اتكأ بساعديه على سطح الطاولة مغمغمًا بنبرة لا تحمل اى من المزح نبرة

: تحمل من الجدية والزمجرة مايكفى لاخضاعها

ملاك وضعها مختلف يازمردة وجدى وعمى فاكرين انها بنت مش _

شرعية علشان كده محدش قابل وجودها ، لكن انتى وضعك مختلف

ومينفعش تقعدى وحدك وسط الظروف دى من جهة معتز ومن جهة أكرم

متعانديش واسمعى الكلام وانتى بذات وضعك أصعب من ملاك وانتى

عارفة انا قصدى كويس ايه

: اعتدلت فى جلستها وتهمس برعب جلى

اوعى تكون قولت حاجة لحد يا مراد _

: بنبرة كلها ثقة وثبات هتف

اطمنى محدش يعرف حاجة بس علشان محدش يعرف حاجة لغاية ما _

انا احل الموضوع ده ، تبطلى عند كده وتوافقى اننا نقول لمروان

أغمصت عيناها بعبوس تكره ضعفها الذى يضطرها لقبول تلك الامور ، لا تريد آثر ذلك الرأى الذى يقترحه عليها ولكنها مجبرة حتى تستمر فى أخفاء الحقيقة التى تحاول هى ومراد فى اخفائها عن الجميع ، تابع بنبرة مهتمة :

زمردة انا خايف عليكى عايزك تبقى جمب اخوكى علشان لو حصل اى _

حاجة واتكشف الموضوع تبقى فى امان

رفعت يدها فى وجهه متشدقة بضجر ، تخرج الكلمات من فمها بصعوبة

: كان هذا اخر شئ تود حدوثه

خلاص يامراد خلاص قوله هعمل ايه يعنى ، اما نشوف هيحصل ايه _

كمان لما يعرف هو وامه وبقية البيت

***

تجلس أسمى بجانب امها تحاول تهدئتها ، لم تتوقف عن البكاء منذ ما سمعته من فم ابنها .. تلك الشمطاء ستقدى علينا جميعًا أقنعته بالزواج منها بحيلة ماهرة لم تعرفها واوقعته فى شباكها ، نعم لقبتها بشمطاء !! ، ذلك الملاك الذى لا يحمل فى قلبه سوى الحبٌ والودٍ والعطف يلقب بشمطاء ! ، تتوعد مرارًا وتكرارًا وتخبر ابنتها بأنها لن تترك ابنها لتلك الشمطاء !! .. ترىَ ماذا سترى المسكينة ملاك على ايدى هذه المرأة القاسية التى جهزت عدتها لخوض حرب عزمت من البداية على الخروج منها بأنتصار عظيم وسحقها كالجراد ! .....

دخل أسيد غرفة والدته وعندما رأى وضعها المزرى أشار بعينه الى شقيقته بالخروج فتطلعت إليه بنظرة متمردة ساخطة ورحلت ، أغلق الباب وتوجه جالسًا امام والدته ، هم بألتقاط يدها لتقبيلها فسحبتها بعنف بعيدًا عنه فى نفس تنم عن عدم رضى ، أصدر تنهيدة حارة فى خنق ليهمس بحنو :

_ انا أسف ، مكنتش أقصد صدقينى ! حقك عليا ياست الكل

اشاحت بوجهها للجهة الاخرى معبرة عن تنافرها وغضبها المستمر

فاعتدل فى جلسته أكثر وقرب رأسها من شفتيه طابعًا قبلة حانية على جبينها متمتمًا :

_ انا مستحملش اشوفك زعلانة منى ، ده انا ماشى فى الدنيا دى برضاكى .. متزعليش منى يا امى قوليلى انتى عايزة ايه بس واللى يخليكى راضية عنى وانا اعمله ؟!

لمعت عيناها ببريق خبيث لتنظر له هاتفة بجفاء :

_ تطلق الحرباية اللى اسمها ملاك دى !

تأفف بقوة ليجيبها بشئ من الزمجرة :

_ أطلق ايه يا امى .. ده احنا مكملناش كام ساعة متجوزين ، انتى مش عايزانى مبسوط انا مبسوط بجوازى خلاص بقى عايزة ايه تانى

أثار نيرانها فأشتعلت وتوهجت ، الجميع يعرف انه لن يكون سعيد بهذا الزواج قط ، الكل يعى جيدًا حقيقة انه مازال لم يتخلص من ذكريات زوجته الباقية بعد رحليها ، ولن يستطيع التخلص منها ولو بعد حين .. اذًا لماذا يحاول اقناعهم انه سعيد هكذا وهو العكس !! ، صاحت به منفعلة :

_ انت بتضحك على مين علينا ولا على نفسك ، مبسوط ايه .. لا واضح

السعادة الصراحة فى عينك .. أسيد انت اتجوزت البنت دى لسبب احنا منعرفهوش وانت مش مضطر تعمل كده الجواز مش ساهل ولو مطلقتهاش دلوقتى هتطلقها بعدين .. كنت قادر تصبر لغاية ما تلاقى الوحدة اللى تعوضك شوية عن فقدان مريم وتعوضك عن خسارة ابنك وتجبلك العيال اللى نفسك فيهم ، حرام عليك يابنى بتعمل فى نفسك كده !اليه ؟

قامت بالقاء الملح على جرحه الذى لم يلتئم بعد ، هاجت شجونه وعصفت الاعاصير بقلبه الممزق خاصة عند ذكرها الاطفال ، فهو أكثر مايشتهيه الان طفل يحمل اسمه أنتظره لسنوات وفى الاخير لم يأتِ .. تناثرت أجزاء قلبه فى كل جزء يحاول جمعهم من جديد ولكنه يفشل فى كل مرة ، صعد العبوس والمرار الى سحنته وظهرت فى عيناه التى كانت ملجأ لتلك الشجون .. واخيرًا همس بإبتسامة مريرة :

ومعنديش نية انى اتجوز جواز حقيقى تانى يا امى فعلاً يمكن يكون _ نفسى فى ابن بس واضح انى هكمل حياتى وحيد كده ، فأرجوكى احترمى قرارى واقبلى بملاك مرات ابن ليكى على الاقل لفترة معينة زى ماقولتى لغاية مانتطلق ، عامليها كويس لو مش علشانها علشانى يا امى احترامًا ليا هى دلوقتى مراتى يعنى كل كلمة موجهة ليها كأنها موجهة ليا انا .. اهم حاجة دلوقتى بس متكونيش لسا زعلانة منى

أثرت كلماته فى داخلها وتحركت عاطفة الامومة بداخلها عندما رأت الحزن والشجن بعينه ، وأشفقت على زهرة قلبها البكرية الذى القت به الظروف القاسية فى محيط يمتد لطول النظر من جميع الجهات وحتّمت عليه الموت غرقًا او جوعًا او من البرودة او الأشدهم المًا عن طريق أسماك المحيط المتوحشة !! .. مدت يدها وملست على لحيته الكثيفة بأعين دامعة هامسة بصوت باكى :

_ ربنا مبينساش حد ياحبيبى وهيكرمك صدقنى ويعوضك مش عن مريم بس لا على طيبة قلبك وحنيتك كمان ، وبخصوص اللى اسمها ملاك دى علشان خاطرك بس هحاول اتعامل معاها كويس ، هحاول يعنى مش اكيد

ظهرت إبتسامته الساحرة ليرفع يدها الى فمه ويقبلها بدفء وكذلك يتجه الى جبينها ثُم نهض من جوارها بعد أن اخبرها بأنه سيذهب لمباشرة اعماله .....

***

أستل الليل ردائه كاملاً ، قضت ملاك يومها وحيدة بعد رحيل أُسيد ، اعتكفت فى غُرفتها بمفردها لم تخرج حتى لتناول الطعام خشية من أن تتلقى ما لا يرضيها من افواههم .. أدركت انه اذا علم انها لم تتناول

الطعام طوال اليوم ولم تأخذ دواءها سيكون لها من بطشه نصيب فقد أكد عليها قبل الرحيل أن تأخذ دوائها وتتناول الطعام ، ولكن ماذا عساها أن تفعل ليس لديها الجرأة الكافية للخروج امامهم ، رغم انها لم ترتكب ذنب لتخشاهم ولكن نفسها الطفولية تمنعها من الاشتباك معهم .. شعرت بأنها أخطأت فى أمر الزواج ظنًا منها انها ستتمكن من خضوع قلبه لها وتجعله عاشقًا ولهان لها كما أصبحت هى الان ، ذلك الشعور يعتصر قلبها أن تكون عاشقة له وتنتظر نظرة منه ترىَ فيها رغبته بها وحبه الجنونى وهو غير مبالى لها فقط يريد مساعدتها وحمايتها زارعًا فى عقلها أنه يحبها ولديها جزء من قلبه تحتله وحدها ولكن ضمن محتويات العائلة " شبيهة بمكانة شقيقته " وهو فى الحقيقة لم يكن شعوره تجاهها سوى شفقة منه ورأفة بحالها ... رياح باردة اقتحمت الغُرفة معها امواج تحمل اصوات نباح الكلاب المرتفع وكأنهم شئ اخافهم او يتشاجرون حول ..... شئ

على الجانب الاخر كان ريان قد وصل القاهرة بعد سفر دام لساعات فى سيارته وكان اول من نزل من سيارته امامه هو منزل أُسيد الذى تكمن به ملاك ، او الذى كانت !! .. اصابته حالة من التوتر والقلق حين لم يجد الرجال امام المنزل ! ، سار نحوه وهم بطرق الباب فأذا به يجد زمردة تفتح الباب ويفاجئ بحقيبة ملابسها التى فى يدها وتستعد للخروج .. وقعت نظرتها عليه لتقرأ فى عينه التساؤلات والدهشة فتقابل نظراته

: ببرود ونظرة أستحقار مجيبة اياه مستنكرة

طبعًا جاى تسأل على ملاك ، زى ما انت شايف ملاك مش موجودة وانا _ راجعة بيتى دلوقتى

: ضم حاجبيه على بعضهم مردفًا بأستغراب

!مش موجودة ازاى يعنى !! ، راحت فين ؟ _

أستقرت نظرة منها عليه ملؤها الحقد والغضب مازالت لن تنسى الاهانة التى القاها كالسهم المسموم فى تجاه قلبها غبر مباليًا لذلك القلب الصغير ، لم تسيء معاملته قط ولكنه فعل كأنها نكرة لا تساوى شئ ، والان يقف امامها وكأن لا شئ حدث ، اطالت النظر فى وجهه تكاد تنفجر به وتكسر أضلعه ولكن حتمًا لن تخرج من الحرب منهزمة دون أن تصنع خسائر فى العدو ، وستسخدم أشد الاسلحة المًا تكاد تكون الهزيمة الحقيقية له !!

: تقدمت خطوة نحوه وهى تقول مبتسمة بمكر وتتصنع الصدمة

ايه ده معقول ريان بيه ميعرفش ملاك فين ، تؤتؤتؤ ملهاش حق ملاك _ متقولكش هى و أسيد .. اصل الصبح كنا عند المأذون عقبالك كده أن شاء الله ، وكان كتب كتاب أسيد وملاك ، وهى دلوقتى فى بيت جوزها !!

ضغطت على كل حرف فى اخر كلمة مستقصدة أشعال نيرانه أكثر بكلمة

زوجها ، وقفت تتابع تقلبات وجهه التى إخذت جميع الوان الطيف لتستقر على اللون الاحمر الداكن ! ، فوجدته يهتف وهو يجاهد فى ضبط انفعاله :

اذا كنتى حابة تهزرى فده مش وقت هزار خالص لانى مش فى مزاج للهزار ده وقولى ملاك فين _

قهقهت بصوت مرتفع وهى تضرب كفًا بكف واستطردت بنظرة وضيعة : وانت مين اصلاً علشان اهزر معاك ! ، ملاك فى بيت جوزها اللى هو أسيد ولو مش مصدقنى روح واتأكد بنفسك _

رأت نظرة فى عينه ارعبتها حقًا لا تعرف اهى بسبب ماسمعه منها او بسبب طريقتها فى الحديث معه ولكن لا يهم ، الاهم الان انها نجحت فى تحقيق مبتغاها ، باغتها بحركة فجائية منه وهو يسحبها من ذراعها اليه هامسًا له بخفوت مرعب :

عارفة لو طلعتى بتكدبى هندمك على اليوم اللى شوفتينى فيه ، اما طريقتك فى الكلام دى فهدفعك تمنها بطريقتى _

دفعت يده بوحشية عنها رامقة اياه شرزًا ثُم دلفت الى المنزل واغلقت الباب وتركت العنان لدمعة حبست فى مقلتيها بمجرد تذكرها لما قاله لها

فى المنزل هنا منذ ثلاث أشهر ، أخرجت هاتفها وأجرت أتصال بمراد تعرف منه لماذا تأخر هكذا وهى تنتظره منذ وقت فأخبرها انه فى طريقه إليها .....

***

فتح باب الغُرفة ودخل بعد يوم شاق ومُرهق ، نزع سترته عنه كما يفعل دومًا متنهدًا بأرهاق واذا به يصدم بملاك النائمة على الارضية ، تتكور حول نفسها كالجنين فى بطن امه لا يوجد مايغطى جسدها الضئيل ويدفيه فى ذلك البرد ، انحنى إليها وهتف بصوت قوى بعض الشئ يحمل بداخله السخط :

_ ملاك .. ملاااك

فتحت عيناها دفعة واحدة وانتفضت جالسة عندما رأته وهمست له بخفوت مترقب فى صوت يبدو ناعسًا :

_ نعم !

بنظرات دقيقة تفحصها قائلاً :

_ نايمة على الارض ليه ؟؟!

: ابتعلت ريقها بأضطراب بسيط مغمغمة بتوضيح بسيط

يعنى اصل انا نمت على الكنبة ولقيتها مش مريحة اوى فنمت على _

الارض

! والسرير ده بيعمل ايه _

: أوضحت أكثر بخجل أشد وهى تهز كتفيها لاعلى لتظهر جهلها قائلة

معرفش بس قولت يمكن انت مش حابب حد ينام عليه او جمبك _

بالاخص

جثى على ركبيته امامها ، تلك الملاك تتفنن فى كل مرة وتجعله مجبور

على معاملتها برقة وحنان كمان ينبغى أن تعامل ، عفويتها وبراءتها

: الطفولية لا يستطيع المقاومة امامهم ، تشدق مبتسمًا

وانتى بأى حق بتقررى بالنيابة عنى ثُم أن انتى مبقتيش حد ياملاك ، _

انتى حاليًا مراتى ومينفعش انام على السرير وانتى على الارض او الكنبة

عييب يعنى .. عايزك تتعاملى بعفوية ياملاك ده بيتك خلاص ، قومى يلا

كملى نومك على السرير وانا هاخد دش وانام زيك .. بس قبل ماتنامى

اكلتى واخدتى علاجك ولا قاعدة من الصبح مكالتيش حاجة

ازدردت ريقها بخوف وهزت رأسها بنفى وإيجاب فى آن واحد بنظرات طفولية مرتعدة ولكنها لم تنفعها كثيرًا حيثُ أندفع بها يردف بغضب وبعدين يعنى ، انتى طفلة صغيرة ياملاك هقعد فوق راسك علشان تاكلى _ ، مش عارفة مصلحتك يعنى .. مصممة تعصبينى عليكى فى كل مرة بسبب عندك ده وحركاتك اللى تشل ، مانعين الاكل عنك يكونش وانا معرفش :

أطرقت ارضًا بأسى متمتمة :

مقدرتش اطلع يا أسيد ، صراحة مكنتش مستعدة لاى كلمة من مامتك _ او اختك ففضلت القعاد فى الاوضة لغاية ماتاجى

مسح على شعره زافرًا بخنق ثُم تشدق :

طاب انا كل يوم هطلع واجى اخر اليوم ، هتقعدى كل يوم من غير أكل _ لغاية ما اجى .. مينفعش اللى بتعمليه ده انا مش عايز اتعصب عليكى بس انتى بتجبرينى على كده

إبتسمت بمرارة وصوت مرير وعابس اجابته :

انت دايما متعصب عليا يا أسيد نادر لما بشوفك بتضحك فى وشى او _ تكون هادى

تتهمه بقسوته معها بالرغم من انه يجاهد ويدهس على نفسه محاولاً أن يظهر لها حبه العفوى لها وانه لا يريد احزانها ، ولكنها تتعمد أشعال نيران غضبه بما تفعله من عناد ، لم يكن لديه نية بأخافتها .. خرج صوته الحانى التى بدأت تعتاد عليه رويدًا رويدًا :

انا لما بتعصب عليكى بيبقى بسبب خوفى عليكى لو بصيتى وعديتى المرات اللى اتعصبت عليكى فيها هتلاقيها بسبب عندك او غيره ، متعادنيش معايا واسمعى الكلام ومش هتشوفى منى غير حنية

اصطبغ وجهها بحمرة خفيفة ، يخدش حياؤها بكلامته المعسولة ونبرته التى تحتضنها .. ماهذا الرجل كيف له أن يكون شخصين فى آن واحد ، يتقن التحول من غضبه الى طبيعته الهادئة والساكنة .. لا يمكنها القول سوى انه جذاب لدرجة كافية لجعل اى فتاة تفتن به من اول نظرة ! ، رجل بما تحمل الكلمة من معنى ، صدره الواسع وطولة باله ، هدوءه ، حكمته ، غضبه ، إبتسامته الساحرة .. يكفى أن ترى كل هذه الصفات يوميًا أن سؤلت الان من هى فستجيب

! انا التائهة فى صحراء تمتد الى البصر لا أعرف مفر منها

! انا التى نخر الحزن قلبها بلا هوادة

انا فتاة شبت ونموت وحيدة تغزت على الالم ، حتى أصبحت ذو مناعة

! ..قوية ضد الصدمات تتحملها كما تتحمل شكة الابرة

انا العاشقة لرجل لست على باله ولا يفكر فى أن احتل جزء صغير من عقله وقلبه !

رجل لا يسمح لها بأختراق حواجزه ، بينهم سد كسد يأجوج ومأجوج كلما تهدم منه جزء يعود بنائه مُجددًا

: اخيرًا تحدثت بعد أن اظهرت عن صف اللؤلؤ بين شفتيها فى مكر

_ انا ممكن أكل بس بشرط ، انا سمعت طراطيش كلام كده الصبح من مرات خالى بتقول انك ليك فترة طويلة مش بتاكل كويس او مش بتاكل اصلا لسبب مجهول ليا حتى الان والنهردا من الصبح مكالتش حاجة ، فأنا هاكل لو أكلت معايا

: أستقرت نظرة لئيمة منه وإبتسم متمتمًا

_ انتى بتحاولى تلوى دراعى يعنى ! ، انا لو عايزك تاكلى هتاكلى غصب عنك ياملاك ومن غير ما أكل ، فـ زى الشاطرة كده قومى اعملى أكل وملكيش دعوة بيا انا مش جعان اساسًا !!

: رفعت كتفيها لاعلى مردفة بنظرة متحدية

_ انا قولت اللى عندى ، هاكل لما تاكل معايا .. انت بتقول عنى عنيدة

وانت مشوفتش حاجة من عنادى لسا

: لاحت على ثغره إبتسامة واسعة ليغمغم بغضب مزيف

! وانتى مالك انتى بيا انا مش عايز أكل _

: حدقته بطرف عيناها فى أستنكار قائلة ببرود

خلاص طلاما انا مالى وانت مالك كمان بيا انا مش جعانة ، انت خسران _

ايه لما تاكل .. انا لو حصلى حاجة دلوقتى ومُت هيبقى بسببك

قهقه بخفة من تلك القطة الصغيرة التى تساومه معتقدة انها ستنتصر

: عليه ، ولكنه سيتقن دور المهزوم ويخضع لما تريد قائلاً

!! ماشى روحى حضرى الاكل وهناكل مع بعض _

تهللت اساريرها كطفلة صغيرة ووثبت واقفة وهى تقول بحماس شديد ،

أن دقق النظر فى عيناها فسيرى وميض الحب فى عيناها يلمع كالنجم فى

: وسط السماء السوداء

فى الواقع عندى شرط تانى كمان ، تاجى تحضره معايا _

: أظهر الدهشة المزيفة ليهتف بخبث بسيط

ماشى ياملاك هانم همشى وراكى للنهاية ، اسبقينى على المطبخ وهغير هدومى والحقك ! _

اماءت له بسعادة طفولية وهرولت مغادرة الغُرفة متجهة نحو المطبخ ومن حسن الحظ أن الجميع كان غارق فى ثبات عميق ، بدأت بالتفتيش فى أغراض المطبخ لا تعرف ماذا تحضر للعشاء ، دقائق وهلّ وهو مرتديًا بنطال أسود اللون اعلاه كذلك جاكيت من نفس اللون .. أقترب ووقف بجانبها ثُم أستطرد :

هتعملى ايه ؟ _!

أفترت شفتاها عن إبتسامة ساحرة مجيبة بعفوية :

معرفش انت حابب ناكل ايه _ !!

اى حاجة من ايدك حلوة انا مش بتفرق معايا _

قالها بعفوية تامة لم يكن له نية واضحة فيما قاله فقط قالها بغرض اظهار الودّ والحنو ، ولكن قلبها ترفرف كطير حديث الولاد أنطلق فى الهواء يرفرف بجناحيه بحرية ، رفعت نظرها إلى أحد الارفف العلوية وحاولت فتحها فتولى المهمة وفتحها بكل سهولة لطول جسده ونظر له قائلاً :

عايزة ايه ؟ _

أخبرته بما تريده وجلبه لها ، بدأت بالتحضير بمساعدته القليلة لها ، كانت تختطف نظرات له بعينان تضحك ! ، شعورها وهو يقف بجوراها ويبادلها الحديث ويمازحها بتلقائية ، تارة يضحك بصوته المرتفع وتارة يكتفى بإبتسامة جميلة تجعلها فى قمة سعادتها ، قربه منها يبث فى نفسها الطمائنينة والسعادة ، وحتى أن كان زواجهم لفترة معينة وسينتهى ، وإن كانت تعلم أن حبها من طرف واحد ولن يشتركا فى نفس القلب ، سيكفيها أن تعيش اللحظة بقربه ، أن تكون بحانبه وتسمع صوته وترى إبتسامته الساحرة ، أن يحتضنها ويضمها الى صدره وأن كان ذلك بدافع شفقته عليها .. فهى قابلة بكل شئ مقابل أن تكون معه .. انتهيا من تحضير الطعام وهموا بتناوله ولكن قطع ذلك صوت رنين هاتفه الذى اجاب عليه :

فى أستغراب

! خير يا ريان فى ايه _

: اتاه صوته المنفعل قائلاً

انزلى يا أسيد انا فى الجنينة بره مستنيك _

: اجابه بصدمة متساءلاً

فى الجنينة ،انت امتى جيت اساسًا يابنى .. طيب نازلك دلوقتى _

توترت ملاك بشدة فأيقنت انه علم بزواجهم من زمردة وحتمًا هو بالاسفل يشتعل بالنيران من فرط غيرته .. غادر أسيد الغرفة فورًا فتوجهت هى ووقفت تنظر إليه من الشرفة وعندما وقع نظره عليها فى غرفته تأكد مما ..... قالته زمردة .. رأى أسيد يسير نحوه فأندفع نحوه كالثور الهائج

ثريا محمود

الفصل الثانى عشر

رأى أسيد يسير نحوه فأندفع نحوه كالثور الهائج ليقف امامه ويتمتم

: مُبتسمًا بسخرية وتحمل عيناه وميض مخيف

_ يعنى اللى سمعته صح ، اتجوزت ملاك !

: تعجب من غضبه المبالغ فيه والمجهول سببه ليجيب بهدوء

_ ايوة كتب كتابنا الصبح ، أضطريت أعمل كده مكنش فى طريقة تانى أحميها بيها من أكرم .. انت متعصب كده ليه !؟

مسح على شعره وهو يشيح بنظره عنه ضاحكًا كالذى فقد عقله ثُم يعود

: بنظره إليه مجددًا فى صراخ هادر

_ لا برافو عليك الصراحة فكرة ممتازة ، سبقتنى ازاى انا مفكرتش فى كده من زمان ده انا طلعت غبى أوى على كده !!

: ثار عليه منفعلاً بعض الشئ فى إستياء متشدقًا

_ فى ايه يا ريان مالك بتتكلم كده ليه ، وبتزعق ليه !!؟

: ازداد صياحه أكثر صارخًا به

بزعق ليه ! ، اقولك ليه اللى اتجوزتها دى سنين وانا بحبها مستنى الوقت المناسب علشان أعرض عليها الجواز بس ماشاء الله انت مضيعتش وقت اللى أنا قعدت سنين بحاول فيه أنت بكل سهولة فى شهور عملته !!

تبهره ما قاله ، بل أوشك على أن يكذب أذناه ، أحتلته الصدمة بأكمله لم يكن لديه علم بهذا ولم يخطر على عقله أنه يحب " ملاك " أو زوجته حاليًا ، وجده يتابع وهو رافعًا سبابته فى وجهه محذرًا بنظرة ملتهبة لا تنم عن خير أبدًا أن لم ينفذ أوامره :

هتطلقها يا أسيد وفى أقرب وقت ، أنا مش حابب أخسرك يا ابن العم فأنت هتجيبها من قصيرها وتطلقها بأسرع وقت ممكن

أدركت ملاك أن الخطر قد وصل الى زروته وإن لم تحاول إنقاذ الموقف فسيقعا معًا فى بحر عميق ، هرولت راكضة إليهم فى الاسفل ..... لم يعجبه بل لم يبتعله فى حلقه مطلقًا ، أكثر ما يكره لهجة التهديد ، يأمره بأن يُطلق زوجته من هو ليأمره بشئ كهذا حتى وأن كان زواجهم ليس حقيقًا وسينتهى بالفعل ، ولكن وحده هو من يقرر أن كان سيستمر أم لا وأن كان سينتهى فهو وحده ايضًا سيقرر متى سينتهى .. أشتدت الحرب وأزدادت أشتعالا حتى وصلت الى أكثر نقطة مثيرة وهو همسه الغير مبالى

: الذى يعبر عن نفس غاضبة

مش أنت اللى هتقولى ياريان أطلق مراتى إمتى وإمتى لا ، وعلشان _
! يكون فى معلومك بقى مش هطلقها أبدًا

نبض أشتد فى رأسه وكأنه يضع ذبذبات كهربائية ، تلك ما فعلته به جملته الاخيرة التى جعلت منه وحشًا كاسرًا بالفعل ، وصل به الغضب الى زروته ولم يشعر بنفسه سوى وهو يوجه له لكمة قوية كادت تطيح أرضًا فتشهق : " ملاك " بفزع وتركض نحو زوجها لتسمع تهديد " ريان " الواضح

هتطلقها .. هتطلقها ولو مش بمزاجك هيبقى غصب عنك يا أسيد _

رمقته ملاك بذهول ، متى أصبح بهذه الوحشية ، هل وصل حبه لها إلى هذا الحد ، ليتها تكمن له فى ثنايا قلبها مشاعرًا له ولكنها لا ترى فيه سوى أخًا وسند .. همت بالركض خلفه صائحة : !

ريان استنى .. رياان _

يد فولاذية قبضت على رسغها تكاد تقتلع جلدها وهو يصرخ بها بوجه أن قالت أخافها فتكذب ، بل قذف الرعب فى قلبها كالحجارة النارية القادمة من الخارج ، وعيناه المتشعلة أوشكت على الأشتعال وتحرقها بشعاعها : أدخلى جوا _

برغم رعبها همت بأن تجيب فى أعتراض متوسلة ليلقيها بصرخة أشد أنتفضت فى أرضها على أثرها :

قولت ادخلى جوا _

أمتثلت لامره فى نفس متضايقة فوجدته يسرع خلف ريان المندفع نحو سيارته وبراكينه جميعها تُطلق الحمم البركانية لتدمر كل شئ ، غرز أصابعه فى ذراعه وجذبه معه ثُم فتح باب سيارته وقال فى غضب : اركب واستنانى هروح اجيب المفاتيح واجى _

حدقه بنظرة تنم عن أعتراضه الساخط فيصرخ به فى صوت جهورى : ريان قولتلك أركب متختبرش صبرى أكتر من كدا _

ثُم أستدار وأسرع فى خطاه نحو غرفته ليجلب المفاتيح ويذهب دون أن يغير ملابسه حتى ! ، شعرت فى ثنايا قلبها بالذنب .. عادت من جديد تلوم نفسها على موافقتها على هذا الزواج ، تتيقن أنه أن كان يعرف بحب ريان لها لم يعرض ذلك الزواج عليها قط وكان سيجد حلاً أخر حتى وأن كان هو الزواج من ريان حتى يكون كما يقال (ضرب عفورين بحجر واحد) لم تتأذى وهى معه وفى ذات الوقت لن يحرق روح صديقه وابن

عمه ، يالها من أنانية لم تفكر قط فى ريان كيف سيكون وضعه حين يعرف ! ، تعرف بحبه لها ومع ذلك آثرت نفسها .. آثرت من لا يحبها ولن يحبها وتركت العاشق الولهان لها ، لعل كان الامر سينجح أن أعطت فرصة لنفسها وحاولت أن تنظر إلى ريان بنظرة مختلفة عن سابقها ، تتذكر جيدًا عندما آثرت أكرم وتركت من كان يريدها بحق .. أخطأت بل أرتكبت أكبر خطأ فى حياتها بآثرها لذلك الحقير ، وكان وراء ذلك هو شئ واحد انها رأت فيه الرجل المناسب لها أحبته .. تخشى أن يتكرر ذلك مُجددًا ، أصبح قلبها ينزف دمًا كلما تتذكر نظرته لها للتو ، نظرة عتاب ، أعين عاشقة فقدت أشد ما تحب النظر إليه ، عيناه تحدثت وكأنه يقول " لماذا فعلتِ هذا وأنتِ تعرفين جيدًا بحبى لكِ كان بأمكانى أن اعوضك عن كل شئ وأنتِ معى " ضاقت أنفاسها من الالم وغامت عيناها بالعبرات لتجلس على الارض وتضم قدميها إلى صدرها محتضنة إياها وتهتف باكية بحرقة :

_ أنا أسفة .. أنا أسفة ! سامحنى يا ريان

أقتحمت الغُرفة أسمى التى دخلت لها وهى تصيح بها فى زمجرة :

_ يارب تكونى مبسوطة دلوقتى يا ملاك هانم باللى شوفتيه تحت ده !!

لم ترد ولم تنظر ولم تعيرها أهتمام ولكن تلك القاسية استفزتها بقولها

: الصارخ

أُسيد وريان عمرهم ما اتخانقوا ولا وصل بيهم الوضع أن واحد فيهم _ يضرب التانى ، دايمًا مع بعض فى كل حاجة .. والنهردا بسببك هيخسروا بعض ، ولسا ياما هنشوف منك ، تعرفى إنك معندكيش دم ولا أحساس ، وافقتى تتجوزى أُسيد وأنتى عارفة أن مفيش حد بيحبك ولا عايزك فى العيلة كلها .. والمشاكل ماشاء الله نازلة ترف علينا من ساعة ماشفنا وشك ، أنتى عايزة إيه بظبط منينا هاا ، أنتى مش ملاحظى إنك أطردتى مليون مرة من البيت وبرضوا رجعتى تانى بكل برود ... بس خلى فى معلومك مش معنى أن أنا وماما سمحنالك تدخلى البيت يبقى هتعيشى مرتاحة لا ده أنتى هتشوفى أسود أيام حياتك هنا !

: خرجها صوتها الصارخ فى تشنج

أطلعى برا يا أسمى .. برا _

: إبتسمت بغطرسة وتمتمت ساخرة

طبعًا تطردينى متطردنيش ليه خلاص بيقتى ست البيت !! _

ولتها ظهرها وغادرت ، تلك المسكينة لن ينتهى عذابها تعرف هذا ، أصبحت كالمريض الذى ينتظر لحظة وفاته ليرتاح ، بالفعل مريضة

وستترك نفسها بدون علاج حتى تلفظ أنفاسها وتخرج روحها الى خالقها .. لم ترتكب ذنب لتعيش كُل هذا سئمت العيش وبغضت جميع الناس لا تريد أحدًا يكفيها البقاء بمفردها فى راحة بال ، تلك الزهرة التى كانت متفتحة تبهر كُل من يراها ، ذبلت وهكلت ، لم تطلع الشمس عليها منذ سنين لم ترى النور سوى أيامًا معدودة ، طائر صغير فتح عيناه لم يجد حوله سوى حشائش ، أسفله أرض صلبة لم يتحملها جسده الناعم الرقيق .. وأعلاه سماء التحليق بل الحرية! ، حاول بل عافر وأصر على الطيران ولكن كيف لطائر مسلوب الجناحين الطيران ، حتم عليه الامر أمرين .. أما البقاء فى مكانه أما الصياح ليأتى أحد وينقذه وفى كلتا الحالتين فسيكون مصيره الموت على إيدى صقر أو غيره ..... نهضت وبدلت ملابسها وجذبت حقيبتها التى كما هى منذ الصباح ، لم يكن تلك المرة هروبًا من واقعها بل كان إنقاذًا لحياتها التى أمرتها بيئتها أن تعيش نفس الظروف القاسية وتتأقلم معها .. حسمت بل قررت من تلك اللحظة لم تسمح لاحد بأحزانها ومن سيحاول ستحرقه بل ستمزقه الى أشلاء مثلما فعلوا بها ، ستترك تلك الملاك خلفها وتصبح شيطانًا لا يهمه سوى مصالحه ونفسه ، ستدعس على قلبها مثلما فعل الجميع وأن كان سيؤلم بداية الامر ولكن لا يوجد شئ يؤلم والا كان نتيجته النهائية الشفاء .....

سحبت حقيبتها خلفها وغادرت وعزمت على عدم دخول ذلك المنزل

مُجددًا ، لم تتحمل الاهانة أكثر من ذلك قضت سنين حياتها تتحملها ، يكفى ..... !! لقد أكتفت وشبعت منها

***

كان الاثنين يقفان فى مكان لا يعلمه أحد سواهم لطالما قضوا طفولتهم به ! ، فيعيد ريان تهديده من جديد وثورته لم تهدأ بعد :

هتطلقها يا أُسيد _

اجابه فى سخرية واضحة :

وبعد ما أطلقها هيحصل ايه ! ، ملاك لو كانت عايزاك مكنتش هتوافق عليا يا ريان .. وعلى حسب ما أنا شايف إنها مش شايفة فيك غير أخ _ ليها

إنفعل كالمجنون يصيح :

وأنت كنت عارف ورغم كده عرضت عليها الجواز _

ماثله الاخير فى صياحه وإنفعاله قائلاً :

قولتلك مكنتش أعرف حاجة عن الموضوع ده نهائى ، اللى عايز _ أقولهولك أن حتى لو أنا وهى اتطلقنا مظنش أن ملاك هتكون ليك يا ريان

فا الاحسن إنك تطلعها من راسك

تحرك خطوتين للامام ماسحًا على شعره ووجهه ، يطلب منه نسيان حب دام لسنوات ، تعشش فى ثناياه كالمرض ، استحوذ على تفكيره ، بات يحلم باللحظة التى ستكون فى منزله وداخل أحضانه ، وكأنه الان يطلب منه قتل نفسه وليس حبه .. ألتفت له وغمغم بمرارة :

أُسيد أنا مهما احاول أفهمك مش هتفهم ، أنت بكل سهولة بتطلب منى انساها ، بقولك إيه الاحسن منتكلمش فى الموضوع ده دلوقتى أساسًا كفاية اللى حصل _

أجابه مُبتسمًا فى إستنكار ممزوج ببعض المرح :

اهاا كفاية أوى ، قول الحمدلله إنى مخلتكش تقول حقى برقبتى على اللى عملته فى البيت معايا لو واحد غيرك كان زمانه فى العناية دلوقتى _

أظهر أخيرًا عن إبتسامته مردفًا باعتذار صادق :

حقك عليا يا بن العم مكنتش شايف قدامى _

استدار وسار نحو السيارة هاتفًا بجدية تامة :

طيب يلا أركب علشان أنا تعبان وعايز أروح أنام _

***

تحاول الإتصال به منذ أيام وفى كل مرة يرفض إتصاله ، هل أتخذ موقفًا قاسيًا منها الى هذا الحد .. لم تقصد إحزانه الى هذا الحد ، كيف تُصلح ذلك الكسر ياترىَ ، كيف تجعله يصدق إنها نادمة على مافعلته ولن تكرره مُجددًا ، تود أن تعود علاقتهم كما كانت ، يسودها الحب والتفاهم والمرح ، مع بعض من المشاكسة التى لم يخلوا منها إى حديث بينهم ! ، ستحاول ..... ! ولن تيأس حتى تصلح ما أفسدته وتعود المياه لمجاريها

فتحت أشجان الباب ودخلت لتجدها جالسة على فراشها تحملق امامها فى للأشى بشرود ، أصابها بعض من التعجب ظهر حين قالت :

بت يا سارة مالك اكده سرحانة فى إيه _

انتفضت على صوت والدتها فاعتدلت فى جلستها فورًا مجيبة بتوتر بسيط :

لا عادى كنت بفكر فى حاجة كدا _

وجدت ونيس تشاركه خوفها وبغضها فجلست مقابلتها واستطردت بحقد واضح :

شايفة أخوكى بيقولى إيه من يومين قال هتجوز ملاك وغصب عنكم _

أختارت الونيس الخطأ لتشاركه بغضها إذا أن ذلك الونيس يكمن الحب والودٍ " لملاك " فى داخله فأجابتها بأعين متقدة :

_ ومالها ملاك يا امى .. هو احنا هناخدها بذنب عمتى ، هى ملهاش ذنب فى إى حاجة وأنا متأكدة إنك لو عرفتيها هتحبيها جدا بس أنتوا اللى مش عايزين تتعبوا نفسكم .. وأنا شايفة أن ريان وملاك هيكونوا ثنائى رائع وخصوصًا أن ريان بيحبها ومش بعيد تكون هى كمان كده !

استقرت نظرة ملؤها الغضب والغل منها على ابنتها وتشدقت فى شبه صيحة :

_ ثنائى رائع إيه ، هو أنا هلاقيها منك ولا من أخوكى المجنون ده

لم تكن فى مزاج لتتجادل معها حول أمر مقتنعة كل الاقتناع برأيها ولن تسمح لاحد بجعلها ترى سوى الحقيقة التى تراها وهى أن ملاك لم تكن سوى ملاك بالفعل تجسد فى هيئة إنسان ، قالت بنفاذ صبر صبر :

_ ماما أنا عارفة إى مهما أكلمك مش هتفهمى ، الافضل بقى إننا منتكلمش فى الموضوع ده خالص لا دلوقتى ولا بعدين

ستفعل كل ما بوسعها حتى لا تجعل تلك الفتاة تدخل منزلها وتكشف أمرها

وأن كلفها الامر قتلها كما حاولت سابقًا وفشلت ، قضت سنين تحاول أخفاء كل تلك الخفايا والان ستأتى شمطاء صغيرة تهدم كل ماسعت فى بنائه .. بالتأكيد لم تسمح بهذا وحتى أن أضطرت أن تلحقها بنفس قدر أمها .. هبت واقفة ثائرة وهى تقول بنبرة تحمل فى طياتها الثقة والتحدى :

_ وأنا يستحيل أسمح بأن بنت فردوس دى تدخل البيت .. أنا ماصدقت ماخلصت من أمها تجيلى هيا كمان ! ، وحتى لو دخلت هتبقى دخلت لعذابها برجليها .. فى الواقع أنا كنت عايزاها تاجى بس دلوقتى الوضع اتغير أوى

حركت رأسها حركة نافرة بأمتعاض معبرة عن سخطها لما تتفوه به أمها ..... والتزمت الصمت حتى خرجت وتركتها بمفردها من جديد

***

قضت الطريق كله سيرًا على الاقدام ، لاول مرة لم تشعر ببرودة الجو والهواء البارد الذى يلفح صفحة وجهها البيضاء الجميلة ، عيناه المنطفئة ولكن بداحلها بريق مختلف بريق القوة ، ولكن هيهات فصاحب القلب النقى النظيف والنفس النقية لم يتحول إلى شيطانًا وحتى أن فعل فيكون هذا قناع يحاول إقناع الناس به ، لم تطلب شئ من الله سوى

العيش براحة ، مطمئنة سعيدة وأدركت مؤخرًا أن السعادة ستتمثل فى الابتعاد عن تلك العائلة التى لطالما بغضتها .. ذهبت وتركت قطعة من قلبها خلفها بل تركته كله ! ، تسمع آنات قلبها المستمرة وهو يترجاها أن لا تفعل ! ، يطلب منها العودة وتبقى بجوراه وكل شئ سيكون جيدًا ، لا يجب عليها الاستسلام بسهولة وأن تتخلى عنه كما تتخلى عن كل شئ من أجل الناس .. فتجيبه قائلة لم أتخلى عنه من أجل الناس ، أتخلى من أجلى ، أتخلى من أجل سلامة من أحبهم ، أتخلى لإنى متيقنة أن قربى منهم لم يجلب سوى الأذى ، أتخلى لإنى لا أجد طريقة أحتج بها عن العالم سوى العزلة والإبتعاد ، أتخلى لإنى أحبهم !!

وحين يمرض القلب يسألون صاحبه لماذا فعلت هذا بنفسك ، لما لم تهتم بنفسك ، لم يسألوا نفسهم لماذا فعلنا هذا به ، لما مزقنا ذلك القلب الذى فى حجم قبضة اليد ولم نبالى لحاله بعد ذلك .. الا يحق لذلك القلب الذى ينبض أن يحتج عنهم ويعلن هزيمته ومرضه الا يحق له أن يتوقف عن العمل الى الابد ، وها هو مايفعله الان يحتج عن الجميع حتى عن نفسه !! وصلت أخيرًا الى منزلهم فكرت فى أن تطرق على منزل زمردة وتطمئن عليها ولكنها رجحت إنها نائمة الان ، ففتحت باب منزلهم بعد وقت طويل مر ودخلت ثُم اغلقت الباب خلفها وأسندت حقيبتها بجواره ، سارت الى الداخل وتوقفت فى نصفه تحدق به بأعين دامعة تنظر فى كل جزء ، كل ركن يحمل ذكرى لن تمحىَ مع والدتها ، هنا فعلت ذاك ، وهنا قالت هذا ،

وهنا ضحكت هكذا ، وهنا أحبت وتمسكت بهذا الشكل .. بدأت أنفاسها تتصاعد وتعجز عن أخذ أنفاسها فجثيت على الارض وهى تصرخ باكية بحرقة :

_ قوليلى أنا أعمل إيه من بعدك يا ماما ، تعبت والله خلاص مبقيتش قادرة ، كنتى دايما تطمنينى وتحضنينى وتقوليلى أن كل حاجة هتبقى كويسة إينعم مكنش بيحصل حاجة بس حضنك وكلامك كان كفاية إنه يقوينى ويدفع الامل جوايا ، دلوقتى أنا مش لايقة اللى يقوينى كدا

شعرت بيد توضع على كتفها فرفعت نظرها ودهشت إذا بها تجدها امامها بنظرته الدافئة لتضمها الى حضنها كما كانت تفعل دومًا فتنهار بين ذراعيها باكية هاتفة بصوت متشنج :

_ حضنك وحشنى أوى يا ماما

ظلت على هذا الوضع دقائق عديدة حتى انتشلها من لحظتها تلك صوت طرق الباب فأدركت إنه لم يكن سوى خيالاً صوره عقلها الباطن لها ، فنهضت وتوجهت نحو الباب بعد أن ظنت إنه زوجها ، فألقت نظرة من خرم صغير فى الباب فتنصدم بأكرم .. وثب قلبها من موضعه من الرعب وترددت كثيرًا قبل أن تفتح له ولكنها قررت الدعس أيضًا على خوفها هذا ، فجففت عبراتها جيدًا لتظهر بمظهر قوى وثابت ثُم فتحت له الباب هاتفة

: بغضب

انت بأى عين جاى تانى _

دفعها من امامه بعنف ودخل ثُم أغلق الباب فصاحت به بنبرة محذرة وجسدها يكاد يرتجف من الخوف :

أطلع برا يا أكرم والا والله أصوت وإلم عليك الجيران _

: بإبتسامة لئيمة ونظرات شيطانية غمغم

اهدى يا ملاكى صويت إيه بس ، أنا جاى اتكلم معاكى فى هدوء _

وهمشى زى ماجيت هاا إيه رأيك

: صرخت به مندفعة كالمجنونة

مفيش كلام مابينا اصلاً وأطلع برا يلا _

لا ازاى بقى ده إحنا بينا كلام كتير لازم نتكلم فيه أوله جوازك من البيه أسيد ! _

: أكملت صراخها بأكثر إنفعالاً

وأنت مالك أنت بجوازى لتكون هتمنعنى كمان _

: قهقه باستمتاع قائلاً فى مكر

أسمعينى بس ياحبيبتى ، أنتى أكيد مش عايز حبيب القلب يتأذى أو حبيب القلب التانى ريان ده يحصله حاجة أو زمردة مثلاً ، فأحنا هنعقد إتفاق ولو نفذتيه هبعد عنك نهائى وكل واحد هيروح لحاله ومفيش حد هيتأذى كمان _

: نظرت له بأهتمام وكأنها تسترسله على الحديث فأكمل بنبرة أكثر خبثًا

تطلقى من أسيد وبعدها كل حاجة ترجع زى ما كانت وكأنى معرفكيش وأنتى كذلك هاا إيه رأيك ؟ _

بدون تفكير اجابته فهى بالفعل تنوى فعل هذا ولن تستمر علاقتها معه طويلاً :

ماشى يا أكرم هطلق منه بس خليك عند وعدك يعنى هتبعد عنى نهائى وعنهم تمامًا ،إتفقنا _

: أزدادت نظراته اشتعالاً بوميض حبيث مردفًا

إتفقنا طبعا ياحبيبتى ، يلا تكير بقى وهستنى منك خبر الطلاق علشان اجى كده وأجبلك الحلاوة معايا _

ثُم غادر وتركها تفكر فى حديثه والإرتيعاد بدأ يتملكها ، أحست أن كلامته لم تكن بدافع رغبته فى أن تنفصل عن أُسيد فقط بل كانت تحمل فى جوفها معانٍ كثيرة ، نفضت تلك الافكار من عقلها فحتى وأن كان هناك نية سيئة يسعى لها لم تمنحه الفرصة لأنها بمجرد طلاقها ستغادر البلاد ولم تدع لها أثر سوى ذكراها ، هذا إذا كان احدهم يحمل لها ذكرى !! ، سمعت صوت هاتفها فذهبت وأجابت على المتصل بنبرة قوية :

ايوة يا أُسيد _

قابلت صياحه الهادر ونبرة صوته المخيفة :

أنتى فين ؟ ، وازاى تطلعى من البيت من غير ماتقوليلى فى الوقت ده !!؟ _

بهدوء تام ونبرة جاهدت فى ثباتها :

أنا فى بيتنا يا أُسيد أنت عارفه طبعًا _

ولم تمهله الفرصة ليجيب فأنهت الاتصال فورًا وذهبت الى غرفتها وشرعت فى تبديل ملابسها ، لترتدى بيجامة صماء لا تحمل إى رسومات وترفع شعرها الحريرى لأعلى بشئ تثبته تنتظر مجيئه لكى تواجهه بكل

..... !! شئ لن تسمح لاحد باحتقارها بعد الان حتى وأن كان هو

***

طرق كالرعد على الباب ، طرق أرعبها ولكنه أعلمها من الطارق فتوجهت وفتحت الباب له وطالعته ببرود متصنع ثُم استدارت وقادت خطواتها عائدة إلى الداخل ، فدفع الباب بعنف وأسرع خلفها ليقبض على ذراعها بيده الفولاذية ويديرها له لتقابل عيناه الملتهبة ببرود لم تعرف من أين أتت بكل هذه القوة لتواجه نقمه بهذا البرود وكأنها لا تخشاه مطلقًا وازداد نقمه حين صرخ بها :

_ أنتى متجوزة دلوقتى ومش اى وقت يحلالك تطلعى هتطلعى ، أنتى عارفة الساعة كام دلوقتى ؟!

بخفوت ونبرة جديدة تمامًا وهى تنزع يده عن ذراعها بهدوء وتسير نحو المطبخ قائلة :

_ عارفة يا أسيد .. الساعة 1 ، بس بنسبالى مبقتش تفرق خلاص ، هيحصلى إيه أكتر من اللى أنا فيه ، وتقدر تطلقنى خلاص أكرم مش هيقدر يعملى حاجة وحتى لو عمل عادى برضوا

كان يسير خلفها حتى وصلا الى المطبخ ورأها تخرج كوب وتملئه ماء

همت بوضعه داخل فمها فسحبه من يدها وألقاه على الارض صارخًا بغضب هادر :

أنتى فى إيه مالك وبتتكلمى كدا ليه ، مش كفاية خبيتى عنى موضوع ريان وأنتى كنتى عارفة إنه بيحبك _

أطالت النظر فى وجهه وهى تقول بإبتسامة ساخرة تحاول إخفاء لمسة المرارة التى فيها :

والله فى الحقيقة أنا عملت فيه معروف ، أنا وحدة مريضة قلب ولو متعالجتش بكتيرى كام شهر وهكون تحت التراب ومش هتعالج وعمليات مش هعمل ، فعلشان كده ياريت بقى تسيبنى أعيش أخر أيامى بالطريقة اللى أنا حابة أعيشها ، أعيش براحة بعيدة عن ناس مش شايفين فيا غير إنى مذنبة ومستاهلش اكون بينهم ، لإنى من النهردا مش هسمح لحد إنه يهينى ويلومنى على حاجة أنا معملتهاش حتى لو كان الشخص ده هو أنت يا أسيد ، قولتلهالك قبل كده وهقولها تانى أنا مش عايزة إى حد منكم حتى ريان مش عايزاه ، لو عايز تساعدنى بجد يبقى تطلقنى وتسبونى فى حالى وأنا هعيش أخر أيامى بسعادة بعيد عنكم _

يرفض تصديق مايسمعه يستحيل أن تكون هذه ملاك التى كانت تضحك وتشاكسه منذ ساعات ماذا حل بها ليجعلها تصل الى تلك الحالة ، كأنه

: يرى شخص أخر لم يعرفه همس بخفوت فى حنو جميل

ملاك أهدى وقوليلى حصل إيه خلاكى تقولى الكلام ده ، ده أنتى كنتى _ بتهزرى وتضحكى معايا قبل ما ياجى ريان حصلك ايه

صرخت به فى حرقة وقد دخلت فى نوبة بكاء عنيفة ان كتمت تلك الدموع بداخلها أكثر فستقتلها بالتأكيد :

اديك قولت كنت ! ، أنا تعبت خلاص بجد يا أُسيد سبونى فى حالى _ أبوس إيدكم ، أنا متفهمة رغبتك فى مساعدتى وحبك الاخوى ده ليا !!! ، وحب ريان ليا بس كل ما احاول اندمج بطلع الخسرانة فى الاخر ، ارجوكم سبونى وأبعدوا عنى أنا مش عايزة حد فى حياتى ، أنا زهقت من هفضل أجى على نفسى كده طول عمرى علشان خاطر حد ، كل الناس اللى أعرفهم ومعرفهمش عايزين يأذونى وخلاص .. طاب هو أنا مليش نفس أعيش زى بقية الناس على الاقل أعيش مرتاحة ، أنا زهقت والله ومليت

جثت على الارض مستمرة فى بكائها العنيف فجثى امامها ولم يكن عساه سوى شئ واحد وهو ضمها لعلها تهدأ قليلاً بين ذراعيه ، فتمزق قلبه عليها جعلته يندم على كل مرة إنفعل عليها دون أن يبالى لتلك المسكينة لم ينسى عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((... واستَوْصُوا بالنِّساء خيراً، فإنَّهُنَّ خُلِقْنَ من ضِلَعٍ، وإنَّ أعوجَ

شيءٍ في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبْ تُقِيمُه كسرتَه، وإن تركتَه لم يزَلْ أعوجَ، فاستَوْصُوا بالنِّساءِ خيراً)) وهى الان ليس امرأة عادية بل زوجته إى أن من أقل واجباته أن يرعى الله بها كما كان يفعل مع زوجته ، هو من أختار وقرر الزواج بها فيجب عليه أن يرعاها ويضمها إلى جناحيه فهى فى أمس الحاجة لذلك منه .. ضمها إلى صدره وملس على شعرها وظهرها برقة محاولاً تهدئة روعها فأزدادت بكاءًا أكثر بادية الامر ثُم هدأت تدريجيًا عندما بدأت تشعر بدفء أحضانه وأنفاسه الأكثر دفء التى تبعث فى نفسها الراحة ، أغمضت عيناها بتلذذ لذلك الشعور الذى من الممكن أنها لن تشعره مُجددًا .. كان يرسل صوته على أذنها بكلمات جميلة ليهدأ من روعها ، كان صوته كزقزقة العصافير وهى تغرد فى الصباح .....

***

فتحت عيناها بعد ساعات ثُم أعتدلت وجلست وهى تنقل نظرها فى الغرفة باحثة عنه فنهضت وغادرت الغُرفة لتجده يقف فى الشرفة ، أقتربت منه بحرص حتى وقفت خلفه على مسافة صغيرة وهمست بنعومة :

_ أُسيد !

التفت له وتحرك نحوها ببطء متمتمًا بترقب :

عاملة إيه دلوقتى ؟ _

: أماءت بإيجاب فى رقة لتتمتم بصوت أنوثى رقيق

! كويسة أنت ليه واقف فى البرد كدا أدخل جوا بدل ما تتعب _

فعل ماقالته بهدوء وأغلق باب الشرفة وهو يوجه كلامه شبه الامر

: قائلاً

أدخلى يلا البسى هدومك علشان نروح _

:صمتت لبرهة صغيرة فتجيب بصرامة ممتزجة بالترجى

مش هرجع هناك تانى يا أسيد ، أنا مش هقدر اتحمل كلمات أمك وأختك _

أفهمنى لو سمحت لغاية مانتطلق خلينى على راحتى .. عايز أقعد هنا

وحدى مفيش مشكلة عايز تاخدنى ونروح نقعد فى شقتك مفيش مشكلة

برضوا بس عايزة ابقى بعيدة عنهم أرجوك متضغطش عليا

أسمى قالتك حاجة !؟ _

: هتفت بحزم فى ضيق جلى

قالت أو مقالتش مش هتفرق ، أنا وأمك وأختك مش هننفع نقعد فى _

! بيت واحد أنا أساسًا ندمانة إنى وافقت على الجواز دا

: رفع حاجبيه بصدمة من قولها " ندمانة " فيجيبها بعدم إستيعاب

ندمانة ليه يا ملاك أنا مغصبتكيش قولتلك براحتك توافقى أو لا وأنتى _ وافقتى ، إيه لزمته الكلام دا! دلوقتى

: شعرت بعبراتها إنها على وشك النزول مجددًا فهمست بصوت مبحوح

هو فعلا فات الاوان على الكلام ده ، أنا مش عايزك تقول إنى ببعدك _ عن أهلك أو كدا أو بغصب عليك حاجة بس عايزاك تفهمنى ، أنا مليت من معاملتهم ليا وأنا معملتش حاجة ليهم مش هقدر استحملها أكتر من كده

أقترب منها ومرر يده على ذراعها نزولاً من أعلى لأسفل والعكس مهمهمًا بدفء :

فاهمك ياملاك ، وعلشان مسمعكيش بتقولى ندمانة دى تانى أو الكلام _ اللى قولتيه قبل ماتنامى هعمل اللى عايزاه وهنروح نقعد فى شقتى بس مش اللى كنتى قاعدة فيها ، أنا متجوزكتيش علشان أهينك وأعذبك معايا أنتى أمانة مش أمانة بابا أو عمتى أو غيره لا أنتى أمانة من ربنا من ساعة ما اتجوزتك وأنتى بقيتى أمانة عندى احافظ عليكى زى عنيا واديكى واجباتك على أكمل وجه قبل حقوقى

إبتسمت له بحبٌ لكلماته الرقيقة والدافئة ثُم أردفت بلطف ونعومة

: بسيطة

طيب بس ممكن ناخد الليلة والنهار هنا لإن البيت وحشنى أوى ونفسى أقعد فيه ؟ _

هز رأسه بموافقة وعلى ثغره شبه إبتسامة ساحرة فتابعت ممتنة

: بسعادة

شُكرًا بجد ! _

قطع حديثهم صوت أذان الفجر الذى أرتفع من المؤذنين فى الجوامع المجاورة فنظر لها وتمتم ببساطة:

يلا علشان نصلى الفجر _

: رمقته بدهشة بسيطة وهى مبتسمة

انت بتصلى ؟ ! _

: بادلها الابتسامة ليجيبها مازحًا

إيه مش باين عليا ولا إيه ، بس شكلك كده بيقول إنك مبتصليش يا ابلة _

؟!

: إبتسمت ببلاهة فى حياء ثُم تمتمت بضيق

!! بصلى الصراحة بس مش هكدب عليك مش منتظمة أوى _

: طالعها بحنان دفين وفى نبرة صلبة داخلها لهجة الامر

لا مفيش مش منتظمة ، أنا هشفق عليكى فى إى حاجة وهزعل لو _ زعلتك فيها بس عند الصلاة لا مش هتلاقى منى شفقة من النهردا هتنتظمى ولو عرفت إنك قطعتى هتزعلى منى بجد ، يلا روحى اتوضى علشان اتوضى بعدك

أماءت بموافقة وأمتثال لأمره وأستدارت نحو الحمام لتتوضأ وتستعد لأداء فرضها لأول مرة لها ستقضى فرضها مع زوجها ، لم يكن أكرم يصلى بل تشك فى أنه يعرف كيفية الصلاة ، أنخرط نحو الشهوات والخمر والسهرات حتى نسى ربه ودينه ، حقًا تشفق عليه فى هذا الأمر ، بالتأكيد أن كان يعرف ربه ودينه مثل أسيد لم يكن ليفعل بها ما فعله ، كان سيعرف قول الله تعالى : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) .. تنهدت الصعداء وباشرت ..... فى الوضوء حتى تنتهى ويأتى هو ليتوضأ خلفها

***

.... مع إشراقة شمس يوم جديد يحمل المفاجأت للبعض

طرق الباب الهادئ جعله يترك ما بيده ويسلط نظره عليه هاتفًا بصوت قوى :

_ أدخل !

دلف بهيئته الرجولية الجذابة وهو يوجه نظراته المتساءلة نحو مراد متمتمًا :

_ خير يامراد موضوع إيه اللى مينفعش فى البيت ده وجايبنى الشركة عشانه أول ماجيت القاهرة !!

أشار له بيده أن يجلس على المقعد ونهض الأخير ليجلس على المقعد المقابل له يحاول إيجاد طريقة مناسبة يعرض عليه الأمر ويخبره به ، تفكر مليًا يإيجاد شئ ملائم يبدأ به حديثه ، وأخيرًا قال بحذر :

_ الموضوع اللى هكلمك فيه مش موضوع عادى علشان كدا قولتلك تعالَ الشركة

بدأ يشعر بالقلق وظهرت قسمات الاستغراب على محياه ليردف بفضول :

موضوع إيه ده يامراد اخلص قول متوترنيش !!؟ _

: تنفس الصعداء وزم شفنيه بإحتجاج مجيبًا بخفوت

عمى عزت الله يرحمه كان متجوز على مرات عمى من زمان أوى _
!! ومعاه بنت عندها 22 سنة اسمها زمردة .. يعنى أختك يامروان

رأى الصدمة تحتل مركزها على وجهه ، أذنيه لا تستوعب ما تسمعه ، ألقى عليه الصعقات متوالية بداية بزواج أبيه السرى ومن ثُم أخته التى كان لا يعلم عنها شئ حتى هذه اللحظة .....

***

استيقظ من نومه على صوت رنين هاتفه الصاخب ، فتأفف بخنق فيضغط على زر الاغلاق فى ضجر ويكمل نومه ! ، ولكن المتصل كان مصرًا على التحدث معه .. فقبض عليه بقوة وأجاب بزمجرة :

إيه يا أشرف عايز إيه على الصبح كده !؟ _

: توتر بشدة وتشدق بأعتذار صادق

أنا أسف يا أُسيد بيه بس الموضوع يخص مرات حضرتك ، علشان كدا _
! أتصلت اقولك

حول نظره إلى ملاك النائمة بجوراه فى ثبات عميق ، نظرة شائكة ،

: نهض من الفراش وهتف بترقب

_ موضوع إيه ده ؟!

: أجابه بشئ من الجدية والرسمية فى وضوح

_ امبارح لما مرات حضرتك سابت البيت ، مشيت وراها وراقبتها زى ماحضرتك كنت قايل وبمجرد ما طلعت البيت بعدها بخمس دقايق بظبط لقيت أكرم طالع العمارة ، قعدت استنيته تحت لغاية مانزل أخد حوالى عشر دقايق فوق وبعد ما نزل راقبته وعرفت قاعد فين

هتف وهو مسلطًا نظرته النارية على زوجته النائمة ، أخبرها أن تخبره بكل شئ متعلق بأكرم هذا وأن حاول التحدث معها أو رؤيتها تخبره على الفور ولكن مازالت نفسها المتمردة لم ترحل ، يجاهد أن يتحكم فى إنفعاله معها ولكن ماذا يفعل مع امرأة لا تعى سطوته ونقمه !!.. :

_ فين مكانه يا أشرف ؟

_ فى (.....) ، أنا قولت أقولك مقدرتش أخبى عنك حاجة زى كدا !

تمام يا أشرف كويس إنك راقبته _

أنهى الإتصال وجلس على أحد المقاعد محدقًا بها فى نظرات ساخطة ، تذكر كلماتها بالأمس " خلاص أكرم مش هيقدر يعملى حاجة وحتى لو عمل عادى برضوا " تُرىَ ماذا كان يفعل معها !؟ ، تأججت نيرانه وأحمرت مقلتيه حتى أصبحت أشبه بلون الدماء ، وازدادت توهجًا حين تذكر رغبتها السريعة فى الطلاق بعد أن كان الأمر مستبد بينهم .. ظل على وضعيته هكذا حتى استيقظت وفتحت عيناها وهى تتمطع بذراعيها !!.. لأعلى جاهلة ماينتظرها من طوفان عاتى

الفصل الثالث عشر

ظل على وضعيته هكذا حتى استيقظت وفتحت عيناها وهى تتمطع بذراعيها لأعلى جاهلة ماينتظرها من طوفان عاتي ..!! ، وقع نظرها عليه فانقبض قلبها بخوف واعتدلت فى جلستها هامسة بتعجب : فى إيه يا أسيد مالك ؟ _!

بنظرة متوحشة وهدوء يسبق العاصفة : أكرم كان بيعمل إيه هنا امبارح قبل ما أجي ؟ _!

فرت الدماء من وجهها واصابها الرعب ، بعد أن تيقنت أن الأمر لن ينتهي بدون خسائر ، كيف عرف بمجيئه !؟ .. حالة من السكون المشحون بالتوتر سادت بينهم حتى أصدر صرخة انتفضت على أثرها جالسة : سؤالي واضح مش محتاج التفكير ده كله ، هعيد السؤال لأخر مرة أكرم _ كان بيعمل إيه عندك امبارح !!؟

فركت يداها ببعضهم فى ارتباك ، لا تريد إخباره بما أتفقا عليه ، وليس من سيمها الكذب حتى لا تتقنه !! ، استمر صمتها للحظات أكثر تفكر فى

خدعة تخدعه بها ولكن كيف لها أن تخدع رجل داهية وافر الذكاء مثله .. سرت نفضة من قمة رأسها الى أطراف أصابع قدمها عندما وقف واندفع نحوها وضرب بقبضة يده على المنضدة المتوسطة بجوار الفراش فى صوت جهورى :

_ أنا مش بكلم نفسى ، أنطقي ياملاك وإلا وقسمًا عظمًا لاخليكى تشوفى أُسيد على حقيقته !!

غامت عيناها بالعبرات وأغمضت عيناها تتفادى صوته الذى يشبه الرعد فى أذنها ومن ثُم خرج صوتها ضعيف مبحوح :

_ ر .. رن الباب وأنا فتحت على إنه أنت ولما فتحت دخل غصب عني وقفل الباب هو معمليش حاجة اتكلم معايا وعرض عليا إتفاق إنى اطلق منك ومش هيأذي أى حد لا أنت ولا ريان ولا زمردة وحتى أنا هيبعد عني خالص وأنا وافقت على الإتفاق !!

أكمل صراخه الهادر وقد برزت عروق رقبته :

_ وتتفقي معاه على اساس أيه .. أيه عرفك إني هطلقك مش يمكن اغير رأى ، وعلشان اللى عملتيه ده ياملاك مش هطلقك غير بمزاجي ، علشان بعد كده تروحي تعملي إتفاقات مع أكرم كويس من ورايا وتخبي عني

هطلت عبراتها الحارقة على وجنتيها فى أسى فتابع بقسوته التى لم تعهدها من قبل :

_ قومى أخلصي البسي يلا علشان هاخدك وتروحي الشقة وانا هروح الشغل

التزمت الصمت وهى مطرقة في أسف وتلهث مما فى صدرها من الألم والحزن على معاملته القاسية لها ، تلك القسوة تزعزع حب القلوب ، تارة تجده هادئ وتارة غاضب ، متىَ ستهدأ العلاقة بينهم ، إلى متى ستظل الأوضاع متذبذبة هكذا .. جعلها تهب واقفة فى ارتيعاد عندما صاح بجفاء :

_ قولت قومي هتقعدي مكانك كدا كتير !

لا تجيبه وترد له الصاع صاعين لعلمها بخطأها وأنه لم يكن لينفعل لولا مافعلته ، فأكتفت بنظرة متضايقة وبريئة تسبح معها بحر من الدموع في عيناها وتمر من جانبه مسرعة نحو الحمام فيتأفف هو ويزفر بقوة في محاولة للتخفيف عن نيرانه المتوهجة ، وحين لم يجد فائدة من التأفف أتخذ طريقًا أفضل وهو الاستغفار وذكر الله فتهدأ معهم سخطه رويدًا رويدًا ... !

***

: كانت ردة فعله سابقة لإجابة مراد عليه حين قال بشئ من الغضب

! أختى أيه أنت مدرك أنت بتقول أيه يامراد _

تنفس الصعداء بضيق يبحث عن طريقة يجعله يصدق تلك الصاعقة التى

: سقطت فوق رأسه للتو

أيوة مدرك يامروان زمردة أختك زي ماقولت عمي كان متجوز أنا _

قولت أقولك لإني بصراحة مش حابب إن زمردة تقعد فى بيت وحدها ولما حاولت أقنعها تاجى تقعد عندينا رفضت ، وكمان هى معندهاش الشجاعة أنها تظهر قدامكم علشان كدا قررت أقولك

هب واقفًا وسار إيابًا وذهابًا فى المكتب ماسحًا على شعره . تتزاحم الافكار في عقله ، والصدمة تتخذ موضعها ، وتستقر داخل ذهنه ؛ فتوشك

: على فقده لعقله كليًا ... أنطلقت منه صرخة هادرة قائلاً

وأنت عارف الكلام ده من أمتى يامراد ومقولتش ، ليكون أسيد كمان _

!عارف ؟

: أماء فى أسف واستطرد بهدوء

من قبل مايموت بابا واحنا عارفين الموضوع ده وكانت هى اللى _

بتمنعنا أننا نقول لحد

تنفس الهواء الصافى فى محاولة لتهدأ نفسه الضجرة ، بإى حق يخفوا عنه شئ كهذا ؟ فهذه أخته وله كامل الحق أن يعرف بأمرها ، ويعرف كل شئ عنها ، وكيف تعيش ومع من ، ومن جهة أخرى يصعب عليه تصديق مافعله أبيه ! ، مالسبب الذى دفعه للزواج من أخرى وأخفى عن الجميع ... هذه الحقيقة لسنوات

: تمتم بأمتعاض

ودِيني البيت اللى قاعدة فيه يامراد حالاً _

: رفع كتفيها لاعلى مغلوب على أمره مردفًا

طيب _

***

ساعات قليلة مرت ببطء ، كان الوقت يمر كسلحفاة تسير فى طريقها الطويل . أنتهى الوقت المحدد ووصلت إلى المنزل الذى ستقيم فيه من اليوم وسيكون منزلها حتى طلاقها منه . ترجل من السيارة وسار نحوه بعد أن أخرج مفتاح المنزل وفتحه ، ثُم التفت وأشار بعينه المميتة لها أن تدخل .. فشرعت بالفعل فى الدخول ، وهى تحاول تفادي نظراته المريبة ؛

نتيجة لتوترها هذا تعثرت قدماها وكادت أن تسقط لولا يداه التى قبضت على خصرها يعيد توازنها شعرت بقلبها سقط بين قدامها من لمسته ، وكأنها لم يسبق لها تجربة الزواج وأن يلامسها رجل ، ويقترب منها ، وتلافح أنفاسه الدافئة وجهها ، وتستنشقها كأكسجين روحها ، ولكن شعورها وهى مع أُسيد الآن يختلف كثيرًا عما كانت تشعره بقرب أكرم ... أنتصبت فى وقفتها حين وجدته أفلت يديه من على خصرها متشدقًا بجفاء :

_ أنا ورايا شغل همشى لو أحتجتى حاجة أتصلى بيا

طالعته بضعف وأعين سجينة الشجون والألم وكأنها تقول " لا تفعل هذا بي ! " ، ولكنها أكتفت بقولها في نبرة بثت بها جميع أشكال الأعتذار المختلفة :

_ أنت متعصب مني أوي كدا ؟! .. أنا مخبتش لـ...

قاطعها بحزم فى قسوة مغمغمًا :

_ أه بظبط كده متعصب جدًا كمان والأفضل إنك متفتحيش الموضوع ده تاني قدامي على الأقل لغاية ما أهدى شوية ؛ لإني فى الحقيقة انا لغاية دلوقتي هادي جدًا معاكي ياملاك ولسا مشوفتيش عصبية بجد مني

: تركها وتوجه ليغادر المنزل لولا صوتها الرقيق وهي تقول

هتاجي أمتى ؟ _

: لم يلتفت ولم ينظر فقط قال في صوت رجولى قوى

معرفش بس أتغدي ملكيش دعوة بيا لإني إحتمال كبير مجيش على الغدا _

جلست على الإريكة التى تتوسط نصف الصالون محدقة على أثره بألم دفين ، حتى هو لا يبذل جهد في معرفة سبب مافعلته ، اكتفى بمعاقبته القاسية لها ، وكأنها جامد لا يعي أو يشعر بشئ ، قالت بل قررت أن لا تسمح بإحد أن يتهمها بشئ من دون عِلمه سبب فعلها له ، ولكن أمامه تقف مسلوبة الإرداة تجهل كيف تواجهه ؛ وهذا ما سبب لها الألم .

***

هبت واقفة وارتدت حجابها وسارت نحو الباب لترى من الطارق وفتحت فورًا اعتقادًا منها أن الطارق هو مراد كما أخبرها أنه قادم ، ولكن كانت الصدمة تحتل مركزها على وجهها حين رأت أخيها معه ؛ فنقلت نظرها بين أخيها ومراد الذى أشار لها بعينه أن تفسح الطريق لهم بالدخول ، وعلى الفور لبّت أمره وأفسحت قليلاً متمتمة بخفوت :

اتفضلوا _

تقدم أولاً مروان الذي نقل نظره فى المنزل بتفحص كل جزء منه ، ثُم وقع نظره على أخته التي تَهيمن عليها القلق والتوتر وتقف عاقدة يداها ببعضهم وتفركهم وتخطف أغلب نظراتها إلى مراد كإنها تلومه على إخباره له ! ؛ ونتيجة لذلك فنظر الأخير إلى مراد وطلب منه الخروج ويتركهم بمفردهم ؛ فأمتثل لأمره وأنصرف ، ثُم عاد من جديد يتفحص المنزل وهو يهتف بصلابة :

أنتي عايشة وحدك صح ؟ _

أماءت بهدوء ليخرج صوتها المبحوح قائلة :

أيوة كانت ملاك قاعدة معايا قبل ما تتجوز أكرم _

ملاك دي بنت عمتي فردوس مش كدا واللي اتجوزت أسيد ؟ _

رأى رأسها وهي تومِئ بإيجاب فدقق النظر بها أكثر وهتف مبتسمًا :

أنتي مالك متوترة كدا ليه أنا مش هاكلك يعني ! . تعالي اقعدي يازمردة _ وفهميني كل حاجة من البداية لإن مراد مقاليش كل حاجة من البداية

جلست على أحد المقاعد وأتخذ هو كذلك مقعدًا له وبدأت تسرد له كل شئ ... من بداية الأمر حتى الآن وهو يصغى لها بإهتمام جلى

***

يتبادلون المواضيع المهمة حول العمل فينحرف أحدهم عن الموضوع ويهتف بحنو :

_ جهز نفسك عاد ياثروت هنروح بعد بكرة القاهرة ولاد ولدي وحشوني جوي هنروح ناخد اليوم إكده معاهم وناجي تاني يوم وبالمر نشوف لو في شغل هناك نخلصه

أجابه بخشونة فى جدية :

_ ماشي يا أبوي نروح بس هنسيب سارة وأشجان أهنه وحديهم

صمت قليلاً يتفكر فى الأمر بجدية ، ثُم يجيب بحماس في إبتسامة : ناخدهم معانا عيحصل إيه يعني لو راحوا وأهو يفكوا عن نفسهم شوية

هتف بصوت رجولي صارم في جدية :

_ زين وأهو نشوف أسيد ونعرف الشغل ماشي كيف لأحسن لينا فترة منعرفش عنه حاجة

: قال محمد بأسي وتأثر بعد أن شَفِق على حفيده

كتر خيره ياثروت هيلاقيها منين ولا منين من جهة مشاكله مع اللي _ مايتسمى معتز ده ومن جهة موت مراته اللي لسا مفاقش منه ... أهو اللي أخدناه من فردوس مجابتش غير المشاكل والعار اللي مسك فينا بسببها

أنفعل قليلاً عند ذكره لشقيقته لم يفقد حبه لها بالطبع برغم غضبه منها ، طوال سنين مضت وهو يتحمل الكلمات التي تلقي في عرضها وتنهش فى تربتها حتى بعد وفاتها ، بشبه صيحة عنيفة قال :

كل اللي حصل ده بسببك يا أبوى ، جوزتها من واحد مش عيزاه _ وغصب عنها والنهاية إيه أطلقت منه وغير معاملتك ليها كأنها مش بتك ، ماكنتش تقولك على حاجِة وتقولها أه والضرب اللي أخدته منك لغاية ماجسمها بقى كله مَعلم مكان الكرباج ، فاكر كان ياسر يتشاكل كل يوم معاك كيف بسببها وبسبب اللي بتعمله فيها ولما أتقدملها الراجل اللي عيزاه وبتحبه رفضت من غير أسباب ، كان طبيعى وحدة صغيرة يدوب عشرين سنة لسا متعرفش الصح من الغلط زين تهرب وتتجوز اللي عايزاه ؛ والنتيجة إيه عاشت بعيد عنينا 25 سنة لغاية ما ماتت ومنعرفش عنها حاجة وبتها رافض أنها تدخل البيت وتعيش وسطينا ، متتكلمش عاد

! على غلطها قبل ما تشوف اغلاطك يا أبوى اللي خلت ده كله يحصل

لمس الوتر الحساس الذى أشل حاسة التكلم له فالتزم الصمت ، وهو يفكر فى كلماته التي كانت بعضها حقيقة أو كلها ، تصرف مع ابنته بقسوة بالفعل ولكنه لم يكرهها قط ، كان أخر مايتوقعه هو فعلتها الدنيئة تلك .

***

ترجل من سيارته وأندفع نحو المبنى الذي تكون من عشر طوابق ، وقبل أن تخطو قدمه خطوة واحدة كان يعتري طريقه بواب المبنى قائلاً بحدة :

_ رايح فين يابيه كده قولي عايز مين وأنا هساعدك ؟!

تفحصه أُسيد بنظراته القاتلة ثُم استطرد بقوة :

_ فى واحد اسمه أكرم ساكن هنا ؟

سكت البواب للحظات يراجع اسمه فى قائمة الاسماء التى علقت بذهنه ومن خلالها يسترجع وجه وملامح الشخص المقصود ، بعد ثوانٍ معدودة هتف مُسرعًا :

_ أه .. أكرم بيه لا ده بيت واحد قريبه أو صاحبه معرفش كويس يابيه بس بياجي ويمشي من وقت للتاني وأمبارح بليل كان هنا . خير يابيه هو

أنت تعرفه ولا أيه ؟

ران الصمت بينهم للحظات وانقطع حين قال بمكر دفين بعد أن أخرج كارت يحمل اسمه ورقمه ومده يده به له :

_ ايوة أعرفه وصاحبى جدًا كمان وعايز منك خدمة كده لما ياجي تتصل بيا لأني بحاول أوصله من فترة ومش عارف

تناول الكارت من يده بحسن نية هاتفًا بعذوبة :

_ تمام يابيه هتصل بيك أول ماياجي بس اقوله مين سأل عليك ؟

أصبحت عيناه كجمرة نار ملتهبة ، إن أخبره ستفد كل خطته فى اللحاق بذلك الوغد ، وهو يسعى جاهدًا للإمساك به ؛ فهتف بحدة :

_ لا إياك تقوله أنا أصلاً جاي من السفر من يومين وهو ميعرفش فعايز أعملها مفاجئة ليه !

_ تمام يابيه !

***

بسط الليل ردائه كاملاً وتصاعد القمر ليتوسط نصف السماء والنجوم

الساهرة تملأ كل قطعة من السماء ... تجلس على الأريكة وتتكأ بمرفقيها على حافة النافذة محملقة فى السماء من الزجاج ، جميع النجوم ترتص بجانب بعضها ومنها من يشكل أشكالاً جميلة كونتها بعلقتيها كالأطفال ، فلفتْ نظرها نجمة منيرة مبتعدة عنهم تمامًا تتأخذ لها مكانًا بعيدًا عن حشدهم وكأنها تخشى الإقتراب من أحد الحشود فتفسد الشكل الذي كونوه كأسرة أو مجموعة مترابطة ومحبة لبعضها . تمامًا مثلما تفعل هى تفضل الإبتعاد عن الجميع خشية من أن تفسد محبتهم بتطلفها عليهم ، بقت وحيدة في عالم لا يمكنها وجود شئ تلجأ به مثل تلك النجمة التي بقيت وحيدة فى سماء لا نهاية لها .. نجمة منيرة تفقد ضوئها مع حلول النهار وتختفي وربما فى الليل أيضًا يصبح ضوئها باهتًا وليس مرئي ، تلك ظاهرة طبيعية ، ولكن ماذا عنها فهي تفقد رونقها وجمالها شيئًا فشيئًا بسبب ما عاشته ومازالت تعيشه ، والآن تحاول كسب قلب زوجها وحبيبها ، ولكن بدأ يتضح أنها ستخرج من الحرب التي عزم قلبها على خوضها رغم علمه بأنه من المحتمل أن يخرج منها منهزمًا وهذا هو ماسيحدث بالفعل ! ، ليكن هدر لكرامتها ولكنها أحبته وبشدة كأي فتاة تود أن تعيش حياة الحكايات السعيدة وترى سعادة زوجها وحبه لها .. بدأت تشعر بأن قدرها يشابه قدر والدتها قليلاً بداية من زواجها الأول وتعذيب زوجها لها وهذا ماحدث معها .. يبدو أنها ستعيش خيبة الأمل لمرتين على التوالي وستخرج من حروب قلبها منهزمة كما اعتادت دومًا . وبينما

هي سابحة في محيط شجونها الثائرة وعبراتها تنهمر على وجنتيها بغزارة ، أنتفض جسدها بشدة عندما سمعت صوته والتفتت له برأسها ولم تنتبه لعبراتها التي حين رأها هتف بتعجب :

!بتعيطي ليه ياملاك ؟ _

جففت الدموع فورًا بارتباك لتجيبه بمرارة :

! لا عادي مفيش حاجة .. كالعادة أنا أمتى كنت مبسوطة أساسًا _

وثبت واقفة بحماس تخفي به قناع الألم وإبتسامة مزيفة :

أحضرلك العشا ولا أكلت برا ؟ _

هز رأسها بالموافقة ويدقق النظر بعيناها العسليتين المنتفخة من أثر البكاء ، فأسرعت الى المطبخ حين أخذت الإشارة منه لتحضير العشاء . توجه نحو غرفته وبدل ملابسه ثُم ذهب إليها فى المطبخ ووقف يحدق بها وهي غير منتبهة له تقطع الطماطم وكأنه بصل يجعلها تذرف الدمع كالشلال ، تكاد تقطع أطراف أصابعها من ضجرها الظاهر من خلال دموعها ، انتابه الفضول حول أمرها وشفق عليها كطبيعته .. تُذكره بزوجته كان لديها فرط أحساس مثلها أن غضب منها أو حدث شجار بينهم تأخذ اليوم كله وربما أيام تبكي ولن تهدأ إلا عندما يأتى ويشاكسها

ويعتذر منها عن ما صدر عنه من جفاء وقسوة ، كانت تخبره دومًا أنها تقضى الليالي والأيام تبكي لسبب واحد وهو حبها له وعدم قدرتها على مخاصمته ابتعاده ونفوره عنها ، وأن الشخص الذى يحبه فقط هو من لا يحتمل غضبه وابتعاده . نعم جال فى عقله نفس السؤال ولكنه نفضه من عقله فورًا واقترب منها ليجذب السكين منها ويديرها لمواجهته فيقول بنعومة :

_ ممكن تفهميني بتعيطي ليه كدا ، حصل إيه يعنى خلاكى تعيطى كدا !؟

ياله من أحمق بعد كل ماحدث يسألها ماذا حدث يستدعي كل هذا البكاء !! ، أنزوت نظرها عنه وتمتمت بصوت مبحوح :

_ مفيش حاجة يا أسيد صدقني وحتى لو في متشغلش بالك بيا

بصوت ينسدل كالحرير ناعمًا تمتم مبتسمًا بعد أن أمسك بطرف الخيط ليجلعها تأتى بالخيط لنهايته :

_ أنتى بتعيطى كل العياط ده علشان اللي حصل الصبح !

زمجرت كطفل صغير يأبى الخضوع بسهولة قائلة :

_ وأزعل ليه أصلاً علشان الصبح أساسًا دى طبيعتك تزعق وتتعصب من غير ماتفهم حاجة !!

إبتسم بلؤم بعد أن تحقق ما أراده وعقد ذراعيه أمام صدره متمتمًا برقة تليق بنبرة صوته الرجولية ممزوجة ببعض السخرية ليزيد من سخطها :

_ لا بجد ، طاب فهميني بقى أيه اللي مش فاهمه ياترى !؟

صاحت به في إنفعال وغضب :

_ ياسلام لا وليك عين تتريق ، أنا غلطانة إنى خايفة عليك من أكرم ومش عايزة تتأذى بسببي وأنت مش عاجبك كمان ، لعلمك أنا خبيت عنك وكنت هطلب الطلاق لمصلحتك قبل مصلحتي أنا لو على نفسي مش مهم أصلاً هيعملي أيه أكتر من اللي عمله ، لكن أنا كنت خايفة عليك أنت

أطال النظر إليها ثُم تناول قطعة من الطماطم وقال متلذذًا :

_ ماشي أنا مدرك حبك ليا وإنك خايفة عليك بس أنا ليه مش حاسس أنه مجرد خوف بدافع حبك ... مش هقول حبك الاخوي خليني أقول بأعتباري ابن خالك أو إنك بتحبيني حب عادي جدًا !

أتسع بؤبؤى عيناها بذهول وتسارعت نبضات قلبها فتجيبه بإنفعال شديد فى تلعثم :

_ أمال هيكون حب أيه يعنى ، طبعًا حب عادي ، طبيعي هخاف عليك بما

إنك ساعدتني وحميتني مش أكتر ، ولعلمك بقى أنا مكنتش ببكي بسببك .. أنا أفتكرت ماما بس مش أكتر ولا أقل !

برز عن صف اللؤلؤ بين شفتيه ولأول مرة له يقترب منها ويمسك وجهها بين كفيه ثُم ينحنى ويطبع قبلة رقيقة على جبينها مردفًا ببعض المرح :

_ أنا أسف ، أنتي لسا مخدتيش عليا بس مع الوقت هتعرفي إني وقت الغضب بس ببقي زي ماشوفتي وبمجرد ما بهدى بنسى كُل حاجة ، بالرغم من إنك أنتي اللي كان لازم تعتذري لإنك خبيتي حاجة زى كدا عني بس أنا طلعت أحسن منك أهو ، متزعليش مني خلاص وكملي تحضير الأكل يلا علشان ناكل

هم بالرحيل فقبضت على ذراعه وهمست بأستغراب ، تطرح عليه سؤال طالما كانت تسأله لنفسها :

_ لما أنت مبتحبنيش بتعاملني كدا ليه ! ، أنا مبقيتش عارفة أفرق أنت بتحبني أو لا !

بإبتسامة صافية أجابها بعد أصدر تنهيدة حارة :

_ مين قالك أنا مبحبكيش ياملاك ، بالعكس بحبك جدًا كمان ، بس أنتي مفهومك عن الحب يختلف عني يعني أنا بحبك بس مش الحب اللي في

دماغك .. ده أولاً وثانيًا بقى زي ماقولتلك قبل كدا أنتي ملزومة مني دلوقتي وأمانة وميهونش عليا أخليكي تنامي بتعيطي بالشكل ده .. ممكن تعتبري علاقتنا مؤقتًا لغاية ما تنتهي علاقة صداقة

هذا أقصى ما أمكنه قوله ! ، يلقب علاقتهم بعلاقة الأصدقاء ، هل أحبته لكي تنعم بالعيش معه كصديقة تبني بينها وبين صديقها حواجز لا تُهدم .. كان يلقي كلماته حجرًا غير متنبه أين صوب السهم ، أدركت الآن أن الوصول إلى عرشه أشبه بمحاولتها للمس السماء ! فهتفت ساخرة فى جفاء :

_ صداقة ! ، بس لا أنا ولا أنت مبجبورين نمثل الجواز قدام الناس يا أسيد وأنا شايفة أنك تطلقني في أقرب وقت أمكن ، هيكون أفضل لينا احنا الأتنين وبذات أنا ! ، ولغاية ما يحصل ده إن شاء الله أنا بقترح إن علاقتنا تكون صارمة وليها حدود وكل واحد هيكون في حاله وأول الحدود دي إن كل واحد هينام في أوضة ، يعني بمعنى أصح يا أسيد هنتعامل مع بعض زي الغُرب !

رأى الضعف التي تحاول إخفائه عنه داخل عيناها ، لم يقصد جرحها ولكنه لن يستطيع أن يجعل قلبه ملكًا لأحد أخر بعد زوجته ، اقترح صداقتهم لأنها ستكون عفوية معه في كل شئ وهو كذلك ولكنها رفضتها

بجفاء دون أن تفهم نيته ؛ فامتثل واحترم قرارها ليجيب يهدوء وعدم مبالة أذرف قلبها الدماء أكثر :

_ طيب براحتك ياملاك أنا كنت عايز ...

قاطعته رافعة كفها فى وجهه تطلب منه التوقف بصوت يحمل بحة قليلة : خلاص يا أسيد أنا عارفة إنك عايز نكون أصدقاء وتكون علاقتنا خالية من بعض الحواجز بس أنا برأي أن حتى الحواجز دي لازم تتبني ملهاش لزمة الصداقة وأنا بمجرد ما أطلق هسافر ولا أنت هتشوفنى ولا أنا

ترقب محياها ونبرة صوتها المرتجفة ولكنها لم تسمح له بكثير من الوقت حيث ولته ظهرها وأكملت تقطيع الطماطم ، ودت لو نغزت تلك السكين فى يسارها العلوي ليتوقف نبضها وتستريح ، أما هو فتأفف بضيق واستدار ليعود إلى الغُرفة مُجددًا .

***

تجلس بالمقعد الأمامى المجاور له وتخطف نظرة من حين لأخر إليه في تردد ، ماذا كانت تنتظر عندما يعلم أنها أخته سيتركها بمفردها فى ذلك المنزل ! ، تخشى مقابلتهم ، ليت ملاك أو مراد معها الآن . بدأت تفرك يدها ببعضهم كما تفعل عندما تتوتر ، فصك سمعها صوته القوى :

_ مالك يازمردة مش على بعضك كدا ليه ؟!

: همهمت بخفوت قلق

أنت قولت لمامتك عني صح ؟ _

: غمغم بإيجاب فى خشوع

_ قولتلها وطلعت عارفة أن بابا كان متجوز .. قالها أنه هيتجوز وعلشان هي عارفة وضعهم وعارفة أن جدتي الله يرحمها غصبته على الجواز منها ، وافقت للأسف !

: أنتصبت فى جلستها وقد تشجعت بحرارة الحديث

_ يعني بابا كان مش عايز يتجوز مامتك ولا أيه !

: غلبه الوجوم وهو يجيبها بخشونة

_ حاجة زى كدا يازمردة ، على حسب اللي قالته ماما أنه كان بيحب مامتك وعايزها ومش معني كدا وأنه اتجوز عليها أو كان مبيحبهاش كان بيعامل ماما وحش لا علاقتهم كانت كويس وكان حنين معاها

: قالت بنبرة لم تخل من أسى

يعني مامتك مش قابلة قعادي معاكم فى البيت ؟ _

: بصوت يفيض رقة وحنانًا تمتم شبه ضاحكًا

متقلقيش مش هتلاقيها زي مرات الأب اللي بتشوفيها في الأفلام _

بالعكس دي فرحت أوي لما عرفت بالموضوع وإني هجيبك تعيشى معانا

تنهدت بأرتياح قليلاً ، ضمنت الراحة في المكان التي ستقيم فيه بعد الآن ؛ وكأن ثقلاً أزاح من على قلبها الآن ، رأت الحنان الناطق في وجه أخيها برغم علمه بأمرها بهذه الطريقة وبهذه السرعة ، ولكنه يتعامل معها كأنهم جانب بعضهم منذ سنين .

***

مر مساء يليه صباح وأستل الليل ردائه ثانيًا ، أصبحت لا تعي أي شئ ، تيقنت أنه لا يريدها فقط يرضي ضميره وينفذ وصية والده ، لن تُكمل وضعها وتعامله كما كانت تفعل ، ستبتعد عنه وتنفر منه .. هذا إن كانت تريد نسيانه كي لا تتألم حين يفترقا ، ستكتفي بذاتها من الآن وصاعدًا .

سمعت صوت قلبها الساخر وكأنه يقول لها : هل تصدقين حقًا أنك ستكتفي بذاتك وستتركيه ، أنا لا أظن هذا ، تقولين هذا دومًا ولكن حين تقفي في مواجهته تصبحي كالبلهاء .. يكفيكِ خداع ، أنتِ لا تخدين أحد

. ! سوى نفسك

نهضت وتوجهت نحو المطبخ وكما أعتادت مع زمردة ، قامت بعمل (فشار) وذهبت به إلى التلفاز تشاهد أحد الأفلام الكوميدية .. بدأت ضحكاتها تتصاعد ؛ فخرج من الغُرفة على صوتها ووقف يتابعها مبتسمًا لم يراها تضحك منذ أن رأها ! ، لديها إبتسامة ساحرة عجز عن وصفها ، فقط جعلته يقف صنمًا يتألمها ، يتأمل تلك الضحكة التي لم يرى مثلها فى حياته ، أسنانها ناصعة البياض وتلك الحفرة التي توسطت وجنتيها ، كيف يكون تشوه في عضلات الوجه قادر على جعل صاحبه بهذا الجمال ! .. توجه نحوها وجلس بجوراها فنظرت له وهتفت بتلقائية في عفوية طفولية :

_ الفيلم ده بحبه جدًا كل ما اتفرج عليه أضحك كإني أول مرة اتفرجه

وسرعان ما أدركت ماقالته فتلاشت الإبتسامة عن وجهها واتّخذت وضع الوجوم والحدة ، قرأت التعجب على محياه فهتفت تسبقه قبل أن يطرح سؤاله :

_ من قبل ما تسأل ، مفيش حاجة أنا كدا وحدة بحالات ساعة أكون بضحك وساعة زي ما أنت شايف

وفجأة عادت لها ابتسامتها وهي تمد صحن (الفشار) له تحسه على

مشاركته الطعام معها ، رفع حاجبه الإيسر بمكر بعد أن تخلل الشك داخل أعماقه حول أمرها ، ربما مازالت غاضبة منه ! ، وربما كما تقول أنها مزاجية ! . شاركها الطعام وكذلك مشاهدة الفيلم ، كانت تخطف نظرات له ، نظرات مستاءة ، منكسرة ، حزينة . مرت ريح باردة عصفت بجسدها جعلتها ترتجف ارتجافة بسيطة ، فتكورت حول نفسها وضمت ساقيها إلى صدرها كالذى يحتضن نفسه ! ، انتبه لها ؛ فأغلق النافذة وبسط ذراعه لها يدعوها للأنضمام إلى دفء أحضانه ولكنها رفضت بحزم ؛ لإنها تأبى الاستسلام له بسهولة .. ظلت على حالتها وازدادت رجفتها أكثر ، ذهبت الريح وتركت أثرها في جسدها .. تلك المرة أقترب منها أكثر وضمها من دون دعوة ومرر يده على ذراعها نزولاً وصعودًا ، ثُم تحسس ملابسها ليتشدق بغضب بسيط :

_ لازم هتبردي ، هي دي هدوم تلبسيها في البرد ده ياهانم !

رفعت نظرها لتقابل عيناه الزرقاء ، وهي تقول بتذمر :

_ براحتي هو أنت اللي هتتعب ولا أنا !

_ طاب ما اديكى بتبردى ما أقل نسمة هوا !

همت بالإبتعاد عن صدره فوجدته يحكم قبضته جيدًا حولها قائلاً باستمتاع

: وتلذذ بغضبها امتزج بمكر

! أنتي مش بردانة وأنا بدفيكى أهو _

رمقته مندهشة وتورد خداها لتصيح به بخجل وغضب بعد أن ابتعدت عنه :

! ده أنت طلعت قليل الأدب كمان _

: قهقه بقوة ليجيبها من بين ضحكاته مازحًا

! أنتي اللي نيتك مش تمام أنا مكنش قصدى حاجة _

: أردفت مستنكرة بإبتسامة

! لا واضح أوي نيتك السليمة _

قرّبها منه مُجددًا وضمها لصدره ، لا يعرف لماذا ودّ ضمها إلى صدره ويشعر بهذا الملاك بين ذراعيه ! ، شعور يقلقه بدأ ينمو داخله شيئًا فشيًا ، وكأن تلك الملاك البريئة نجحت في السيطرة عليه .. لم تعترض هذه المرة فخضعت له واستقرت داخل صدره الواسع ، تتلذذ بملمس يده التي يمررها على ذراعها .. نجح هو كذلك فى إخضاعها له مُجددًا . ساد الصمت بينهم لدقائق طويلة فقطعه صوتها الأنوثى الرقيق متمتمة :

أنا قلقانة على ريان بجد ، نفسي أكلمه بس مش عارفة ، أنت عملت أيه معاه لما طلعتوا من البيت مع بعض _

: خرج صوته الممتعض مردفًا

عملت أيه يعني ، ولا حاجة أتكلمت أنا وهو وخلص الموضوع _

تنهدت أنفاس الأرتياح بعد أن تأكدت أنه لم يحدث شجار بينهم وقالت بحماس وعذوبة :

طاب الحمدلله ، اتصلى بيه يا أسيد بالله عليك عايزة أكلمه وحشني أوي وكمان عايزة أطمن عليه واعتذر منه _

تحولت عيناه إلى نظرة مميتة وأصبحت تميل إلى الاحمرار قليلاً مجيبًا بنبرة رجولية أرعبتها :

وحشك أوي ! ، واتصلك بيه بقى علشان تقوليله وحشتني ياريان ! _

: حدقته بأستغراب مجيبة ببساطة

أيوة فيها أيه يعني ! ، وهو فعلاً وحشني ليا كذا يوم لا كلمته ولا شوفته _

: ارتفعت نبرة صوته وهو يصيح بها بغضب عارم

_ وتكلميه ولا تشوفيه ليه أساسًا ، ريان من هنا لغاية ما نتطلق ، ده لو حصل الطلاق ، يكون في حدود في تعاملك معاه ، هتتعاملي معاه زي مابتتعاملي مع مراد أو غيره !

: وثبت واقفة وهي تصيح مماثلة له في غضب

_ وأنت مالك مدايق كدا ليه ، أكلمه أقوله وحشتني مقولتش براحتي مش علاقتنا أنا وأنت صداقة يبقي ميحقلكش تقولي أكلم مين ومكلمش مين ، وبذات ريان ؛ لأن ده بذات مقدرش أبعد عنه أو أقصر معاه ولو في حاجة بسيطة

هب الأخير واقفًا ثائرًا ووقف فى مواجهتها ، أكثر مايثير جنونه عناد امرأة معه وبالأخص إن كانت تلك المرأة زوجته ، نعم اشتعلت نيرانه عند قولها " وحشني أوي " لا يعرف سبب غضب ولكنه لم يتمكن من حجب نفسه عنها ؛ فرأت أشتعال عيناه مردفًا بنبرة منذرة :

_ طيب وأنا قولتها كلمة ياملاك ويارب متتسمعش ، لو شفتك بتكلمي ريان أو قاعدة معاه وحديكم زي ما كان بيحصل أنتى وحدك المسئولة عن اللي هيحصل .. اللهم إنى بلغت اللهم فأشهد !

***

ارتفع ضوء الشمس لينير الأرجاء لم يكن يومًا عاديًا على البعض ، حيث وصل كل من محمد وثروت وأشجان وسارة إلى منزل ياسر في القاهرة واستقبلوهم بترحيب جلى ، وجلسوا يحدثون ويضحكون بشدة . كانت سارة تنقل نظرها هنا وهناك باحثة مراد فخيب أملها حين لم تجده .

: هتف محمد بنظرة مترقبة في استغراب

_ أمال وين أُسيد ومراد إكده !

: تبادلت ليلى وأسمى النظرات ثُم هتفت ليلى مبتسمة بتوتر

_ مراد راح الشغل والله من الصبح بدري أصله بقي ياخد مكان أخوه كتير الأيام دى لما يكون مش فاضي

رأى الجميع قسمات التوتر على ليلى والغضب على أسمى فقال ثروت في ريبة :

_ مش فاضي ليه هو في حاجة ولا إيه معاه !

: تحدثت العقربة الصغيرة بغضب وغطرسة

_ أه مش فاضي ، أصله عريس بقي وماخد مراته فى بيته وقاعد معاها ، وطبعًا مين مراته ست الحسن والجمال ملاك !

الفصل الرابع عشر

: تحدثت العقربة الصغيرة بغضب وغطرسة

_ أه مش فاضي ، أصله عريس بقي وماخد مراته في بيته وقاعد معاها ، وطبعًا مين مراته ست الحسن والجمال ملاك !

تبادلوا النظرات بينهم فى ذهول ورمقت ليلى ابنتها شرزًا على ماقالته ،

: فسمعا صوت محمد الغير مستوعب لما قيل للتو

_ ملاك مين دي اللي أتجوزها !؟

يبدو أنها لن تهدأ إلا حين ترى النيران تشتعل بالمنزل وتحرقه رمادًا

: فأكملت بنفس نبرتها السابقة

_ هو في كام ملاك ياجدي .. ملاك بنت عمتي فردوس !

: هب واقفًا وهتف في صيحة عنيفة مزمجرًا

_ ملاك إيه دي ! ، وكيف يتجوزها ومحدش يعرف ، هو أتجن ولا إيه .. قاعد في أنهي شقة أنطجي يا أسمى ؟

: قالت بإبتسامة ماكرة بعد أن نجحت فيما أرادته

! فى الشقة اللي أخد شهر العسل فيها مع مريم _

: اندفع إلى خارج المنزل كالمجنون فهرول خلفه ثروت قائلاً

! يا أبوي استنى رايح وين بس _

: عقدت ذراعيها أمام ذراعيها قائلة بلؤم

كان نفسى أروح واتفرج على المشهد التاريخي بين جدى وملاك ، _

يمكن تحس على دمها وتغور من وشنا

كانت أشجان وسارة يتبادلون النظرات فى صدمة .. أما أشجان فأصبح وضعها أكثر خطورة من ذي قبل ، أصبحت فى حماية من لا تقوي على مواجهته .

***

دخلت الغرفة على عجالة فتصلبت حين وجدته يرتدي ملابسه ويعقد ربطة عنقه ، تحركت نحوه ووقفت خلفه وهى تقول بضيق :

أنت طالع ولا أيه ؟ _

: لم يدير وجهه لها فقط أجاب برزانة

_ أه رايح الشغل أيه في حاجة ولا أيه ؟!

: تمتمت بخنق واضح وهى تطرق أرضًا

_ لا مفيش ، أصل أنا حضرت الفطار وعاملة حسابي أننا هناكل مع بعض !

: استدار لها وهتف شبه ضاحكًا بخبث

_ هو أنتي مش أول امبارح كنتي بتقولي كل واحد فيطي حاله وهنحط حدود في التعامل مع بعض !

ياله من خبيث ، يلومها على ماقالته ويضغط على أوتار قلبها بكلماته اللئيمة .. ربما لديه الحق فيما قاله فهي تقول شئ وتفعل عكسه ...هتفت بغيظ ونظرة نارية :

_ عندك حق أنا غلطانة فعلاً ، أبقي روح بعد كدا أعمل أكل لنفسك بما إنك عايز كل واحد يبقي فى حاله فعلاً !

: ضحك بخفة ومن ثُم أجاب بنبرة تقطر حنانًا وحبًا

_ روحي ياملاك حطي الأكل على السفرة وأنا هخلص لبس وهلحقك وناكل مع بعض يا أبلة

: طالعته بشراسة وقالت بقرف

لا مش عايزاك تاكل معايا أنا هاخد أكلي في أوضتي وأكل وحدي _

دقق النظر في ملامح وجهها مبتسمًا بصفاء ثُم تمتم وهو يثبت نظره داخل عيناها قائلاً بحدة بسيطة :

أنتي سمعت أنا قولت أيه من شوية صح ؟ ، يلا روحي اعملي اللي قولت عليه واستنيني _

زمت شفتيها بإحتجاج ثُم انصرفت وفعلت ما أمرها به وجلست على مائدة الطعام الصغيرة تنتظر قدومه ، وتطرق بأظارفرها الصغيرة على سطح الطاولة واليد الاخرى أسفل وجنتها ، انتظرت لخمس دقائق حينها صاحت به مندفعة :

يا أُسيد يلا أنا جعت أيه ده كله ! _

خرج وتقدم نحو المائدة قائلاً بضحك :

وأنتي مستنياني ليه ماتاكلي ! _

آكل آيه مش حضرتك قولت استنيني _

: أكثر من ضحكه بشدة ثم استطرد بسخرية مزيفة

أه ماشاء الله وأنتي مطيعة أوي وبتسمعي الكلام ، أنا قصدي استنيني _ عادي يعني هاجي وراكي لكن مش قصدي اقعدي من غير أكل لغاية ما أجي !

ابتسمت وأظهرت عن ضحكتها التي بدأ يعشقها بالفعل ! ، ثُم أقبلت على الطعام بنهم وكذلك هو .. عكر صفوهم طرق الباب القوي ؛ أنتفض جسدها على أثره ورمقت زوجها بنظرة متعجبة بها بعض الخوف ، فوقف على قدميه وقال لها بحزم :

_ ادخلى الاوضة ياملاك واقفلى الباب ومتطلعيش غير لما أقولك !

هرولت نحو الغرفة وأغلقت الباب بإحكام ، أما هو فأخذ نفسًا عميقًا يستعد لمواجهة جده وعمه ، أخبره مراد ليلة أمس أنهم قادمون اليوم وبالطبع الطارق هما .. فتح الباب وطالعهم بثبات ونظرة مميتة كعادته لا يخشى أحدًا ، أبعده جده عن الطريق ودخل وهو يصيح بغضب :

_ أسيد ؟ اتجوزت ملاك يا صحيح اللي سمعته ده !

لوي شفتيه بأمتعاض قائلاً بصرامة :

أه صحيح ياجدي ، ملاك مراتي دلوقتي ، ومش هسمح لحد أنه يهينها _
! أو يتكلم معاها بطريقة مش كويسة فى وجودي

: هتف ثروت فى دهشة ممزوج ببعض السخط
! إيه اللي بتقوله ده يا يأسيد ، أنت واعي للي بتقوله زين _

: اندفع محمد يبحث عنها فى الغرف ويصيح بإنفعال
وينها بنت فردوس ال**** دي _

: أسرع نحوه ليقبض على ذراع جده ويهتف في شبه صيحة
جدي أحسب كلامك كويس قبل ما تقوله اللي بتتكلم عليها دي مراتي _

لم تتحمل اللفظ الذى لفظه فى حق أمها فخرجت واندفعت نحوه كالغولة
: تصيح به
فردوس دي برقبتك وبرقبة أي حد بيقول عنها كده ، كفاية بقى مش _
مكفيك اللي حصلها بسببك حتى بعد ما ماتت مش عايز تسيب روحها
ترتاح ، كنت عارف بمرضها وأنها ممكن تموت فى أي وقت ورفضت
! تعالجها . عارف أنا حتى كلمة جدي مستعرة ما اقولهالك

رفع يده في الهواء وهم بصفعها فكانت يد أُسيد أسرع حيث قبض على يده متمتمًا بوحشية :

_ كفاية أوي كده ياجدي !

ثُم حول نظره إلى زوجته وصاح بها بنظرة أستقصدها لعلمه أنها تخشاها حين يرمقها بها :

_ وأنتي ادخلي الاوضة اخلصي يلا ومتورنيش وشك لغاية ما أنده أنا عليكي !

رمقتهم شرزًا وأمتثلت لأمر زوجها ودخلت فصرخ محمد بحفيده بعدما وصل إلى زروة غضبة :

_ والله عال يا ولد ياسر بتقف في وشي عشانها !

هتف ثروت بصوت رزين يحاول تلطيف الجو :

_ أهدى يا أبوي بس خليه يفهمنا اتجوزها كيف وليه ؟!

_ اتجوزتها عادي زي ما حد بيتجوز أما ليه فدي حاجة أحب أحتفظ بيها بيني وبين مراتي . أنا مقصدش ادايقك ياجدي بس قبل ماكنت تفكر ترفع إيدك عليها أعمل حساب إني واقف

: ضحك ساخرًا متمتمًا بغطرسة

لا ده أنت كتر خيرك إنك دخلتنا بيتك أصلاً _

وأنصرف من أمامهم وهو يستشيط غضبًا فاقترب ثروت من ابن أخيه

: قائلاً

أنت رايح الشركة مش إكده ؟ _

: هز رأسها بإيجاب فى أقتضاب فتابع بجدية

طيب أنا هجيلك على هناك ونتكلم زين في الموضوع ده _

لم يبدي أي ردة فعل فقط طالعه بوجوم ، فانصرف الأخير خلف أبيه ، فدفع أسيد الباب بعنف أهتزت أركان المنزل له واندفع نحو غرفتها كالغول

: وفتح الباب على مصراعيه وهو يصرخ بها ، جعلها ترتجف واقفة

أنا قولت أيه ياملاك لما الجرس رن مش قولت ادخلي واقفلي الباب _

ومتطلعيش من الأوضة غير لما أقولك

: هتفت بنظرات زائعة فى ارتعاد

مقدرتش اتحكم في نفسي يا أسيد لما قال كدا عن ماما _

: إزداد صراخه قائلاً بنظرة نارية وصوت مخيف

مقدرتيش أيه بلا زفت ، أنا قولت متطلعيش علشان عارف إن اللي على _ الباب عمي وجدي لكن زي العادة عملتي عكس اللي قولته

وفيها أيه يعني لما طلعت ورديت عليه _

لا فيها كتير ياهانم فيها إنك معملتيش حساب ليا ورايحة تزعقي وتعلي _ صوتك على جدك قدامي ، أيه مفيش حساب لوقفتي خالص .. من هنا ورايح الكلمة اللي هقولها تتسمع فاهمة ولا لا !

سايرته وقررت إنهاء الأمر حتى لا تدخل في جدال معه وكما قال لها منذ يومين أنه وقت زروة غضبه يكون بهذا الشكل المرعب وحين يهدأ يعود لطبيعته ، ففضلت الأعتذار منه حين يهدأ والآن يكفي الموافقة على ما أمرها به :

فاهمة يا أسيد ، حاضر ! _

***

تجلس بحديقة المنزل تحتسي كوب الشاي الساخن ، تفكر في أشياء جمة

من أهمهم ، لماذا تهتم به لتلك الدرجة وتسعى جاهدة لجعله يسامحها ؟ ؛ ربما لإنها بدأ يشب بداخلها شعور لما تعهده تجاهه من قبل ! ، تجسدت به جميع أشكال القوة والحنان . كانت تراه كيف يعامل زوجته السابقة لم يكن يختلف كثيرًا عن أخيه في شخصيته ، كلاهما يعاملوا زوجاتهم كأنهم أميرات ، من تحظ بالزواج من أحدهم تنعم بعيشة هنية وتُعامل كملكة أو أميرة وهو أميرها ، ولكن لم يكن لديهم حظ بالزواج منهم من خسر زوجته وابنه ومنهم من أنفصل عنها .. ولكن السؤال الذي يروادها كيف تزوج أُسيد ملاك ولماذا ؟ ... رأت سيارته ترتص بمكانها المخصص ويترجل منها وقع نظرها عليه وقبل أن يقع نظره عليها ، استغلت الفرصة أفضل استغلال ودفنت وجهها بين كفيها وأخذت تبكي بكاء مرًا مزيف وحين رأته يقف يحملق لها من بعيد بحيرة ؛ فأكثرت من البكاء بشدة .. نجحت في ماعزمت عليه واقترب منها أما هي فكلما تشعر بخطواته تخطو نحوها تزداد أكثر إلى أن توقف أمامها وهتف بريبة :

مالك ياسارة في أيه ؟ _!

جففت عبارة كاذبة فرت من مقلتيه ورمقته بضعف متصنع متمتمة : مفيش حاجة يامراد مدايقة شوية بس _

ازدادت نبرته قوة وخشونة حين قال :

مدايقة من أيه يعني ؟ _

: عاودت بكائها المزيف وهي تتشدق بتأثر ومرارة

من حجات كتير ، أصلاً محدش فاهمني كله بياجى عليا من غير مايفهم _

! حاجة

نجحت تلك الماكرة في تحريك عاطفته نحوها وظهر ذلك حين أجابها

: برقة

!ايوة مين دايقك قوليلي ؟ _

: تصنعت التشنج وارتجافة الصوت

قول مين مدايقينيش أنا تقريبًا الكل بياجي عليا أساسًا ، وأنت منهم _

يامراد ماخد موقف مني من غير ماتفهم وبرغم إني وعدتك إني مش

! هكلمه تاني وبرضوا مصمم تاخد موقف مني

أنتي عارفة كويس أوي سبب غضبي منك ياسارة ، أنتي بذات مكنتش _

متوقع منك إنك تعملي كدا

: هبت واقفة محتفزة وهى تهتف بغضب

_ أنت ليه محسسني إني عملت جريمة قتل !

: ببرود وصوت أجشَّ

_ بنسبالي كدا ، إنك تكلمي راجل وتقعدوا تحبوا في بعض وأكيد بيستغلك ومش بعيد يكون عايز يأذيكي

_ يعني هتقعد متعصب مني كدا كتير !؟

: تنهد بعمق وتمتم بهدوء تام

_ لا ياسارة خلاص أنسي الموضوع بس لو شميت خبر إنك رجعتي كلمتيه تاني ، مش هيحصل طيب أوي وأنتي فاهماني أقصد أيه

هزت رأسها عدة مرات متتالية في موافقة ، فقد نجحت خطتها اللئيمة في إهماد نيرانه المتوهجة نحوها .. رأى الابتسامة تكاد تشق طريقها وتصل إلى أذنها فبادلها ابتسامة بسيطة وغمغم برقة :

_ روحي اغسلي وشك يلا

هرولت من أمامه تتجه نحو الداخل ويزداد شعورها بالفخر والانتصار كلما تتذكر ماقاله وأنه لم يعُد غاضب منها ... !

***

مساء ذلك اليوم ... عاد إلى المنزل ، كانت الاضواء منطفئة وسكون تام ، وكأنه خالي من البشر ، شعر بالقلق وصاح مناديًا عليها وعندما لم تجيبه ازداد قلقه وتسرب الشك فى ثنايا قلبه خشية من أن يكون أصابها مكروه ؛ فاندفع يبحث عنها كالمجنون في كل غرفة ولكن لا أثر لها ، وقف يمسح على شعره ويزفر بقلق فكر بالاتصال بها ولكنه تراجع حين شعر بنسمات هواء باردة في المنزل ، توجه وبحث عن كل نافذة يتأكد من أغلاقها سوى نافذة واحدة وهي نافذة المطبخ الذى عندما دخله فوجئ بجلوسها على أحد المقاعد أمام النافذة وتستند بمفرقيها على حافة النافذة وسابحة في سبات عميق . جسدها ضئيل وصغير لدرجة كافية يجعلها تجلس على المقعد وترفع قدميها وتضمهم إلى صدرها كما تفعل دومًا . أصدر تنهيدة حارة بارتياح وهز رأسه بحركة نافرة تعبر عن خنقه واعتراضها على هذا الوضع الذى تنام فيه أمام النافذة ويلفحها الهواء البارد ، شعرها الكستنائي المائل إلى الرمادي القصير يتطاير بفعل الرياح على وجهها يجعلها أكثر جاذبية وجمالاً ، بات يشعر بالخطر لمجرد قربه منها وحين يتأملها بتلك الطريقة ! . سار نحوها وانحنى بجزعة للأمام فيضع يد تتوسط نصف ظهرها واليد الأخرى نصف قدميها وحملها على ذراعيه متوجهًا بها نحو غرفته وليس تلك الغرفة التي أوهمت نفسها بأنها

غرفتها منذ أن حدث الشجار بينهم وقالت أن كُلٌ منهم سينام في غرفة منفصلة ، وضعها على الفراش بحذر وجلب غطائه الثقيل ورفعه حتى أعلى كتفيها ، رأى تكورها وضمها للغطاء باستمتاع وكأنها تدفأت بعد ذلك البرد . بدأ بتبديل ملابسه وارتدى جاكيت رمادي اللون أسفله بنطال أبيض اللون ، ثُم توجه وتسطح بجوراها يتقاسم معها نفس الغطاء لينعم بنوم مريح بعد يوم شاق ...

أشرقت الشمس عن شعاعها الدافئ فيتسلل من خلال الستائر ومنه إلى عيناها العسليتان فتفتحهما وترفع كف يدها في أتجاه شعاع الشمس تحجبه عن عيناها ، نظرت إلي الغطاء التي تُغطء به ونقلت نظرها يمينًا ويسارًا في الغرفة بدهشة وتجمدت الدماء في عروقها عندما انتبهت له نائم بجوراها لا يفصل بينهم مسافة تتعدى خمسة عشر سنتي مترًا ، تذكرت ليلة أمس وأنها غفوت على النافذة فتوقعت ماحدث بعدها عندما أتى ووجدها بهذا الوضع فنهضت من الفراش بهدوء وغادرت لتذهب إلى المرحاض وتأخذ حمامهًا الصباحي الدافئ ، مرت مايقارب النصف ساعة حتى انتهت ولفت نفسها بمنشفة كبيرة ، وخرجت وهمت بالركض نحو غرفتها قبل أن يخرج ويراها فأذا بها تنصدم بخروجه أمامها ،تسمرت بأرضها وقد فقدت حاسة النطق وأحمر وجهها ، همت بالركض نحو غرفتها لتهرب من نظراته المتفحصة وقبل أن تدخل الغرفة سمعت صوته القوي يقول :

_ استني ياملاك !

تصلبت مكانها وتسارعت نبضات قلبها وظلت توليه ظهرها ، تكاد تسقط واقفة كلما تشعر بخطواته تقترب منها ، لينتهى الأمر عندما أنتفضت كالذي مستها الكهرباء عندما أحسن بأصبعه يمر على ظهرها بنظرات متفحصة . التفتت له فورًا وأردفت بتلعثم ممتزج ببعض الغضب : أنت بتعمل أيه ؟ _!

تجاهل سؤالها تمامًا وهتف بنظرات تحمل الفضول والريبة وينقل نظره بين ذراعيها وأعلى صدرها :

_ أيه العلامات اللي على جسمك دي !

نظرت إلى جسدها فرأت علامات تعذيب أكرم لها بـ (الكرباج) على جسدها مازالت تترك أثرها حتى الآن ! .. هتفت مسرعة فى توتر وهى تهم بالاستدارة لتدلف الغرفة :

_ لا ده أنا كان عندى حساسية وسابت أثرها

غرس أصابعه فى ذراعها وهو يهتف بنظرة نارية ونبرة مريبة : حساسية أيه ! ، هو أنا عبيط هتضحكي عليا بكلمتين وخلاص دي مش _

علامات حساسية دي علامات شبيهة بعلامات ضرب بالخرطوم أو الكرباج .. أكرم اللي عامل كدا فيكي صح ؟

هزت رأسها بالموافقة في أسى وشجن ، فترك ذراعها ولوى فمه ويعض على شفاه السفلى في ضجر واضح وعيناه تتوعد لذلك الوغد تابع بسؤال آخر بحدة أكثر :

وشعرك أنتي قصيته ولا هو اللي عمل كدا برضوا ؟ _

مراته التانية قصته غصب عني وهو كان واقف وبيتفرج عافرت في البداية أكيد وقعدت أصرخ واحاول أبعدها عني بس مقدرتش عليهم _

رأت وجهه كيف تحول من الأبيض إلى الأحمر الداكن من فرط غيظه وغضبه وتمتم بنبرة تحمل فى طياتها الوعيد :

قرب أوي يوقع تحت إيدي وهدفعه تمن كل عمايله دي واحدة واحدة _

استطردت بنبرة راجية وهى تقبض على كف يده اليمنى وتتوسله قائلة : أبعد عنه يا أسيد ابوس إيدك ، خلاص اللي حصل حصل ، المهم دلوقتي وهو مش هيقدر يقربلي طول ما هو عارف إني معاك ، طلعه من دماغك علشان خاطري _

: سحب يده ببطء مغمغمًا بصلابة

ادخلي البسي هدومك ياملاك يلا _

قال جملته الأخيرة واستدار وانصرف من أمامها تاركًا وراءه قلبها الذي يشتعل من خوفها عليه ، ليتها لم تلف نفسها بتلك المنشفة ، حينها كان لن يعرف شيئًا عن ما في جسدها من أثار تعذيب ...

***

: كان صياحه وهو يقول بزمجرة كافي لجعل المتحدث يرتعد

يعني أيه مش عارف مكانها ! _

: هتف بتلعثم وارتباك

يامعتز بيه قلبت عليها كل مكان ومفيش أثر ليها وعرفت الشقة اللي كانت قاعدة فيها بس سابتها برضوا _

اقفل غور ومتسمعنيش صوتك تاني غير لما تكون جايب أخبار عدلة _

: ألقي بالهاتف على الفراش ومسح على وجهه قائلاً بضيق وندم

أنتي فين بس ياملاك ، أكيد أسيد وريان مخبينك مني ، بس مسيري هلاقيكي _

***

قضي ليلته السابقة بالسيارة ، بنفس وضعيته هذه ، يغلق هاتفه منذ يومان . لم يشعر نفسه عاجز هكذا طول حياته ، الآن حبيبة قلبه في أحضان ابن عمه الذي لم يتخيل أنه سينافسه عليها في أحد الايام ، فكر في كلماته ورأى أنه ربما لديه الحق في بعض الأراء وهو أن ينساه ؛ لأنه يتقن كل الإتقان إنها لا تحبه فقد أخبرته أكثر من مرة بعفوية مدى حبها الاخوي له ولكنه كان يقنع قلبه بأنها من المحتمل أن يتغير شعورها تغيير جذرى وأن تصبح له ومن ممتلكاته يومًا ما ، والآن فقد أي ذرة أمل زُرعت وأثمرت بداخله ، سيفعل كل ما بوسعه كي ينتزع حبها من جذوره ... ؛ لأنه تأكد إنها لن تصبح له مطلقًا حتى وأن انفصلت عن أُسيد أخرج هاتفه وقام بفتحه ولحظات قليلة وكان يعلن عن اتصال من أحدهم : وكأنه ينتظر أن يعود هاتفه للخدمة فيتصل به أجاب بمضض خير ؟ _

ريان بيه زمردة هانم أمبارح الصبح طلعت من البيت مع مروان بيه _ وكان معاها شنطة هدوم ،وقبليها كان عندها مراد بيه ، ولما دخلت البيت

بعد مامشيت لقيتها ناسية بطاقتها

قطب حاجبيه باستغراب وتساءل بداخله حول ماذا تفعل تلك الفتاة مع مروان ومراد فأجابه بإهتمام :

وأنت متصلتش بأسيد ليه أمبارح وقولتله الكلام ده !؟ _

أنا برن عليك أنت وأسيد بيه ياباشا من أمبارح ومحدش بيرد منكم ، لو تقدر تاجي وتاخد بطاقتها وتودهالها _

تأفف بخنق جلى وصاح به منفعلاً :

بطاقة أيه بس دلوقتي هو أنا ناقص حرقة دم على الصبح مكنش ناقصنى غيرها الأبلة دي ، بص سيبها في البيت وأنا هخلص شغلي وهبقي أروح أخد بطاقة الهانم دي معايا _

تمام يابيه تحت أمرك ! _

ألقى بهاتفه على المقعد بجوراه وهو يتمتم بأزدراء و أستنكار :

فاضي أنا علشان أسيب اللي ورايا وأروح أشوف بطاقة الهانم اللي نسيتها ، أصل ريان مورهوش غيرها ، بلا قرف _

***

بعد مرور ساعات عديدة وقد كانت تقف في المطبخ وتارة تسير يمينًا تجلب أحد المقادير اللازمة وتارة تسير يسارًا وتجلب أشياء مختلفة ، ترتدي بنطال وردي اللون ويعلوه جاكيت سماوي يصل إلى أسفل مؤخرتها وتترك العنان لشعرها القصير وتربط من أسفله نصف رأسها من أعلي قماشة عصرية ذات ألوان ذاهية على شكل (فيونكة) وتنسدل بعض خصلات شعرها على وجهها ، كانت أشبه بطفلة لم تتجاوز العاشرة من عمرها . نظرت بجوراها عندما وجدته يقف ينظر لها ببلاهة وابتسامة متصنعة شبه مغتاظة فضحكت بخفة وقالت برقة :

_ أنت عايز أيه ؟

بوجه متهجم وغضب مزيف قال متغطرسًا :

_ يعني أنا اللي أعرفه إن الناس بتعمل التورتة والكيكة دي بليل أو الصبح بدري لكن إني أشوف حد بيعملها في الضهر ومعاد الغدا دي حاجة غريبة

تصنعت البرود وهي تجيبه بمكر أنوثى :

_ طاب وأنت أيه اللي مدايقك فى كدا ؟!

: كان شبه منفعلاً وهو يجيبها باغتياظ

_ ملاك متعمليش نفسك عبيطة واتعدلى ، ولا هو أنا علشان متهاون معاكي ماخدة راحتك سيبي اللي في إيدك ده واعملي الغدا اخلصي

: انفجرت ضاحكة في تلك اللحظة لتجيبه من بين ضحكاتها قائلة

_ أيه يا أسيد أهدى في أيه كل ده علشان اتأخرت كام ساعة على الغدا !

_ كام ساعة أيه ده العصر أذن والمغرب على أذان !

: ازداد ضحكها أكثر فتجيب بوضوح في هدوء وخبث دفين

_ طاب وفيها أيه ! ، يعني ده جزاتي إنى بعلمك الصبر أنا لاحظت إن في بيت خالي الأكل هناك بمواعيد ثابتة وحاجة مملة كدا الصراحة لكن تبقى حلوة لما نغير الروتين يعني مرة نقدم الأكل مرة نأخره مرة مناكلش خالص !

رأته يحك لحيته النامية وعيناه مشتعلة بنيران الغيظ منها فملست على ذراعه وكأنها تهدأه قائلة بضحك :

_ أيه أنت هتتحول ولا أيه ، طيب متبصليش كدا بالله عليك لأحسن أنا

بخاف والله ، هحضر الغدا خلاص

: تابعت بتصنع التأثر والحزن

بس تعرف أنا مكنتش متخيلاك كدا أتصدمت فيك الحقيقة يعني مش معقول كام ساعة مش قادر تصبرها يا أسيد ، أنا كنت عاملة امتحان ليك وأنت ماشاء الله اثبتلي أن الأكل أول حاجة بنسبالك يعني مستعد تاكلني ولا يهمك !

أرسل ضحكة رجولية رنت في أجراء المنزل ويجيب مبتسمًا يبادلها المزاح :

مهو علشان كدا الأكل في البيت بمواعيد _

لا أنا هخاف على نفسي بعد كدا منك _

طالعها مبتسمًا بعذوبة ومن ثُم فالتقط قطعة صغيرة من تلك الكعكة التي تُعتبر انتهت .. فثبتت نظرها عليه تتابع قسمات وجهه وحين وجدته ابتسم بتلذذ بادلته الابتسامة هاتفة بتشويق :

حلوة ؟ _

: هز رأسه بإيجاب وهو يمص طرف أصبعه مردفًا بصدق واضح

أمممم حلوة جدًا تسلم إيدك _

ابتسمت بمرارة عندما تذكرت كيف كانت والدتها تطلب منها تلك الكعكة دائمًا لعشقها لها ، كانت ترفض شراء أي كعكات وتقول لها أنها تفعل الكعكة أفضل من أي شيف ومتمكن ! ، أطرقت أرضًا وتمتمت بأعين دامعة :

_ ماما الله يرحمها كانت بتحبها جدًا التورتة دي من إيدي وكانت تخليني دايمًا اعملها ولو جبت فى مرة تورتة من برا متاكلهاش أبدًا وتقولي الي بتعمليها أحلى

هم بأن يضمها في محاولة للتخفيف عن ألمها ولكنها تصر دائمًا على أنهاء كل لحظة جميلة بينهم بشئ يكدر صفوه حيث هتفت بإبتسامة جميلة :

_ وحتى ريان كان بيحبها جدًا كنت اليوم اللي بعملها بتصل بيه وأقوله ياجي ياكل منها واليوم اللي بيكون مش فاضي فيه بشيل منها لغاية ما ياجي علشان ياكلها .. مش هتخليني أكلمه برضوا ؟

قالت جملتها الأخيرة وتحول وجهه وأختفت ابتسامته الرائعة لتحل محلها

قمسات تنم عن بركان يوشك على الانفجار ، وتحول فورًا من حالة المزاح والضحك إلى القسوة والجفاء وهو يقول بسخط هادر :

_ لو فتحتي الموضوع ده تاني ياملاك أنتي حرة فاهمة

زمت شفتيها بضيق وهي تراه ينصرف ويشتعل كالنيران التي تزداد توهجًا كلما سُكب الماء عليها ، وقف فجأة وهتف بحدة :

_ واعملي حسابك بليل هنروح للدكتور علشان يشوف حالتك ويحدد معاد العملية

باتت تشعر بشئ غريب في وضعه ، ماسبب غضبه وانفعاله عند ذكر ريان ، لولا أنها تعلم أنه لا يحبها لرجحت أنه يغار منه ، ولكنه لا يحبها .... !إذًا لماذا يشتد غضبه هكذا عند ذكره أمامه ؟

***

أتجهت وأتخذت مجلسًا لها بجوار زوجها تراقب محياه وكأن هناك مايزعجه ويثير فتيل الاشتعال بداخله ، غير مبالي لوجودها قطْ ، أخرجت زفيرًا حارًا وتمتمت بفضول :

_ ألا قولي ياثروت موضوع جواز ملاك وأسيد ده صح !؟

لم يلتفت بنظرها له فقد كان يحدق أمامه بغضب واضح يعتريه من شئ

: مجهول ، فسمعته يهتف باستياء بسيط

أيوة يا أشجان صح _

زاغت ينظرها في اللأشي تُفكر في تلك الصاعقة التي الحقتها ، لا يعقل أن تكون زوجة أُسيد ، من دون شئ تشعر من صميم قلبها أنه يعرف شئ عنها ويخفيه .. ترى نظرته المميتة لها حين يحدثها ، عيناه تتحدث كشخص يتوعد للأخر على مافعله ، والآن ابنه فردوس في حماية من لا يجرؤ على الاقتراب منها وهي معه ؛ لأن هذا يعني نهايته عاجلاً أم آجلاً ، صنع أُسيد هيبة له منذ وفاة والده جعلت الجميع يرتعد من حضوره ، يخشاه كالغزال الذي يخشى حضور الأسد وانقضاضه عليه . إن حاولت التخلص منها ستتجه شكوكه أولاً تجاه شخص واحد وهذا الشخص

: سيكون هي ! . حاولت تغير مجرى الحديث وتمتمت مهتمة

!مالك إكده إيه اللي مدايقك ومعصبك أمال ؟ _

: غرس شعاع عينه في عينها هاتفًا بصوت مريب

..... هتقعدي جمبي يبقى تقعدي ساكتة يا أشجان وألا _

وقفت فورًا رافعة كفها فى وجهه مجيب بامتعاض وضجر فيقابله بجمود

: وبرود مستفز

خلاص من غير ألا ولا زفت أنا غلطانة إني بسألك ياثروت ده جزاتي ، _
آخر مرة هسألك فيها لو لقيتك مدايق

***

أنهي عمله تمامًا وأظهر الليل عن ردائه المظلم ، فقاد سيارته في الطريق المؤدي لمنزل تلك الفتاة المدعوة بـ (زمردة) ، يعيد ذكريات لِقاءاتهم مع بعض تتعمد سكب البنزين وأشعلاه بالنيران ظنًا منها أنها ستتمكن من سد حقها جراء ما قاله لها ، فتاة حمقاء لا تتقن حتى طُرق الشجار . توقفت سيارته أمام ذلك المبنى ووجد الرحل الذى حدثه ينتظره ليسلمه مفتاح المنزل فتناوله من يده وصعد لأعلى على الدرج ، حتى وقف أمام الشقة المقصودة وفتحه باستخدام المفتاح ودلف وأغلق الباب خلفه ببطء ، نقل نظره في المنزل بتفحص ، منزل لا بأس به .. تحرك يسير فى المنزل يتفحصه حتى دلف غرفتها فرأى صورة تجمعها مع ملاك موضوعة أعلى منضدة صغيرة محفوظة داخل (برواز) صغير ، التقطتها وتأمل ملاكه الذي فقده ، رسبت آملاه في أن تصبح زوجته يضمها ليلاً ويعانقها ويجعلها تنام بين دفء احضانه ، أن يستيقظ كل يوم يرى وجهها الجميل أمامه ، يحادثها ويمزاحها بحرية أكثر من ذي قبل ، أن يعوضها عن ماعاشته ويكون ملجأها الوحيد وقت حُزنها ، انتزعت روحه منه وذهبت ولم تبالي لذلك الجسد الذى أصبح تحت التراب تتغذى عليه الحشرات

والطفليات ، لفت نظره تلك البطاقة التي أتي من أجلها فيلتقطها وأذا به

..... تلجم الدهشة لسانه وتعقده حين

الفصل الخامس عشر

لفت نظره تلك البطاقة التي أتي من أجلها فيلتقطها وأذا به تُلجم الدهشة لسانه وتعقده حين رأى الاسم كالأتي (زمردة عزت محمد الصاوي) عاد يمعن النظر في صورة البطاقة يتأكد إذا كانت هي بالفعل أو لا ، فتزداد دهشته حين يرى صورتها ، وقف يتأمل الاسم في ذهول وعقله يدور حول نفسه فى حلقة دائرية قائلاً " لا ، لا يمكن أن تكون تلك الفتاة ابنة عمي عزت ، كيف تكون ابنة عزت الصاوي ؟! ، وهل الجميع يعرف هذا ماعدا أنا ! " أدرك الآن سبب العبرات التي رأها في مقلتيها حين القمها بلفظه حجرًا " مين أنتي أصلاً علشان نهتم بيكي ! " .. حينها رأي الألم يتجسد بجميع أشكاله في عيناها البنيتين التي تلومه على ماقاله وهو يجهل كل شئ وبالأخص من هي ، أدرك أيضًا سبب ذهابها مع مروان الأمس ، عابه ضميره قليلاً على ما الفظه لسانه في حقها بدون وعي ، ولكن كيف لهم أن يخفوا شئ كهذا عنه لطوال سنوات مرت طويلة . وضع تلك البطاقة في جيب بنطاله واندفع إلى خارج المنزل .

***

فتح الباب وتقدمت هي أولاً بالدخول وتبعها هو وأغلق الباب خلفه ، تسمرت بأرضها فجأة ووضعت كفها على يسارها وأستنشقت الهواء

بصعوبة وتزفره بسرعة ، وقف يحدجها ويتابعها بقلق بسيط الذي سرعان ماتحول إلى هلع حين استندت بيدها على ذراعه وساءت حالتها ، شحب لون وجهها وهي ترتجف وتعافر في التقاط بعض الأكسجين لرئتيها .. حاوطها بذراعيه من كتفيها هاتفًا بفزع ظاهر في نبرة صوته : ملاك مالك ، ردى عليا _ !

أسعفت الكلمات كالذى يلفظ آخر حروفه قبل خروج روحه بانتفاضة شديدة :

ما..يه يا أسيد مايه _

بذراع حاوط كتفيها والآخر قبض على كفها الأيسر يساندها للوصول إلى الأريكة وأجلسها عليها ، ثُم أسرع في خطاه أشبه بالركض نحو المطبخ ليجلب كوب ماء بارد لها كما طلبت ، وعاد لها مهرولاً يناولها إياه ، رأى يدها المرتجفة وهي تمدها لجذب كوب الماء بالتهاف ؛ فلم يتردد لثانية ومد هو بيده كوب الماء إلى فمها يرويها بحذر ، وعندما اكتفت أبعدت الكوب عن فمها ورجعت برأسها للخلف تتنفس الهواء بأرتياح بسيط ورجفتها تعتريها مازالت ، أسند الكوب بجوراه وهتف بنبرة حانية قلقة : أخدك ونروح للدكتور تاني ياملاك لو لسا تعبانة ؟ _

هزت رأسها بالنفي القاطع وتنظر له بنعومة وابتسامة ضعيفة فترى الفزع وانخطاف لون وجهه يحتل مركزه ، ونظرته الدافئة يصوبها نحوها : كالضوء الخافت من عينيه فتمتمت ببحة بسيطة

لا ، بقيت كويسة الحمدلله متقلقش _

طيب قومي يلا روحي الاوضة ارتاحي _

: اعتدلت في جلستها بحرص وتمتمت بضعف وهي تنتفض

مش قادرة أوقف على رجلي أساسًا يا أُسيد استني أما أقدر أخد نفسي _ كويس وارتاح أكتر أبقى أقوم

هب واقفًا وانحنى فيحملها على ذراعيه بخفة ورشاقة ، فتشبتت برقبته من الفزع وطالعته بوجنتين متوردتين حين وجدته يقول بمزاحه المحبب لقلبها :

مش كده أفضل ولا أيه ؟ ، احنا لسا هنستنى أما تاخدي نفسك _ وترتاحي

دفنت وجهها بين ثنايا صدره تبتسم باستحياء لا تجرؤ على وضع عيناها بعينه الثاقبة الزرقاء ، كل يوم تزداد عشقًا له أكثر لن يهدأ إلا عندما

تذهب وتعترف بعشقها له بدون مقدمات ، نعم تبذل قصاري جهدها في التعامل معه كأنها صديق لها ولكن عيناها تنحرف عن القوانين وتفضح : كل شئ عزمت على إخفائه . وجدته يسير بها نحو غرفته فقالت بريبة ! أسيد أنت موديني أوضتك ليه ، وديني أوضتي _

رمقها بطرف عينه مبتسمًا بحنان فى شئ من اللؤم ، حين رأى ملامح وجهها المتساءلة والخجلة وهي تطالعه بفضول تحسه على الأجابة فلبى طلبها الخفي وقال بعد أن أفترت شفتاه عن ابتسامة ساحرة :

ماهي دي أوضتك ياملاك ، مكان ما أنا قاعد أنتي تقعدي ، أنا معنديش حاجة اسمها أنام في أوضة وأنت تنام في أوضة ، حتى لو كان جوازنا وعلاقتنا عادية ومفيش أي حاجة مابينا ده ميمنعش إنك تنامي في نفس المكان اللي أنا نايم فيه _

أتسعت حدقتيها بدهشة وتورد خداها يكاد ينجبي منه الدم ، تراقص قلبها فرحًا لرغبته في قربها منه وأن تكون بجوراه طوال الليل ، لعلها تكون بداية لشئ يتمناه قلبها بشدة وهو قلبه ! ، لهيب الرغبة الأبدية يشتعل داخلها وعيناها تبتسمان له بحبٍ . تحرك ووضعها على الفراش بحرص ثُم أردف بصوت لين بجدية تامة:

أجيبلك حاجة تاكليها ياملاك أو عصير علشان تتحسني أكتر ؟ _

رأها وهي تهز نافية برقة لتتلاقي الأعين في لحظة عابرة مرت كسلحفاة تسير ، عيناه التي تبتسم لها بدفء ونعومة لا تستطيع مقاومتها ، كأنها تحتضنها ، ماهذا الرجل الذي بليت به يا الله ! ، أصبحت تعشق كُل تفصيلة صغيرة به : عيناه ، نبرته ، ابتسامته ، ضحكته ، حنانه . أن ظلت تعُد كل تفصيلة به لن تنتهي للصباح ، ولكن برغم هذا ففضلت الإبتعاد عنه فلا تأمن ماذا سيحدث فيما بعد ربما ينفصلا بالفعل ، تعلم وأنها إن أبتعدت عنه وفصلت بينهم بلاد لن تستطيع انتزاع حبه من بين أعشاش قلبها ، ولكن سيكفيها شرف المحاولة .. رفعت نظرها له وهتفت بصلابة :

_ مش عايزة آكل يا أُسيد عايزة أرجع أوضتي لو سمحت وأنام هناك

زفر زفيرًا مزمجرًا ثُم أجاب ثائرًا وكأن قلبه بدأ يأبى ابتعداها عنه بأي طريقة إن كانت ، يريدها أن تكون معه دائمًا وبجوراه يتأملها حين يشاء يشعر بوجودها وأنفاسها معه .. أصبح الأمر أكثر خطورة من ذي قبل وهو أكثر من يلاحظ هذا ولكن لا يكترث لعقله الذي يحاول إفساد كل لحظة حلوة :

_ أوضتك معايا هنا ياملاك مش هناك ، ثُم إنك تعبانة وممكن تتعبي في أي وقت والأفضل إنك تكوني جمبي

يتخذ من مرضها حجة لرغبته في قربها منه ، من يخدع ياترىَ هل يحاول خداع نفسه التي هي أكثر من يعلم بهذا ، يخشى أن تمر الأيام ويزداد ذلك الشعور بداخله فيضعف ويخضع لها تمامًا ، زاد انفعالها حين قالت متضايقة :

_ مش هتعب يا أسيد وحتى لو تعبت أنا مش قاعدة في بلد تانية أقلها حاجة هنده عليك أو أجيلك وأصحيك

استطرد بغضب في أعين ملتهبة :

_ أنا مبحبش النقاش والجدال الكتير ، سمعتي اللي قولته وخلص الموضوع خلاص أقل حاجة تقدرى تقوليها هي حاضر !

أشاحت بوجهها للجهة الأخرى فى خنق فبدأ هو بتبديل ملابسه وأتجه إلى الحمام توضأ وصلى فرض العشاء وطلب منها القيام لتصلي فرضها فنهضت وتوضأت ثم شاركته الصلاة وفور انتهائهما وقفت وعادت إلى الفراش تسحب الغطاء إلى أعلى كتفيها ، دقائق وأنضم لها عبرت عن انزعاجها من طريقته التسلطية بأن توليه ظهرها ؛ فسمعت تأففه بخنق جراء ماتفعله الآن ثُم أغمض عيناه واستسلم للنوم وهي فعلت كذلك ....

***

ارتفع ضوء شمس الصباح الدافئة في السماء ومعه فتحت عيناها ببطء لتقابل وجهه أمامها يصدر شهيقًا محمل بثاني أكسيد الكربون ويعود لاستنشاق الأكسجين النقي ، تأملت محياه بعشق لدقائق طويلة ، أصدر علقها إشارة ليدها بأن تمدها وتلمس لحيته الكثيفة وتخلل يداها بين خصلات شعره السوداء ، ترددت كليًا وأصبحت تمد يدها وتكاد تلمسه فتتراجع فورًا ؛ خوفًا من أن يستيقظ فجأة فتقع في مأزق ، ظلت تمد يدها وتتراجع هكذا حوالي خمس مرات حتى حسمت أمرها وليحدث مايحدث أن فاق ، بدأت بدايةٍ من لحيته تتحسها بنعومة وخفة كي لا توقظه ، صعدت بلمساتها لشعره تمرر أصابعها عليه وتخللها بين خصلاته .. رأت بؤبؤي عيناه يتحركا يمينًا ويسارًا من أسفل جفن عيناه يعطي الإشارة لها باستيقاظه ، همت بأن تبتعد عنه ولكن كان الهاتف أسرع منها حيثُ أصدر رنينه المرتفع فينتفض جسدها معه بفزع ومعه أفتح عيناه دفعة واحدة وكأن ذلك الصوت أصابه بالزعر وأقلق منامه أكثر من لمستها .. وأتسعت مقلتيه حين رأى وجهها يكاد يكون فوق وجهه وأنفاسها تلفح صفحة وجهه ، دق قلبها بشدة وفقدت حاسة النطق عندما أحست بصوتها لا يخرج من حلقها ، ووجهها أصفرّ بشدة ، ابتعلت ريقها العلقم بصعوبة ، نظرته المستفهمة والمندهشة من وضعها أوشكت على فقدها لوعيها ، ران الصمت بينهم لثوانٍ معدودة ، حاولت إنقاذ الموقف فتجيبه بصوت

: مبحوح يكاد لا يسمع جاهدت في إخراجه طبيعيًا

تـ... لفونـ..ك كان بيرن وأنا كـ..نت هجيبه وأصحيك _

لاحت ابتسامة ماكرة على جانب ثغره ، تحاول خداع رجل داهية لديه خبرة بكل شئ حتى بأمور النساء وإن كان لا يبدو على سيمه هذا ، فهمت من نظرته وابتسامته أن أمرها انفضح أمام ذلك الخبيث وتأكدت ظنونها

: عندما سمعته يقول بنبرة لئيمة تحمل بداخلها معاني جمة

هو التلفون على وشي ولا أيه !؟ _

أزداد وضعها سوءًا وتسارعت أنفاسها فتشير بيد أشبه بيد مرتجفة نحو المنضدة الموجودة يجوار الفراش وموضوع عليها الهاتف وقالت

: بتلعثم

أ..نا كنت همد إيدي وأجيبه _

وجدت أن الأمر هكذا لن يجدي نفعًا فأتخذت طريقًا مغايرًا وهو الانفعال

: وإظهار إنزعاجها من إتهامه ووقاحته

وبعدين أنت بتبص كدا ليه ، أنا غلطانة أصلاً ، أنت دايمًا بتتهمني بحجات زي دي _

أوقعت نفسها في الوحل وكأن الفريسة ذهبت لصائدها بنفسها تقول له التهمني ، أظهرت سذاجتها بقولها هذا ليقول هو بنبرة أكثر خبثًا بعد أن بدأ يكون الحوار مسلي ومثير :

_ أتهمك ! ، بس أنا متهمتكيش بحاجة أنا بسألك بكل حسن نية ، بس واضح إنك كشفتي نفسك بنفسك بما إنك بنقولي إتهام فأنتي قصدك إتهام أيه بقى ؟

كيف ستنجو من ذلك الماكر اللئيم الذى يتقن أوقاع فرسيته فى شباكه بكل مهارة ، ولكن هي من وضعت نفسها فى ذلك الموقف ! .. هبت واقفة على قدميها من الفراش لتجيب بزمجرة :

_ على فكرة بقي أنت قليل الأدب وتفكيرك زيك ، أنا معرفش أنت قصدك أيه وبتفكر في أيه بس أنا غلطانة أني كنت عايزة اجبلك التلفون !

قالت جملتها الأخير وهمت بأن تفر بنفسها إلى الخارج ولكنه وثب من الفراش برشاقة جسدية وقبض على ذراعها متمتمًا بضحك :

_ مش لايق عليكي الكدب ياملاك ؛ لأن ملاك اللي أنا اعرفها مبتعرفش تكدب وده اللي شايفه قدامي !

ازاحت يده عن ذراعها ببطء وهى تشعر بقلبها يكاد ييتوقف عن العمل من

التوتر ولم تمكث لثانية أخررى حيث ركضت إلى الخارج كالعصفور الذي تحرر من قفص صاحبه ! ، فضحك هو بخفة على حالها الذي كطفل صغير ... ارتكب خطأ ومن فرط خوفه يخشي حتى الاعتراف به

***

كانت تقف أمام نافذة غرفتها تتابع المارة في الشارع بشرود ، فإذا بها تسمع صوت طرق الباب فتلتفت بجسدها ناحية الباب وتسمح للطارق بالدخول . ظهر من خلف الباب مروان الذي طالعها مبتسمًا ثُم دخل ودفع الباب دفعة بسيطة لتهئ لها أنه مغلق ، ثم أقترب منها وتمتم بتعجب :

_ أيه يازمردة أنتي قاعدة في الأوضة أغلب الوقت ليه اطلعي واتحركي ده بيتك !

ابتسمت بصفاء قائلة برقة :

_ عادي يامروان أنا من النوع اللي مش باخد على المكان بسرعة وكمان خايفة أن طنط أحلام تتدايق أو حاجة وأنا لسا برضوا مخدتش عليها

قهقه ببساطة ليجيبها بمزاح :

_ طنط أحلام هي اللي مصدعاني من أمبارح بليل وبتقولي روح شوف أختك قاعدة في الأوضة ليه ، يعني محدش مدايق يازمردة

: تنفست الصعداء بسعادة داخلية ثم هتفت بتساءل

هو أنتوا قاعدين في القاهرة هنا ليه ومش قاعدين في بيت جدي في _ البلد اللي أعرفه إنكم كنتوا قاعدين هناك ؟

: أقترب منها ومرر يده على ذراعها نزولاً وصعودًا بحنو قائلاً في إيجاز ده موضوع كبير هقولك عليه لما أرجع بليل المهم دلوقتي اطلعي يلا ؛ _ لأن أمي مستنياكي بره علشان تفطري معاها لأني مستعجل وهفطر برا .. بلاش الكسوف ده يازمردة ياقلبي مفيش حد غريب في البيت خدي راحتك واطلعي وادخلي

شعرت بالراحة والحب لأخيها الذى يهتم لأمرها ويعاملها بحنان لو كانت تعرف أن الأمور ستكون بهذه السهولة لم تتردد ثانية في إخبارهم الحقيقة

: منذ زمن طويل ، فخرج صوتها الصادق والرقيق

حاضر _

***

ساعات مرت وكان كل من أسمى وليلى يجلسون في الحديقة يتحدثون عن مشكلات العائلة فإذا بسيارة أسيد ترتص أمامهم في مكانها المخصص ،

ترجل منها وسار نحوهم نسيت أسمى كيف يكون العتاب والخصام عند رؤية أخيها الذي لم تراه منذ أيام طويلة ؛ فركضت نحوه وأرتمت داخل أحضانه وهي تقول بأشتياق :

_ أسيد وحشتنا أوي والله

لم يصمد أمام حبيبته الصغيرة فرفع رأسها يحيط وجهها بين كفيها ويقرص وجنتها بخفة في صوت ناعم ومحب :

_ وأنتي أكتر ياروح أسيد

ثم ابتعد وأتجه نحو والدته التي تجلس تحدق به مبتسمة بأشتياق لا يختلف عن شقيقته ، فقبض على كفها ورفعه إلى شفتيه يقبل ظاهره بنظرة دافئة ثم يقول بصدق :

_ وحشتيني ياست الكل !

قررت الإظهار عن تزمرها وغضبها منه قائلة :

_ مهو باين إني وحشتك وأنت ماخد الهانم ورايح تقعد فى شقتك معاها وسايب أختك وأمك !

جلس بجوراها وهو يزفر بضيق واضح ولكنه فضّل التعامل برقة أكثر

: مغمغمًا

أسيبكم أيه بس ياست الكل ، هو أنا كنت هقدر أبعد عنكم لولا إني _ عارف أن مراد قاعد ، وقعاد ملاك معاكم مش هينفع خالص علشان كدا أخدتها وروحنا قعدنا فى شقتي ومش هينفع أوديها الشقة وأسيبها وحدها وأجي هنا

ابتسمت أسمى بسخرية وعقدت ذراعيها أمام صدرها رامقة إياه بغيظ لتجيب بنفس النظرة :

أه متقدرش تسيبها وحدها لكن تسيبنا احنا _ !

حدجها بنظرة مخيفة وهو يهتف بانفعال بسبب نظرتها ولهجتها الخارجة عن نطاق الأدب معه :

أسمى اتكلمي كويس أيه الطريقة دي ، أنتي نسيتي نفسك علشان أنا _ ساكتلك مش كفاية عملتي مشكلة للسما لما قولتي لجدي وأنا عارف إن مفيش غيرك اللي قاله ، جدي وعمي أنا كنت هقولهم بموضوع الجواز ده بطريقتي بحيث أنها متحصلش مشكلة

صاحت به بعدم أهتمام لأخيها الكبير في أنحطاط ونبرة متغطرسة أثارت بها جنونه :

أه أسمى دلوقتي طلعت وحشة لكن الهانم اللي جيت واتجوزتها واحنا منعرفش كانت قاعدة فين ولا مع مين والله أعلم ضحكت على كام راجل اللي هو أنت منهم أنت أيه عرفك كانت عايشة أزاى مش يمكن كنت بتقضي كل ليلة مع راجل شكل وأقنعتك أنت وريان أنها البنت الشريفة المظلومة والبريئة _

وكأنها ألقت الكبريت المشتعل على البنزين في مكان ممتلئ بأنبوبات الغاز فتشعل نيرانه وتُفجّر كل أعصايره سامحة لعاصفة مدمرة جامحة من غضبه للأنطلاق أو أشبه بوحش هائج فُتح له القفص فانطلق يدمر كل شئ وكان أول مايقابله في طريقه هي . هب واقفًا ونزلت صفعة قوية على وجنتها انتهى بها كل الكلام المسموح ليصيح بها بصوت جهوري أوقع الرعب في قلبها :

شكلك عايزة تتعلمي أزاى تردي عليا باحترام ، كنتي مستنية مني القلم _ ده يا جزمة علشان تتعدلي وتحترمي نفسك ويارب أسمع إنك عملتي مشكلة تاني مع ملاك فاهمة ، هتتحميلها غصب عنك والكلام اللي قولتيه ده لو سمعته تاني يا أسمى أقسم بالله لتشوفي حاجة أنيل من القلم ده ، القلم ده تحذير ليكي بس مش أكتر علشان بعد كده تعرفي تتكلمي مع أخوكي الكبير أزاى .. غوري من وشي يلا !!

تطلعت له بأعين دامعة ومنكسرة تلك هي أول مرة يرفع يده عليها وسرعان ما استدارت وركضت إلى الداخل ومنه إلى غرفتها هبت ليلي واقفة بغضب جم نتيجة للصفعة التي تلقتها ابنتها من أخيها وصاحت بابنها قائلة :

_ ماشي فهمنا أنها غلطت فى اللي قالته بس ازاى تمد إيدك عليها هاا ، بتمد إيدك على أختك يا أُسيد بسبب ست الحسن دي !

وصل إلى زروة غضبه حيث أحمرت عيناه وبرزت عروق رقبته صائحًا : _ أه ولو كانت نطقت بكلمة زيادة كنت هديها قلم تاني علشان تحترم نفسها بعد كدا ، ملاك مراتي يا أمي والكلام ده قولته قبل كدا اللي هيقول كلمة في حقها كأنه بيقولها في حقي أنا ، دايمًا بتضطروني إني اتعصب كدا بسبب عمايلكم اللي عاملة زي العيال دي ، البنت معملتش حاجة ليكم وأنتي وبنتك حاطينها في دماغكم تعرفي أنكم خلتوني أندم إني جيت أساسًا

لم يسمح لها بأن تجيب عليه حيث اندفع هائجًا نحو سيارته فتتأفف بضيق وحزن دفين قائلة بصوت باكي :

_ ربنا يهديك يابني أنت وأخوك ، أنا تعبت معاكم والله

***

تسير أمام محلات الملابس تشاهد أحدث صيحات الملابس باستمتاع وتارة تجد شيئًا يعجبها فتشهق بإعجاب وتقول ساشتريه وتتراجع فورًا فصاح بها منفعلاً :

_ ماتخلصي ياسارة في أيه ليكي ساعتين شغالة تلفي

صاحت بانفعال مماثل له :

_ هو مش أنت اللي أتصلت بيا وقولتلي فينك ياسارة أنتي مش البيت ليه وقولتلك أني بشتري حجات وراجعة قولتلي طيب أنا هعدي عليكي وأخدك في طريقي ، يبقى متتعصبش عليا وتستحمل يا أما تمشي

باشر بأن يجذبها من خصلات شعرها يفض شحنة غضبه به فأكمل بخفوت محذر وهو بضغط على أسنانه :

_ وطي صوتك ياسارة احسلك احنا في الشارع ولمي لسانك الطويل ده

استشاطت غيظًا لتهتف بعناد :

_ لا خوفت أنا من نظرتك دي ، مراد بلاش تستفزني أنت قاعد فوق راسي من ساعة ماجيت ، أقولك على حاجة أمشي ، أنا أساسًا كلها كام يوم وهمشي لما ريان يرجع البلد أهدى بقى

: ازدادت نظرته أشتعالاً حين قال بغيظ من تلك العنيدة

طيب همشي يلا اطلعي قدامي علشان تمشي معايا واوصلك البيت ، _

ومش هعيد الكلمة تاني اطلعي يلا

أوشكت بالانقضاض عليه وغرز أسنانها في رقبته على تحكمه بها وأثارة غضبها ، ولكنها ابتسمت بداخلها لعودتهم كما كانوا يتشاجرون على أتفه الأسباب وعادت علاقتهم التي أشبه بعلاقة القط والفأر لا يتفقون على شئ ، ولكنها لا تنكر شعورها بالسعادة لإهتمامه بها ، رأت عيناه تحسها على السير معه بتحذير فسارت على مضض وهي تقول بأغتياظ وكأن ثورتها

: لن تهدأ بعد

ماشي يامراد وحياة أمي لأوريك في العربية ، علشان أنت بني أدم غتت _

وممكت تحصلك حاجة لو مغتتش عليا ونرفزتني .. ياغتت يابارد أنت أيه

!!! اللي جابك أصلاً

برغم ماقالته وأنها تلقبه بتلك الألقاب الأشبه بتشائم ولكن طريقتها فى

: الحديث أرغمته على الضحك بخفة فيقول من بين ضحكاته

والله أنا اللي هوريكي هلى لسانك الطويل ده _

ابتسمت الأخيرة عنوة عندما رأت ضحكته المحببة لقلبها وسارت معه ..... نحو السيارة وهي تعطيه وجه غاضب بعكس مابداخلها

***

قضت النهار كله وهي تفكر بتلك الصور التي تجمعه مع امرأة لا تعرفها حتى ارتفع ضوء القمر فى الأرجاء وجلست على فراشها تقلب في الصور بغيظ وقد تأججت نيران الغيرة بداخلها بدون دخل منها ، شملت تلك الصور جميع الأوضاع الرومانسية التي من الممكن أن يعيشها أي حبيبان .. هل لا يستطيع أن يحبها بسبب تلك المرأة هل هناك من يحبها بالفعل ويقضي أوقاته معها ، فرفضت تلك الفكرة من عقلها فورًا فهو يعرف كل أمور دينه وذو أخلاق لا تجرؤ على إنكارها يكاد يكون رجل متدين أي أنه لا يفعل هذا ، فخالطتها فكرة أخرى وهي هل هو متزوج من أخرى ولا يخبرها . أوشكت أن تجن وهي تحدق بتلك الصور تحاول تفسيرها والأفكار تتناطح فى عقلها ، ولكن تلك الأفكار سكتت حين وجدت الباب يفتح معبرًا عن مجيئه لم تتحرك من موضعها وانتظرته حتى دخل الغُرفة وألقى تحية السلام عليها فردت عليه بامتعاض . نزع سترته عنه وبدأ بنزع حذائه ومن ثُم فك أزرار قميصه العلوية فإذا بها تستوقفه بأحد الصور ترفعها في وجهه وتهتف بضجر :

!من دي يا أسيد ؟ _

حدق بالصورة وقد هاجت شجونه من جديد حين رأى زوجته وحبيبته بعد أن بدأت تهدأ الثورة التي تعصف بين ضلوعه ، أحيتها من جديد برؤيته لتلك الصورة .. وقد برعت في إختيار أقرب الصور أحب لقلبه ، التقطها من يدها وتحسسها بأصابعه يتذكر ذلك اليوم الذي قضوه في أحد البلاد الأجنبية حين ذهب لعمل واصطحبها معه فالتقطوا الكثير من الصور التي تجمعهم مع بعض ، أقترب وأخذ بقية الصور يقلب بينهم بشجن وحزن عاد نزيف قلبه من جديد . تحدقه بإغتياظ وغيرة ظاهرة بالأخص عندما رأت نظرته العاشقة لتلك المرأة التي في الصور ، فرفع نظره لها وهتف بتساءل في هدوء :

_ لقيتي الصور دي فين ياملاك ؟!!

قالت في شئ من الخنق وهي ترمقه غيظًا :

_ كانت في الدولاب تحت الهدوم والغريبة إني لقيت هدوم وحدة كمان ، مش ناوي تقول مين دي وكانت بتعمل أيه هنا !

جلس على الفراش بجوراها وتمتم وهو يثبت نظره على الصورة التي في يده قائلاً بأسى يفضي ألمه لها وهو على يقين أنها ستتفنن في التخفيف عنه :

دي مراتي اتوفت من ست شهور ، كانت حامل ووقت الولادة اتوفت _ ونزل الطفل ميت الدكتور قالها إن الحمل خطر عليها وأنا طلبت منها أنها تنزله علشان سلامتها بس رفضت وقالتلي وقتها يعني أنت خايف عليا من الولادة ومش خايف عليا من عملية إجهاد الطفل ، قضينا خمس سنين ياملاك بنجري على الدكاترة وسافرنا برا علشان الحمل ولما حصل الدكتور قالها أنه خطر عليها ودخلت الولادة ولا شوفتها هي ولا ابني ، اتحرمت من الأتنين ، أحيانًا بقول ياريتها سمعت كلامي ونزلته لأن اللي مكنتش أقدر على فراقه فعلاً هي ، كان عندي استعداد أعيش حياتي كلها من غير عيال ياملاك بس متحرمش منها ، بس برجع واستغفر ربي وأقول ده عمر ومفيش حاجة ليها ذنب في موتها وأقول " تعددت الأسباب والموت واحد " يعني الطفل ده ماهو إلا سبب ، بس بجد فراقها كان صعب جدًا ومازال حبي ليها لا يتقدر بتمن

غامت العبرات بعينها إشفاقًا على حالته ، تعلم جيدًا شعور الفقدان فهي تغزت عليه منذ صغرها فقدت كل أحبائها ، والآن هي تشعر بألمه لفقدانه لزوجته وابنه الذى لطالما كان ينتظره منذ خمس سنوات كما يقول ، لم تعرف ماذا تفعل لكي تهدأ من ألمه فكرت في معانقته ولكنها لا تجرؤ على فعل هذا ، ولكن استجمعت شجاعتها حين رأت نظرته لها وكأنه يطلب منها أن تفعل مايجول بخاطرها ، رأت نظرة الاحتياج في عينه يحتاج

لوجودها بجوراه كما يفعل حين تكون في وضع صعب مثله ، فقدت شجاعتها مُجددًا واكتفت بقولها الحاني والمتأثر :

_ حاسة بيك لأني جربت الأحساس ده كتير ، بس أنا واثقة إنها في مكان أجمل من هنا بكتير ، وصدقني ربنا هيعوضك يا أسيد عنها وعن أبنك أنا لو كنت أعرف الموضوع وأعرف إنك هتتدايق كدا وهتزعل بالشكل ده مكنتش وريتك الصور أساسًا ، أنا أسفة !

رأى فى عيناها نظرة الدفء والحب والمزيج من التردد والرغبة في معانقته ولكنها لا تملك الشجاعة ، تحدثت العيون " وكأنه يقول لا تتأسفي فقط ضمينى فأنا فى أمس الحاجة لذلك " وفقدت قدرتها في الصمود أمامه وقررت أن تفعل ولو القليل من أجله ، تسد ولو جزء صغير من حنانه معها ، لو كانت هي بذلك الوضع كان لم يتردد هو في معانقتها فكان سيضمها بالطبع ويحاول التخفيف عنه ، لبت رغبته ورغبتها واقتربت منه وضمته لصدرها تمرر يدها على شعرها وتخلل أصابعها بين خصلاته ، أغمض عينه براحة وتلذذ لا يعرف لماذا أرادها أن تفعل هذا ولكن ما يعرفه جيدًا أن قلبه يتعلق بتلك الملاك يومًا بعد يوم ، ولهذا السبب أراد ضمها له لربما تخفف عن شجونه الثائرة بضمها له . كانت في الصباح تسرق اللحظات للاقتراب منه ولمس شعره ولحيته والآن هو بين يديها برغبته ، هو من دعاها لهذا ، دعاها أن تلبي طلبه في أن يكون بين يديها

للحظات تخفف عن ألمه فيها ، دعاها في أن يشعر بحبها له الذى يشك به ، في أن يشعر بملمس يدها الرقيقة على شعره .. نعم بدأت تتحول تلك المكانة الذي أخبرها بها لتأخذ حقها في قلبه ، بدأت تأخذ طريقها للجزء الذي من تدخله يلقب بحبيبته ، جزء أن شغله أحد لا يستطيع القلب التخلي عنه أو العيش بدونه ، وهذا الجزء يختلف عن أي جزء أخر حيث يغلقه بألف قفل أن استطاعت أحدهم كسر بعض الأقفال لن تتمكن من كسرهم كلهم والدخول ، ولكن هناك ملاك هو بين يديه الآن امتلك مفاتيح نصف الأقفال والنصف الآخر يستمر في فتحه بسحر يده التي لا يقف أمامها أي شئ صامدًا ، مثله الآن بدأ ينهار من لمستها الساحرة تدريجيًا ، شعور جميل يراوده الآن وهو بين ذراعيها لا يريده أن ينتهي .

***

أستيقظا في الصباح على صوت طرق الباب فتح عينه بتكاسل أما هي فهمت بالنهوض لتفتح ولكن سمعت صوته الصارم يقول :

خليكي أنا هقوم أشوف مين _

أمتثلت لأمره وجلست مكانها فهنض هو وأغلق الباب خلفه احتسابًا لأي شخص لا يريدها أن تراه مثل ريان ، وبالفعل كان الطارق ريان حيث فتح له وقال له الآخر منفعلاً :

! أزاي تخبي عني موضوع زمردة يا أسيد أنت ومراد _

شكلك عرفت ، أدخل طيب وأنا هفهمك _

: دخل وجلس على أحد المقاعد يقول بغضب

! فهمني يلا لأحسن أنا شايط من ساعة ماعرفت _

: جلس بجوراه وفرك عينه بإرهاق ليجيبه بهدوء

زمردة هي اللي كانت رافضة أي حد غيري يعرف ياريان ومقدرتش _ أكسر رغبتها ومراد عرف لما سمعني في مرة بتكلم معاها وكنت متعصب منها في حاجة وبتعاند فيها فقولتلها إنك بنت عمي ووقتها عرف يعني أنا مقولتش لحد

: صاح به بزمجرة أكثر

برضوا كان لازم تقولي يا أسيد وأكيد ملاك كانت تعرف برضوا صح ؟ _

: اماء برأسه في إيجاب ثم يجيبه يضيق بسيط ببعض المرح

ماخلاص بقى ياعمنا اديك عرفت وخلاص _

: نقل نظره في المنزل وهتف بنظرة مشتاقة

!أمال ملاك فين ؟ _

أجابه بمضض وهو يتعمد ارتفاع نبرة صوته كي تسمعه وتفهم مايريدها فهمه :

! ملاك نايمة _

بالفعل فهمت تحذيره الغير مباشر لها يحذرها بعدم الخروج ولكنها تريد رؤيته وإن تعتذر منه ، دائمًا يضعها فى مثل هذه المواقف ، أن خرجت فتتلقي نصيبها من ثورانه وأن بقيت ستكون الأمور على مايرام ، ولكنها لا تعرف متى ستسمح لها الفرصة برؤية ريان مجددًا فحسمت أمرها وقررت الخروج وليحدث مايحدث بعد ذلك .....

الفصل السادس عشر

حسمت أمرها وقررت الخروج وليحدث مايحدث بعد ذلك ، فتحت الباب وخرجت لهم تقابلهم بإبتسامة جميلة وبالأخص كانت توجهها لريان ، للذي سرعان ما ظهرت على محياه البشاشة ولمعت عيناه بالدفء والحب ، أما أسيد فكانت نظرته لها لا يمكن وصفها إن كان يخرج شعاع ناري حقيقي من عينه لكان فعل وأحرقها بأرضها ، والتهبت الجمرات بداخله أكثر حين رأى نظرات ريان لها ، نظرة عاشق يتأملها كمن يتأمل القمر في تمامه ! ، تأججت نيران الغيرة بداخله عندما وجدها تهتف برقتها المعتادة :

_ ازيك ياريان !

اجابها بهدوء ونعومة :

_ بخير ياملاك الحمدلله وأنتي ؟

نظرت إلى زوجها وتوترت بشدة من نظرته تدرك الآن جيدًا ما يشعر به ، عصت أوامره وأظهرته كاذبًا أمام أمام ريان ولكنها لا تستطيع حجب نفسها عنه .. ثُم جلست بجوار أسيد وبدأت بالتحدث معه حول أشياء مختلفة تارة عن زمردة وتارة عن سارة إلى أن طفح كيله أوشك أن

يصفعها ليسكتها عن الكلام ولكن تمالك نفسه واكتفى بوقفته الحازمة وهو يقول بصرامة :

_ بقولك أيه ياريان استناني في العربية وأنا هلبس والحقك ونبقى نكمل كلامنا في الشركة علشان في حجات كتير بخصوص الشغل عايز أكلمك فيها

أماء برأسه يؤيده الرأى ثُم ينظر إلى ملاك ويطالعها بحنو ثُم ينصرف ، فتلتفت هي بجسدها لذلك الأسد الثائر ، فاتبتلع ريقها برعب بعد أن تأكدت أنه سيسحقها الآن بعد ما فعلته للتو وبدون أي إشارة أو تنذير غرس أصابعه في ثنايا ذراعها يهرس لحمها بين يده ، جاذبًا إياها إليه هامسًا بنبرة جعلت أوصالها ترتجف لم تراه بهذه الوحشية والقسوة الجارفة من قبل :

_ حسابنا مع بعض لما أرجع ياملاك ، عشان سعتها أكون فضيتلك كويس أوي !

خدجته في إرتيعاد فالقرار صدر بالعقاب القاسي ، ماذا تفعل حتى تنقذ نفسها من هذا الوحش ؟ ، يبدو أنها ستشهد اليوم أسيد مختلف تمامًا عما تعرفه ولكنها ستتحمل فهي اختارت وهي تعلم نتائجه . تركها وتوجه نحو الغُرفة ارتدى ملابسه وغادر ....

***

جلس مروان بجانب أمه يفكر مليًا قبل أن يعرض عليها الأمر ، فعلاقتهما هي وليلى لم تكن على مايرام ، تنهد الصعداء بقوة ومن ثُم بدأ من جذر الموضوع :

_ أمي أنا عايز اتجوز

تهللت اساريرها ووثبت جالسة في سعادة غامرة وكذلك زمردة التي ابتسمت بحبٍ ، خرج صوت احلام قائلة :

_ أخيرًا يابني ربنا هداك ، خلاص عاد مدام نويت كام يوم وأجيبلك أحسن البنات !

غمغم بأقتضاب لقولها أنها ستعرض عليه مجموعة من الفتيات ليختار بينهم :

_ أنا هتجوز أسمى !

تبادل كل من زمردة واحلام النظرات فى ذهول ، مرت لحظات تستوعب فيها قوله حتى صاحت به منفعلة :

_ تتجوز أسمى إيه ملقيش غيرها ، عايز تتجوز بت ليلى ! ، ولا كمان

تاجي تقولى اتجوز بت أشجان مهو ده اللي ناقص ! ، ماشايف هي وبتها عاملين أيه في الغلبانة ملاك دول عاملين زي العقارب

: صرخ بها في غضب هادر وانفعال

_ ملاك دي اللي عمي وابويا ماتوا بسبب عمايل عمتي مش كدا !

: هنا تدخلت زمردة بعد أن وثبت واقفة وقد برزت عن مخالبها الأنثوية

_ عمتي وملاك ملهمش دخل باللي حصل لعمي وبابا ، بخصوص عمي أنا معرفش هو مات ازاي أما بابا فأنت مش هتكون أكتر مني يامروان تعرف بابا مات أزاي ومين السبب في موته ، بلاش تظلم حد من غير ماتعرف حاجة مش أنت كمان هتبقى زي ليلى وأسمى !

فتحت على نفسها بوابات لم تغلق إلا عندما تخبره بكل شئ ، لأبد أنها تعرف شئ يخص موت والدهم المجهول .. وثب واقفًا ولحق بها إلى الغرفة ، دفع الباب على مصراعيه بغضب قائلاً :

_ أنتي تعرفي حاجة بخصوص موت بابا ومخبياها عنينا ؟

: أجابته بتوتر بسيط في خوف

_ أعرف أيه يعني ! ، بابا كان معايا لما مات وكان الموت بسبب جلطة

في القلب

اندفع نحوها وقبض على ذراعها صائحًا بقسوة غامرة ، هاجت ثوراته حين ذكرت موت أبيه الذي لا يعرف عنه أحد :

_ زمردة متختبريش صبري واخلصي قولي تعرفي أيه ومين السبب في موت بابا !

: ركضت نحوهم أحلام لتنزع يده عن ذراع زمردة صارخة به بزمجرة

_ مروان ، إنت اتجنيت ولا إيه .. أبعد يدك وأطلع برا يلا قالتلك إنه كان بسبب جلطة وده فعلاً اللي حصل

رمقهم بنظرة لا توصف تتوعد لهم بعقاب عسير حين يعرف مايخفوه عنه هاتفًا بوعيد مخيف :

_ ماشي يا أمي بس أما أعرف اللي مخبيينه عني صدقيني هيكون ليا تصرف تاني معاكم أنتوا الاتنين !

وسرعان ما أستدار ورحل وهو يلقي النيران والحجارة في كل من يلقاه أمامه ....

***

: أجاب على الهاتف قائلاً بخشونة رجولية

ألو _

: خرج صوت أنوثي يعرفه جيدًا وهو يهمس برقة

! ازيك يامراد وحشتني أوي ، أكيد عارف أنا مين _

ظل الهاتف على أذنه تحتله الصدمة لثوانٍ لا يعقل أن يكون ما يسمعه صحيح ! ، لا يمكن أن تكون زوجته السابقة تتصل ، تأكد حين عادت لفظت اسمه من جديد أخرج كلمات قوية تترك أثرًا كبيرًا في نفس أي

: امرأة

أيه ده الخاينة روان بنفسها بتتصل ، لتكوني متصلة تعزميني على _ فرحك أنتي وعشيقك اللي خنتيني معاه ، ولا صح الصنف اللي زيك ملوش !! في الجواز ده عايز يستمتع بس وياخد قرشين وهو طالع تمن الليلة

أتسعت مقلتيها من كلماته القاسية ما قاله ربما يكون صحيح بالنسبة له ولكن طريقته القاسية جعلتها تشعر بالأنحطاط حقًا حيث هتفت بصوت

: ! باكي

أنا متصلتش علشان كدا يامراد أنا اتصلت علشان اعتذر منك نفسي _

!! تسامحني مش عايزة منك حاجة تاني على الأقل نبقى أصدقاء

قهقه بأعلى نبرة لديه ، ضحكة ساخرة أصظرها وهو يقول من بين ضحكاته :

_ لا أنا مبصحبش ، ممكن لو حابة نظبط معاد مع بعض ونقضي ليلة واديكي القرشين اللي بتحبيهم وأنتي طالعه متقلقيش مش هتضحك عليكي واخدعك وأخد اللي عاوزه ومدكيش حاجة زي ماعملتي ، قولتي أيه ؟

ربما هي حقًا تندم على مافعلته وتريد الاعتذار منه وحسب ولكنه لن يفهم من تقوله أن حاولت قرونًا تشرح له نيتها الصادقة وأنها ندمت على خسارته بفعلته الحمقاء كان يجب أن لا توافق على شئ كهذا ، ولكنها اكتفت بقوله المرير :

_ واضح إنك مش هتفهم ولا عمرك هتسامحني يامراد ، على العموم هقولك آخر كلمة أنا عمري ماعملت حاجة تخليك تتعر مني أو تقولي الكلام الجارح ده !

اغلق الهاتف في وجهها وهو يصرخ بغضب عارم وغيظ ، داخله يحترق على كل ذرة حب ذهبت لها :

_ لا وليها عين تتصل وتكمل كدب كمان أيه القرف ده على الصبح هو أنا

ناقص

التفت خلفه فيقابل سارة التي تقف تحدق به بصمت نظرته تتساءل حول الأمر حتى هتفت بفضول بسيط :

_ روان مش كدا !

هتف شبه منفعلاً في غيظ ونبرة تعبر عن ثوران عاتي بداخله :

_ هيكون مين غيرها اللي معندهاش اسم الدم ، قال أنا معملتش حاجة تخليك تتعر مني أو تقولي الكلام الجارح ده !

صمتت قليلاً بتفكر والأفكار تتناطح في مخيلتها تفكر بحديثه حتى هتفت بصدق ونبرة حانية :

_ يمكن تكون عندها حق يامراد وأنت ظلمتها فعلاً ، أصل لو جيت للحق أنا كنت شايفة حبها ليك أزاي معتقدش أنها تعمل كدا ، يمكن أنا بس اللي كنت شايفة ده بس أنا بمجرد ما أبص في عين الشخص بعرفه وهي نظرتها ليك كانت كلها حب فعلاً برأى بلاش تظلمها قبل ما تتأكد !

وكأن نفضة اعترته من فرط غضبه وهو يصرخ :

_ أتأكدت ياسارة وللأسف شوفتها بعيني ، ولو سمحتي خلاص متتكلميش

! في الموضوع ده تاني ؛ لأن أنا مش فايق ووورايا شغل

وقفت تتابعه وهو ينصرف وتشعر بالفعل أنها بريئة ولم تفعل ما يجعله يكرهها إلى هذا الحد ، لأبد أن هناك أمر خفي وراء ماحدث ولن يهدأ .... ! فضولها إلا حين تعرفه

***

سعات طويلة مرت وهي تجلس أمام زجاج النافذة تتابع الطريق تلك الرجال الذى يتركهم حول كل قطعة من المنزل حين رحيله يثيرانها بالتمعض ، تنتظر قدومه كالذى ينتظر ملك الموت حتى يأخذ روحه ، تخشى منه ليس كأي مرة تخشاه فيها تخشي سكوته ونقمه الذي سيصبهم بها . أخيرًا توقفت سيارته أمام المنزل فنهضت وركضت نحو غرفتها تغلق الباب عليها بالمفتاح وكأنها بهذا الفعل ستحمي نفسها منه . انفتح الباب ودلف إلى الداخل فصاح مناديًا عليها بصوته الجهوري ولكن لا جواب ، اندفع يبحث عنها حتى وجد باب غرفته مغلق حاول فتحه فاكتشف غلقه بالمفتاح كانت هي تقف خلفه وترتجف كطفل صغير وازدادت تفضتها حين سمعت صراخه :

_ افتحي الباب ياملاك أحسلك ، خلينا نتكلم وأنا هادي شوية كدا أفضل لأني لو اتعصبت هيكون موقفك أصعب

: هتفت ببكاء بسيط في رعب

لا مش هفتح يا أُسيد ، إنت عايز تمنعني من إني أشوف ريان نهائي _ معرفش ليه وإنت عارف إني مقدرش أبعد عن ريان وأزاي بحبه وهو غالي عليا ثُم إني طلعت وإنت قاعد يعني مقعدتش معاه وحدينا

توهجت نيرانه اكثر بعد قولها " وإنت عارف إني مقدرش أبعد عن ريان وأزاي بحبه " وهو كان يحذرها من هذا ، أتقول أمامه أنها لا تستطيع الاستغناء عنه ؟! من الواضح أنها تريد نهاية مؤلمة لها ! ، لم تنتبه وترى نظراته العاشقة لها وكأنه سيوشك علي معانقتها ، كيف كانت تثيره حد الجنون لولا أنه كان ابن عمه وصديق دربه ويحبه كما يحب أخيه لكانت الآن تذهب لزيارته في العنايات المُشددة ، مازالت لم تعرف شئ عن غيرته المميتة والمدمرة أن كان الأمر يستوجب لكان عذلها عن جميع الرجال .. كانت تلك الغيرة القاتلة هي محور شجاره الدائم مع زوجته .

هدأ تمامًا بل تصنعه لعلمه الكافي بتلك الطفلة التي لا تأتي سوى بالمساسية وهو يقول :

طيب يا ملاك يمكن أنتي عندك حق بس أنا قولت أيه مكنش ينفع _ تكسري كلمتي

أنا مكسرتش كلمتك إنت اللي عايز تمنعني عنه بأي شكل من الأشكال _
ومن غير سبب

صر على أسنانه يجاهد في البقاء على حالته الهادئة حتى تفتح له الباب
: متمتمًا برقة
مش من غير سبب طبعًا ، على العموم حقك عليا افتحى يلا علشان _
نتكلم بهدوء وبراحتنا

: قالت بخوف طفولي ونبرة رقيقة ولكنها لم تطفئ نيرانه
طيب أحلف إنك مش هتعملي حاجة وهنتكلم بهدوء بس _

(لا تجعلوا الله عرضة لآيمانكم) ، مش كدا ولا أيه ياملوكة افتحى يلا _
! علشان نتفاهم بطريقتي ، قصدي يعني بهدوء

ظلت لحظات على وضعها تفكر هل تصدقه أم لا وأخيرًا فتحت له بتردد
وتوتر لتظهر من خلف الباب بعينان تهيمان بالدموع ووجه ممتلئ
بالعبرات وكأنها تستعطفه كطفلة صغيرة تنظر إلى وجه أبيها تترجاه أن لا
يعاقبها عن خطأها ، فانهار أمام منظرها ونظرتها وذاب كذوبان الثلج
حين تشرق الشمس ، نفخ بصوت مسموع وهو يشيح بوجهه ماسحًا

عليه بخنق ، ليلتفت لها فجأة ويصرخ بغضب لعدم قدرته على تلقيها درس فهي تضغط بمهارة على وتره الحساس فتشل حركته :

_ أنا مش فاهم أنتي ليه مصممة تحطي نفسك في الموقف ده دايمًا ، وتخليني اتنرفز عليكي كان كلامي واضح لما قولت مش هتشوفي ريان ولا هتكلميه وكأني مقولتش حاجة عملت عكس اللي قولته وفي الآخر تاجي تعيطي وتزعلي

صاحت به في غيظ :

_ إنت اللي بتعمل حركات ملهاش أي مفهوم ومش فاهمة إيه السبب لده كله ، يعني أيه مشفهوش ولا أكلمه ريان بنسبالي أخويا مش أكتر ولا أقل ! ، أنا مش فاهمة دي غيرة ولا حب سيطرة ولا أيه بظبط

أحمرت عيناه وقبض على ذراعها يجذبها إليه بعنف فتصبح في مواجهة وجهه تمامًا لا يفصلها عنه سوي سنتي مترات هاتفًا بخفوت أحدث رعشة في جسدها :

_ أه حب سيطرة ! ، إنتي بنسبالك إنه أخوكي لكن هو لا بس إنتي أزاي هتاخدي بالك ، أنا اللي كنت قاعدة وشايف نظراته ليكي أزاي عرفتي أنا ليه ببعدك عنه علشان عايز ريان ينساكي ويفهم إنك خلاص بقيتي مراتي يعني حتى النظرة دي مش من حقه وحرام ، قولي الحمدلله إنه كان ريان

مش حد غيره كان زمانه دلوقتي في العنايات

: هتفت باضطراب من قربه وخجل بسيط

_ طيب ما أنا كنت قدامك يعني مش من وراك يعني لا قدامك ولا من وراك !

همهم وهو يصر على أسنانه في كل حرف ينطقه ولهيب الغيرة ازداد اشتعالاً أكثر :

_ ماهو المشكلة إنه قدامي وكنت شايف كل ده ياريته كان من ورايا مكنتش هتبقى ردة فعلي زي كدا !

التزمت الصمت وهو تتطلع له ، ترى عيناه الملتهبة كلهيب الشمس الحارقة في يوم تكاد تصل فيه درجة الحرار إلى 50 درجة ! ، لماذا ياترى يغضب كل هذا الغضب لن تقتنع بقوله أنه حب سيطرة لأبد أن هناك أمر آخر ، رأته يكمل بقسوة :

_ مش معني إني معملتش حاجة يبقي الموضوع هيعدي من غير حاجة ، من هنا ورايح أي حاجة هتعمليها هتاجي تقوليلي وكلامنا هيبقى في الحدود دي ياملاك لا هيزيد ولا يقل

اندهشت مما قاله هل سيقاطعها ، كخصام الأطفال ولكنه برع في اختيار أفضل طريقة للعقاب فعي لا تطيق عدم محادثته ، بتأكيد لم تسمح بهذا ! .. يحدث وستفعل من المستحيل ممكن حتي يسامحها

***

: اجابت زمردة على الهاتف قائلة بخفوت

ألو _

: اتاها صوت ريان الهادئ ليجيبها بأدب جم

ازيك يازمردة أنا ريان ؟ _!

: ارتسمت على ثغرها ابتسامة متغطرسة وهي تجيبه ساخرة

خير بتاصل ليه المرة دي كمان _ !

زمردة أنا عايز اقابلك ضروري الموضوع بخصوص ملاك _ !

: شهقت بهلع في قلق جلي لتهتف بتلهف

مالها ملاك اوعى يكون في حاجة وحشة حصلت معاها _

يأخذ من ملاك حجة حتى يجعلها توافق على مقابلته وفي الحقيقة الأمر ليس له علاقة بملاك مطلقًا فقط يريد مقابلتها وأن يعتذر منها عما صدر منه فهتف بخشوع يطمئن :

_ متقلقيش هي كويسة بس الموضوع مهم ياريت تحاولي تقابليني

_ طيب هشوف مروان وأن شاء الله بكرة هرن عليك وأرد عليك علشان كمان تقولي هنتقابل فين

نجحت خطته فى استدراجها له حين قال أن الأمر متعلق بملاك ، ولكنه بالفعل يشعر بالندم عن ماصدر منه وكلماته الجارحة التي تستطيع أن تخترق جدار أي قلب امرأة وتسحقه فيهتف بحماس :

_ تمام هستناكي !

***

مر نهار اليوم المشؤوم هذا ببطء شديد حتى لاحت النجوم الساهرة في السماء تجلس تتابعها بشرود فجالت بخاطرها فكرة تحاول من خلالها خلق حديث معه . نهضت وغادرت الغرفة وسارت نحو المطبخ تقوم بتحضير قهوة له ، ومن ثُم توجهت نحو غرفته فوجدته كوضعها يجلس في الشرفة يحملق في السماء بزهو ، تقدمت نحوه ومدت يدها من الخلف

بفنجان القهوة في صمت ، فرفع نظره لها وطالعها بتمعن لثوانٍ ثُم جذبه من يدها قائلاً بمضض :

_ شكرًا !

جذبت أحد المقاعد وأتخذت ملجسًا لها بجوراه تطالع السماء مثله ، بل في الحقيقة تطالعه هو فكانت تختلس نظرات شغوفة له تنتظر منه أن يوجه ولو كلمة لها حتى تأخذ هي مجراها وتبدأ بالحديث ولكنه كصنم لا حياة فيه لا يتلفت ولا يتحدث ولا ينظر فقررت هي البدء مخترقة جدار الصمت : زمان أنا وصغيرة كنت دايمًا أبص في النجوم وأدور على نجمتين جمب بعض كان دايمًا في مخليتي إنهم بيبقوا أصدقاء أخوات ، عشاق وكانت كل يوم أجي أبص عليهم زي اللي بيطمن على حد ولما كنت أجي في يوم ملقهمش أزعل جدًا وأقول ليه اتفرقوا ، يعني من صغري وأنا عندي هوس اسمه تأمل النجوم وعدها وتكوين أشكال ومعرفش أيه _

كان يستمع لحديثها وسردها عن مغامراتها مع النجوم ، فمثلما يبدع في حنانه وحبه وغضبه يبدع أيضًا في التجاهل . فهمت هي أن الأمر لم يجدي نفعًا معه فقررت المحادثة بصراحة ومباشرة قائلة : على فكرة مش مستاهل ده كله ، وأنا أسفة بعد كدا هبقى متكلمش مع أي راجل غير لما أجي أقولك زي الأطفال أكلمه ولا لا ياماما !! _

رمقها شرزًا من سخريتها المباشرة ، تسخر من طريقته وغيرته ، لم يعرف متى أصبح الأمر بهذا الوضع ليلة أمس كان مازال يشك بمكانتها في قلبها الأن هو تيقن من أنها أتخذت المكان الصحيح ، أدرك أنه كان على خطأ حين قال أنها زوجته موقتًا فا من الواضح أنها لن تكون موقتًا .. خرج صوته الصارم يقول بحدة :

_ قومي روحي اوضتك ياملاك !

ابتسمت مستنكرة وهي تقول بسخرية تقلد طريقته بمهارة عندما قال : على أساس إن امبارح دي اوضتك ياملاك مكان ما أنا قاعد أنتي تقعدي ومعرفش أيه ، ده إنت أسرع واحد شفته يغير قراره بسرعة دي تراجعت !

لم ينظر ولم يرد فتابعت بسخط بعد أن نهضت من المقعد تقول بعناد : _ وأيه رأيك بقى هكلم ريان وهروح اتصل بيه دلوقتي وأكلمه وأعلى ما في خيلك أركبه ولو أعرف رجالة تاني هكلمهم برضوا يا أسيد وأعمل مابدالك

كأطفال يصدق كل من الآخر حديث الآخر ، فيثب هو واقفًا غارسًا أصابعه

في ذراعها يصرخ بها بازدراء بعد أن هيجت بركانه النائم بكلماتها الجريئة :

_ إنتي عايزاني اتصرف معاكي بأسلوب ميعجبكيش يعني هاا ردي ، في كل مرة بتختبري صبري وفي مرة هتكون النتائج صادمة لم أكون استنفزت كل طاقات مسامحتي لأخطائك

_ لا وإنت أيه نبي معصوم من الخطأ يعني مهو اللي بتعمله ده غلط أيه يعني تمنعني عن ريان بدافع حب السيطرة كنت جارية عندك أنا ، إنت أتجوزتني وإنت عارف علاقتي بريان أزاي وإني بحبه ومبقدرش أزعله وبرغم كدا بتمنعني عنه في وجودك وغيابك

رأت عيناه كجمرتين من نيران متوجهين نحوها يعرفان هدفهم جيدًا تزيد من سخطه أكثر بحديثها المستفز هذا لا يعرف ماذا يفعل معها وقلبه لا يطاوعه على تلقيها درس لن تسناه يخشى عليها فهي تعتبر مريضة قلب ولم تعالج بعد ليقول بتوضيح :

_ باختصار شديد اللي أقوله يتسمع ومن غير جدال أنا مش عايزك تزعلي مني لسا ، ولآخر مرة هقولها إنتي مراتي يعني مفيش حد من حقه يبصلك زي ما ريان عمل كدا غيري أنا وبس ، وإن كنتي شايفة إني بعاملك كجارية فشكرًا على زوقك بابنت فرودس ، لو دي فعلاً معاملة الجواري

! كان زمانهم كلهم بيتمنوا المعاملة دي

تلاقت أعينهم في زهو وضيق منها على تشبيهها بمعاملته الحانية والجميلة لها وكأنها أميرة بمعاملة الجارية ، فعو ليس من صنف الرجال الذي لا يعرفون قيمة المرأة ، الذي يتزوجونهم لخدمتهم فقط ، لم تكن المرأة فقط زوجة في الفراش و أم تربي وتنجب أطفال و تخدمه هو وأطفاله كجارية بالفعل استعبدها لخدمته وخدمة أطفاله ، لم يكن من أغلبية الرجال الذي يطالبون بحقوقهم الزوجية والمنزلية من طعام وشراب وتنظيف ملابس قبل أي شئ ، حتى قبل أن يرى حقوق تلك المرأة التي تربي له أطفاله وتخدمه وتفني عمرها في خدمتهم وتربية الأطفال ، فهو أفضل من يعلم بقيمتها ويعززها كما عززها الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم وأنزل سورة بأسمهم ، فمن أبسط حقوقهم تجاه مايقدمانه لهم هو معاملة حسنة وطيبة ، القليل من الحب والأهتمام والتقدير القليل من الرومانسية ، وهذا هو مايفعله معها بالرغم من أنه كان لا يحبها ولكن كان يعاملها كأي امرأة يجب أن تعامل ، والآن تقول أنها ليست جارية لديه !! . ترك ذراعها وقال بضيق أكثر من زي قبل وكأنها زادت الفجوة التي بينهم بقولها هذا :

لو هتنامي هيكون أفضل أما لو لا يبقى تقعدي ساكتة لغاية ماتنامي _ مفهووم ياملاك لإني ملوش خلق للكلام

تمعنت به بخنق وحزن من جفاءه معها ، يبدو أنها لم تدرك كلمتها التي تركت أثرًا داخله وجعلته يصر على موقفه منها حتى تعود لرشدها جيدًا ، وقفت تحملق به تنتظر منه كلمة تدل على رغبته في ابقائها معه تلك الغرفة في نفس الغرفة ولكن خابت أمالها فاستدرات وغادرت تاركة إياه يتخبط في أفكاره

***

ينام في فراشه براحة مزيفة تتخلل إلى عيناه ضوء الشمس المشرقة فتحدث انزعاجًا له ولنومه ولكن أتى الازعاج الحقيقي عندما فتح عيناه بفزع على صوتها المرتجف وهي لا تقوي على الوقوف :

أسيد أنا مش قادرة أخد نفسي _

وثبت واقفًا كالذى لدغته عقرب يقول بهلع :

إنتي أخدتي علاجك ! _

اماءت رأسها بضعف فتتشبت بذراعه حتى لا تسقط تسعف الكلمات من فمها بانتفاضة تلهث أنفاسها بصعوبة كأن الأكسجين انتهى :

أخدت معملش حاجة ، أنا .. مش قادرة أتنفس أاا ..... _

..... أبتعلت باقي الكلمات في جوفها حين سقطت بين يديه فاقدة لوعيها

الفصل السابع عشر

خرج من الغرفة بصحبة الطبيب ووجهه استحوذ عليه العبوس وهو يقول بضيق :

_ يعني يادكتور لازم العملية تحصل النهردا علطول

_ أيوة لأن كل ما نتأخر كل ماهيبقي في خطر على حياتها أكتر ومع إن أنا قولتلك آخر مرة جيتوا فيها بلاش الزعل والعصبية وواضح إنها زعلت جدًا وده خلى الحالة تتدهور أكتر ، المهم دلوقتي هي تجهز نفسها لأن العملية هنعملها بعد ساعة من الآن

اكتفي بنظرته المخزية وهو يومئ بندم ، أخذ يلوم نفسه على وضعها الحالي فكل هذا بسببه لولا ماحدث الأمس وماصدر منه من قسوة وجفاء تجاهها لمِا كانت الآن هنا وتدخل العمليات أشبه بقسرًا ، كان يجب أن يراعي وضعها ولا يتركها بمفردها لأبد أنها قضت الليل تبكي ولم تنم ! .. زفر بخنق جلي والتفت ليفتح الباب ويدخل يقابلها بوجه سمح وبشوش فتقابله هي بحزن دفين ممزوج ببعض الخوف ، اقترب منها وأشار لها بيده أن تفسح له بعض المساحة ليجلس بجوراها على الفراش ، فأفسحت بامتعاض ؛ أمتعاض وضيق لأنها لم تنجح في إطفاء نيران غضبه منها والآن هي ستدخل العملية وربما تلفظ أنفاسها الأخيرة بها ولم تراه مُجددًا

: ، شعرت بملمس يده الخشنة على يدها يحتضنها هامسًا برقة

برغم إن إنتي دايمًا اللي بتبقي غلطانة لما اتعصب عليكي بس برغم كدا _

بتجبريني من غير ماتحسي إن أنا اللي أجي واصالحك مع إن ده

المفروض إنتي اللي تعمليه

: اعتدلت في جلستها تهمس بأنوثة طاغية وحنان

عارفة إني غلطانة وأنا أسفة ، بس إنت مش عايز تفهمني يا أُسيد _

ريان أخويا مقدرش أبعد عنه هو دايمًا اللي كان معايا أنا وماما يعني اللي

عمله معايا مقدرش اوفهوله

أغمض عينه يحاول السيطرة على نيرانه الداخلية عند ذكرها ريان مُجددًا

: وهتف بهدوء مزيف

طيب قفلي على الموضوع ده دلوقتي أفضل خلاص _

يعني مش زعلانة مني خلاص ؟ _

هز بإيجاب في ابتسامة ناعمة فقابلت هي ابتسامته بضيق عندما تذكرت

: ماقاله الدكتور قائلاً

هو أنا فعلاً هعمل العملية دلوقتي ، أنا خايفة أوي يا أُسيد بجد _

: مد يده يمرر أصبعه الإبهام على وجنته بنظرة دافئة قائلاً

متخفيش إن شاء الله هتطلعي زي الفل ادعي ربنا كتير قبل ماتدخلي _

وأنا مش موديكي عند أي دكتور ده دكتور جاي من برا مصر

غامت عيناها بالعبرات وهي تجيبه بصوت باكي مسلطة نظرها على

: عينه

.....أنا خايفة جدًا حاسة إني مش هطلع منها تاني ! ، حـ _

تذكر قول زوجته في مثل هذا الوضع قبل أن تدخل وتتركه وهي تقول له بخوف " أنا خايفة أوي يا أُسيد عندي أحساس إني مش هطلع تاني لو مطلعتش خلي بالك على ابننا " هز رأسه نافيًا يطرد تلك الفكرة من مخيلته لا يمكن أن تتركه هي أيضًا لن يتحمل خسارة أخرى ، قولها هذا جعله يرتجف من داخله خشية من أن تدخل ولم تخرج مثلما حدث مع زوجته ، لا يمكن أن تتركه بعد أن أصبح فراقها لا يطيقه ، بعد أن بدأ قلبه يعشقها فعليًا ! . كتم كلماتها بيده التب أطبقت على شفتيها يهتف بحزم

: ممتزج بالخوف الدفين

متقوليش كدا ياملاك فاهمة ، هتطلعي بإذن الله زي الفل وهنرجع البيت _

! كمان ، إياكي أسمع منك الكلام ده تاني

هطلت عبراتها على وجنتيها حارقة فترتمي عليه تلف ذراعيها حول عنقه وتدفن رأسها بين ثنايا عنقه تبكي بحرقة وتنتفض بين يديه فيحاوطها بحبٌ يضمها له أكثر يستنشق رائحتها ويشعر بها بين يديه لعلها تكون الأخيرة ! ، يجهل متى أصبحت تستحوذ على قلبه متى بدأ أساسًا يعشقها حتى وصل به الوضع إلى هذا الحد الذى يجعله لا يطيق ابتعادها عنه ، جعله يتحرق شوقًا لضمها وشم رائحتها التي أشبه برائحة المِسك له ، ابتعدت عنه بحياء بعد أن بدأت تشعر بأنفاسه الحارقة تلفح عنقها ، تقابل نظرات الرغبة والحب بعينه في حنو و استغراب لم ينظر لها هكذا منذ زواجها دائمًا اعتادت أن ترى الحنان والدفء في عينه لكن تلك النظرة جديدة تمامًا ، فضلت الهروب من خجلها واضطرابها بأن تذهب لتتجهز لأجراء العملية .....

***

ظلت تسير يسارًا ويمينًا في الغرفة تتأفف بقوة وتلعن تلك اللحظة التي جعلتها تتعرف على ذلك الوغد الذي لا يتركها وشأنها ، يلح كطفل صغير كل يوم على هاتفها وفي كل مرة لا تجيب ، سئمت من اتصالاته المستفزة تلك ورسائله ، اصبحت تبغضه حقًا ، ولكن يبدو أنها لن يستسلم إلا عندما تجيب فجذبت الهاتف وأجابت بغضب قائلة :

_ عايز أيه يا أسلام أخلص ؟!

_ أيه ياحبيبتي مالك داخلة فيا شمال كدا ليه ، إنتي مش قولتي إنك لما تاجي القاهرة هتاجي تقابليني وإنتي في القاهرة دلوقتي

: صاحت به باستياء

_ لا مش هقابلك يا زفت وأبعد عني بقى أنا استاهل كل اللي حصلي أصلاً ومراد كان عنده حق إنت كنت بتتسلي بيا مش أكتر واديتك فرصة تاجي تتقدملي وتثبتلي إنك بتحبني جدًا ومشوفتش وشك

أثارت غيظه حين قالت هذا وأظهر عن وقاحته الحقيقة وشيطانيته قائلاً : بمكر

_ لا ياحبيبتي مهو لو أنتي مجيتش علاقتنا هتوصل لأبوكي وأخوكي بذات وشوفي اللي هيحصل لما يعرف إنك بتكلمي راجل وكنتي بتخرجي تقابليه مش بعيد يقطم رقبتك ياسكر

فغرت شفتيها بدهشة كيف خدعت بهذا الشيطان يبتزها الآن ويجبرها على مقابلته ، ولكنها لن تسمح بهذا فصرخت به بانفعال :

_ إنت واحد قذر وحيوان واللي عايزه مش هيحصل

براحتك ياقطة لو ده قرارك الأخير هتصل بريان بيه دلوقتي وأقوله ، _ بس أنا مش هعنل كدا وهسيبلك فرصة تفكري معاكي لغاية بليل لو متصلتيش في حدود الساعة 9 ، 9:10 ريان هيكون عرف وفي الطريق إليكي

لم يمهلها الفرصة للرد حيث سمعت صوت صفارة إنهاء الأتصال تضرب بأذنها فألقت بالهاتف على الفراش تارة تسبه وتارة تلعن اللحظة التي جمعتها به ...

***

تمر السعات كالسنين ينتظر بالخارج خروج الطبيب يبشره بسلامتها ، وكأن الأيام تعيد نفسها تلك هي نفس اللحظة التي كان ينتظر فيها خروج زوجته سالمة وقدوم صغيره للحياة فخسر الأثنان يخشى الآن خسارته . قلبه يطوق تحت الأسى والشجن وكأن قلبه يقسم بأنها إن خرجت سالمة له سيجعلها تعيش أسعد أيام حياتها معه ، أقسم على أن يعوضها عن كل شئ عاشته في غيابه سيتمسك بها كمن يتسمك بحبل النجاة له ، كمن وصل إلى قمة السماء وأحضر معه نجمة نادرة يحفظها داخل غرفة محاطة بزجاج لا يستطيع أختراقه أي شخص سواه ، كمن نجا من الموت

للتو وأصبح يحافظ على روحه من أي خدش يمكن أن يضر بها ، ستنسي كل شئ مر بها معه ، سيعُيد لتلك الزهرة التي ذبلت في صحراء الظلم رونقها وجمالها من جديد ، ما كانت تدعيه حنان ودفء ورقة منه ماهو إلا جزء بسيط مما يستطيع تقدميه لها إن امتلكت قلبه وهي الآن تربعت عليه فلن يبخل عليها بتلك المشاعر القوية ، مايتمناه الآن هو خروجها بسلامة ويدعي الله به ...

مرت ساعات أخرى وهو على ينتظر بمزيد من التوتر والقلق حتى خرج الطبيب ربنا يحمل معه بُشرة سارة وربما بُشرة حزينة وأتضحت البُشرة حين قال له بإبتسامة :

_ الحمدلله العملية كانت كويسة جدًا ونجحت جدًا كمان والمدام بخير الحمدلله بس هنحطها في العناية تحت المراقبة لغاية ماتفوق علشان لو حصل أي حاجة محسبولها يعني زيادة أمن على صحتها

عصفت الروح به من جديد ، أعاده للحياة بكلماته تلك ، فقد خرجت سالمة وسعات قليلة وربما دقائق ليس بطويلة ستستعيد وعيها ويطمئن أكثر من سلامتها حين يسمع صوتها ، تهللت أساريره وهتف مبتسمًا بسعادة :

_ الحمدلله اللهم لك الحمد والشكر ، طيب هي هتاخد قد أيه يعني لغاية ماتفوق ؟

يعني على حسب ممكن ساعة أو أكتر بس مش هتاخد أكتر من ساعة _
ونص متقلقش ، وحمدلله على سلامتها تاني

الله يسلمك يادكتور _

أنصرف وتركه يمسح على وجهه ويزفر بأرتياح يحمد ربه ويشكره أنه لم يرد دعواته وحفظها له سالمة ، كان يخشى أن يعيش نفس اللحظة عندما خرج الطبيب وأخبره بوفاة زوجته وطفله . أخرج هاتفه عندما سمع رنينه وأجاب على المتصل بخشونة قائلة :

أيوة ياخالد ! _

معتز تقريبًا كدا قرب يوصل لملاك أخر حاجة قالها إنه هيراقب ريان _
لإنه متوقع إنها هتكون معاه هو ، هو مبقيش يحكيلي كل حاجة زي الأول معرفش السبب بس ده اللي حاولت أعرفه منه برأي إنك متخليش ريان يقابل ملاك خالص الفترة دي أو ممكن تستدرجوه بطريقتكم بما إنه هيراقبه أكيد إنت فهمتني

لمعت عيناه ببريق الانتقام والتوعد قائلاً بصلابة :

تمام ياخالد لو عرفت أي حاجة تاني اتصل بيا وقولي ومش حاجة _

تخص معتز بس حتى أشجان هتقولي بتخطط معاك على أيه فاهم

همس على مضض وخنق ، لا يستطيع قول " لا " له إن قالها ستعني تلك الكلمة نهاية حياته على يد معتز بالأخص عندما يعرف بأنه حاول قتل شقيقته وقتّل والده بالأشتراك مع أشجان :

طيب يا أُسيد بيه ، سلام _

أنزل الهاتف ووضعه في جيبه مُجددًا لا يريد أحد أن يعكر صفو سعادته الآن ، تعود زوجته لوعيها وتتحسن فقط وسيتفرغ لكل من معتز وأكرم ...

***

منتكس أمام الأعمال منذ صباح اليوم أنهى حتى الآن ما يقارب إلى خمس أكواب شاي ! ، كلما يشعر بالتعب يحضر له كوب فيعيد له بعض من نشاطه ، ودخلت ليلى بالكوب السادس وهي تهتف بضجر : كفاية يامراد قوم ياحبيبي ريح شوية إنت من الصبح قاعد كدا _

فرك عيناه بإرهاق ومسح على وجهه ، ثُم يعود للأوراق مُجددا هاتفًا بتأفف :

_ هعمل أيه يا أمي لازم أخلص الزفت ده قبل كدا ، وخصوصًا إن أسيد اليومين الجايين مش هياجي يعني الشغل كله هيبقى عليا أنا

وضعت الكوب على سطح المكتب أمامه وجلست على الأريكة واضعة ساق فوق الأخرى وتردف بسخرية :

_ مش هياجي ليه ، خايف على المحروسة مش عايزاها تقعد وحديها ولا بيقضي شهر عسل !

أصدر تأفف مسموعًا ويهاف بغضب هادر ونفاذ صبر :

_ هو في أيه معاكم ، ياستي خليه ياخد شهر عسل ويتبسط أيه ملوش نفس ، طلاما هو مرتاح مع مراته عايزة أيه تاني يا أمي أول بس بتتمنيله السعادة ودايمًا تقولي ربنا يسعدك يابني ولما مبسوط دلوقتي مستخصرة فيه الراحة

صاحت به مندفعة وقد تربع الغضب والحقد على قلبها :

_ عايزاه يبقى مبسوط بس مش مع بنت فرودس دي !

_ مالها بنت فردوس عملتلك أيه هاا ؟ ، غلطت فيكي في مرة ، أذتك في حاجة ، تفترض إن عمتي السبب في موت بابا فعلاً تمام دي عمتي وماتت

خلاص أيه ذنبها بقى ملاك ، أمي بلاش اللي بتعمليه ده ومش كل ماتشوفي أسيد تنكدي عليه عيشته يعني مبيصعبش عليكي خالص

أنا بنكد عليه عيشته ؟!! ، ولا هو اللي ساب أمه وأخته وراح يقعد في شقته معاه ! _

: قالتها بدهشة تجيب على ما قاله فيجيبها هو بزمجرة

مهو مشي وسبهالكم من عمايلك إنتي وبنتك ، وكل ما ياجي يطمن عليكم تنكدي عليه ، عايزة الحق هو أحسن إنه عمل كدا وياريت يقعد مع مراته في شقته كدا علطول _

ابنائها يقفون في مواجهته من أجل تلك الشمطاء ، لا تصدق متى أصبح أسيد هكذا ، اعتادت على مراد وأنه لا يخضغ لرغبتها ودائمًا ما يتشاجر معها ولكن ما يصدمها تصرفات أسيد ، " لا يمكن أن يكون سقط في وحلها وتربعت على عرشه " تفوهت بها في داخلها فلن تسمح لها بالسيطرة على ابنها وتلحق الأذي به مثلما حدث مع زوجها بسبب أمها .. ولكن ماذا تفعل فهو لا يدع لها فرصة لتفرقيهم حتى !

***

استاعدت وعيها وتم نقلها إلى غُرفة عادية ، كان يقف على مسافة صغيرة منهم يتابع الممرضة وهي تفعل بعض الأجراءات الأخيرة لسلامتها تمامًا تفحصها وتفعل اللازم لصحتها وهي مازالت تغمض عيناها لا تقوي على فتحها من التعب وكأنها تسبح في عالم آخر لم تفق منه إلا عندما شعرت بملمس يده التي عهدتها قبل دخولها غرفة العمليات ، فتحت جزء بسيط من عيناها وهمست بضعف :

أسيد _ !

سمعت نبرته الحانية وهو يقول بشلال من الحب :

حمدلله على السلامة ياملاكي _ !!

لم تدرك ولم تسمع ماقاله جيدًا لسوء الحظ ولكنها لمست في نبرته الدفء التي اعتادت عليه فتمتمت بخفوت وهي تبتسم بمزاح لم يكن نكتة مضحكة بالنسبة له أبدًا :

ده أنا قولت هدخل ومش هطلع منها تاني بس واضح إني لسا ليا عمر في المرار ده _ !

تضايق بشدة ولكن رسم ببراعة ابتسامته الجذابة بل الساحرة فأي امرأة تراها تفتن به وهو يقول :

وبتقوليها في وشي كدا مرار يعني عيشتك معايا مرار ! ماشي ياملاك ، _
! قومي إنتي كدا بس وشدي حيلك وأنا محضرلك مفاجأة حلوة

شدت وضغضت على يده بضعف بابتسامة عاشقة ، إن سيقبض الله روحها فيقبضها الآن فلا تريد شئ آخر ماتمنته يتحقق شيئًا فشيئًا ، إن كان باستطاعتها لكانت قفزت داخل أحضانه وإن حاول إبعادها عنه لعنفته مثلما تعنف الأم طفلها حين يخطأ ، عانقته وبثت بذلك العناق كل شوقها وعشقها له ، تود قول " أنا أحبك " ولكن لا تأمن ردة فعله لربما يكون لم يحبها بعد وماهذا إلا بشائر لحبه فتخطأ في الإعتراف له . أغمضت عيناها بتلذذ حين شعرت بملمس شفتيه على جبينها يقبله بحنان كأنه يرد على عقلها الساذج قائلاً " لقد تخطيت مرحلة البشائر وأصبحت هائم بكِ ، أنا الآن عاشق لكل تفصيلة بكِ !) انتصب في وقفته وهم بالرحيل فاستوقفه : صوتها قائلة بضعف لا تقوي على الحديث

رايح فين ؟ _

هعمل مكالمة برا قدام الباب وراجع متخافيش ، وارتاحي متتكلميش _
كتير علشان متتعبيش مفهووم

قال آخر كلماته مبتسمًا فأغمضت جفني عيناها وفتحتهما بمعني " حاضر

... " فخرج وتركها تغمض عيناها تريح جسدها وعيناها

***

دخلت ذلك المقهي التي أتفقا على المقابلة به ، بحثت بنظرها عنه بين الجالسين فرأته يجلس علي منضدة تتكون من مقعدين شاردًا كمن يحمل فوق أكتفاه أمور الدولة ، لأبد أن زواج ملاك هو من فعل به هكذا برغم مافعله معها ولكنها شفقت عليه فهي مدركة تمامًا مدى حبه لها .. تقدمت نحوه وجلست أمامه متمتمة برزانة :

_ خير ياريان ملاك مالها ؟!

أطال النظر في وجهها قلبه يلومه على ماقاله في حقها وتلك المعاملة القاسية التي عاملها بها ، كيف له أن يعامل تلك الرقيقة بهذا الجفاء وفوق كل شئ هي ابنة عمه . أخرج من جيبه بطاقتها ووضعها أمامها بصمت يراقب تعبيرات وجهها التي تحولت إلى الصدمة تارة تنظر له وتارة للبطاقة فقد كشف أمرها ، انتظرت مزيد من الاحتقار منه لها ومزيد من القسوة ولكنه دهشها باعتذاره لها في نظرة كلها ندم :

_ بعتذر منك يازمردة على اللى صدر مني سامحيني ، شكيت فيكي لما لقيتك بتتعاملي معايا بتلقائية وكأنك تعرفيني من بدري وقولت إنك وحدة مش كويسة وبتحاولي تقربي مني وده كان السبب لمعاملتي معاكي وأنا

دلوقتي بعتذر منك ، في الحقيقة أنا أخدت موضوع ملاك حجة علشان أخليكي توافقي تقابليني ، اتمني إنك متزعليش مني

: قالت متغطرسة في ابتسامة

_ أه وأنا كان مقابل إني بعاملك كويس وباحترام إنك تقول عني إني عايزة أقرب منك ، وأقرب منك ليه هاا مين إنت أصلاً لتكون الرجالة خلصت في البلد علشان اختارك إنت .. لسا منسيتش كلامك الجارح ياريان ومش هنساه ، منسيتش مسكتك من دراعي وكأني خدامة عندك وإنت بتهددني إني لو طلعت بكدب في موضوع جواز أسيد وملاك هتندمني على اليوم اللي شوفتك فيه ، في الحقيقة أنا ندمت أصلاً من وقت ماعملت كدا !

خرج صوته متضايقًا يقول لها برجاء ، لا يريدها أن تكهرهه إن لم تسامحه فلن يسامح نفسه ولن يهدأ صوت ضميره الذى يلومه : صدقيني أنا مش عايزك تكرهيني يازمردة ، واللي حصل مني كان غباء وعندك حق تدايقي مني بس ادیني فرصة أثبتلك إني ندمان على اللي عملته معاكي

_ ميهمنيش أصلاً إنك تثبتلي ياريان ! ، كفاية أوي اللي عملته معايا

: هم بأن يجيبها بحزن فهبت واقفة تقاطعه قائلة

_ أنا حلصت كلامي وأظن إن إنت كمان خلصت ودلوقتي أنا همشي لأني قولت لمروان إني مش هتأخر ومش عايزة تحصل مشكلة لو اتأخرت

عبرت عن رفضها التام لأي حديث منه يحاول به جعلها تسامحه فتأفف بخنق ووقف يقول بصوت رجولي حازم :

_ مدام مش هتسمعيني للأخر يبقى هتوافقي إني اوصلك من غير جدال

رأت النظرة القاتلة حقًا في وجهه فصرت على أسنانها بغيظ ولم يمن عساها سوى الموافقة ، لا تعرف كيف يكون هذا ابن أشجان وثروت ، فهو عصبي بعض الشئ ولكن هذا لا يمنع حنانه وشهامته ورجولته في بعض الأحيان تقدمت أمامه ففهم من نظرته أنها قبلت بالأمر الواقع فتبعها إلى الخارج .... !!

***

أستر الليل ستائره وليظلم كُل مكان كان يومًا جميلاً للبعض ويومًا تعيسًا للأغلبية منهم ، مان طوال النهار بجوراها إن احتاجت لشى تجده مُلبي فورًا ، لم ينم مطلقًا ، كان يباشر أعماله من خلال الهاتف ، طلبت منه مرارًا وتكرارًا أن يريح جسده قليلاً ولكن كان الرد القاطع منه بالرفض ،

كطفلة صغيرة كان يطعمها طعامها بيده ، لم يسبق لها ذلك الاهتمام منذ وفاة والدتها حرمت من الحنان والاهتمام والآن عاد من يعوضها عنه ، زوجها وحبيبها ومن ستتمناه يهتم بها هكذا المرأة سوى زوجها .. تتأمل وجهه وجماله الرجولي الفاتن وهو يرتدي نظارته الطبية الخاصة بالقراءة ويقرأ في أحد الكتب الثقافية ، انتبه لها فضحك على منظرها الذي أشبه بفتاة بلهاء حين تندهش بجمال رجل وهو يقول من بين ضحكاته :

_ في أيه يا ملاك ؟!

هتفت بتلقائية وعفوية تشاركه الضحك :

_ لا أصل الحقيقة شكلك حلو وإنت لابس النضارة كدا وبتقرأ الكتاب يعني لوهلة حسيت إني متجوزة نجيب محفوظ أو إحسان عبد القدوس الناس دي يعني ، ناس مثقفة كدا يعني !

قهقه بقوة يتشدق بمرح ومشاكسة :

_ أيه هو أنا مش باين عليا إني شخص مثقف يعني ولا أيه ؟!

_ لا طبعًا باين بعد النضارة دي باين ، أنا بعشق القراءة جدًا بس من وفاة ماما توقفت عنها

: غمز لها بطرف عينه في مكر مثبتًا نظره على عيناها

!! بتعشقي القراءة بس _

صمتت قليلاً تفكر في سؤاله بعفوية ، يبدو أنها لم تفهم مايرمي إليه بعد .. ياله من خبيث يجرها شيئًا فيشئًا لتعترف من دون أن تشعر ،

: أحابت فورًا في حماس

لا طبعًا يعني بعشق حجات كتير تاني أولهم القراءة طبعًا وبعدين البحر _ والنجوم و السفر أه وأهم حاجة الأكل يعني مشتركين في حاجة بنعشق الأكل زي بعض ، هي حجات تافهة عارفة بس فعلاً بحبها جدًا !

ازداد ضحكه أكثر ليجيبها بنبرة تحمل الكثير من الخبث والمكر وهو يقرب المقعد منها ويقول بتقرب :

ماشي ياملاك دي حجات معنوية أنا عايز حجات مادية يعني محسوسة _ حجات بتتحرك فيها الروح يعني !

ماذا يجري لها اليوم فعادتها تفهم تلمحياته فورًا اليوم وكأنها فقدت عقلها فقالت بتشويق :

كائنات حية يعني _ !

: تهجم وجهه وهو يجيبها بإمتعاض

كائنات حية !! ، أه كائنات حية ياملاك _

: حكت ذقنها وضمت شفتيها بتفكير ثُم قالت مبتسمة

أيوة بحب القطط جدًا _

ظهر الخنق والضيق على وجهه وهو يقول باستنكار ، يالها من حمقاء لم

: تفهم مايرمي إليه حتى الآن

! قطط ، ماشي ياملاك _

وأنت بتحب أيه ؟ _

: رمقها مغتاظًا ليقول بغطرسة ووجه مستاء

! لا أنا بعشق صنف كدا من الحيونات اسمه الحمير تعرفيه _

: ضحكت بقوة كأن تشبيها كان صحيحها وهي تقول بدهشة

!! أيه ده أول مرة أشوف واحد بيحب الحمير _

حجب ضحكته التي إن أنطلقت ستجلجل المكان ، صفاء نيتها لا يعقل ، قلبها الصافي يجعله يعشقها أكثر ، إن عرفت أن الحمير الذي يعشقها تكون هي لخاصمته لأسابيع ضرب قبضة يد بيد وهو يقول بتصنع قيلة الحيلة :

_ أه شوفتي ، تخلف تقولي أيه بقي مهو أنا حمار زيهم علشان كده بحب الحمير زي !!!

قهقهت بشدة تجيبه مازحة في شئ من الجدية :

_ لا أخص عليك متقولش على نفسك كدا هما حمير ماشي فعلاً لكن إنت لا

لم يتمكن من حجب ضحكته أكثر فانفجر ضاحكًا ويزداد ضحكه كلما يتخيل منظرها حين تعرف فيما بعد أنها الحمير المقصودة ، سيفعل المستحيل حتى لا يجعلها تعرف فإن عرفت سينتهي هو ...! ، هب واقفًا وهو يقول مبتسمًا :

_ على أي حال أنا هنام لإني تعبت جدًا لو احتجي حاجة صحيني

قبضت على يده تطالعه برقة ونظرة راجية ، لتقابل عيناه الزرقاوتين مبتسمتان تقول له بهمس :

! خليك جمبي يا أسيد _

لم يصمد أمام دعوتها الصريحة فاقترب منها مُجددًا وأفسحت له بحيث يكون له مكان يتسطح به على ذلك الفراش الصغير بجانبها ، تسطح ورمقها في عشق وحنان ثُم حرك رأسها لتنام على صدره ويمرر يده على شعرها الكسنتائي برقة ، أغمضت عيناها براحة تستمتع بلمساته الساحرة وصدره الدافئ ، لم تخطئ عندما عشقته فمن تلك التي تقابله ولم تقع في براثين عشقه ، من تلك المرأة القاسية التي تستطيع الصمود أمام هذا السيل الجارف من الرقة والحنان والرجولة أمام سيل يعيد لنباتات الصحراء حياتها ويقتل حيواناتها المفترسة ، قطعا الطريق على أي فكرة سوداء في حياتهم يمكنها أن تفسد تلك اللحظة ، بينما هي تنام على صدره بين يديه كان هو يدفن وجهه بين خصلات شعرها يشم رائحته ويلثمه ببعض القبلات الرقيقة التي أشبه بقطرات ندي يوزعها على أوراق الشجر . غاصت هي في نوم عميق وبعدها بدقائق تبعها هو بالنوم ... !!

***

خرجت من المنزل تسير على أطارف أصابعها حتى لا يشعر بها وهي تخرج في ذلك الوقت المتأخر ، تتمني أن لا ترى مراد فهو يعود في ذلك الوقت ، تسربت من دون أن يشعروا الحراس وغادرت البوابة فأخرجت

: هاتفه لتجيب عليه في غيظ قائلة

في أيه قولتلك جاية في الطريق أهو متقعدش تتصل بيا لغاية ما أجيلك _

ونخلص نشوف عايز تتكلم في أيه علشان أرجع

: ابتسم بمكر قائلاً في نبرة شيطانية

طبعًا هنتكلم ياقلبي يلا بس متتأخريش عليا _

: أنزلت الهاتف من على أذنها وأردفت مزمجرة

! ألهي قلبك يوقف يابعيد _

لم تكن مطمئنة له ولكنها مضطرة للموافقة حتى لا يعرف أخيها ، هي من وضعت نفسها في ذلك الموقف حين تعرفت عليه ووثقت بإنسان قذر مثله ، حمدت ربها أنها لم يراها أحد ... دقائق عديدة وكانت تطرق باب منزله فيفتح لها بابتسامة ماكرة ويطلب منها الدخول ، فترددت كثيرًا وهي تنظر له وللمنزل فكيف تدخل معه المنزل بمفردهم ، لا تثق بحيوان عديم

: الشفقة ، قالت بصرامة

خلينا ننزل نتكلم في الشارع أفضل _

بنظرة محذرة فهمت تحذيره من ماذا وماذا سيفعل إن لم تدخل وهو يقول

: بقوة

ادخلي ياسارة مش هنتكلم في الشارع يعني يلا _

أخذت نفسًا عميقًا وشعرت بالخوف قليلاً ودخل الفأر إلي المصيدة برغبته منصاعًا تحت رغبته في الطعام وهو لا يعلم ماينتظره بالداخل وبمجرد دخولها وجدته يغلق الباب بالمفتاح جيدًا ويلتفت لها بنظراته الوقحة والوضيعة بل لم تكن وقحة فقط بل كانت نظرات قط جائع ...!!

الفصل الثامن عشر

توسلات ورجاء في بداية الأمر أن يبتعد عنها ويتركها وسرعان ما تحولت تلك التوسلات إلي صرخات كتمها هو بأحد الأقمشه يكبل يدها ، تتلوي كالثعبان وتصرخ باكية في محاولة لأصدار أي صوت ولكن دون فائدة تارة تصرخ بأسم أخيها وتارة بأبيها وتارة بمراد وهي لا حول لها ولا قوة ، لينتهي الأمر بانتهاك أعز ماتملك وسط محاولتها الفاشلة أن تنقذ نفسها من هذا الذئب ولكن في النهاية فشلت وانتهكت عذريتها ومعها انتهت هي ليس في حياتها فقط بل قتلت روحها ولم تعد موجودة إن بقت ستبقي جسد هامد بدون روح .. أخطأت حين وثقت به وخانت ثقة أهلها بها تعلم هذا ولكن لماذا يعاقبها الله بهذا العقاب القاسي سيكون أهون إن كان عرف أخيها وأبيها الأمر كانت ستتحمل عقابهم القاسي لو كانت تعرف إن هذا ماسيحدث لكانت اختارت أن يخبر أخيها على أن تأتي له ، ولكن ماذا يفيد الندم الآن فقد انتهي كل شئ .. فهي أشبه بزهرة أقتطفها أحدهم من بين بستان الزهور الزاهية والجميلة التي تنضج بالنمو والنشاط وبمجرد أصدار صوت قطفها من جذرها انتهت حياتها معها وذبلت بعد ساعات معدودة . بدأت تفقد وعيها تدريجيًا وغفيت عن العالم المحيط تمامًا ....

***

يجتمعون في المنزل ، يسير ريان يمينًا ويسارًا ويفرك يديه بتوتر ومراد يقف يستند على أحد الأركان يفكر بتدبر هل يعقل أن يكون ذلك الحيوان أصابها بمكروه ، أقسم على أنه سيقبض روحه بين يديه إن كان فعل لها شئ ، وليلى وأسمى يجلسون يتابعونهم بتوتر مماثل لهم حتى خرج : صوت ريان صارخًا

_ أيوة يعني غارت فين ومش بترد على الموبايل وحياة أمي ياسارة بس ترجعي لأكون مربيكي على طلوعك آخر الليل كدا !!

_ أهدي ياريان إن شاء الله تكون بخير هي أول مرة تعملها أكيد هي راجعة في الطريق دلوقتي

هتفت بها ليلى في محاولة من تهدئة روعه ، ولقد طرقت العاصفة المدمرة أبوابهم عند رنين هاتف مراد فأخرجه وأجاب متلهفًا لربما تكون : اتصلت من رقم غريب

_ ألو مين معايا ؟

: تجمدت دمائه حين سمع صوت رجولي يقول شبه ضاحكًا

_ يااه السؤال ده سمعته إمتي قبل كدا ، أه أفتكرت لما كلمتني وسألتك

مين معايا قولتلي سارة فاكر وأنا دلوقتي هقولك سارة معاك ، أه صحيح كمان أنت كنت بتقول هتاجي تعزي وتعمل الواجب طاب تعالي بقي مستنيك وهبعتلك العنوان في رسالة

أنزل الهاتف من على أذنه يجاهد في ضبط نفسه ، قلبه سيقفز من موضعه مربعًا عن خوفه الجلي ، لا يمكن أن يكون قتلها ! ، يقسم أنه سيقتله بأبشع الطرق .. ثوانٍ ووصلت الرسالة فأنطلق إلي الخارج يركض وتبعه ريان الذي يصيح عليه يحاول فهم أي شئ منه ولكنه يلتزم الصمت ويلهث أنفاسه المتسارعة من الرعب . أنطلقا بالسيارة نحو ذلك المنزل الذي أرسل عنوانه ، كان هو أول من يترجل ويركض إلي داخل المنزل ذات الطابق الأرضي .. كان آخر من ذهب ترك الباب مفتوح قليلاً ففتحه بترقب ودلف دفعه ريان عن طريقه واندفع يبحث في الغرف وهو يكاد يفقد عقله والآن فقده حقًا حين رأها في أحدي الغرف ملقية على الفراش ملابسها العلوية شبه ممزقة بل ممزقة بالفعل غارقة في دمائها وفاقدة الوعي ، يقف كالصنم أن قرصه ثعبان لن يشعر به فصدمته أكبر من أن تجعله يشعر بتلك القرصة وهذا الألم الذي لا يعد شيئًا أمام مايراه من وضع شقيقته الآن . لحقه مراد الذي بمجرد وقوع نظره على المشهد لم يتحمله عقله وقلبه فأشاح بوجهه فورًا بل أستدار كليًا يدفن وجهه بين ثنايا قبضتيه بخزي ، رفع رأسه واستند بقبضة يده على الحائط ويطرق

رأسه أرضًا ، قلبه تمزق على زهرته التي لطالما أحبها وعشقها ليس كابنة عم فقط بل كأخت وصديقة وكل شئ ، " ماذا فعل بكِ ذاك القذر ، لم يقتلك فعليًا وقتلك معنويًا ، أقسم لكِ أن أجعلك ترينه أمامك وهو يتعذب ويدفع جزاء ما فعله معكِ دمًا " .. سمع صوت ريان الذي اقترب منها وفي شبه عين دامعة ملس على شعرها يقول بصوت يغالبه البكاء على حبيبته وشقيقته :

_ سارة ياحبيبتي ردي عليا ، سارة قوليلي مين عمل كدا !

حجب الآخر دمعة كادت أن تفر من بين نقلتيه بضربه للحائط بقدمه ويديه يخرج به شحنة غضبه مصدرًا معهم صرخة مدوية لعجزه عن فعل أي شئ ، وماذا سيفعل فقد انتهى الأمر ! . لفها ريان جيدًا بملائة نظيفة جلبها من الخزانة ولف حجابها على شعرها يحملها على ذراعيه ويتجه بها إلي الخارج بدون أن يراه أحدًا من المارة ووضعها في المقعد الخلفي وصعدا بالسيارة قائلاً بصوت مبحوح وهو يصدر شنة بسيطة من أنفه أثر الدموع التي هطلت منه :

_ هنروح المستشفى يلا !

صرخ به مراد منفعلاً في صياح هادر :

_ مستشفى أيه يا ريان أنت مجنون هنوديها بالمنظر ده إزاي ، هنروح

البيت ونجبلها الدكتور هناك

رأى أن رأيه صحيحًا لا يجوز أخذها المستشفى بهذا الوضع فوافق قراره : صائحًا به بجنون

_ بسرعة يامراد أنا مش عايز أتأخر ، لو مش هتسوق بسرعة سيبني أنا أسوق

لم يجيبه فقط حرك محرك السيارة وأنطلق بها يخترق الحشود يكاد يكسر إشارات المرور بدون وعي منه ... !!

***

ساعات قليلة وكان قد استيقظ من نومه على أثر صوت رنين الهاتف المزعج بالنسبة له ، فقد قطعه عنه نومه المريح وراحته ، نظر إلي زوجته التي مازالت نائمة على وضيعها على صدره .. تأفف بقوة من أصرار ذلك المتصل السمج وأبعد زوجته عنه بحرص شديد جدًا حتى لا يؤلمها ويسبب له الألم ، وأسند رأسها على الوسادة بأريخية وهو يبقيها بوضعية مريحة لها ، ثُم أجاب على الهاتف بدون أن ينظر للمتصل هاتفًا بصيق :

_ ألو

: أتاه صوت شقيقته المرتجف ببكاء هادر تقول

! أسيد تعالَ بسرعة _

أصابته بالرعب عند سمعاه لصوتها وبكائها ، أصبح يتساءل إن حدث شئ لأحد ، صوت بداخله يسأل الله أن لا يكون هناك شئ سيئ ومن ثُم خرج صوته قلقلاً :

في أيه يا أسمى أنتوا كويسين حد حصله حاجة ؟ ، ماما كويسة ؟ _

: بصوت متشنج ومرتعش تجيب وقد زاد نحيبها أكثر

لا مش كويسين ، في مصيبة حصلت .. تعالَ بسرعة أنا وماما مش _ قادرين لا على مراد ولا ريان أنا مش هعرف أقولك حاجة على الفون تعالَ وهتفهم !

لم تمهله الثوانِ حتى ليجيب فقد أنهت الاتصال ، نظر هو إلى زوجته النائمة كيف له أن يتركها في مثل هذا الوضع ويذهب يخشى أن يصيبها أذى وهو غير موجود ، ويتضح أن الأمر شديد الخطورة في المنزل ولا يمكنه التأخير عنه .. ماذا حدث ياترى ؟ ، يا الله ألا يحق له أن يقضي أيام قليلة براحة وينعم بها بالسعادة مع زوجته ، زفر يستغفر ربه ثُم أقترب

منها وانحني يطبع قبلته الرقيقة على وجنتها ، ثُم أسرع في ارتداء ملابسه وترك على باب الغرفة رجُلان من خواصه المقربين وأوصاهم أن ينتبهوا جيدًا عليها إلى حين عودته وأقسم أن حدث شئ لها سينهيهم جميعًا !..

***

كان ريان ينتفض من الغضب بالأخص بعد ما أخبرهم الطبيب بوضعها وأنها تعرضت لنزيف حاد يكاد أن يوصلها لفراش الموت ودخولها في صدمة عصبية تمنعها عن التكلم حتي ، وتتخذ أسنى مجلسًا لها تبكي بحرقة وألم على صديقة عمرها وابنة عمها المسكينة وتشاركها ليلى البكاء على تلك الزهرة التي دهس عليها كلاب الشوراع ونجسوها ، أما مراد فمن ينظر إلى وجهه يُقذف الرعب في وجهه ، الدماء تكاد تنبجي من وجهه ، نزل البرق على كل مهو مثمر بداخله وأحرقه ، يمتم بداخله حتى يوشك على الانفجار من أقل شئ .. صوتًا ملتهب يتحدث داخله قائلاً " أُقسم بالله أن أجعلك تتمني الموت ولن أنواله لك وبعد أن أجعلك تعيش ماجعلت تللك المسكينة تعيشه سأقبض روحك بيدي " ، وجدوا ريان يصرخ كالمجنون يحدث مراد قائلاً :

وين الرقم اللي كلمك منه ال ***** يامراد ، وحياة أمي لأخد روحي بأيدي _

لم يرفع نظره له فقد اكتفي بهمسه الهادئ على عكس ما بداخله من الدمار :

_ هتعمل أيه يعني هتحاول توصله من الرقم ، مش هتعرف ولا هتقدر لأنه عمل المكالمة قبل مايطلع وساب التلفون في البيت

ثُم أخرج له الهاتف يقلبه أمام وجهه بأعين متقدة كلها ذكاء ويكمل قائلاً :

_ وللأسف عمل حركة أكتر من الغباء ، ده يمكن لو كان أخده كان يمكن ينقذ نفسه لكن أنه يسيبه علشان يوقع تحت إيدي ده بحد ذاته غباء ، ميعرفش إني هوصله بكل سهولة من خلال التلفون ده !

_ واحنا هنقعد ساكتين كدا خلينا نروح نبلغ عنه ويتحاكم من غير مشاكل

رمق ريان زوجة عمه بنارية على ماتهتفت به ، ماحدث ليس بقضية قتل ، أو سرقة ، أو خطف بل هي قضية شرف ولكنها يبدو أنها نسيت عاداتهم ، فهذا لا يوجد لديه حل سوي القتل كحروب " التار " التي تستمر بين العائلات لسنين .. لن تخمد نار أي منهم إلا بأخذ روحه على ما ارتكبه مع ابنتهم ، سيأخذ حق شقيقته بيده لن يتركه ينعم بآخر أيامه

براحة ، ارتكب أكبر جريمة وفعل الأكثر منها حين فكر بالأعتداء على حفيدة عائلة الصاوي " أحد عائلات الصعيد المعروفة " سيدفع الثمن روحه . هتف بهدوء يسبق العاصفة مغمغمًا :

_ في الموضوع ده بذات يامرات عمي الشرطة ملهاش دخل ، تبقي تتصلي بيهم عاد بعد وقوع الجريمة علشان ياجوا ياخدوا القاتل بإذن الله ، الشرف زي التار عندينا وأظن فهمتيني

انفتح الباب وظهر من وراءه أسيد الذي حملق بالجميع ينقل نظره بينهم بذهول من مناظؤهم المزرية ، الجميع بخير ماذا يوجد إذا ؟! ، تمتم بتساءل :

_ في أيه مالكم حاصل أيه ؟؟!

تبادلت أسمى النظرات مع أمها يتخذون القرار حول من ستخبره فنهضت أسمى بعد لحظات طويلة وأشارت لأخيها أن يتبعها بمكتبه ، ألقى نظرة أخيرة عليهم جميعًا كيف هو وجه ريان محتقن بالدماء والدماء تجمعت في مقلتيه ومراد الذي كان حاله أكثر منه ، أنتابه الفضول ولكنه تبع شقيقته إلي المكتب ودخل فقابل الدموع التي سالت على وجنتيها تهتف ببكاء تقص عليه الأمر منذ بدايته :

_ سارة كانت تعرف واحد وبتكلمه وبتقابله كمان والمشكلة اللي حصلت

بينها وبين مراد كانت بسبب ده أنه شافها وهي بتكلمه والنهردا راحتله البيت معرفش إزاي أقنعها توافق إنها تروحله الشقة ولما راحت حصل اللي حصل هناك واعتدي عليها وجبنالها الدكتور هنا وقال أنها دخلت في صدمة صعبة جدًا وحصل معاها نزيف حاد كان ممكن يوصلها للوفاة وريان ومراد مصممين أنهم يقتلوا اللي عمل كدا ومفيش واحد منهم مقتنع بأننا نفتح قضية في المحكمة ويتعاقب ، ولما راحوا هناك ملقهوش طبعًا !

مسح على شعره وأذناه لا يصدق ما يسمعه ، نزف قلبه الدماء عليها فهي بمثابة شقيقته له ، كيف يحدث هذا وكيف تنجرف تحت هذا السيل المميت ، كيف لطخت نفسها في هذا الوحل .. ولكنها لم تفعل هذا إلا لسبب قوي

: لا يعرفه أحد ، غليت عروق دمه وصاح بصيحة جهورية

يعني أيه ملقتهوش هينفد بعملته مثلاً ، هيروح منينا فين مسيرنا _ هنلاقيه !

: هرولت أسمى نحوه تقول متوسلة في بكاء جلي ورعب

أبوس إيدك بلاش إنت كمان يا أسيد أنا متصلة بيك وجيباك علشان _ تهديهم مش تسخنهم ، وطلعوا موضوع القتل ده من دماغكم أبوس إيدك !

أرتج المنزل بصراخ جعلهم ينتفضون نفضًا ، وتعرفوا عليه بمجرد سماعهم له ، يبدو أنها اسايقظت وبدأت بنوبة الصراخ تخرج شحنة الصراخ التي أكتظت بداخلها ولم تنقذها حين حدث هذا فقد كتم صراخها وجعلها بلا صوت ، ركض ريان إلى أعلى تبعته أسمى وبقى البقية بأسفل ، يوشك مراد على الانفجار لرؤيته لها في تلك الحالة ولا يستطيع أن يكون بجوارها الآن شعر بمدى حبه لها وأدرك أن غضبه ما كان إلا بدافع الغيرة القاتلة ...

كانت داخل حالة مزرية تصرخ وتلقي كل ما تقابله أمامها على الأرض ، صراخ أمتزج بعَبرات مؤلمة تخرج من صميم قلبها ، هرول وهم بضمها ليهدأها ، وكالذي مست الكهرباء انتفضت للوراء تصرخ بهم ببكاء : محدش يقربلي أبعدوا عني ، حراااام عليكم _

تقدم خطوة للأمام في ترقب هامسًا بحنو ونظرة دافئة محبة تحمل بداخلها نفس الألم الذى بداخل عيناها :

سارة ياحبيبتي أنا ريان أخوكي مفيش حد هيقربلك تاني خلاص ، وهاخدلك حقك من اللي عمل كدا صدقيني قدام عينك _

لا تدرك أي شئ وكأن صنف الرجال كله أصبح أمامها كالوحوش

المفترسة ، حتى وإن كان هذا الرجل أبيها أو أخيها ، فواحد منهم سلب منها أعز ما تملك دون رحمة وشفقة ، كالذئاب الجائعة التي تفتش في الليل عن وجبة غذاء تشبعها وكانت هي أفضل وجبة غذاء لهم ، أنتزعوها من بين بساتين الورود وألقوها في الشوراع يدهس عليه حميع المارة ، قتلت معنويًا قبل جسديًا وما أشده شعور ، كل أحلام الفتيات الجميلة عن الزواج وفستان الزفاف ورجل يحبها ويحفظها ، أن ترى الحميع يباركها على الزواج ويهنئها ، أن ترى الحب والعشق في عيني زوجها ، باتت كلها أحلام مدفونة معها أسفل التراب يدعس عليها المارة بقسوة كما يدعسون عليها .. حرمها من أجمل فرحة تنتظرها أي فتاة فمن ذا الذي سيقبل الزواج من فتاة تعرضت للأغتضاب وكانت مِلك لغيره قبله ! ... هم بالاقتراب منها ثانيًا يستعطفها أن تجعله يعانقها ويخفف عنها ولكنها دخلت في نوبة صراخ عنيفة تهتف من بين صراخها : ! أبعدوا عني ، أطلع برا محدش يقربلي _

اقتربت أسمى منه ورتبت على كتفه قائلة برزانة ورقة يخالطها صوت باكي :

أطلع ياريان مش هتفهمك دلوقتي أنا فاهمة هي بتبصلك إزاي لما تهدي _ شوية أبقى أتكلم معاها ، روح وأنا هقعد معاها !

ألقى نظرة متحسرة ينازعها الحزن والتجلد عليها ومن ثُم أمتثل لأمر أسمى بهدوء وغادر فاقتربت هي منها بحذر هامسة بأعين دامعة : سارة أهدي علشان خاطري _

هدأت ثورتها بمجرد خروج ذلك الرجل ، تدعي أخيها الذي يعشقها أكثر من أي شئ ويخاف عليها برجل ! ، ولكنه التمس لها العذر في وضعها هذا . قادت أسمى خطواتها البطيئة نحوها ومن ثُم عانقتها وتنفجر في نوبة البكاء العنيفة معها .....

***

فتحت عيناها مش إشراقة يوم جديد فتنظر بجانبها لم تجده كما كان مساءًا ، تنام على صدره وتشعر بأنفاسه الدافئة وهو يعبث بخصلات شعرها ويوزع قبلاته عليه ، ظنت أنه دخل الحمام فصاحت منادية عليه لم تجد رد منه ، تعجبت بشدة وقلقت أين ذهب وتركها بمفردها هنا ، لفت انتباهها طرق الباب الذي جعلها تسر لعودته ولكن حين سمعت صوت الطارق يقول :

! ملاك هانم _

جذبت حجابها فورًا ولفته على شعرها ثُم سمحت له بالدخول ، فيظهر من

خلف الباب رجل قوي البنية أشبه بمن يتغزون على المصارعة صباحًا و مساءًا ، جذعت من منظره كطفل صغير حين يرى شخص غريب وهتفت بخوف بسيط :

_ إنت مين ؟!

_ أسيد بيه طلع بليل وكان مستعجل جدًا وخلانا نوقف على الباب برا نحرصك طول الليل وهو جاي دلوقتي متقلقيش

زاغت نظراتها بعيد عنه تفكر بتدبر ماذا حدث جعله يخرج في آخر الليل هكذا فهو لم يفعلها معها مُطلقًا منذ زواجهم لأبد أن الأمر خطير جدًا ، دعت ربها أن تكون الأمور على ما يرام وعادت بنظرها للرجل تهز رأسها بتفهم فغادر وأغلق الباب كما كان ، دقائق ودلف الكبيب الخاص بها ليفحصها قائلاً بوجه بشوش :

_ عاملة أيه دلوقتي يا مدام ملاك

_ كويسة أوي الحمدلله يادكتور

نقل نظره في الغرفة يقول باستغراب مبتسمًا في مزاح :

_ طاب كويس جدًا الحمدلله ، أيه هو أُسيد بيه زهق منك بسرعة كدا ولا

أيه ؟!

: ضحكت بخفة تجيب بمرح على مزاحه اللطيف

! وهو يقدر طيب استنى بس يادكتور هو يرجع وأتفرج _

قهقه بقوة في عذوبة وصدق نية ، كان الطبيب لا يتخطى الثلاثين من عمره ولكن معاملته معها منذ البداية أشبه بمعاملة أخ لشقيقته ، وهي كذلك ولكن هناك من لا يعترف بهذا وإن رأى هذا المشهد سينفجر ويخرج شحنة سخطه بها ، وبالفعل يأتي في الوقت الغير مناسب لتتهجم ملامحه وتتحول للاستياء فورًا عندما رأى مزاحهم وضحكهم كأن أحدهم ألقى نكتة ، اربكتها نظرته النارية ومحت الابتسامة من على وجهها وبالأخص حين : تحدث إلى الطبيب بحدة

خير يادكتور أيه وضعها دلوقتي ؟ _

كويسة جدًا أوي كمان ولو حابين تخرجوا كمان تقدروا تخرجوا بكرة _ بس يكون في إتهمام بصحتها ووضعها علشان متتعبش

مينفعش نخرج النهردا طيب ؟ _

رمقته بدهشة فما سبب رغبته في الخروج سريعًا هكذا ، وبدأت تقلق بالفعل بشأن خروجه في المساء بدون أن يخبرها وأحست بأن هناك خطب

: حدث فعلاً ، أجابه الطبيب بأسف

_ للأسف صعب جدًا العملية اللي كلعت منها مش قليلة ولازم تقعد فترة طويلة كمان تحت المراقبة بس بما إن وضعها كويس فأنا قولت ممكن تطلع بكرة بشرط الأهتمام ، ولو طلعت النهردا منضمنش ممكن يحصل أيه !؟

: هتف بخشوع في صدق وصوت رجولي حازم

_ متقلقش يادكتور هتكون كويسة وهنهتم بكل حاجة وهيكون في دكتور كل يوم بياجي يطمن على وضعها وبمجرد ماتبقى كويسة وتقدر تتحرك كويس هناجي هنا نكمل المتابعة

: نظر لها نظرة مترددة ثم عاد إليه يهتف باستسلام

_ طيب بس يكون في أهتمام شديد علشان وضعها ميسوءش أكتر

اماء له بموافقة ، ثُم غادر الطبيب فحدق بزوجته في غيظ فهمت هي جيدًا من ماذا غيظه ولكن الأمر لا يتوقف على هذا أيضًا فهناك شئ يجعله بهذا الوضع ، أطالت النظر إليه تستوجبه بنظراتها " ماذا بك " ، يعلم أنه ليس

بشى يستدعي الجدال ولكنه وجد شى يخرج به حممه البركانية قبل أن تدمره :

_ أيه الضحك والصعصعة ده ، ناقص تجيبوا وتشربوا شاي كمان مع بعض لو اللي حصل ده أتكرر تاني مش هيحصل طيب ياملاك هانم فاهمة !

قالت بريبة من أمره وحيرة :

_ في أيه يا أُسيد مفيش حاجة حصلت ده احنا كنا بنتكلم عنك حتى يعني مش في حاجة تستحق العصبية دي ، أهدى كدا إنت مالك ؟

مسح على شعره نزولاً إلى وجهه يتأفف بقوة ثُك يأخذ مجلسًا له على أحد المقاعد ويبدأ بسرد التفاصيل لها وفور انتهاءه كانت عَبراتها أتخذت السماح فهبطت كالشلال ، تشهق بصدمة مع كل كلمة تسمعها منه لينتهى الأمر بوضعها لكفها على فمها تمنع صوت نحيبها قائلة :

_ ياحبيبتي ياسارة ربنا ينتقم منه يارب على اللي عمله معاكي .. أنا عايزة أروح خدني البيت يا أُسيد مش هرتاح غير لم أشوفها

_ طيب يلا قومي ألبسي هدومك وهنروح نقعد اليومين دول في البيت هناك أساسًا لإني مش هقدر أسيبهم

أماءت فورًا بموافقة بدون أدنى أعتراض ، فهذا رأيها أيضًا أن يكونوا بجانبهم في محنة مثل هذه وحتى إن كان يريد أن يبقزا بمنزلهم كانت سترفض وستفضل البقاء معها لتحاول التخفيف عنها قليلاً فلأبد أنها داخل صدمة قوية ، تشفق وقلبها يؤلمها ويتمزق عليها تلك المسكينة التي سلب منها أعز شئ بعد مافعله بها ، فهي كانت متزوجة من أكرم وكانت ترى معاملته القذرة لها كيف وكانت لا تتحملها برغم من أنه زوجها وتشعر بالأهانة منها ، فماذا هي وضعها الآن ؟! .....

***

أجابت زمردة على الهاتف بخنق ، كان الرقم لا تعرفه ولكنه يصر على الاتصال فاضطرت للإجابة عليه :

ألو مين معايا ؟ _

أنا أكرم يازمردة ! _

جمدت عروق دمائها وشحب وجهها وجحظت عيناها بمجرد نطقه لاسمه وسرعان نا أحابت منفعلة :

إنت ليك عين تتصل ياحيوان ياقذر بعد اللي عملته عايز أيه ؟ _

غمغم ضاحكًا باستفزاز ، ياله من عديم أحساس ، انعدم لديه مفهوم الرجولة بكل معانيه فهتف بنبرة شيطانية :

_ بالمختصر المفيد كده عايزك تخليلي ملاك تقابلني بأي طريقة هي بمعني أصح أنا هخطفها وأبتز بيها أسيد الصاوي ، وأنتي هتعملي كده غصب عنك وإلا إنت عارفة هيحصل أيه وأكيد مش هتحبذي إن مروان يعرف بالسر اللي مخبياه عن الكل وميعرفهوش غير إنتي ومراد ، وأياكي تحاولي تضحكي عليا وتروحي تقولي لأسيد لأني هعرف

شعرت ببرودة أطراف جسدها والكلام وقف في حلقها لا يخرج منه صوت ، سيكشف ما عزمت على إخفاءه طول الفترة الماضية ويبتزها يمن أختها فملاك أكثر من شقيقتها ولا تستطيع أذيتها ، صاحت به في غيظ وازدراء :

_ إنت واحد قذر ومتتصلش عليا تاني أحسلك فاهم أنا مش ملاك اللي هتخاف منك وتعمل اللي تقولها عليه أو تقدر تبتزها ، أنسى يا أكرم وخليك بعيد عني وعن ملاك بدل ما أنهيك أنا !

***

وصل كل من أشجان وثروت ومحمد إلى القاهرة وبمجرد دخولها المنزل

صاحت ببكاء على ابنتها واندفعت لغرفتها بأعلى فوجدتها نائمة في فراشها تتكور حول نفسها وتهلوس ببعض الكلمات كالأتي " حرام عليك يا أسلام ، أبعد عني ، أنا عملتلك أيه علشان تعمل فيا كدا " تقدمته وجلست بجوراها واضعة كفها على كتفها فتنتفض هي جالسة وعندنا رأت أمها والدموع تملأ عيناها ارتمت داخل أحضانها تبكي بحرقة قائلة :

_ مبقليش حاجة أحافظ عليها خلاص يا أمي ، عمل فيا كده ليه أنا أذيته في أيه ده أنا كنت لغاية أمبارح مستعدة أوافق عليه لو جه واتقدملي ، يعمل فيا كده ليه ياريته كان قتلني وريحني أحسن !

حاوطت وجهها بين كفيها تقول ببكاء حار وصوت متشنج :

_ بعد الشر عنك يابتي متقوليش كده ، ربنا مش هيسيبلك حقك ربنا ياخده يارب وينتقم منه وإخوكي وأبوكي مش هيسيبوا حقك يروح كده .. خليكي قوية كده ومتضعفيش غير لما تاخدي حقك منه وتشوفيه قدام وهو بيتعذب على اللي عمله فيكي ياحبيبتي

لا تعي ماتقوله أمها قط هي فقط تخرج مابداخلها من ألم فتستكمل بكائها وحديثها المر على القلوب وهي لا تثبت نظرها عليها :

_ أنا أنتهيت خلاص ، حلمي زي أي بنت إنها تتجوز وتلبس الفستان الأبيض وتفرح انتهي معايا ، هو أنا عملت أيه في حياتي علشان ربنا

يعاقبني العقاب القاسي ده

: أجهشت أشحان بالبكاء تقول بصوت مرتجف

متقوليش إكده ده إنتي هتتجوزي وتعيشي حياتك ياحبيبتي إنتي _ معملتيش حاجة غلط وربنا عمره مابيرضى بالظلم وهياخدلك حقك ويعوضك

لسوء الحظ إن مراد كان مارًا بالصدفة من أمام غرفتها وسمع الحديث منذ البداية ، وكأن أحدهم أحضر خنجر مسموم وطعنه به في ثنايا قلبه وتركه ينزف ، ليته أدرك حبه منذ البداية لكان تزوجها ولم يتردد وكان لم يحدث هذا ، فكانت ستثق به أكثر وستقول له ولكنها الآن اختارت أن تسير وحدها بدونه وهي أفضل من يعلم إنها إن أخبرته لم يتأخر عنها ولن يتركها بمفردها بالرغم من أنه ليس لديه ذنب ولكنه يحمل نفسه الذنب الأكبر ، لعله إن كان جعلها تثق به أكثر لم تكن لتخبي عنه شئ كهذا وتذهب من دون علم أحد ، لملم أشلاء قلبه ورحل قبل أن تذرف عينه الدمع .... !

***

ارتفع ضوء القمر في السماء ولم تستطع الخروج ملاك من المستشفي

بسرعة لتأخير إجراءات الخروج فقضوا النهار ينهوها حتى أتى المساء وعادوا إلى المنزل ، كانت ستذهب لرؤية سارة والأطمئنان عليها ولكنهم أخبروها أنها نائمة ، فأجلت رؤيتها لصباح غد ، وتسندت على ذراع زوجها إلى غرفته بأعلى ، كان المنزل هادئ كأنه خالي من البشر ولم يسكنه سوى الأشباح ، يحفه الحزن والكأبة من كل مكان مخيف بعض الشئ عن أول مرة دخلته وخرجت منه ... دخلت الغُرفة وجالت بخاطرها ما حدث معها عندما دخلت ذلك المنزل بصفتها زوجته وما تلقته من كلام يسم البدن علي ألسنة أسمى وليلى ، ستتحمل اليومين القادمين فيه بسبب سارة ومن ثُم ستعود لمنزلها ، أنتشلها قائلاً بخشونة :

ملاك إنتي كويسة ، تعبتي ولا أيه ؟ _!

هزت رأسها بالنفي قائلة في رقة :

لا كويسة متقلقش ، أفتكرت حاجة بس _

هم بأن يساعدها بالتسطح على الفراش فقالت فى خجل بسيط وهي تطرق أرضًا :

لا أنا هروح أغير هدومي في الحمام الأول _

طيب مش ههتعوزي مساعدة لأنه صعب تغيري وحدك ؟ _

قالها بحسن نية في رغبة منه لمساعدتها حقًا وليس شيئًا آخر ولكنها أحمر وجهها وأصبح كالبندورة وهي تقول بخفوت مرتبك :

_ لا شكرًا ، بعدين أنا غيرت وحدي الصبح في المستشفي يا أُسيد مش هتفرق الصبح من دلوقتي يعني

هز رأسه بإيجاب فطالعته بابتسامة وذهبت إلى المرحاض تبدل ملابسها وعند خروجها وجدت على الفراش صينية تحمل فوقها طعامها اللازم والمفيد وتجده يهتف وهو يبدل ملابسه :

_ يلا كلي ياملاك علشان تاخدي العلاج وترتاحي ومتتحركيش من السرير غير للضرورة مفهووووم

اقتربت منه ووقفت خلفه لثوانٍ تحملق به بحزن وثُم تحركت لتقف في مواجهته وتقبض على كفه تقول برجاء :

_ طيب مش هتاكل معايا ، لازم تاكل يا أُسيد علشان خاطري كُلّ أي حاجة بسيطة لكن متقعدش من غير أكل كده

_ مليش نفس يا ملاك كلي إنتي !

نفيت تمامًا فكرة تناولها الطعام بدونه وأقسمت أنها لن تضع لقمة داخل فمه إلا عندما يشاركها الطعام وأن لم يفعل ستبقى بدون طعام مثله حتى يأكل ، رمقها هو بغضب زائف وضيق وأضطر لتناول القليل من الكعام معها حتى يرضيها ويقنعها ، وكانت هي تتابعه بحبٌ ولكنها تشفق عليه ولا يطاوعها قلبها أن تراه هكذا وتقف صامتة تشاهده بهذا الأسى والشجن ولكنع سبقها في الحديث حين قال وهو يدقق نظره في عيناها : إنتي كنتي عارفة بموضوع أسلام ده مش كده !؟ _

: هتفت بأسف وندم شديد

_ أيوة وياريتني ما سكت وكنت قولت لريان ، إنت عارف من غير ما حد يقولي أيه السبب اللي خلاها تروحله أنا عارفة وهو أكيد أنه ابتزها بإنه هيقول لريان وخالي وطبعًا هي أضطرت تروح من الخوف ، يعني لو كنت قولت لريان كان زمانها مش هتخاف من حاجة ومكنتش هتروحله ، هي مش غلطانة وحدها احنا كلنا غلطانين معاها يا أسيد

ترك الطعام من يده و أصدر تأففًا قوي ثُم نهض وجلس على الأريكة ودفن وجهه بين كفيه ، لا زال قلبه ينزف حزنًا وأسفًا عليها ، فصعب عليها أن لا تنهض وتحاول التخفيف عنه ، فنهضت بصعوبة وسارت ببطء نحوه فالطبيب حذرها من السير مسرعة وجلست بجوراه ، وكأن خجلها محي

وزال ولم تعد تخجل من لمسه كما كانت تخجل سابقًا ، مدت يدها وملست على شعره هامسة بصوت أنوثي رقيق وحاني :

_ متديقش نفسك أرجوك يا أسيد ، إنت عارف أنا مبحبش أشوفك مدايق لأي سبب كان

رفع وجهه عن كفيه وطالعه بدفء ثُم جذبها لصدره مقبلاً شعرها بنعومة ليقول شبه مازحًا في ابتسامة ضعيفة :

_ ولما مبتحبيش تشوفيني مدايق ياملاك ليه لما أكون متعصب منك مش بتاجي تصالحيني زي كده وتقولي الكلمتين دول

قالت مبتسمة بصفاء في خفوت :

_ لا لو سمحت متخلطش الأمور ببعض ده حاجة وده حاجة !

سكنت وهدأت وهي تشعر بصدره الدافء ويده تتحرك صعودًا ونزلاً على ذراعها وأنفاسه الدافئة تلفح شعرها الحريري ، برغم من غضبه وضيقه الذي يستحوذه لم يحرمها من حصتها اليومية من مزاحه وصدره الحاني الذي يضمها إليه يشعره دائمًا بوجوده معها طوال الوقت ، لم يتركها تضع رأسها على الوسادة حزينة لأنه حزين أو بسبب انفعال قاسي منه عليها ، فقد أقسم أن يعوضها عن كل شئ ويعاملها كأميرة تعيش في قصر أبيها

الملك ، نعم فهو ليس زوجها فقط بل أبيها وأخيها وكل شئ ... أما هي ففضلت أن تستمر في ذلك الوضع دون أن تقطع شعورها بالراحة داخل أحضانه ..... !

***

انتابه شعور بالقلق عليها فغادر غرفته وذهب نحو غرفتها ، وقف للحظات أمام الباب يسمع إن كان هناك أحدًا أو لا ، تردد كثيرًا قبل أن يفتح الباب ويدخل لرؤيته يخشى أن يصيبها بالزعر حين تراه ، وبعد تساءولات دامت للحظات منه حول الدخول أم لا فقرر وحسم أمره وفتح الباب بحذر ونظر من خلاله فوجدها نائمة في فراشها ولحسن الحظ أنها ترتدي حجابها وتنام به ، أطمئن قلبه أنها بخير ولكن دفعه قلبه يطلب منه الدخول ويتأملها عن قرب ، فلم يتردد في أن يرد قلبه خائبًا ودلف له مقتربًا منها ، ثُم جثي أمام الفراش يتأمل محياها ووجها الشاحب وعيناها المنتفختان من أثر البكاء ، أنطفأ بريق وجهها الجميل ، شغرت بعَبرة تجمعت في مقلتيه وأوشكت على السقوط فطفق يهمس بعتاب شديد في صوت يشوبه الألم :

_ ليه عملتي كده يا سارة حرام عليكي ، عملتي في نفسك كده ليه قالك أيه خلاكي تروحليه ، إزاي تعملي كده هو ده وعدك ليا إنك مش هتكلميه تاني ولا تشوفيه مهما حصل ، مش إنتي برضوا اللي قعدتي تقوليلي مش

هخبي عنك حاجة تاني يامراد صدقني ومش هشوفه ومش هكلمه ومعرفش أيه وخلفتي كل وعودك ، الأول خبيتي عني وروحتي من غير نا تقوليلي مع إنك عارفة إني عمري ما كنت هسيبك في موقف زي ده والتاني كلمتيه والتالت روحتيله بنفسك ، طاب قوليلي دلوقتي أنا أزعل منك ولا عليكي ، وحتى لو زعلت منك خليكي عارفة إني عمري ماهسيبك وهفضل دايما معاكي ويومين بالكتير هاخدك علشان تشوفي ال **** ده قدامك وأنا وأخوكي بناخدلك حقك منه ، يمكن إنتي خلفتي بوعودك معايا بس أنا مش هخلف أبدًا !

برغم علمه بأنها لم تسمعه ولكنه أصر على قول مافي قلبه لعلَ نيرانه تهدأ قليلاً ويرتاح حين يُخرج ماتحجر به قلبه ، أعطاها وعد وحتى إن لم تسمعه أنه سيأخذها لتراه وهو يتعذب أمامها خلال يومين ولم يخلفه مطلقًا ، ولكن ما أدراه أنها لم تسمعه فقد كانت تسمع كل كلمة تفوه بها وبقيت ساكنة لا تصدر أي ردة فعل ودموعها تجمعت في مقلتيها تخشى هبوطهما وهو أمامها ، لم يخطأ في أي كلمة قالها فهي خالفت جميع الوعود التي عاهدته عليها ، لعلَ أنها إن أخبرته بما هددها به لما كان هذا سيحدث .. سمعت صوت الباب يغلق فعلمت أنه خرج وفتحت عيناها الممتلئة وأطلقت العنان لهم تفجرهم كاشلال مياه وهي تشهق باكية تعتذر منه بتكرار قولها " أنا أسفة " ...

***

ساعات قليلة وحتى من لم يغرق في النوم بَعدْ غرق ، استيقظت ملاك ونهضت بصعوبة ، ثُم وضعت حجابها على رأسها وغادرت الغرفة متجهة نحو المطبخ لتشرب كوب ماء فقد جف حلقها ، نزلت الدرج ببطء شديد وحذر حتى انتهي وسارت قاصدة المطبخ ببطء مماثل لنزولها الدرج وكانت الصدمة كافية لجعلها تتصلب بأرضها كالصنم حين رأت أشجان .....

الفصل التاسع عشر

كانت الصدمة كافية لجعلها تتصلب بأرضها كالصنم حين رآت أشجان ، ظلت متسمرة مكانها تثبت نظرها في وجهها ظنت في البداية أنها تخيلتها فماذا ستفعل تلك الشيطانة هنا التي حاولت قتلها بدون سبب .. ولكنها تأكدت حين وجدتها تهتف بخبث دفين قائلة :

_ ازيك يا ملاك ، معلش بقى مقدرتش أباركلك على جوازك من أسيد

اندفعت نحوها ملاك لتقبض على ذراعها وتهزها بعنف قائلة :

_ إنتي بتعملي أيه هنا ، مش هتنفدي بعملتك وصدقيني هتدفعي تمن اللي عملتيه معايا .. أنا معرفش إنتي مين أصلاً وبتعملي أيه هنا بس مش مهم المهم إنك وقعتي تحت إيدي

زاحت يدها عنها تقول مبتسمة بلؤم ظاهر ، تلقي على مسامعها الصدمة:

_ مينفعش تكلمي مرات خالك بالطريقة دي ياملاك عيب أوي

زوجة خالي! ،ماذا تقول تلك الخبيثة يبدو أنها تكذب وتخترع الحكايات ، فأي خال هي زوجته بالتأكيد أنها تحاول تشتيتها وتخويفها ولكنه لن يؤثر بها حتى وإن كان حديثها صحيح ، وجدتها تهم بالرحيل ولكن وقفت

: وقالت بنبرة محذرة وتفتعل بوميض مخيف

_ أه وبرآي لو حابة المرة دي متومتيش بجد يبقي لسانك السكر ده مش هيقول أي حاجة وإلا إنتي اللي هتبقي خسرانة في النهاية وهتخسري حياتك بجد المرة دي

التفتا الأثنين لصاحب الصوت القوي الذي يقول بترقب ونظراته نارية تكاد تفتك بأشجان :

_ إتخسر حياتها إزاي يامرات عمي فهميني الموضوع ؟!

ارتبكت بشدة وكأن الحروف تعثرت في طريقها وسقطت في نصف الطريق قبل أن تخرج ، ظلت تحملق به لثوانٍ في رعب ويجول بعقلها سؤال واحد " هل سمع شئ ياترى أم لم يسمع سوي آخر ماقالته ؟ " إن سمع شئ فستنتهي لا محال ، وجدته يهز رأسه بتعجب يحثها على الحديث والتكلم : فقالت ضاحكة تتصنع الصفاء والعذوبة

_ لا أصلها بتقول أنها مدايقة للي حصل لسارة وهتحاول توصل لأسلام ، فبضحك وبقولها متتعبيش نفسك مش هتقدري وبقولها إنها ممكن تخسر حياتها ومتدخلش في المواضيع دي أفضل مش كدا ولا أيه ياملاك

لوى فمه بطريقة مريبة أشبه بثعلب مكار تحاول فريسته خداعه وهو يعلم

كل شئ ويقنعها أن خدعتها السخيفة خالت عليه ، رآى الغضب يأخذ وضعه على ملامح زوجته وهمت بأن تجيب وتكشف كل شئ فقال مسرعًا متصنعًا أنه صدقها قاصدًا اختيار تلك الكلمات بذاتها وكأنه يرد بنفس الطريقة الماكرة التي ردت بيها عليه :

_ أه لا متقلقيش ملاك مش هتتدخل في الموضوع ده نهائي احنا اللي هنتدخل وهنجيبه ، مخافيش كل واحد هيدفع تمن اللي عمله سواء دلوقتي أو بعدين

_ يارب !

همست بها في توتر وفورًا انجرفت من بينهم مسرعة إلى الخارج فوجد ملاك تهم بالتحدث ، أسرع نحوها وكبت أنفاسها بكفه ورفع أصبعه السبابة وبيده الآخرى يحسها على الصمت ؛ لتأكيده أنها تقف بالخارج تستمع لهم ، ثُم أبعد يده عنها وهتف بسخط مزيف :

_ صحيح اللي قالته مرات عمي ده ؟!

رمقته بحيرة وتساءل حول مايفعله فأشار بأصابعه أن تتحدث وتساريه في الحديث ، فقالت بتصنع الضيق وقد أتقنت التمثيل مثله :

_ أيوة أصل أنا الصراحة مدايقة أوي على اللي حصل ومش قادرة أقعد

: لف ذراعه حول كتفها يحسها على السير وهو يقول بهدوء

ولو ياملاك ملكيش دعوة بالموضوع ده ، يلا علشان نطلع ننام _

أتقن التمثيل بكل احترافية وذكاء وبالفعل كانت تستمع لهم وعندما سمعت حديثهم هذا أطمئنت أنه لم يسمع شئ وهي لم تخبره وكأن تهديدها أثر بها ، يريد أن يجعلها تسير في طريقها المظلم حتى تصل لنصفه ويمسك بها فلا تستطيع تكملته أو الرجعة منه .. وأيضًا يريدها أن تصدق أن زوجته خشيت تهديدها وفعلت ما أمرتها به فكل هذا سيساعد فيمَ يعزم عليه .....

ساندها بحرص وطولة بال إلي الغرفة مع سيرها البطيء حتى دخلا

: وأغلق الباب فهتفت هي منزعجة بشدة

!أنت مخلتنيش أتكلم ليه ، وإزاي دي مرات خالي وأنهي خال ؟ _

دي مرات عمي ثروت يعني أم ريان وسارة ، أنا عارف كل حاجة _

عملِتها يا ملاك مش عبيط أنا

فغرت شفتيها بصدمة مما تسمعه الأول يقول أنها والدة سارة وريان كيف

تكون تلك الشيطانة أم هؤلاء الابناء والثاني أنه يعرف كل شئ ويصمت لطول الفترة السابقة ، فصاحت به بعتاب :

_ عارف كل حاجة وساكت وبتتعامل معاها عادي كدا يا أُسيد ، دي حاولت تقتلني ولولا إن ربنا سترها معايا وعرفت أهرب كان زماني دلوقتي ميتة

تقدم إليها وحاوطها من كتفيها مردفًا بحنان :

_ عارف يا ملاك وأنا ساكت علشان ريان وسارة بس ، لكن طبيعي مش هسكت كتير وهياجي الوقت المناسب اللي هدفعها تمن كل اللي عملته ، كل اللي عايزك منك إنك متفتحيش الموضوع ده مع أي حد حاليًا إنتي شايفة الأوضاع إزاي وشايفة وضع ريان وسارة إزاي

دفعت يده يعنف صائحة بغضب :

_ أسكت إزاي وعايزاني أبص في وشها كل يوم وكأن مفيش حاجة دي بتهددني دلوقتي إني لو أتكلمت هتقتلني !

أجلسها على الفراش وجلس بجوراها يتشدق بنظرات ملتهبة ونبرة واثقة كلها حقد وغل :

_ متقدرش تقربلك طول ما إنتي معايا لأنها عارفة اللي هيحصلها كويس أوي هي بتخاف مني من غير ما تعرف إني عارف كل حاجة ، اسكتي

الفترة دي ياملاك علشان ريان وسارة ولا إنتي مش هامينك وخليكي واثقة إني مش هسيبها تفلت بعملتها دي وهجبلك حقك منها أطمني ، وحاولي تتجنبيها اليومين دول لغاية مانرجع البيت

غامت عيناها بالعبرات والدموع متذكرة تلك اللحظات ، تتحسر عليها وعلى حال ابنتها وتقول بصوت باكي ومرتجف :

_ وسارة دفعت تمن عمايل أمها منسيتش أي حاجة من اللي حصلت معايا حصل الخطف ده بعد وفاة ماما علطول حتى قبل ما اتجوز أكرم وعارف كانت هتخلي رجالتها اللي خطفوني يعتدوا عليا لولا إني سمعتهم والحمدلله ربنا ساعدني وهربت ، أنا مدايقة على سارة أكتر ما مدايقة على نفسي هي متعرفش على كدا إنها بتأذي ولادها من غير ماتحس ، أنا معرفش هي عملت معايا كدا ليه مع إني لا أعرفها ولا شوفتها ولا أذيتها في حاجة !!

لم يكن يعرف بمَ قالته هذا ، جعلته يزداد حقدًا أكثر وبغضًا لها وتضيف جريمة آخرى إلى حصيلة أعمالها ، ألم يكفيها قتلها لأبيها وأمها ومحاولتها لقتلها كانت تريد أن تسلبها روحها ، يالها من امرأة تستحق الطوفان ليزيلها ويريح الناس من شرها ! ... وجدها أجهشت بالبكاء بقوة فحاوط وجهها بين كفيه يقول بحدة تحمل بداخلها الاهتمام :

ملاك إنتي طالعة من عمليه وممكن تتعبي كفاية بكى وبعدين أنا مش _
قولت متتحركيش من السرير غير للضرورة زي الحمام

كنت عطشانة وإنت كنت نايم ومهنش عليا أصحيك الحقيقة فنزلت _
وحدي ويارتني مانزلت

قالتها وهي تشهق باكية بحرقة ، فعيناها تخونها ولا تتمكن من الشد على محابس دموعها وتزرفهم كالشلالات ، تتعرض للأذى من أقرب الناس لها وهي لم تأذيهم بشئ فقط يريدوا أذيتها بدون سبب .. فتحت عيناها على الحياة وكانت وحيدة وتتعرض لنظرات الرجال الوقحة بسبب جمالها وتعرضت لكثير من المدايقات لهذا السبب ثُم بدأ بأذيتها أقرب أحبائها ولم تجد معها سوى القليل (زمردة ، أمها ، ريان ، وسارة) والآن خسرت أحدهم ولكن ربها عوضها عنه بزوجها وهو لا يختلف في حنانه عن أمها كثيرًا بل يشبهها في أشياء كثيرة ... توقفت عن البكاء بخوف بسيط : عندما رآت نظرته المنذرة لها وهي تستمر بالبكاء فقالت بضيق طفولي

مهو أنا لو محصليش حاجة من العياط هيحصلي حاجة من نظراتك _
المخيفة دي في أيه يا أسيد براحة عليا ! ، راعي إني أنثي ومش لازم كل حاجة تبحقلي كدا عادي أنا باجي بالحنية والرقة والله !

أتسع ثغره بابتسامة رائعة من كلماتها وطريقتها اللطيفة فقال بسخرية مزيفة مبتسمًا :

_ طيب خلاص ، متعيطيش يا ملاك ياسكر علشان متتعبيش لأني خايف عليكي وأنا ما صدقت بقيتي كويسة شوية ، حلو كدا ؟

بادلته السخرية مغمغمة بخنق :

_ حلوة جدًا ، لدرجة أن عيني دمعت من كتر الحنية

ضحك بخفة ليجيبها برقة حقيقة وهو يمد يده ويقرص وجنتها برقة : طيب نامي ياختي يا أم لسان طويل يلا !

أمتثلت له ومددت جسدها على الفراش تغمض عيناها باستسلام لأرهاقها ، تسطح الآخير بجوراها وأغلق عينه ، فظلت تحملق به بصمت ، تتردد في الاقتراب منه والنوم بين ذراعيه كما عودها أن يفعل ، قلبها يلح عليها كطفل صغير يلح على شئ يحبه وهي تعانده ولكن إلى متى ستصمد الأم أمام عويل وبكاء طفلها ، ما يمنعها من الاقتراب منه هو خجلها القاتل وحيائها منه فمازالت تستحي منه ، ولكن حدّثها عقلها قائلاً بغيظ في حزم " إلى متى سيستمر خجلك هذا، تقولين إنكِ تريدين أن تفوزي بقلبه ، كيف ستحظين به وأنتِ تخجلين من النظر إلى وجهه حتى ، أن أدرتي شئ

فيستوجب عليكِ أن تضحي بشئ لتحصلين على الأخر والآن أما أن تضحي بخجلك وأما أن تضحي به هو ! أنتِ أختاري " أقتنعت تمامًا برآي عقلها وكأنها أول مرة يجتمع عقلها مع قلبها على شئ واحد ، وقررت أن تأخذ وتفعل برآيه فاقتربت منه وأبعدت ذراعه عن صدره ووضعت رأسها بدلاً عنه فوضع يده على ظهرها يضمها إليه بتلقائية ويحدجها بشبه دهشة فهي عادة تخجل من أقل شئ كيف جرؤت على أن تفعل هذا ، قال بريبة :

_ ملاك إنتي كويسة؟!!!

هزت رأسها بإيجاب في صمت وقد بدأت تخجل بالفعل وتندم وكأن عقلها كان يريد أن يضعها بالموقف لتقرر هي ! ، فتابع هو باستغراب : متأكدة يعني ! ، أصل غريبة الصراحة إن...

قالت مقاطعة إياه تريد القضاء على خجلها وأن تخلق جوًا مرحًا : _ مش إنت اللي عودتني إني أنام في حضنك يبقى تستحمل بقى!

قهقه بقوة تلك المرة ليجيب بمكر رجولي فاق مكرها المحدود : _ لا براحتك ياجميل هو أنا جبت نفس ولا اعترضت ، ده على قلبي زي العسل!

لا لا لا أستطيع تحمل كل هذا أن تفوه بكلمة أخرى سأفقد وعي من الخجل ، ماذا تفعلين تحاولين التذاكي على هذا الماكر اللئيم ! " ، هتفت بتلك الكلمات لنفسها بعد ماقاله وهمت بأن تبتعد فشدد على ظهرها بذراعه يجبرها على عدم التحرك غامزًا لها بعينه في خبث أكثر : رايحة فين هو دخول الحمام زي خروجه ، نامي ياملاك نامي أحسلك _

شعرت بالخطر من كلماته وأغمضت عيناها فورًا بخوف ، أكثر ما توقعته هو أنه سيغضب عليها ولكن لم تفهم مقصده جيدًا فهو يريدها أن تنام قبل أن يفقد سيطرته أمام تلك الساحرة الصغيرة ، التي بدأت تسيطر عليه في كل شئ وبدأت بالفعل تفقده سيطرته على نفسه وهو رجل لا تؤثر فيه أي امرأة مهما كانت ، ما كانت تؤثر به هي زوجته فقط لشدة حبه لها والآن بدأت تلك الماكرة بفعل هذه الجريمة به من دون أن تشعر .....

***

استيقظت ليلى في الصباح على صوت الطرق القوي على الباب ، فلفت حجابها على شعرها وهرولت لتفتح بذعر وعندما رآت خادمتها كادت أن تصفعها على إفاقتِها بتلك الطريقة الهمجية لولا قوله المرتعد : الحقي يا هانم روان طليقة مراد بيه عند الباب ومصممة تدخل تشوفه _

تعالي شوفيها بسرعة قبل ما يصحي البيه ويشوفها

شهقت بهلع وقد تحولت ملامحها وأظهرت الوحشية وهي تسبقها لها ، تسير نحوها كالثور الهائج وحين وصلت قبضت على ذراعها وهتفت بنبرة منخفضة تحمل كل معاني الغضب :

_ إنتي بتعملي أيه هنا ؟! ، امشي غوري يلا

دفعت يدها عنها بعنف وهي تقتصد رفع صوتها وتقول بنبرة متحدية :

_ مش همشي يا ليلى غير لما أقول لمراد على كل حاجة ، خليه يعرف حقيقة أمه اللي حتى لو اتجوز تاني مش هتخليه يتهنى في حياته بسبب حقدها وغلها ياشيخة ده حتى أسيد مش سيباه في حاله إنتي أيه أتقي الله بقى !

قبضت على يدها تفعصها بين يداها بقوة وتضغط عليها حتى كادت أن تصرخ من الألم ، لن تدعها تخرب علاقتِها مع ابنائها ، تلك الفاجرة تتحداها .. أوشكت على الصراخ منادية عليه لولا يدها الآخرى التي قبضت على فكها وتقول بقسوة :

_ هتمشي ياروان من هنا بالذوق بدل ما أخليكي تمشي ندمانة إنك جيتي وعلى الله تتكلمي مع مراد في حاجة وإلا هنفذ تهديدي وإنتي عارفة إني

أقدر أعمل كدا بسهولة جدًا

: أجابتها بصوت باكي وأعين تسبح بها العَبرات ووجه متحسر وشاحب

إنتي مستحيل تكوني أم ، خربتي بيت ابنك وخلتيه يطلقني ظلم _

وابتزتيني ، سيبك مني مش بيصعب عليكي ابنك اللي دايمًا مدايق

وحاسس بالندم أنه وثق فيا وأنا خنته ، أنا خنته فعلاً إني قبلت على حاجة

زي كدا ومقولتش أن أمك هي السبب في كل ده .. أنا عارفة أنه حتى لو

عرف الحقيقة مستحيل يرجعلي بس على الأقل هحذرهم منك لإنك مش

! بعيد تعملي مع مرات أسيد كدا ، إنتي مريضة بجد وعايزة تتعالجي

دفعتها بعنف للخارج فسقطت على الأرض وهي ترمقها بوجه ممتلئ

: بالدموع فتقابل دموعها بمزيد من الجفاء قائلة

أنا قولت اللي عندي ياروان لو فكرتي تقولي حاجة لمراد إنتي _

المسئولة عن اللي هيحصل لأختك الصغيرة

ثُم أغلقت الباب بقوة في وجهها فرفعت نظرها إلى غرفته وبكت بكاءًا مرًا

بحسرة وألم ليتها لم تقبل بمَ هددتها به وقالت لزوجها ، كانت لن تستطيع

أذيتها بشئ ولكانت هي الآن مازالت بصحبته ومعه ولم تفارقه ، فرّقتهم

عن بعضهم وقعطت الكف عن الذراع وتركت الكف بمفرده ملقي والذراع

يتألم لفراق قطعة منه ، ولكن الذراع بدأ يتأقلم مع الوضع ووجد كفه الآخر الذي يعوضه عن فقدانه للكف الآخر ولكن الكف فلن يجد ما يعوضه عن فقدان ذراعه مطلقًا ، " لينتقم الله منها ويأخذ حقي منها بأشد عقاب " تفوهت هي بتلك الكلمات في نفسها وهي تجهش بالنحيب والبكاء .. تتذكر كيف قضت أيامها السعيدة معه ووصلت لذروة حبها له ، تذكرت طفلها الذي كان سيجعل بينهم حلقة وصل حتى بعد طلاقهم كيف كان سيذكرها بأبيه ولكنها لم تكتفي بإظهارها خائنة بل فعلت بها جريمة أخرى وأجهدت طفلها عنوة حتى تظهرها أمامه بجريمة أخرى وهي قتل طفلهم التي كانا ينتظراه بفارغ الصبر ، ولكنها تعلم أن مراد إن سامح أمه على إتهام زوجته بالخيانة لم يسامحها على قتلها لطفله ... !

***

كانت تجلس تنظر يمينًا ويسارًا تتفقد الخارج والداخل من المقهي لعله يكون بين أحدهم وأخيرًا ظهر من بين الداخلين وبمجرد أن رآها أسرع نحوها وجلس أمامها يقول باستغراب في قلق :

في أيه يازمردة ؟ ، إنتي كويسة جاييباني من الصبح كدا ليه ؟ _

ملاك قاعدة في بيت عمي صح ؟ _

: أماء له بإيجاب متعجبًا يسترسل منها الكلام فتابعت هي بارتياح

الحمدلله ، أسيد خلي بالك الفترة دي على ملاك جدًا ، أكرم كلمني _

وهددني كان عايزني أشترك معاه في خطفه لملاك وأنا رفضت وقالي إني

لو قولتلك هيعرف وأنا حاسة أنه مراقبني علشان كدا جاية من غير ماحد

يحس وفي الخِفى

رأت قسمات وجهه التي تحولت إلى جمرة من نار مشتعلة وأوشك على

حرق الجميع بها ، ذلك الوغد لن يهدأ إلا حين أن يقبض روحه ، مازال

يحوم كالثعبان حول زوجته وسيأتي اليوم التي سيقطع رأس هذا الثعبان ،

: أجاب شبه منفعلاً

هاتي الرقم اللي أتصل منه عليكي يازمردة _

أخرجت هاتفها وأملت عليه الرقم فسجله بهاتفه وهو يهمهم بخفوت

: متوعدًا يلقي بعض السباب عليه فقالت هي بقلق

هتعمل أيه ؟ _

!هاخد روحه إن شاء الله ، هعمل أيه يعني يازمردة _

صمتت قليلاً وزفرت بيأس زامة شفتيها للأمام بعدم رضا ثُم قالت بشفقة

: وحزن شديد

_ سارة عاملة أيه دلوقتي ، مروان قالي أمبارح وأدايقت جدًا والله لدرجة إني قعدت أعيط عليها

: قال في ضيق وخنق ممزوجين بالغضب والتوعد

_ لا بتاكل ولا بتشرب والكلام مبتتكلمش مع حد ، بس هيروح منينا فين ... هنجيبه لو نزل سابع أرض وأنا تقريبًا قربت أوصله أساسًا

_ ربنا ينتقم منه يارب ، بس سارة غلطانة إزاي تروحله البيت ؟

_ لو مكنش ده حصل وكنا لحقناها منه كانت هتشوف اللي هيحصلها منينا بسبب اللي عملته احنا اللي مخلينا مش قادرين نعملها حاجة وضعها وهو على كدا جدي وعمي بنحوشهم عنها بالعافية

ظهر العبوس والخزي على وجهها فما عاشته تلك المسكينة صعب تحمله

: على أي فتاة وجدته يهب واقفًا وهو يقول بصلابة

_ يلا علشان أوصلك لإني معايا شغل كتير ومتطلعيش من البيت وحدك تاني يازمردة يا أما تطلعي مع مروان يا أما بلاها طلوع خالص

هزت رأسها بالموافقة في عدم اعتراض فلا تجرؤ على قول " لا " له فهو بمثابة مروان وكما هي لا تجرؤ على مخالفة أوامر أخيها لا تجرؤ على مخالفة أوامره يكفي أنه كان بجانبهم دائمًا في حياة والدتها ولم يتركها هي أو ملاك ، جال بخاطرها وهي تسير بجوراه ريان وكيف هو حاله الآن ، بتأكيد أنه داخل صدمة قوية وقلبه يحترق من الغيظ والغضب والحزن على شقيقته ، أشفقت عليه بشدة فهو مازال لم تهدأ نيران قلبه من فراق حبيبته والآن ازدادت اشتعالاً بفجيعة شقيقته ..... !

***

في مساء ذلك اليوم يجتمعوا رجال العائلة جميعهم في غرفة واحدة يتبادلون الأحاديث حول تلك الحادثة ومنهم من يهدأ ويهب واقفًا ويصيح بغضب عندما يسمع رأي أحدهم الذي لم يعجبه ، فخرج صوت محمد بنبرته القاسية :

_ وهي الفاجرة دي كانت مستنية أيه لما تروح لراجل غريب البيت ورب العزة أنا لولا وضعها ده كان زماني دفنتها في أرضها

لم يود ريان أن يجيب على جده وينتظر من أبيه أن يجيب عليه بما يسكته تمامًا ولكن كان أبيه مؤيد لرأيه فا في رأيه ما فعلته ابنته خطأ لا يغتفر وسيحاسبها عليه عاجلاً أم أجلاً ، وحين وجد أبيه يلتزم الصمت فأتخذ هو

: موضعه في الحديث ليقول بتحذير

جدي بلاها الكلام ده دلوك وعلى الله حد يتكلم قدام سارة بالحديت _ الماسخ ده ولو شميت خبر أن حد دايقها بالكلام حسابه معايا أنا وحتى إنت يابوي

قال كلماته واستدار وغادر فورًا قبل أن يفقد سيطرته على الأمر فصاح : محمد بانفعال

! شايف ولدك وتربيتك ياثروت _

لم يكن حديثه يوافقه أي من الجالسين كان أُسيد ينظر لجده بأعين متقدة ومروان بخنق وضيق أما مراد فكأنه في عالم آخر ينتظر اتصال هاتفي سيأتي في تلك اللحظات فغدًا اليوم الثاني ولم ينسى وعده لها ، جميع من جالس في تلك الغرفة يبحث عن ذلك الحيوان بكل مكان ولكن من الواضح : أن السر في مراد ! ، هب أُسيد واقفًا وهو يقول بصوت رجولي قوي لو خايف على العار أوي كدا يبقي مش وقته نتكلم في موضوع سارة _ وإنها غلطت ومعرفش أيه ونشوف ... اللي عمل كدا في أنهي داهية

وكذلك الثاني غادر مجلسهم منفعلاً فيأخذ مروان نصيبه ويقف يقول : موجهًا حديثه تلك المرة إلى عمه قائلاً بسخرية واستهزاء

بدل ما إنت قاعد إكده ياعمي أنا بقول تروح تشوف بتك تتطمن عليها وتهديها اللي مبتاكلش ولا بتشرب ، أنا مش شايف إنك هامك جوي تجبلها حقها _

صفي المكان على ثروت ومحمد ومراد الذي أخيرًا جائه الهاتف فاندفع إلى الخارج يجيب متلهفًا :

أيوة عملت أيه ؟ _

جبتلك مكان الرقم اللي ادتهولي يابيه وهبعتهولك في رسالة _

ابتسم بمكر وقد لمعت عيناه بوميض مخيف لا ينم عن خير قط ، وعدها والآن يوفي بوعده .. ينتظر اللحظة التي يقع فيها ذلك الوغد بين يديه يقسم من الآن أنه لن يتركه إلا حين ينهيه ، سلب عذرية وأنوثة تلك المسكينة وسيسلبه الآن هو رجولته سيريه كيف يكون مفهوم الرجولة الحقيقي .. قال بوجه بشوش :

عفارم عليك ، ابعت العنوان يلا _

رآه أُسيد وهو ينطلق إلى الخارج ويصعد بسيارته فصاح بصوته الجهوري مناديًا عليه فلم يعيره أي أهتمام ، اندفع الآخير مهرولاً إلى

سيارته وانطلق خلفه بعد أن شك في الأمر فأن ترك ذلك الأحمق بمفرده !! .... سيقتله لا محال ويلقي بنفسه إلى التهلكة

***

كان كُل من زمردة وأسمى وملاك يلتفون حولها يحاولون إقناعها بأن تتناول ولو شئ بسيط ، وهي كجماد لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم أو يتحرك حتى وكلما تتذكر تلك اللحظات في أوقات فراغها تدخل في نوبة صراخ عنيفة ولا يستطيع تهدئتها أحد ، والآن هي شئ جامد ليس به روح كدمية ! .. تنهدت ملاك بيأس ثُم نظرت إلى زمردة وأسمى وقالت بخشوع :

_ سيبونا وحدينا معلش يمكن أعرف أقنعها

نهضت زمردة وهي تومئ بودٍ أما أسمى فكانت نظرتها الحقودة كافية لتعكس مابداخلها من كره وبغض ولكن أضطرت للخروج مع زمردة .. ثُم اقتربت هي منها ومدت يدها تملس على شعرها وتهمس بخفوت جميل ومحب ممزوج بالدفء والحنان :

_ فاكرة كنتي تردي عليا بإيه ياسارة لما كنت أقولك هو أنا ليه بيحصل معايا كدا اشمعنى أنا ، كنتي تقوليلي ربنا مبيتقلهوش اشمعني لأنه مستحيل يعمل حاجة يأذيكي وحتى لو الحاجة دي أذتك بيكون اختبار منه

عايز يعرف مدى حبك وتمسك بيه وأكيد هو شايلك حاجة جميلة وكنت بعمل زيك كدا كنت بقعد بالأيام ماكلش بس في الآخر كلامك طلع صح وربنا كرمني أهو بأسيد وعوضني ، عارفة إن اللي حصل ده حاجة صعبة على أي بنت بس ربنا بيمتحنك ومش الكل بينجح في الامتحان فخليكي من الناس اللي بتنجح وبتتعب وربنا مش هيختبرك إلا لأنه بيحبك .. يلا بقى كلي ومتسبيش حقك وبلاش تقسي وتبعدي عن ريان كدا ده أخوكي ومحدش هيحبك قده ويخاف عليكي ده هو مسبش مكان إلا ودور فيه على الحيوان ده

نظرت لها بمقلتين غارقتين في الدموع وقد بدت وكأنها اقتنعت بكلامها وبالفعل حين مدت يدها بالطعام لها تناولته بصمت دون أن تتفوه ببنت شفة ، فابتسمت هي براحة وحب أخوي شديد ، فهي وزمردة أكثر من مجرد ابناء خال بل شقيقاتها التي لم تلدهم أمها .

***

خرجت زمردة من الغُرفة وبينما هي في طريقها إلى الخارج لكي تذهب مع أخيها الذي ينتظرها في سيارته فالتقت بريان الذي وقف يحدق بها متعجبًا ويقول بصلابة :

_ أيه إنتي ماشية ولا أيه ؟!

قالت بإيجاب في رقة مثبتة نظرها في عيناه التي تكاد تذرف الدماء من عدم نومه وتعبه :

أه مروان مستنيني في العربية قالي هيوصلني البيت ويرجع تاني _

قال بوجه شاحب وبائس في أهتمام :

أكلت حاجة ؟ _

هزت رأسها بالنفي بوجه عابس وحزين لتجيب بتفاءول :

لا للأسف بس ملاك طلبت منينا نطلع ونسيبهم قول يارب تكون أقنعتها _

صمتت قليلاً لتهمس بأعين حانية ومتضايقة في أهتمام بسيط ، وكأن قلبها أصدر إشارة لعقلها أن يقول ذلك الكلام وهي غير واعية فقط أرادت أن تخفف عنه ولو بكلمة بسيطة ، فقلبها يتمزق من الحزن والشفقة عليه وعلى وضعه المزري :

متدايقش نفسك ياريان هتاخد فترة وهتبدأ تاكل وتهدى ، وإن شاء الله _ الحيوان اللي عمل كدا هيتمسك ويتعاقب على اللي عمله ، واضح إن حتى إنت مش بتاكل أمال هتقدر توقف على رجلك إزاي وتبقى جنبها وتجبلها حقها وإنت مش بتاكل

وهو حد ليه نفس ياكل يازمردة ، على العموم متقلقيش مش هيحصلي حاجة إلا بعد ما أخد روحه ال... ، روحي يلا علشان متتأخريش على مروان _

***

ترجل مراد من سيارته وهرول إلى ذلك المبنى يصعد الدرج ركضًا قاصدًا طابق معين وشقة بعينها وكان أخيه يتبعه وهو لا يفهم مايفعله حتى وإلى أين ذاهب ، وقف أمام الشقة المقصودة وبقبضة يده الفولاذية ضرب على الباب بهمجية تفزع النائم ، ثوانٍ وكانت تفتح له بقسات تنم عن نفس منزعجة ومذعورة وتحول الذعر إلى رعب حقيقي حين رآته يحملق بها مبتسمًا بلؤم ويهتف :

اسم الله عليكي لونك اتخطف كدا ليه متخافيش ده أنا جاي علشان اتسلى بس وهتتسلي معايا متقلقيش ! _

مراد ! _

الفصل العشرون

_ مراد !

لاحظت في عيناه نظرات متوعدة ومريبة ، فتأكدت أنها سقطت في الوحل ولن تخرج منه إلا وهي ملطخة بالدماء فما فعلته جريمة وهي على علم مايُمكنه فِعله لها ، بدافع حقدها وسخطها أفقدت فتاة بريئة عذريتها بالإتفاق مع " إسلام " ، خشيته وليس كإي مرة سابقة خشيته فيها وجهه الناري وعيناه المتوجهة التي تطلق حجارة من نار قذفت الرعب في قلبها وازداد خوفها عندما رآت أخيه خلفه ولكنه يحدق بهم بريبة وحيرة وكأنه لا يفهم شئ ، وبينما هي منشغلة بالتحديق بأُسيد وجدت يده تقبض على رقبتها وترجع بها للوراء حتى اصطدمت بالحائط ويُخرج الهاتف على رقمها الذي سجل في قائمة الاتصالات السابقة ويصرخ بصوت جعل جسدها يرتجف:

_ رقمك بيعمل أيه هنا ردي ، هو إنتي فاكرة نفسك أيه ! ، متنسيش نفسك وأصلك ... ولسا مشوفتيش مراد الصاوي على حقيقته يامياركان ورحمة أبويا لإخليكي تشربي بدل الميا دم ، بس دلوقتي هتقوليلي مكان إسلام فين بالذوق وبعدين هفضالك

دفع أسيد يده عن رقبتها ليدع لها فرصة للتنفس ويصيح بأخيه مزمجرًا :

_ إنت بتعمل أيه ، ومين دي ماتفهمني يا أستاذ ؟!

وكأنه لا يرى أمامه شئ سوي تلك الشمطاء ، وضِعَ الغشاء على عينه وأفقد البصر لإي شئ ويكاد يفقد السمع حتى ، لن تهدأ عاصفته إلا حين يلقيه دورس جيدة في تعلم معني الرجولة إن خرج من تحت يديه حي فسيخرج مثلما خرجت سارة !!! ، دفع أخيه من أمامه وانهال عليها بصفعة أسقطتها أرضًا وهي تصرخ باكية فيماثلها الصراخ المرعب بصفعة أسقطتها أرضًا وهي تصرخ باكية فيماثلها الصراخ المرعب : هتنطقي ولا إخد روحك بإيدي !

_ حا..ضر حاضر هنطق والله

قالتها وهي تشهق باكية وأسيد يوشك على الانفجار بأخيه ولكنه ينتظر حين ينفرد به وسيريه السخط كيف يكون، قالت له العنوان بشفتين مرتجفتين وأعين زائغة فأخرج هاتفه وأجرى اتصال بأحد رجالهم وفي ظرف دقائق قصيرة كان أمامه وطلب منه أن يجلس بصحبتها ولا يتركها إلا حين يأتي هو ،فعارض أسيد بشدة وبرز عن عروقه فسحبه من يده للخارج يقول بغلظة :

أسيد إنت مش فاهم حاجة خلينا نمسك ... ده وبعدين هفهمك كل حاجة _ يلا

تأفف بقوة ودماءه تغلي في عروقه وقرر الانتظار حتى يفهم كل شئ كما قال له وبعد ذلك هو على يقين أنه سيخرج شحنة سخطه المكتظة لسبب قوي .

***

تقف في متنصف الشارع وبرغم المارة في الطريق من يساره ويمينه تخاف كطفل صغير يخشي أن يضيع أمه أو يخطتف على يد اللصوص ، وفي لحظة جال بخاطرها كل شئ منذ بداية حادثها وخطف معتز لها فسرت نفضة في جسدها من الخوف وكُلما تلوح لها مجموعة من الشباب تسير في الطريق من بعيد ترجع للوراء وتختبئ في إي ركن خشية من أن أحدًا يتعرض لها ، وتنظر يمينًا ويسارًا تتفقد السيارات لعلَ السائق الخاص بهم يكون بينهم ، حاولت الاتصال به وكان خارج التغطية بدأت عَبراتها بالسقوط وإخذت تحاول الاتصال بأخويه ولكنهم لا يجيبوا فبدأت بالاتصال بريان لعله يكون في المنزل ويأتي لها ، حاولت الاتصال بجميع المنزل حتى بأمها لم تجيبها فلم يكن عساها سوى ملاك عسى يكون أسيد موجود ولم يسمع رنين هاتفه ، أجابتها ملاك بهدوء :

ألو _

: خرج صوتها الباكي والمرتعش قائلة

ملاك أسيد قاعد في البيت ؟ _

انقبض قلبها وتحولت ملامحها للخوف عند ذكرها لاسمه وأول ما جال

: بخاطرها أنه أصابه مكروه فقالت بترقب في قلق

!لا مش قاعد يا أسمى هو في حاجة ولا أيه ؟ _

أنا برا والسواق مجاش لغاية دلوقتي وقاعدة في الشارع وخايفة جدًا _

! ومفيش حد بيرد عليا حتى ريان

وقفت على قدمها بفزع وبتلقائية قالت بخوف وإهتمام جلي ، برغم ما

: تفعله بها لم تكرهها حتى الآن

هو محدش منهم قاعد أصلاً في البيت حتى عمي وجدي طلعوا ، أنا _

مش عارفة إزاي مبيردوش طيب بصي حاولي اتصلي بمروان يمكن يرد

ولو جالك ابقي اتصلي بيا طمنيني هاا!

ردت عليها بالموافقة وأغلقت الاتصال فورًا وأجرت اتصال بمروان لم

يجيب في المرة الأولى فعاودت الاتصال به مُجددًا ، وحمدت ربها عندما أجاب عليها في المرة الثانية فأخبرته بوضعها وكان صوتها يرتجف في خوف فوجدته ينفعل عليها يلومها على خروجها في هذا الوقت وخرج فورًا من المنزل ليذهب لها ، ظلت هي متخفية خلف تلك الشجرة كلص يختبئ من الشرطة ويزيد نفضتها البرد فأخذت أسنانها تحتك ببعضها وتصدر صوتًا ، وأحمر وجهها من البرد والبكاء وهي تحتضن نفسها في محاولة لتتدفء، دقائق وكانت سيارته تقف على مسافة صغيرة منها وحين رآته يترجل فخرجت وأسرعت نحوه لتقابل نظراته الضجرة ، ولكنها فضّلت الشجار في السيارة حين تتدفء قليلاً فاستقلت بها واستقل هو بجوراها ليندفع نحوها سيل من البركان يصيح :

_ إنتي أيه اللي مخرجك دلوقتي !

_ أصل وحدة صحبتي تعبت خالص وأنا روحتلها على المغرب كدا وأتأخرت على أساس إن السواق هياجي ياخدني !

تدفق السيل من كل جهة ليقول لها بصياح أكثر :

_ وهي صحبتك دي مينفعش تروحيلها الصبح وتاجي قبل الليل إنتي عارفة الساعة كام دلوقتي الساعة داخلة على 12 يا أنسة يامحترمة

: هتفت بضيق وصوت حزين وهي تطرق أسفل

_ في أيه يامروان إنت هتخليني أندم إني كلمتك ليه ، أنا لو أعرف إن ده هيحصل مكنتش روحت أصلاً

_ تندمي ! ، ده على أساس إنك لو كلمتي حد من أخواتك كانوا هيرحموكي ، أول وآخر مرة تعمليها يا أسمى فاهمة !

التزمت الصمت لتوضح له امتثالها لأمره ، ومازالت نفضة البرد تعتريها وحين رآها بهذا الوضع شفق قلبه عليها ولم يتردد في نزع سترته عنه وجذّب منديلاً ورقيًا من جيبه يناولهم لها فشكرته بإمتنان ولفت السترة حولها وجففت بالمنديل دموعها ، فأصدر هو تنهيدة حارة في عدم حيلة وانطلق بالسيارة نحو المنزل .

***

دلفا المخزن الصغير وكان هو مكبل بالحبال في الأرض ، يحدق بهم بخوف وارتعاد ، وقف مراد يحملق به مبتسمًا بنظرات شيطانية أما أسيد فاندفع نحوه ولقاه مايستحقه من الضرب واللكمات التي انهالت عليه بالإضافة إلى السباب والألفاظ اللأعنة ، أبتعد عنه بعد أن غرق وجهه بالدماء .. سمع قهقهة مراد يقول بتلذذ :

ده أسيد بس لسا ريان ومروان وعمي وجدي واللي هيعملوه فيك أما _
! أنا بقى فمجهزلك مفاجأة حلوة

: فهم أسيد مقصد أخيه فضحك باستمتاع ليجيب بمكر رجولي
مفاجأة +18 ، بس أنا بقول خلينا نخيره تحب تموت ولا تشوف _
المفاجأة ؟

رمقهم برعب بعد أن وصل إلى زهنه مايقصداه ، وازدرد ريقه بخوف ، بعد أن اتخذ التوتر موضعه على وجهه ، ينقل نظره بينهما بارتعاد من مما يخططان له ، لم يكن يعتقد أنهم بسهولة سيصلون له هكذا في خلال : يومين ، وقفت الكلمات في حلقه حين وجد مراد يهتف ضاحكًا
! واضح إنه متشوق يشوف المفاجأة _

:صاح أسيد على أحد الرجال ليأتي له ركضًا يقول برسمية
أؤمر يابيه _

رتب على كتفه ويغمغم بنبرة رجولية صارمة يصدر أمر لا رجعة فيه :بلهجة خاصة لم يفهمه سواهم
! إنت عارف هتعمل أيه _

نظر الرجل إلى إسلام مبتسمًا بمكر يتذكر تلك الجملة عندما هتف بها له يامره بنفس الأمر عندما كان أكرم في نفس المكان ولكن اليوم يبدو أنه يوصي توصية خاصة وسيلبي أمر سيده ، اقترب مراد منه ولكمه بقدمه في معدته بقوة جعله يصرخ متألمًا ثُم اندفع خلف أخيه الذي غادر فورًا بعد أن أصدر الأمر،انتظره بالخارج وقال له بحزم:

مين اللي روحلتها دي يامراد _

وحدة كنت أعرفها وأتضح أنها متفقة مع إسلام في اللي حصل _

بوجه مترقب ونبرة ازدراء قال :

تعرفها إزاي يامراد ، نهارك طين لو طلع اللي في دماغي ! _

بعدم أكتراث قال وهو يقف بثبات :

بظبط هو ده اللي في دماغك ! ، بس كلام ده كان من فترة ودلوقتي خلاص _

هاجت عواصفه ؛ لسماعه لتلك الكلمات التي يتفوه بها بثبات وعدم مبالة وكإنها شئ عادي ، يخبره أنه كان على علاقة بها وينطق بها أمامه بدون

خجل ، كيف يفعل هذا ألا يخاف عقاب الله ! ، أم أنه انساق خلف شهواته بدون قيد بسبب ماحدث معه وكان فريسة سهلة لشيطانه ، لم يتمكن من حجب نفسه عنه فوجه له لكمة قادية كادت أن تبرح به أرضًا ، رمق مراد أخيه شرزًا وأنتصب في وقفته وهم بأن يجيبه ويتطاول عليه بالكلام جراء فعلته فنزلت يده بلكمة أخرى على وجهه سالت على أثرها دماء فمه وأنفه وهو يصيح به منفعلاً :

_ دي أقل حاجة ، وكان واضح إنك محتاج ده من زمان يمكن تفوق من ... اللي بتعملها دي

اقترب منه تلك المرة مراد وبدون سابق إندار ضرب أخيه بلكمة يسد ما أعطاه أياه وهو يهتف بغضب هادر :

_ حاجة متخصكش أعمل اللي أنا عايزه يا أسيد أنا مش صغير فاهم !

ثارت نفسه أكثر وتوهجت نيرانه عندما مد يده عليه ، واغار عليه يوجه له لكمات متتالية حتى كاد أن يسقط أرضًا بدون شفقة منه ورحمة ليصرخ به بتحذير ونبرة مخيفة :

_ بتمد إيدك عليا يامراد ، هو ده اللي ناقص كمان ، وحياة أمي لو شميت خبر إن اللي كنت بتعمله ده رجعلته تاني لأكون كاسرلك رجلك المرة دي ومقعدك في السرير ومش هعمل حساب لا لقيمتك ولا مكانتك قدام حد لأن

دي حاجة متتسكتش عليها ولو كنت صاحب بيت ومعاك عيال كنت هعمل فيك كدا قدامهم ، ده مش هزار يازفت الطين ده زنا فاهم يعني أيه وإنت مش هامك حاجة واحد زيك المفروض يقضي بقية حياته يستغفر ربه إنه يسامحه على الذنب ده ، ولغاية ماتعرف غلطك وتتوب لربك انسي إنك ليك أخ اسمه أسيد !

***

ساعات قليلة وعاد للمنزل منه إلى غرفته، كانت تمدد جسدها على الأريكة انتظرته لساعات طويلة وهي تحارب سلطان النوم في معركة قوية وفي النهاية انتصر هو واستسلمت هي للهزيمة،تقدم نحوها وجلس على الطرف بجوراها يتأملها بتمعن،ارتكبت ذنب في حقه وتركته بين الحياة والموت في نصف الطريق وكان أمامه طريق الوسط مسدود لم يكن أمامه سوى اليسار أو اليمين،أما أن يكمل حياته ويعيش على ذكرى حبيبته وزوجته ويرفض الفرصة في أن يعيش حياة زوجية سعيدة ويصبح لديه ابناء ، وأما أن يسلم لها قلبه ويترك ذمام الأمور في يديها تحرك الرياح الربان وسفينته على مكان ما تريد حتى وإن كانت جزيرة معزولة لا يوجد بها سواهم ، بالفعل بدأت تتحكم الرياح به ولكن مازال الربان يعافرها ويرفض أن يضيع في البحر الواسع ليستقر به الأمر أن تستقر سفينته في أرض لا يعرفها ويجهل حتى لهجتها فتتحدث هي بالنيابة عنه وترشده

للأماكن التي تريدها فقط ، الآن هو كمريض يرفض تناول الدواء الذي سيشفي قلبه ويلملم أشلاءه ، يرفض أن يدع الزمام في يدها تعالجه وتعيد لقلبه نشاطه وحيويته ، أن تجمع أشلاء قلبها المتبقية مع أشلاء قلبه الموجودة ويكونا قلب واحد نصف منها والنصف الآخر منه ، يرفض أن تجتمع روحهم في قلب واحد وأن يصبح بينهم حلقة وصل تدعى أطفال ، ولكن هل سيصمد القلب كثيرًا أمام هذا الإلحاح ! ، سيكفتي بقربه منها دون أن تلتحم روحهم معًا ، نعم سيواجه صعوبة في السيطرة على رغبته في قربه منها وأن تكون له وزوجته أمام الله قبل الجميع ولكن سيحاول في النجاح . مد يده لشعرها يمرر أصابعه عليه ولكنه تراجع يفكر بتردد للحظات ثُم لعن كل شئ وعاد بيده تلك المرة ليلمس شعرها برقة وينحني يطبع قبلة متألمة ومتحسرة على جبينها يبث بها كل شوقه وعشقه الذي كان نقطة فاصلة في حياته جعل حياته تنقلب رأسًا على عقب ، أكثر ما يزرف قلبه الدماء هو إنها زوجته وحلاله ولا يستطيع أن يقترب منها أو يتخطي الحاجز . حملها على ذراعيها ووضعها على الفراش برفق ثُم بدأ في تبديل في ملابسه فتململت هي في فراشها وفتحت عيناها لتقول بصوت يغالبه النعاس :

إنت إمتى جيت يا أُسيد ؟ _

! دلوقتي ، كلتي وأخدتي العلاج ولا لا _

: إماءت برقة وتمتمت بإهتمام

وإنت أكلت ؟ _

: هز رأسه بالنفي يجيبها بصلابة

! مش جعان كملي نوم ياملاك _

تعجبت من طريقته الحازمة ورجحت أن هناك شئ يزعجه ، نهضت من الفراش وتوجهت نحوه تقول بهدوء في تدقيق :

إنت مدايق من أيه ؟ _

: وجد نفسه من دون أن يشعر يردف بقسوة عارمة غير مبالي لوضعها

مش مدايق ، وأظن إنتي سمعتي قولت أيه روحي كملي نومك يلا _ ومتكتريش الكلام معايا

فتحت فمها تستعد لأن تجيب على كلامها في براءة وحسن نية فتابع هو بنبرة شبه مرتفعة وجافة :

ملاااك أنا مش عايز أزعلك مني اسمعي الكلام ونامي ولو مش عايزة _ تنامي يبقى مسمعش نَفسِك

طالعته بذهول من طريقته فليس من عادته أن يعاملها بقسوة هكذا إلا إذا كانت هي ارتكبت خطأ ويعاقبها عليه ، " هل أخطأت في شئ من دون أن انتبه له " كانت تسأل نفسها بحيرة ولكن كلامته كانت قاسية جدًا عليها فالتزمت الصمت وعادت لفراشها تتدثر بالغطاء لأعلى رأسها وتبدأ بالبكاء الصامت من أسفل الغطاء حتى غلبها النوم مُجددًا ونامت ، دقائق قصيرة وشعر هو بالندم لطريقته في الحديث معها وقرر أن يعتذر منها ولا يتركها تنام الليلة وهي تبكي ولكنه تأخر فقد غاصت في النوم ودموعها على وجنتيها لعن نفسه ألف مرة وهمس بداخله قائلاً " ماذا فعلت يا أحمق " .

***

فتح عيناه بانزعاج عندما تسللت أشعة الشمس لعينه عبر النافذة ففرك عيناه بيده قائلاً بخنق :

اقفلي الشباك ده ياملاك ؟ _

اجابته بامتعاض :

لا مش هقفله و أساسًا ده معاد شغلك إنت مش رايح ولا أيه ؟ _!

تأفف بضيق ونهض من الفراش متوجهًا نحو المرحاض ليأخذ حمامه

الصباحي ثُم خرج وهو يجفف شعره بالمنشفة يتعمد سؤالها وخلق حديث معها وهو يقول :

صحيتي إمتى ؟ _

لم تنظر له وشغلت نفسها بترتيب الفراش لتتشدق بمضض : من ساعة ، أحضرلك الفطار ؟ _

ابتسم بلؤم بعد أن تأكد من غضبها منه وقال بنعومة : إنتي لو بتقوليها بالطريقة دي يبقى مش عايز أكل خلاص ، ثانية إنتي _ بتعملي أيه أصلاً اقعدي ومتعمليش حاجة ياملاك

تعمدت تجاهله وأكملت ما بدأت به دون أن تجيبه فاقترب منها بعد أن تنهد بقوة ووقف خلفها يحملق بها بهدوء ثُم انحنى لمستواها وبنيتها القصيرة طابعًا قبلته على وجنتها ويهمس بحنو :

أنا أسف متزعليش مني عارف إني غلطت امبارح لما كلمتك كدا بس _ غصب عني كنت مدايق طبيعي ومقدرتش أتحكم في نفسي

أربكتها قبلته وجعلت الحمرة تصعد لوجهها فورًا وتتسارع أنفاسها ، نعم لم تكن المرة الأولى التي يقبلها من وجنتها ولكن تلك المرة مختلفة عن

: سابقها ، أحكمت مشاعرها والتفتت له تصيح منذرة بغضب

كنت قادر تقولي أنا مدايق ياملاك وسبيني وحدي ، ومتقربش مني لو _ سمحتي تاني!

اقترب أكثر بنظرات شيطانية فتراجعت هي للخلف وسمعته يردف بتلذذ

: لئيم

براحتي أقرب مقربش إنتي متقدريش تمنعيني _

ارتجفت باضطراب من نظراته ونبرته فجحظت عيناها وهي تطالعه بترقب

: وخوف بسيط لتقول بصوت شبه مرتعش

! أقدر يا أسيد وأبعد من فضلك _

يفقد سيطرته في التحكم بمشاعره حين يكون أمامها ، في غيابها يقسم ويعطي الوعود بأنه سيضع حدود بينهم ولكنه ينهزم شر هزيمة أمامها ولن يتمكن من حجب نفسه عن ذلك الملاك ! .. تراجعت هي للخلف أكثر حتى اصطدمت بالفراش فسقطت جالسة تطالعه بارتباك وحين وجدته ينحني نحوها فشهقت بهلع وظنت بعقليتها الطفولية أنه سيقبلها فدفنت وجهها بين كفيها من فرط خجلها ، وحين سمعت صوت ضحكته الرجولية

: وهو يقول ضاحكًا

_ مالك ياملاك مش هضربك متقلقيش يعني !

: رفعت نظرها له وقالت بتوتر وهي تهز رأسها بتنافر وخنق

_ لا لا مش كدا أصل أنا اتوقعت حاجة تاني متاخدش في بالك

دقق النظر بها لبرهة يحاول اختراق عقليتها حتى تمكن من فهم مقصدها : فاقترب منها أكثر حتى كاد أن يلتصق بها ليجيبها باستمتاع بخجلها

_ اتوقعتي أيه بقى !؟

رفعت سبابتها في وجهه تتخذ طريقة التهديد الفاشلة تتصنع السخط : والازدراء منه

_ أسيد أبعد عني لو سمحت ، أنا مكنتش بزعل منك لما تتعصب عليا إني ! عارفة إن أنا اللي غلطانة لكن امبارح إنت اللي غلطان ، أبعد يلا

طريقتها أثارت غيظة وهيجت عاطفته في معاندتها أكثر ، تتطلع له بتحدى وينعكس من ثنايا تلك العينان العسليتين نظرات رغبة وشغف وحده تمكن من رؤيتهم ، تعاند قلبها قبل معاندته هو ، في الواقع هي لا تختلف عنه كثيرًا فكلاهما يعقدان الوثائق لإقامة الحرب ضد بعضهم ، ولكنها تحارب قلبها لخوفها من أن تستمر في هذه الكذبة وتنتهي بالنهاية بأنها تغادر

أول فرد في الفريق خاسرة ، وهو يحارب اضطرابه بين نسيان زوجته أو تأسيس حياة جديدة .. تقول الآن أنه أخطأ الأمس وهو لا يستطيع حتى تركها حزينة منه وإن كانت هي المخطئة يذهب ويعتذر منها ، ألا تستطيع تحمله في وقت شدته وغضبه إن لم تكن هي جانبه من سيكون ، شعر بكلماتها في ثنايا فؤاده تنغزه نغز وقرر عدم الضغط عليها فانتصب في وقفته بصلابة وقال بخشونة :

! ماشي ياملاك براحتك_

تابعته وهو يتجه للمرحاض وانشطر قلبها بشدة وراودها شعور بالندم ، كانت تريد أن تشعر بدلاله ورغبته بها أن ترى حنانه ومشاكسته ، كان سيكفيها منذ البداية حين إعتذر منها ولكن أصرت على معاندته حتى تخلق جوًا لطيف بينهم وفي النهاية كانت ستعلن انهزامها من البداية ! وأتضح أنها لم تنجح في أمور النساء الماكرة وفشلت وانقلب السحر على الساحر . ! وأصبح الآن هو المنزعج منها

***

يتأمل هيئته ووجه الذي ظهرت البقع الحمراء أسفل عيناه وبجانب فمه بسبب ماتلقاه على يد أخيه ، كان فعل قاسيًا منه وبرغم ما فعله به لم يتمكن من رد الصاع صاعين لم تطاوعه يده بأن يعادي أخيه ، فهو كان

له الصديق والأخ والأب ولكنه لم يحجب غضبه منه وزمجرته حتى وإن لم يظهرها بالعنف مثله فسيظهرها بطريقته ، ارتدي سترته وغادر غرفته فرأى زوجة عمه تخرج من غرفة سارة فيقول لها بهدوء : سارة عاملة أيه دلوقتي ! _

زينة الحمدلله بدأت تاكل وتتكلم شوية _

طيب أقدر أدخل عايزة أكلمها في حاجة ضروري معلش يامرات عمي _

حملقت بهيئته ومنظره بريبة تتساءل بداخلها بمكر " ترى من فعل هذا به ؟! " ولكن لم تسأله ماذا به فقد فضلت عدم التدخل ورمقته من أعلاه إلى أحمص قدمه بتدقيق ثُم دخلت لابنتها وبعد ثوانٍ سمحت له بالدخول ، فجذب مقعد وجلس أمام فراشها وقع نظرها عليه ورأت العلامات في وجهه فبتلقائية خرج صوت ضعيف يكاد لا يسمع وهي تهمس بتساءل : مال وشك ؟ _

تراقص قلبه وأعلن الفرح لسماعه لصوتها الذي تحرق شوقًا لسماعه ، تلك دعوة صريحة منها لجعله يضمها بقوة يظهر مدى سعادته بتحسن حالتها قليلاً ولكن أتت الدعوة في غير معادها المناسب فاكتفى بابتسامته

: الجميلة يقول

! مفيش حاجة ياسارة أنا كويس _

: تنهد الصعداء ليكمل بجدية

أنا وعدتك إني في خلال يومين هجبلك ... اللي عمل كدا سواء سمعتي _ وعدي أو لا بس أنا وعدتك ووفيت بوعدي مش حابة تاجي تشوفيه وهو بيتعذب قدامك ؟

رآت قسمات وجه أمها المندهشة ولكنها سرعان ماهطلت عبراتها بغزارة

: وهزت رأسها بإعتراض عنيف تقول ببكاء

مش عايزة أشوف حد يامراد ، كفاية إن البني إدم ده يفضل بعيد عني _

: ثبت نظره في عينها يردف بثقة ونبرة رجولية صارمة

مفيش حد هيقدر يقربلك بعد كدا طول ما احنا موجدين ، على العموم _ براحتك مش هغصب عليكي

: هب واقفًا واستدار لتوقفه أشجان قبل أن يغادر تقول بغل

ريان وعمك عرفوا بمكان اللي ميتسمى ده _

هقولهم دلوقتي يامرات عمي ، أنتوا هترجعوا البلد إمتى ؟ _

بكرة إن شاء الله _

الوقت يضيق عليه سينهي ماعزم عليه ليلة أمس اليوم قبل أن يغادروا لن يسمح بضياع وقت أكثر من هذا .

***

هرولت زمردة نحو الباب عندما سمعت الرنين لتفتح وصدمت بجدها أمامها ، تمسىت تحملق به بصمت للحظات حتى قال هو بحنو : كيفك يابتي ؟ _!

ابتسمت في داخلها بسخرية ياله من ظالم لم تختلف عن ملاك ومن يرى معاملته لملاك يقول أنهم أعداء وأبيها تزوج أمها بدون علم أحد ، ولكنه من الغريب أنه لم يبدي ردة فعل قاسية نحوها مثل ملاك .. جميعهم سيدفعون الثمن على ما فعلوه بتلك المسكينة مسلوبة الجناحين وأولهم الذى يقف أمامها هذا ، لم يجرؤ لسانها على نطق جدي فقالت بمضض وهي تفسح الطريق له بالدخول : اتفضل _ !

مروان قاعد ؟ _

قاعد في الحمام ثانية هستعجله _

تركته وغادرت تاركة أياه يحملق في المنزل بتفحص ويجوله يتفحص كل شئ به أما أحلام فرفضت الخروج له وفضلت المكوث في غرفتها . دقائق وأنضم إليه مروان يطالعه بحيرة منعكسة على محياه وسؤاله :

خير ياجدي في حاجة ولا أيه ! _

اجابه بهدوء تام :

لا مفيش ياولدي اقعد عايز أكلمك في موضوع إكده _

جلس بجوراه يحجده بريبة يحثه على البدء في الموضوع بسرعة فقد انتابه الفضول حوله ، ما الذى سيجلبه لهم في الصباح الباكر هكذا إلا إذا مان أمر هام . تنفس الصعداء باسترخاء ثم طفق يقول منخرطًا في جوف الحديث :

مش كفياك عاد ولا أيه ياولدي مش ناوي ترجع بيت أبوك ، تعالَ _ واقعدوا وسطينا بدل ما أنتوا قاعدين وحديكم إكده

: لم يكن الأمر بتلك الخطورة كما كان يظن فزفر بخنق وقال بأصرار

_ احنا اتكلمنا في الموضوع ده ياجدي وأنا مش مستعد أهين أمي علشان حد قعادنا إهنه أفضل لينا

_ ياولدي إهانة أيه بس ، طاب وعد مني لو حصل أي حاجة من مرات عمك لأمك لأكون أنا االي متصدرلها لكن تعالوا البيت تاني وحتى أختك تعيش وسطينا ولا أيه رأيك إنت ؟

أيقن أنه لم يتمكن من الهروب من جده بأي شكل أو طريقة حتى فقال بنفاذ صبر ممزوج بالاقتضاب :

_ جدي متغصبش عليا ، أنا مش عايز مشاكل مابين حد بسببنا خلينا بعاد إكده أحسن ورغم كدا هشوف أمي لو وافقت أوعدك هنرجع لأن أمي هي اللي هتقرر في الموضوع ده مش أنا

هب واقفًا يضرب بعصاه الغليظة الأرض مبتسمًا وهو يرتب على كتفه قائلاً بسعادة :

_ ماشي ياولدي رد عليا بليل علشان لو إكده ترجعوا معانا الصبح

نغزه بنظره المختنق ولم يود إظهار سخطه وضجره منهم جميعًا ولكن سيفعل مثلما قال إن وافقت أمه فهو لن يكن لديه مشكلة من الأثاث معهم ، غادر بسببها وإن عاد سيعود بسببها أيضًا ! .

***

انتظرته الليل كله وهو لم يأتي بعد قاربت الساعة على الثانية عشر بعد منتصف الليل ، هل يتعمد التأخير ياترى أم أنه لديه أعمال بالفعل قدت الدقائق الطويلة وهي تتساءل عن سبب تأخره روادتها فكرة سخيفة بعقلها أن تتصل به ولكنها رفضتها تمامًا ، ظلت تسير يمينًا ويسارًا بغيظ وانفعال .. أقسمت أنها ستلقنه الدرس على مايفعله معها عمدًا ، إن كان هو يعاقبها فسيكون عقابها أقسى ، بدأت بتبديل ملابسها وارظت شئ أنثوي رقيق يظهر قوتها ونضارتها وتركت شعرها ينسدل على كتفيها بانسيابية ، بدت كحورية شديدة البياض والجمال والرقة ، ستتخذ طريقًا مغايرًا في معاملتها معه ستكون هي صاحبة التجاهل وليس هو ستعلمه كيف يعاندها ويتجاهلها كنكرة في وسط السطر والكلام ، جلست على فراشها تقرأ في أحد كتب الروايات القديمة ومرت ساعة أخرى وهي تجلس على جمرة نار تنهشها الوساوس كلما يمر الوقت أكثر حتى وصل بها الأمر إلى التفكير في الزواج مُجددًا وهي تقول في قرارة نفسها " هل تزوج علىّ وهو معها الآن ! " عادت تلعن تلك الفكرة الحمقاء مثلها لا

يعقل أن يتزوج عليها . مرت نصف ساعة أخرى وفقدت كل دقائب الانتظار لديها فقضبت على هاتفها وهمت بالاتصال به وإذا هو يهل عليها من خلف الباب أنزلت الهاتف من على أذنها بتوتر بسيط جين سألها بخفوت :

بتتصلي بمين ؟ _

لم تجد ما تسعفه من الكلمات وكأن جميع الكلمات سقطت ضريحة في طريقها لشفتيها ، ولكن أسعف عقلها بعض الكلمات السليمة لعقلها فنقولهم بثبات في خنق :

هكون بتصل بمين يعنى كنت بتصل بزمردة أطمن عليها ! _

لا تعرف أنها تفشل في كل شئ وأولهم الكذب فلا تستطيع الكذب وبالأخص عليه ، بدون أن تقول علم أنها كانت تتصل به فحجب ابتسامته وطالعه بتفحص لهيئتها الجذابة ومن نظرته رجحت أنه سيحاول مداعبتها والاقتراب منها وهنا سيأتي دورها هي ، ولكنها لم تعرف أن ما أمامها رجل لا تؤثر به أغلب المثيرات الخارجية وأولهم مثير اللذة والرغبة الذي تتخذه طريقًا ، لا تثيره سوى منبهات معينة بإرادته وإن أثارته فبمهارة يتحكم بها وبالفعل هي كانت مثير جيد جدًا لتحريك جميع حواسه ولكن أظهر الجمود وعدم الإهتمام لها ، خرج شعاع ناري من عيناها لبروده

المستفز وجلست على الفراش وأمسكت بالكتاب تدفن نظرها به تتصنع القراءة وقدماها تخبط في الأرض بحركة لا إرداية منها من فرط غيظها ، كاد أن ينفجر ضاحكًا وهو يخطف نظرات في لؤم فيرى منظرها هذا ، حك ذقنه الكثيفة وهتف بمكر دفين :

لكن أيه المناسبة ياملاك هانم متشيكة كدا قوليلي _

وهو لازم يكون في مناسبة _

التفت وسار نحوها قائلاً بنبرة ماكرة :

لا اصلك ما شاء الله زي القمر _

خدعها بسهولة وفرحت لنجاح خطتها لم تكن تعرف أنه يستدرجها لمصلحته الشخصية رفعت رأيها بشموخ وأخفت خجلها لتجيبه بثقة :

أنا طول عمري قمر أساسًا مش النهردا بس ! _

التوى فمه بابتسامة خبيثة فاقترب منها بشدة وانحنى نحوها بنظرات ثابتة فتراجعت هي للخلف فورًا في إرتعاد وهتفت بغضب :

في أيه أبعد عني كدا ! _

نزع ساعة اليد خاصته ووضعها على المنضدة بجوراها ليقول ببراءة :

مزيفة

إنتي اللي في أيه أنا بحط الساعة ! ، إنتي دايمًا بتفهميني غلط كدا _ صفي النية ياروحي

حدجته شرزًا أوشكت على أن تقبض على رقبته وتخنقه حتى الموت ذلك الماكر ، يلعب على أوتارها ويخدعها بمهارته الخبيثة ، ككل مرة ينتصر عليها إنتصارًا عظيمًا ، وأتضح أنها لا تساوي شئ أمام لؤمه ومهارته ستتعلم منه من الآن وصاعدًا فهو أفضل شخص تأخذ منه المعلومة .

وجدته بنتصب في وقفته ويقول مبتسمًا بنعومة :

لا بس عجبتني ثقتك في نفسك استمري على الوضع ده خليكي دايمًا _ كدا واثقة من نفسك ليكي مستقبل عظيم فيما بعد !

كاد صف أسنانه أن يتكسر كله من شدة الضغط عليه وعقلها يعطي إشارات متتالية ليدها بأن تقبض على رقبته وتخنقه ولم تختفي بهذا بل تنعز أسنانها المتشوقة لا إلتهام فريستها في أي جزء تطوله منه ! .. رآته وهو يبتسم بمكر متجهًا للمرحاض فتوعدت له تلك المرة بشئ لم يستطيع الصمود أمامه ستجعله يشتعل بنيران الغيرة ! .

***

دقائق وسمعت ملاك صوت طرق على الباب ، تعجبت بشدة فمن سيكون مستيقظ لتلك الساعة في المنزل ، ارتدت عبائه سريعًا ووضعت حجابها على شعرها وذهبت لتفتح لتتصدم بها أمامها تقف بتعب واضح على محياها فهتفت بدهشة :

سارة _ !!

الفصل الواحد والعشرون

أطالت النظر إليها وهي تتعجب من مجيئها في هذا الوقت وبخروجها من غرفتها فقد اعتكفت الغرفة منذ ما حدث ، خرج صوت سارة الضعيف وهي تقول :

_ أسيد قاعد ؟

أجابت بريبة شديدة تندلي على قسمات وجهها :

_ أيوة قاعد ياسارة ، إنتي كويسة فيكي حاجة ؟

هزت رأسها بالنفي بهدوء لتعود تقول بخفوت :

_ اندهيه ياملاك معلش !

التفتت خلفها ليقع نظرها على المرحاض وكادت أن تذهب وتستعجله في الخروج فوجدته هو خرج ، وحين رآى سارة أتخذت الدهشة مكانها على وجهه وأسرع في خطاه نحوها يقول بقلق :

_ مالك ياسارة إنتي كويسة ؟

اكتفت بالإماءة في إيجاب لتتمتم بخوف دفين :

_ مراد قال لريان وبابا على مكان إسلام روح ألحقهم قبل مايعملوا حاجة أرجوك يا أسيد ، أنا كدا كدا بلغت البوليس أصلاً بس برضوا إنت روح !

أثارت جنونه بجملتها الأخيرة ليزمجر بصوت شبه مرتفع :

_ بلغتي البوليس إيه ياسارة إنتي مجنونة احنا عايزين الموضوع ميوصلش لحد وبنحاول نخبيه تقومي تتصلي بالبوليس ، إنتي عايز تجنني !!

شعر بيد زوجته على كتفه وهي ترمقه بنظرة حادة وكأنها تأمره أن يخفض نبرة صوته فهي في وضعها هذا لن تتحمل سخطه وخرج صوتها القوي تقول :

_ خلاص يا أسيد روح البس والحقهم بعدين نبقى نشوف الموضوع ده

زفر النيران من بين شفتيه مستديرًا ومتجهًا للداخل يقول بضجر :

_ الحق أيه بقى ما البوليس هيسبقني خلاص !

تركته يرتدي ملابسه وأغلقت الباب واصطحبتها إلى غرفتها فرآت الدموع المتجمعة في عيناها يتسابقون حول من ينزل الأول فضمتها وعانقتها مغمغمة بصوت حنون :

_ سارة ياحبيبتي متزعليش من أسيد هو ميقصدش غصب عنه اتعصب عليكي

تشبتت بملابسها وبدأت تشهق باكية ودموعها تنهمر كشلال مياه فظلت تحاول تهدئتها بكل الطرق حتى هتفت أخيرًا بارتجافة صوتها :

_ أنا مش مدايقة من أسيد ده رد فعل طبيعي منه ياملاك ، أنا ببكي على حالي وفي نفس الوقت من خوفي على ريان ومراد وبابا مش عايزاهم يعملوا حركة متهورة بسببي أنا محتاجهم جمبي ومش حمل خسارة حاجة تاني علشان كدا اتصلت بالبوليس

مررت يدها على ظهرها برقة ثُم أبعدتها عنها هامسة بتفاءل جميل :

_ مفيش خسارة تاني كل اللي جاي بإذن الله انتصار وفرح ، وربنا هيعوضك خلي عندك ثقة في كدا ، أنا عايزاكي توعديني بحاجة لو رجعوا كويسين والحيوان ده أخد عقابه

حدجتها بحيرة في فضول تطلب منها الاسترسال في الحديث ، وعقلها يتساءل حول ماهو هذا الوعد فلبت طلب عقلها في التعرف عليه وهي تقول بحماس :

_ هقنع أسيد وريان والباقي إننا نطلع في رحلة وإنتي هتطلعي معانا

توعديني إنك توافقي لو حصل اللي قولتلك عليه ؟

همت بأن تجيبها بالرفض وحين وجدت محياها تحولت للغضب والضيق فسلمت أمرها لله وقالت بعدم حيلة :

_ أنا مش عايزة أروح أي مكان ياملاك ومش طايقة أشوف أي حد والله ، بس علشان خاطرك ماشي

فرحت بشدة لموافقتها فتلك هي أولى المراحل لخروجها من هذا الظلام ، ستخرجها من الحفرة المظلمة التي وقعت بها ، كانت كلما تنظر بجوراها لا ترى سوى الظلام ، حكّم عليها واقعها الأليم أن تدفن نفسها في الظلام ولكن لا يجب أن تستسلم له بسهولة ، فهي استسلمت له ولم يخرجها منه سوى أسيد ، بقيت فيه سنوات حياتها حتى أوشك على قتلها بالفعل ، كان على وشك أن يدفنها بأرضها ولن تستطيع الخروج منه مهما حاولت ، والآن هي لا تريدها أن ترتكب نفس الجرم تريدها أن تحارب من أجل حياتها . عانقتها بحنان وقالت برقة :

_ جدعة هو ده القرار الصح ، يلا نامي وارتاحي ومتقلقيش عليهم إن شاء الله مش هيحصل حاجة

طالعتها بجمود ليس جمود ملامح فقط بل جمود فكري فقد انشلت حركة

عقلها وتوقف عن التفكير بأي شئ ، فقابلته هي بحبٌ وغادرت تاركة أياها تتخبط في ظلامها الدامس ! .

***

كأنه حيوان مفترس لا يعي شئ سوى الانقضاض على فريسته ، كان هو كذلك ينهال عليه بالصفعات والألفاظ لعلها تخفف من نيران العرض المشتعلة داخله وكان يشاركه في هذا أبيه الذي نيرانه لا تختلف في توهجها عنه ، ذلك الوغد الذي بين يديهم أفقد ابنتهم حياتها وشرفها إن كان أحدهم أنعم الله عليه بالعقل والرزانة فالأخر سُلب منه عقله ولن يخرج من هنا إلا حين يشبع ناظريه بدمائه ، دماء قتله ! . حاول مراد إبعاد أحدهم عنه ولكن فشله حيث كان ريان يدفعه بعنف بعيد عنه ويصرخ به قائلاً :

_ أبعد يامراد عني السعادي ال... مش هسيبه إلا لما أخد روحه بأيدي !

زفر بعدم حيلة واستدار ليمسح على شعره نزولاً إلى وجهه متأففًا وتصلب بأرضه حين سمع قول ريان الذي يحمل الحقد والغل :

_ أي كان اللي خلاك تعمل كدا سواء كنت متفق مع حد أو لإنك واحد ... دي حاجة متخصنيش كل اللي أعرفه دلوقتي إنك تتشاهد لعلَ وعسى ربنا يغفرلك !

استدار بجسده ناحيته فورًا وجحظت عيناه عندما وجده يخرج سلاحه من جيبه ويصوبه بإتجاه رأسه . حتمًا فقد عقله ، إن فعلها سيقضي ما تبقى من حياته في السجن خلف القضبان ! ، كان هو سيفعل مثله ولكن عاد لشرده وأدرك أن موته لن يفيده بشئ سيجعله يدفع الثمن ولكن بعذاب أصعب وأقسى . هرول نحوه وحاول انتزاع السلاح من يده صائحًا به بغضب :

_ ريان إنت اتجنيت نزل اللي في إيدك ده !

تحدث ثروت في تلك اللحظة قائلاً بازدراء :

_ إيه عايزنا نسيب شرفنا يندلس عليه بالرجلين على الأرض ولا إيه يامراد ، ده أقل حاجة نعملها مع ...

قطع حديثهم اقتحام الشرط المكان وبدون لحظة للتفكير حتى أنزل مراد يد ريان ونزع السلاح منه وخبئه خلف ظهره ، تبادلا الثلاثة النظرات المتحدثة " من الذي اتصل بالشرطة " وكانت نظراتهم تجيب بـ " لا نعرف " ، ماذا سيفعلا في ذلك الموقف العصيب ، سقطوا جميعهم في الوادي إن كانوا سيخبرون الشرطة فكان سيكون هناك تخطيط مسبق لكل شئ قبل أن يحدث هذا .. وجدوا الظابط يتحدث بحدة :

_ جالنا بلاغ إن في واحد متهم بقضية اغتصاب موجود هنا !

أتخذ مراد موضع الحديث ليقول بهدوء وهو يشير عليه بأصبعه :

_ أيوة فعلاً موجود أهو احنا مسكناه وحطناه هنا علشان ميهربش لغاية ماتيجوا

تطلع الظابط إلى منظره وحالته المزرية فقد كان شبه فاقد للوعي لا يعي أي شئ من حوله ، غارق في دماء وجهه ! ، ظهرت قسمات الزمجرة على محياه وهتف بغضب في صرامة :

_ مين اللي عمل فيه كدا

تحدث ريان ببرود أعصاب في برود مستفز لا يبالي لأي شئ :

_ أنا عملت كدا حاول يهرب ومسكناه ، ثم إن حضرتك مستني أيه منينا قدام واحد اعتدى على أختي !

_ ده ميدكمش الحق إنكم تعملوا كدا فيه

أجابه ثروت في غيظ وانفعال :

_ كيف يعني ميدناش الحق ده احنا لو نطول كنا قتلناه واصل !

أشار إلى أحد العساكر بأن يحملوه ويدخلوه في عربة الشرطة وطلب منهم القدوم معهم ، فحمد مراد ربه أنهم ام يروا السلاح وإلا كان الأمر سيكون أصعب مما هو الآن . ساروا أمامه وكان هو أخرهم ثم وضعه في بنطاله وخبأه أسفل ملابسه.

***

مضت ساعات مشحونة بجو من الرعب التوتر لدى ملاك ، ومتكظة بالغضب والسخط لديهم حول الفاعل الذي أخبر الشرطة ووضعهم في ذلك الوضع الصعب فقد تم سجنهم مؤقتًا بتهمة الخطف والشروع في قتل ، فإن كان بقي بين يديهم ثوانٍ أخرى لكان الآن بين التراب يترحمون على جثته إذا كان هناك من سيترحم عليه !! . كل منهم يغوص في تفكيره العميق المصاحب للانفعال والاشتعال من الداخل ، يفكر مراد في طريقة لخلاصهم من هذا الوحل ، وريان يستحوذ عليه التفكير حول من الذي أخبرهم ، وثروت يتحسر على عدم قتله والأخذ بحق ابنته وإزالة العار من على جبين الجميع الذي سيلحق بهم . لحظات صغيرة وجاء أحد العساكر يأمرهم بالخروج وأنهم تم إخلاء سبيلهم فلبوا أمره وخرجوا ليجدوا جلوس أسيد على أحد المقاعد دافنًا رأسه بين كفيه وحين رفع نظره لهم هب واقفًا واندفع نحوهم ثائرًا يوجه حديثه لعمه :

_ طاب دول متهورين وعارفين ياعمي وإنت أيه متهور زيهم ، إنت اتجنيت ياريان بترفع السلاح عليه عايز تقتله وتودي نفسك في داهية

_ إنت عملت أيه ياولدي ؟

أجاب على سؤال عمه مندفعًا في غيظ :

_ عملت أيه يعني جبت المحامي وبالعافية قدرنا نقنع وكيل النيابة ونخليه يخلي سبيلكم بدل ما تتعرضوا على النيابة ، لأن مهما كان جريمته إنتوا كأنكم حاولتوا قتله ده كويس أنه ملقيش المسدس اللي كنت ماسكه يا أستاذ

ابتسم ريان بسخرية مردفًا باستنكار :

_ كنت منتظر منينا أيه يا أسيد نطبطب عليه مثلاً ولا نسيبه يمشي

صر على أسنانه وقال منفعلاً في زمجرة عامرة :

_ أه وإنت طبعًا بقيت مجرم رايح تقتله ، على العموم أنا مس هتعب نفسي في الكلام المهم إن الزفت ده ودوه المستشفي ويفوق بس وهيعرضوه على النيابة بعد ما ياخدوا إفادة سارة طبعًا

وكأن ثروت لم يعجبه حديثه فغادر تجمعهم وتركهم ؛ فتأفف أسيد بنفاذ صبر وانصرف خلفه ثم تبعوه هما ، لوهلة شعر مراد بالندم لأنه أخبرهم وكان يجب عليه أن ينهي الأمر بمفرده هو وأخيه ! . مازالت النيران تأكل في جسدهم من الغيظ لم تنطفِئ . ماعزم عليه صباح اليوم لم ينساه بعد وفي صباح الغد قبل مغادرتهم سيظهره للجميع ! .

***

استيقظت في صباح اليوم التالى بعد مساء طويل ومرهق قضته مستيقظة تنتظر عودته ومحاولات عديدة منها للاتصال به وهو لا يجيب ، لم تكن تعرف إن كان يتجاهلها أم لم يكن يملك الوقت ليجيب على الهاتف ، لا تعرف لماذا يفعل معها هكذا ، إن كانت فعلت شئ في حقه يخبرها ! ، هل يعقل جملة قالتها فعلت كل هذا ، جملة خرجت عن دون قصد من بين شفتيها . لم يدرك هو ما جعلها تعيشه بالأمس بسخريته واللعب على مشاعرها حتى وإن كان يعاندها ، في ثوانٍ أظهر لها وضعها من الإعراب وهو نكرة ، أو كجملة إعتراضية وضعت وسط الكلام أو وسط شطر بيت شعر ، إن زالها لن تؤثر على معنى الجملة مطلقًا ، سئمت من كل شئ إلى متى سيرتكب الآخرين أخطاء في حقها وتعود لمسامحتهم ؛ وهي تعود لسبب واحد وهو إنها لا تستطيع حمل كره وحقد تجاه أحد بالأخص إن كان ذلك الشخص تحبه . نظرت بجانبها لتجده نائم بسكون وأنفاس

منتظمة ، فتنفست هي الصعداء بأسى وحزن ونهضت متجهة نحو الحمام ، خرجت فوقع نظرها على دواءها الذي أعلى المنضدة الصغيرة ، اقتربت منه والتقطته تحملق به بتردد ، تفكر في إلقاءه في القمامة وإن حدث شئ وفقدت الحياة فسيكون أفضل ، ولكن عقلها رفض الخضوع مُجددًا من أجل أحد ستعافر وتقاوم كل شئ كما كانت تفعل دومًا ليس هي من تستسلم بسهولة لواقعها وتجعله يحتم عليه الموت ، لم تستسلم إلا في الآوان الأخيرة والآن ستعود كما كانت قوية وتقف على أرض صلبة ستدعس على قلبها مسبب المتاعب هذا وحين يستيقظ ستطلب منه الطلاق ! .

ارتدت حجابها وخرجت تقف على الشرفة تستنشق بعض الهواء النقي فرآت ريان يهم بالصعود بسيارته والرحيل فصاحت منادية عليه طالبة منه أن ينتظرها ستنزل له ، غادرت الغُرفة فورًا وهي لم تفعل هذا عن قصد لتثير جنونه فقد طلبت منه الانتظار بحسن نية كي تخبره بما وعدت سارة به ليلة أمس ، ولم تعرف أنه كان شبه نائم يسمع كل شئ وحين سمعها تطلب منه الانتظار وستنزل له هاجت عواصفه وتأججت الغيرة بداخله ، نهض مم فراشه ووقف يتابعهم من الشرفة .

وقفت أمامه وقالت بخشوع :

_ عامل أيه ياريان ؟

_ الحمدلله ياملاك بخير !

تنهدت بقوة ثم قالت بحماس في عذوبة :

_ أنا امبارح اتكلمت مع سارة والحمدلله قدرت أقنعها أنها توافق لو سافرنا في رحلة أو كدا تاجي معانا ، ودى حاجة كويسة جدًا هتخليها تطلع من اللي هي فيه شوية

ابتسم لها بصفاء في حنو ليقول باقتناع :

_ فكرة حلوة خلاص أنا هظبط موضوع السفر ده وأخدها

أتسعت ابتسامتها بقوة وتشدقت بفرح :

_ تمام وأنا هشوف كمان لو قدرت أروح معاكم ، إنتوا ماشين إمتى صح ؟

_ بليل بإذن الله

أماءت برأسها في هدوء بتفهم ثم ودعها وغادر ليلحق ما كان ذاهب إليه ! ، واستدارت هي وعادت إلى غرفتها لتقابل ثوران عاتي اندفع نحوها يقبض على ذراعها ويجذبها ليغلق الباب ويهتف بشبه صيحة عنيفة :

_ إنتي بتعانديني يعني يا ملاك ، مع إني مليون مرة قولتلك متعاندنيش وأعملي اللي بقولك وإنتي مش بيهمك حاجة ولم بتعصب عليكي بتزعلي !

دفعت يده بعنف وقالت بجفاء متصنع ولكن تلك المرة أتقنته بإحترافية :

_ أنا مبعاندش حد يا أُسيد ، كان في حاجة عايزة أقولها ليه وقولتها

جذبها من ذراعها مرة أخرى يقول بغضب :

_ حاجة دي اللي على الصبح ؟!

نزعت يده بعنف أشد وأردفت ببرود أعصاب :

_ حاجة متخصكش يا أُسيد بيه

_ نعم ياختي !!

قالت وهي تثبت نظرها في عينيه دون أن تحمل ذرة خوف وكأن ملاك الذي يعرفها ذهبت وحلت محلها أخرى ، تحدثه بجفاء وترد عليه بقوة ، من أين أتت بكل تلك القوة ! وزادته دهشة حين قالت بعدم مبالاة ظاهرية ومن الداخل تنزف دمًا وتسكت صوت قلبها الأحمق هذا الذي كان حتى

الأمس يأمل أنه قد يستطيع أن يحصل على قلبه والآن هي أدركت كل الإدراك أنها إن حاولت سنين لن تحصل عليه فلماذا تهدر وقتها في شئ لا جدوى منه :

_ أه متخصكش لأن إنت طبيعي أساسًا هطلقني ، أنا مش عارفة إذا كان قولتلهالك قبل كدا ولا لا يا أسيد بس أنا ندمانة فعلاً إني اتجوزتك واكتشفت إني ضيعت وقت من حياتي على الفاضي كنت قادرة في الوقت ده أعمل فيه حجات كتير بس أنا بغبائي ضيعته ، ودلوقتي أنا بطلب منك الطلاق لأن الصراحة وجودنا مع بعض ملوش أي لزمة وإنت عمرك ماهتقدر تنسى مراتك وحتى لو كملنا مع بعض هتكون عايش معايا جسد بس وقلب مش معايا وأنا أخدت بما فيه الكفاية من الإهمال لما كنت متجوزة أكرم مليت من إني أكون في الخانة التانية !

كلماتها أشبه بسكين مسموم نغزته في ثنايا قلبه ، تندم على زواجها منه بالرغم من أنه كان مازال جرحه ينزف على زوجته وكان يعاملها المعاملة الحسنة التي يجب أن تُعامل بها ، لم يؤذيها لهذا الحد الذي يجعلها تقول أنها تندم ! ، لم ينسى زوجته فعلاً ولكنها لم تكن في الخانة الثانية مطلقًا فقد فرضت نفسها على قلبه وجعلته يُحبها بالفعل فقد أتخذت لنفسها مكانًا لم يختلف عن زوجته ، أجبرته على الوقوع في شباكها عنوة وحتمت عليه حبها ، الآن هو يعيش معها جسد وروح ليس كما تتدعيه أن قلبه

ليس معها ، والآن تطلب الطلاق ولكنه لم يسمح لها بتركه بعد أن استولت على قلبه . هتف بشئ من السخط :

_ مش هطلقك ياملاك

لاحت ابتسامة ساخرة على ثغرها تقول بقسوة :

_ واضح إنك بقيت زي أكرم أهو ، كنت بتحميني منه وإنت بتعمل زيه دلوقتي ، متجاهلني ومش في بالك أساسًا ومش عايز تطلقني ، أيه لتكون زيه كمان عايز تتسلى وتخليني خدامة عندك !!

جعلته ينفعل بشدة بتشبيها له بذلك الوغد ، الذي لم يشبهه هو ولو بذرة بسيطة . صاح بصوت جهوري في انفعال :

_ أنا لو زي أكرم مكنش ده هيبقى حالك ياملاك ، أيه بقيت زيه لم رفضت أطلقك ليه هو أنا بعذبك وأنا معرفش ، بس تمام طلاما إنتي شيفاني زيه فأنا زيه ومش هطلقك وأخبطي راسك في الحيط و أعتبريها زي ماتعتبريها بقى بتسلى ، بعتبرك خدامة مش هتفرق طلاما إنتي شايفة الأمور من المنظور ده

تركها واندفع نحو المرحاض ، فجلست هي على الفراش تبكي بحرقة وأسى ، هي تعلم أنه لم يشبهه قط ولن يكون مثله ولكنها اختارت الكلمات

بقسوة كي تظهر له ما بداخلها من ألم ؛ كي تحاول إظهار ولو ذرة صغيرة من حبها له ورغبتها في شعورها على حبه المتبادل ، ولكنه كالعادة ألقمها بكلماته التي لا تعبر سوى عن أنها مجرد امرأة امتلكها ولا يحمل نحوها سوى الشفقة ! .

***

كانت شاردة في صفاء السماء تجلس على مقعدها الهزاز في مكانها المفضل بحديقة المنزل وبيدها كالعادة كوب الشاي خاصتها ، وتذهب بعقلها لأفكار كثير حتى كادت أن تجن من كثرة التفكير . حين رآها تجلس بمفردها هكذا وتولي ظهرها لكل من يمر من خلفها تنهد بعمق واقترب منها بخطواط بطيئة ، ثم وقف خلفها يحدج بتمعن ينشطر قلبه كلما ينظر لها وهي بعيدة عنه هكذا إلى متى سيظل يكتم ما بداخله ويخفيه عن الجميع بالأخص عنها ، يعشقها بكل ما تحمل الكلمة من معنى وكلما يفكر في إتخاذ خطوة والتقدم لخطبتها يحدث شئ يؤخره مُجددًا .. يتخيلها وهي زوجته وامرأته ، كيف سيستيقظ كل يوم على وجهها الجميل ! ، كيف ستكون معه في كل لحظة وكل يوم ! . أغمض عينيه بأسى ثُم فتحهمَ وغمغم بهدوء :

_ أسمى !

نظرت خلفها فورًا حين أصظر عقلها الإشارة لجسدها بأن يلتفت استجابة للصوت المألوف التي سمعته وحين وقع نظرها عليه قالت بمرح بسيط :

_ أيه يامروان مش تدى إندار حتى خضتني ياعم

لاحت ابتسامة خافتة على ثغره ، كان وجهه بادي عليه قسمات الحزن والتحسر وهو ينظر لها ، لم تراه هكذا من قبل فقطبت حاجبيها وأردفت بقلق :

_ مالك يامروان إنت مدايق من حاجة ولا أيه ؟

_ ياريتها حاجة وحدة بس !

قالها وهو يتأفف بخنق فازداد قلقها أكثر وهتفت بحيرة أشد :

_ طيب ماتقولي مالك مس يمكن أقدر أحل المشكلة دي معاك ماذا يقول ، أيقول أنه يعشقها ويحلم بها نهارًا وليلاً ، يقول أنه يريدها أن تكون معه وبين احضانه دائمًا ؟ ، لن يجد فائدة حتى وإن قال هذا سيكفتي بنظراته الذي يخطفها من الزمن ليتمتع بالنظر إليها ، إلى حين يتقدم لخطبتها من أخويها . تمتم مبتسمًا بشجن :

_ لا دي مشكلة في الشغل متشغليش بالك بيها إنتي

انحنت والتقطت الخاتم خاصته من على المقعد وهي تمد يدها له قائلة بمشاكسة :

_ جيت في وقتك أنا نزلته معايا قولت يمكن تاجي وادهولك وفعلاً جيت ، أمسك تلاقي صحبته طفشت

جذبه منها وأخذ يقلبه بين أصابعه ويقول في قرارة نفسه " من الواضح أن ذلك الخاتم سينتظر كثيرًا حتى يوضع في أصبع صاحبته ! " فارتسمت ابتسامة على وجهه تحمل من الحزن بما يكفي لإحزان قرية بحالها ، وجد أنه من الأفضل إن انصرف من أمامها وفر هاربًا قبل أن يفقد السيطرة على مشاعره الجياشة . فقال بشئ من الإيجاز :

_ طيب هروح أشوف مراد وأسيد علشان في شغل لازم نخلصه قبل ما أمشي بليل !

هزت رأسها بالموافقة في وجه صافي وجميل ، تتساءل عن سبب ضيقه لتلك الدرجة لأبد أنه أمر أشد خطورة من العمل .

***

غادرت ملاك الغرفة واتجهت إلى المطبخ كي تحضر طعام فطورهم هي وزوجها الذي حرصت على تحضيره بنفسها منذ مجيئها هنا ، ستحضر

الطعام ولن تشاركه أياه لأول مرة منذ زواجهم بسبب المشاجرات التي حدثت للتو ، وبينما هي في طريقها قابلت في طريقها تلك الشيطانة المدعوة " أشجان " فتأففت بنفاذ صبر وقررت أن تفعل كما قال لها أسيد أن تتجاهلها ولكن الأخرى لن تنهي المقابلة هكذا فقد قبضت على ذراعها وغرست شعاع عينها بعينها تهمس بنبرة تحمل التهديد والوعيد :

_ لسا يابنت فردوس مشوفتيش مني حاجة هعرفك مين أشجان على حقيقتها اصبري عليا بس

دفعت يدها بعنف حتى أوشكت على السقوط من قوتها وهي تهتف بتحذير مخيف لا بحمل مزاح مُطلقًا :

_ يابجاحتك ياشيخة وكمان ليكي عين تتكلمي وبتهددديني أنا سكت بس علشان ريان وسارة مش علشان خايفة منك ولا حاجة ، ملاك اللي خطفتيها زمان وحاولتي تقتليها وسكتت هي ماتت فعلاً واللي واقفة قدامك دلوقتي وحدة تاني ، وبقولك أهو مش هتنفدي بعملتلك يا أشجان وبحذرك لو حاولتي بس تقربيلي تاني سعتها مش هرحمك وأنا معايا الدليل اللي يثبت إنك حاولتي تقتليني فالأفضل إنك متحاوليش تخوفيني بكلامك ده اللي مش هيأثر معايا نهائي

تجهل من أين استمدت تلك القوة لتتحدث إليها هكذا حتى زوجها لم تخشاه

ولم تراعي مشاعره بعكس مايفعله هو دائمًا ، ربما بسبب ما مرّت به سئمت أن تعيش ضعيفة بدون صوت ستدعس على كل من لا يعيرها أهتمام أو يحاول أذيتها بكعب حذائها ، من اليوم ستظهر ملاك بمظهرها الجديد ، القوي ، والصارم ، الذي لا يسامح بسهولة ولا يعفو في أي شئ ! . اصابتها الدهشة أشجان عندما سمعت كلماتها ورأت طريقتها في التكلم والتهديد ؛ فعُقد لسانها ومن دهشتها وقفت متصلبة بأرضها تشاهدها وهي تتجه نحو المطبخ تحاول استيعاب كلماتها الشرسة ! .

***

ساعات عديدة مرت حتى قاربت الشمس على الغروب ، منذ أن استيقظ لم ينهض من على مكتبه ينهي أعماله ، تأكدت أنه يخرج شحنة غضبه وسخطه بتلك الأعمال لعلها تلهيه عن الحجارة التى ألقتها عليها صباح اليوم واصابت أجزاء متفرقة من جسده ، تعلم أنها كانت قاسية جدًا ولكن أن كتمتها في ثنايا قلبها أكثر من ذلك ستكتم على نفسها وتخنقها .
أشفقت عليه وحضرت قهوته له وصحبتها لمكتبه ، وقفت تحملق به بعد أن فتحت الباب ببطء ، رأته منغمس في الأوراق التي أمامه ، وقسمات وجهه تنم عن نفس غير مطمئنة ، نفس متفجرة من الغيظ والغضب ، وكأن نظراته في تلك الأوراق وعقله في مكان أخر . أصدرت تنهيدة حارة سمعها وتعرف على صاحبها ولكن تجاهلها ولم يرفع نظره حتى ، تقدمت

نحوه ووضعت الكوب أمامه وهتفت بمضض :

_ عملتلك قهوة

خرج صوته الرجولي بجفاء حقيقي وحزم :

_ شيليه مش عايز حاجة منك !

بعد كل ماقالته مازال مُصمم على تجاهلها واستخدام أسلوب الجفاء معها ، وكأن كلماتها لم تؤثر به ، تعلم أنها لربما جرحته ولكن جرحه كان أكبر ، تعشقه وتتمني قربه وهو يعاملها بكل قسوة ولامبالة ، توقعت أن بعد ماحدث سيعرف خطأه ويحاول إصلاحه ولكنه يفعل العكس . يكفي ستفصح عن كل ماخُفى بين ثنايا قلبها وتنفجر به وأن كانت تلك الكلمات هي أخر ما ستتفوه به ! :

_ بعد ده كل ومش عايز مني حاجة ، إنت مش ملاحظ إنك عامل موضوع من مفيش ، بس أنا اللي غلطانة أنا اللي استحملت ده كله من البداية أنا اللي متخلفة إني وافقت على جوازي منك وأنا كنت متأكدة إنك مستحيل تحبني بس أديت لنفسي أمل من مفيش وبنيت حبي ليك على وهم وفي الأخر زي ما انت شايف الوهم اختفى وطلعت الخسرانة للمرة المليون ، وافقت وقولت هحاول يمكن أقدر اخليك تحبني زي ما أنا كنت بحبك وفشلت للأسف ، من الأخر كدا أنا مش عايزة أكمل في العلاقة دي

طلقني !

أصابته الدهشة وألجمت لسانه فانعقد ولم يعرف بماذا يجيبها حتى ، كشفت للتو عن حبها له الذي كان يريده منذ البداية ! ، أتخذ الأمر بجدية في بداية الأمر ؛ لكي يستفزها ويجعلها تقرّ بكل شئ وبعد كلماتها القاسية صباح اليوم تحول غضبه المزيف لحقيقي ، وفي النهاية وصل لمبتغاه واعترفت ، كان بحاجة لاعترافها الصريح هذا كي يتخذ هو الأخر خطوة جريئة ، لم ينكر شعوره بالسعادة الغامرة وفي ذات اللحظة عدم نسيانه لما قالته وتشبيهها له بأكرم عكر صفو سعادته . التفتت هي وهمت بالرحيل ولكن هوى جسدها على الأرض كطائر كسرت جناحيه ووقع جرحيًا على الأرض ! .

***

ودّع الطبيب الخاص بها وشكره بامتنان على مجيئه ، وتلقى تعليمات صارمة منه هو أهملها برغم علمه بها وألزمه بالإلتزام بها حتى لا يسوء وضعها . بقيت سارة بجوراها حتى استعادت وعيها وكان ريان ينتظر أسيد بالخارج فهدأت نفسه حين اطمئن عليها أما أسمى وليلي والباقية لم يهتموا لأمرها حتى ! ، فعاد هو لها بعد مايقارب النصف ساعة من رحيل الطبيب وكانت سارة قد عادت لغرفتها فوجدها مستلقية على الفراش

تحملق في اللأشئ بأسى ، فتنهد بخنق واقترب ثُم جلس بجانبها مد يده ومررها على شعرها يقول بنعومة :

_ عاملة إيه دلوقتي ؟

دفعت يده بنفس تنم عن نفورها منه وعدم رغبتها في اقترابه منها حتى لتجيب بامتعاض وصوت يحمل القليل من المرارة :

_ كويسة زي ما انت شايف لسا ممتش !

تمتم بنبرة صادقة ونادمة يلتمس فيها السماح :

_ أنا آسف ، يمكن أنا زودتها فعلاً شوية معاكي بس اللي قولتيه مكنش سهل خالص عليا إنك تقوليلي إنك ندمتي على حوازك منك كأني كنت بعذبك إنك تشبهيني بالزفت أكرم ده كفاية أنه يخليني أخد موقف منك ، إنتي مش شايفة إن بعد كل اللي قولتيه ده أقل حاجة كان إني أخد موقف منك وأزعل !

هتفت بانفعال في استياء :

_ إنت أساسًا من قبل كدا وانت ماخد موقف مني على إيه معرفش

_ في الواقع إنتي اللي بدأتي ده كله اتعصبت عليكي وصحيت تاني يوم

واعتذرت منك ورفضتي اعتذاري وبرغم اللي قولتيه وقتها برضوا أنا مرضيتش أمسك في حجات صغيرة زي كدا وطنشت وكنت ناوي أنهي الموضوع بس بعد اللي عملتيه الصبح أنا بجد مقدرتش أتغاطى عنه

قالت ساخرة :

_ طلعت أنا اللي غلطانة دلوقتي !

تنهد الصعداء بعدم حيلة واقترب منها أكثر يمسك بكف يدها ويقبل باطنه يهمس بحنو :

_ لا أنا اللي غلطان ياجميل ، حقك عليا متزعليش ، إنتي هبلة لينا شهرين وأكتر متجوزين ولسا مفهمتنيش ، إنتي كان بدل ماتعانديني تمشي الدنيا بكلمتين حلوين وكنت هنسى كل حاجة

تشدقت بغطرسة وهي تشيح بنظرها عنه ، ترفض مسامحته حتى يحقق لها ما طلبته :

_ وأنا أجي اصالحك ليه وإنت اللي غلطان ، أنا ممكن أسامحك في حالة وحدة بس إنك تطلقني !

ثارت نفسه وانعكس ما بداخله على وجهه الذي أصبح كجمرة نيران

مشتعلة فيقول لها مندفعًا :

_ وأنا سبق وقولتلك إني مش هطلق ياملاك ، ومتتكلميش في الموضوع تاني قدامي

_ تمام يبقى لغاية ماتوافق حضرتك أنا وإنت هتفضل علاقتنا على الوضع ده كل واحد منينا في جمب

صر على أسنانه بشراسة كلما يحاول إصلاح الأمور بينهم لتعود كما كانت ترفض هي بكل قسوة ، ففضل عدم الحديث معها الآن ويعود مُجددًا في محاولاته الشبه فاشلة حين يهدأ هو قبل أن تتحول المناقشة لمشاجرة أخرى ؛ نتيجة لغضبه وضجره منها ، تابعته وهو ينهض من جانبها مُتأففًا بشدة ثم ينصرف تاركًا ساحة الغُرفة كلها لها ! .

***

ساعات قليلة وقبل عودتهم إلى الصعيد تجمع مراد بجميع الراجل في مكتب أسيد بحجة أنه أمر طارئ لا يمكن التأخر عنه ، ظل ينقل نظره بين الجميع في تردد لا يعرف من أين يبدأ الحديث فساعده في هذا جده حين هتف بحيرة :

_ ماتقول ياولدي في إيه ؟ ، وموضوع إيه ده اللي مهم ومينفعش نتأخر

عنه

أخذ شهيقًا قوي وأخرجه زفيرًا على تمهل ليوجه حديث أولاً إلى عمه هاتفًا بثبات رجولي :

_ يمكن يكون بالنسبالكم ده مش وقته بس أنا بنسبالي إن ده أنسب وقت أقول فيه حاجة زي كدا ، أنا عايز أتجوز سارة ياعمي !

***

فتحت عيناها بصعوبة وتألم ، ثُم أخذت دقائق تستوعب ما يحدث وحتى تتذكر ما حدث وأخر شئ تتذكره قبل فقدانها لوعيها وهو خطفها على إيدي رجل تجهله تمامًا ، وفورًا عندما تذكرت هذا انتفضت جالسة تدور بنظرها في كل مكان بارتيعاد تتفقد ثنايا المنزل القديم برعب ، حاولت تحرير نفسها من الحبال الخشنة التي تلتف حول قدميها ويديها ولكنها فشلت ، فزحفت على الأرض ناحية حقيبتها لعلها تستطيع إخراج الهاتف وتتصل بأخيها وبينمت هي في قاربت الوصول للحقيبة وجدت من يجذبها من الأرض ويلقيها بعيدًا عنها ، رفعت نظرها له وشهقت بفزع حين رأته فتخرج حرزف اسمه من بين شفتيها بحركة لا إرادية :

_ أكرم !!

الفصل الثاني والعشرون

فتخرج حروف اسمه من بين شفتيها بحركة لا إرادية :

_ أكرم !!

استقرت نظرة شيطانية في عينه يحدجها بها ثم انحنى إليها وغمغم متغطرسًا :

_ بتلعبي معايا أنا يازمردة روحتي قولتي لأسيد بس مع الأسف مشوفتش تهديداته دي بتبقى فعلية لسا ، وبما إنك رفضتي تجبيلي ملاك بمزاجك يبقى هجيبها بالغصب

صرخت به في جنون وازدارء هادر :

_ إنت عايز إيه من ملاك سيبها في حالها ، اطلقتوا وخلاص أذتك في إيه فهمني !

جثى لمستواها وثبت نظرة عليها تجسدت فيها جميع ضروب الحقد والغل ، وأعين ملتهبة بوميض مخيف :

_ عارفة ليه أنا مكنتش عايز أطلقها برغم إني مكنتش طايقها ؛ لأن هي الوحيدة اللي كانت هتقدر تجبلي العيل ، نيرة مبتخلفهش وأنا كنت متمسك

بيها للسبب ده واكتشفت بعدين إنها كانت بتاخد حبوب منع الحمل ، منعتني من أكتر حاجة مستنيها ودلوقتي همنعها تعيش مرتاحة وهدفعها تمن اللي عملتيه

ازداد صياحها مجيبة بدهشة وذهول من كلماته السخيفة :

_ إنت مريض !! ، طبيعي كانت هتعمل كدا قصاد واحد أتجوز عليها وبيهينها ليل و نهار ومش عايزها ، كنت مستني منها إنها تجيب منك طفل ويربطها بيك أكتر وهي عايزة تخلص منك .. إنت اللي بجشعك وقذارتك خسرت كل حاجة كنت قادر تعيش معاها بسلام وتحبها زي ما كانت بتحبك ، لكن إنت واحد حيوان وزبالة وخسارة فيك أي وحدة ست حتى الطفل اللي عايزه ده خسارة فيك ، أنا بقول الحمدلله إن ربنا مكرمكش بيه !

سحبها من شعرها بقوة إليه فأصدرت صرخة مدوية في المنزل بأكمله ، طالعها بابتسامة خبيثة يتفرس ملامحها وشفتيها المغرية ثم يقول بنبرة تحمل التحذير :

_ هتتصلي بملاك وتخليها تجيلك على هنا هتقوليلها إيه بقى ده مش مشكلتي المهم إنها هتاجي وإلا إنتي أكيد مش حابة تقضي ليلة جميلة معايا !

هزت رأسها نافية ببكاء عنيف صائحة برفض قاطع :

_ لا مش هكلمها مقدرش !

صمت لثوانٍ كأنه يهئ نفسه للخطوة القادمة ، وفي ظرف لحظات وقف وحملها على ذراعيه متجهًا بها نحو إحدَ الغرف وهي تصرخ بشدة وتركل بقدماها في الهواء تتوسله أن يتركها ، يضعها بين النار والماء ، إن رفضت فستحترق وتصبح رمادًا ، ستتدمر كما تدمرت سارة ، وإن وافقت فستغرق في شجونها إن لحق الأذى بملاك بسببها .. أما هو فا هذا سيكون لصالحه سيستمتع وفي النهاية سيصل لمبتغاه وهو ملاك ! .

ألقاها على الفراش وبدأ بفك أزرار قميصه العلوية فصرخت مسرعة في ارتجاف :

_ خلاص خلاص هكلمها

توقف عن فك أزرار قميصه وقال بمكر :

_ أيوة كدا خليكي ناصحة ، كنت عارف إنك ذكية

***

تبادلا النظرات في دهشة ، من طلبه الصريح للزواج من " سارة " ، لم

يكن أحد يتوقع ذلك العرض المُفاجئ وفي أوضاع مضطربة كهذا ، فلا زالت هي لم تخرج من صدمتها ، ففكر محمد بعقلانية من جانب إيجابي أن هذا سيمحو ما لحق بهم من عار أن عرفه أحد ، وستجد " سارة " من يقف بجانبها ويساندها في محِنتها ، فتحدث هو أول الجالسين بجدية تامة :

_ فكرة زينة محدش أولى بيها أكتر من ابن عمها وحتى لو الجواز مكملش اسمها كانت متجوزة ، وغير إن هي محتاجة اللي يقف جارها ويخرجها من اللي هي فيه ، ولا إنت أيه رأيك ياثروت إنت وريان

كان ثروت يفكر بنفس طريقة أبيه ، وسيكون ذلك الزواج في صالحهم جميعًا ، وهي أول من سيستفيد منه . وهو على علم أن مراد سيرعاها جيدًا وسيكون مطمئنًا على ابنته معه . فكان صمته معبرًا عن موافقته التي أوضحتها ابتسامتها وإماءته الشبه موافقة وهو يتدبر في الأمر جيدًا . فخرج صوت ريان القوي يقول :

_ أنا معنديش مانع بس الرأي الأول والأخر لسارة سواء وافقت أو لا

_ أكيد طبعًا !

هتف بها مراد في نبرة رجولية حازمة ، أما أُسيد فكان يحدق بأخيه

بشراسة يود خنقه ؛ لغيظه المفرط منه ، يريد الزواج منها وهو كان على علاقات سابقة ، ماذا سيحدث إن اكتشفت تلك المسكينة هذه الحقائق ؟ حتمًا ستدخل في صدمة أكبر . لا يستطيع نسيان فعلته الدنيئة وكيف أنه فعل كل هذا بدون تأنيب ضمير حتى ! ، كيف خرج عن النص الألهي وخرج عن الدين ليرتكب تلك الفاحشة العظيمة ، ألم يشعر بأي شئ بداخله يأنبه عليها . سيظل هو مصممًا على مقاطعته نهائيًا حتى يفعل ما أمره به ! ..

لحظات وسمعوا طرق على الباب ليصدر رأس ملاك من خلف الباب فتشير لأسيد بيدها أن يأتي مسرعًا ، طالعها متعجبًا بل الجميع كانت نظراتهم هكذا فوقف واتجه لها ، قبضت على يده وسحبته معها إلى غرفتهم وأغلقت الباب . واخيرًا طفقت تقول برعب :

_ زمردة كلمتني وصوتها كان زي واحد بتعيط وقالتلي تعاليلي على مكان كدا غريب أول مرة أسمع عنه وطلبت مني أجي وحدي ولما سألتها في أيه قالتلي لما تاجي هقولك ، أنا مش مطمنة حاسة إنها في حاجة مش طبيعية ، أساسًا زمردة مبتطلعش في الوقت ده ومروان مستحيل يخليها تطلع بليل وحديها كدا

أطال النظر في وجهها ، كانت نظراته معها وعقل شارد بتفكر وذكاء وافر

، ففهم الأمر فورًا ورجح أنه متعلق بأكرم بلأخص لأنها أخبرته بتهديده الصريح لها . سمعته يتمتم باسمه في خفوت شديد فصاحت بانبهار :

_ أكرم ، معقول يكون خاطفها ! ، طيب يلا بينا بسرعة يا أُسيد أنا بدأت أخاف أوي عليها

_ إنتي خليكي هنا ياملاك وأنا هروح وهتصل بيكي وأطمنك متقلقيش

هتفت برفض قاطع ولهجة لا تقبل التفاوت أو النقاش :

_ رجلي على رجلك يا أُسيد مش هسيبك تروح للحيوان ده لوحدك ، ومتحاولش معايا لأنك لو عملت اللي ميتعملش هروح برضوا

لم بجد محيدًا من ذهابها معه فاضطر للموافقة وشرع في ارتداء ملابسه ، ومن ثم غادروا المنزل على عجالة وقبل أن يستقلوا بالسيارة أوقفهم ريان الذي شعر بشئ غريب في الأمر منذ بداية قدومها للمكتب . هتف متعجبًا :

_ في إيه يا أُسيد

لم يكن يملك الوقت لشرح وسرد التفاصيل له فصعد بمقعده المخصص وصعدت هي بالمقعد الخلفي وسمعه يقول من داخل السيارة :

_ اركب ياريان وهشرحلك في الطريق !

***

وصلوا إلى العنوان المنشود وطلبت ملاك منهم أن ينتظروها بالخارج ولا يدخلوا معها ؛ لكي تطمئن على زمردة أولاً ومن ثم تفعل ما يجول بعقلها اللئيم، فعارض أسيد بشدة ولكن في النهاية أقنعته بصعوبة ، فاقتربت من الباب وطرقت بشجاعة تامة ، فهمها حاول الفعل لها هي مطمئنة بوجود زوجها وابن خالها . فتح الباب بيده مرتعشة وظهرت من خلفه زمردة ووجهها ممتلئ بالدموع فمدت يدها وملست على ذراعها بنظرة فهمت هي معناها جيدًا ، وعندما رآته يخرج عن جحره الذي تخبأ به طول المدة الماضية خشية من زوجها ، ووقف أمامها بكامل ثقته وثباته فتصنعت الدهشة وهي تدخل وتغلق الباب بكل هدوء :

_ إيه ده معقول أكرم ، مكنتش متوقعة المفاجأة دي

دهش من برودها وعدم تفاجأها أو ظهور علامات الخوف حتى على وجهها فنقل نظره بينها وبين زمردة وتابع خطواتها وهي تقترب منه هامسة بلؤم :

_ أنا كشفاك يا أكرم متحاولش تضحك عليا ، هو إنت لما تخطف زمردة يعني كدا هتوصلي مثلاً ؟ والله مهما تعمل مش هتقدر تقربلي حتى ،

عارف ليه علشان إنت جبان ومش راجل ، واللي احنا فيه حاليًا أكبر دليل على ده لو إنت راجل فعلاً مش هتتطشر على الستات وهتواجه الرجالة اللي زيك وش لوش

ثار إلى أقصى درجة ممكنة وتحول إلى قنبلة نووية توشك على الانفجار ، وفجرتها هي بكلماتها الأشبه بذرات كيميائية تفاعلت مع الوسط المحيط بشكل خاطئ فأدت لانفجارها ! ، غرس أصابعه في ذراعها وجذبها إليه يهتف بنظرة أرعبت زمردة التي شهقت بهلع وحاولت تخلصيها من يدها ، ولكنها لم ترعبها فكانت ثابتة كالأرض الصلبة تحدق به بانتصار وهي تراه يتفوه بكل شئ واحدًا تلو الآخر :

_ أيوة خطفتها وابتزيتك وفي النهاية إيه جيتيلي برجلك ، هدفعك تمن كل حاجة ياملاك وأولهم حبوب منع الحمل اللي كنتي بتاخديها وأديني بقولك لو الزمن رجع بيا هعمل فيكي أكتر من اللي كنت بعمله فيكي والمرة دي هخليكي تطلعي من عندي على القناطر طوالي وكنت وريتك الراجل اللي على حق

جملته الأخيرة ضربت على مسامعهم بالخارج وبالأخص أسيد ، وغلت دماءه في عروقه هو وريان الذي سبقه واقتحم المنزل مندفعًا نحوه كالسيل الجارف وتلقى على يديه ضربات كادت أن تبرحه أرضًا لولا أسيد

الذي منعه عنه وهو يقول بنظرات شائطة ونبرة تحمل المكر :

_ سيبه ياريان خليه يورينا الراجل ده هيعمل إيه أصل أنا عندي الفضول أعرف وأشوف !

حدق بهم بصمت وخوف بسيط فنفضه صوت ريان الجهوري وهو يقول مستنكرًا :

_ إيه قلبت كلبة بلدي ليه دلوقتي ماتنطق ولا الأسد اللي كان بيتكلم بقى قطة

_ إنت واضح كدا لسا مأدركتش إن اللي بتهددها دي مراتي ! ، والمشكلة إنك غبي وفي كل مرة بكشفك ، بس المرة دي إنت بأذن الله هتكلع على القناطر لإني قرفت منك الحقيقة واديتك مليون فرصة إنك تخاف على نفسك مفيش فايدة

وقفت ملاك بجوار زوجها وأخرجت هاتفها تلوح به أمامه قائلة في ابتسامة واسعة :

_ وليه التعب ما كل حاجة مسجلة هنا ومجرد مايروح التسجيل اللي هنا للشرطة هتروح في شربة مايه

رمق أسيد زوجته بدهشة ممزوجة بالخبث المماثل لها ، فقد بدأت تستخدم عقلها بطريقة صحيحة وكأنها تلقت التعلم على يد أحدهم ، بدأت تظهر عن مخالبها الأنثوية المؤذية . جذبه من يدها ونظر إلى ريان مشيرًا له بعينه في نظرة فهم مقصدها وأشار الآخير إلى كل من ملاك وزمردة أن يذهبوا بصحبته فامتثلوا لأمره على مضض ! ..

***

ترجلت ملاك من سيارة ريان وودعت زمردة بعناق حار ودافئ . ثُم دلفت للمنزل وانطلق ريان مرة أخرى متجهًا نحو منزل مروان بصحبة زمردة ، بقيت ساكنة في مقدها الأمامي بجواره خافضة نظرها أرضًا ودموعها تنهمر على وجنتيها بصمت . لا يذهب عن مخليتها منظره وهو يهم بخلع قميصه ، ويتأهب للنيل منها كفريسة وقعت تحت يد وحش ، كان على أتم الأستعداد أن يسلبها كل ما تملك بدون أن ترف له عين ، نظرته الوضيعة لشفتيها وكأنه كان للحظة أخرى وسيسلبهم عذريتهم . أجهشت بالبكاء بشدة وحين سمعت صوت رجولي بجوراها للحظة أحست كأنه هو فانتفضت جالسة وابتعدت تمامًا عنه ، فأوقف السيارة وهتف بنعومة :

_ إهدي يا زمردة مالك ، خدي اشربي مايه

أدركت ملامح وجهه وعرفت أنها تخيلت فقط لا أكثر فهدأت تمامًا وتناولت

المياه من يديه بيد مرتعشة وارتشفت القليل منها وهي ترتجف من الخوف ، تفحصها بتدقيق في نظرات شائكة ثم هتف بقلق بسيط :

_ أكرم قربلك أو عملك حاجة يازمردة ؟!

هزت رأسها بالنفي وهي تزداد بُكاءًا وتجيبه بشفتين مختلجتين :

_ لا بس كان هيعمل لو كنت رفضت إني أكلم ملاك وأخليها تاجي ، أنا مش قادرة أنسى منظره ياريان وهو بيقلع القميص ولا نظراته القذرة ليا ، بس الحمدلله إن ملاك قالتلكم

عض جانب شفاه السُفلى أثر الثوران البركاني الذي حدث بداخله للتو ؛ لكلماتها التي جننته ، وجُنَ أكثر عندما تذكر شقيقته . فحك زقنه باغتياظ وهو يصر على أسنانه ويقول في توعد :

_ إن شاء الله هقلعله عيونه دي مش قميصه بس أصل ده ... ، المهم متفكريش إنتي في الموضوع ده خلاص وأنسيه

_ طيب اتصل بمروان معلش لأحسن قعد يرن كتير ومرديتش عليه تلاقيه هيتجن من العصبية والقلق

إماء لها في موافقة بهدوء بنظرة دافئة ثم أخرج هاتفه وأجرى الاتصال

به .

***

قضت شطر من الليل تنتظره حتى عودته ، تسير إيابًا وذهابًا في الغرفة تتابع دقات عقارب الساعة ثانية بثانية ، تارة تقرض أظافرها من فرط قلقها ، وتارة تفرك يديها ببعضهم .. تخشى أن يرتكب خطأ بتهوره ، أو أن ذلك الوغد يؤذيه بأي طريقة إن كانت . تحبه إلى أبعد الحدود لا تتحمل رؤية خدش به حتى ، حتى وإن أصبحت علاقتهم لا تخلوا من الشجار فهذا لا يمنع تدفق حبها إليها كالسيل كلما تراه أمامها يبتسم ويشاكسها ، إن استطاعت أن تنفصل عنه فلن تتمكن من فصل حلقة الوصل بينه وبين قلبها . التفتت بفزع خلفها عندما سمعت صوت الباب واندفعت نحوه مهرولة تقول بفضول :

_ عملت إيه ؟

سار نحو الفراش وجلس عليه بارهاق متمتمًا بخفوت :

_عمل إيه يعني هكون ! ، عملت معاه الواجب أنا وريان وبعدين سلمناه للبوليس بالتسجيل اللي سجلتيه ليه

لاحت ابتسامة واسعة كادت أن تشق طريقها حتى أذنيها مغمغمة بعدم

تصديق :

_ يعني أنا خلصت من أكرم خلاص !

هز رأسه بالإيجاب في ضراعة ففوجئ بها تتعلق برقبته نعانقه وهي تضحك بسعادة غامرة ، لم تجد من تشاركه جلسة سعادتها سواه وكانت تلك حركة لا إرادية منها . تخليت كيف ستكون حياتها بدونه ، لن تجد من يعكر صفوها ويجعلها خائفة دائمة من أن يؤذيها . والآن كسر إحدَ أجزاء القفص ، القفص الذي يفصلها عن الحرية ! ، قاربت على الانطلاق والرفرفة بحرية في السماء . شعرت بيده تلتف حولها ويضمها إليه أكثر يستنشق رائحة شعرها الكستنائي ، حاول في اللحظات الأولى أن يبعدها عنه لكي يظهر لها أنه مازال غاضبًا منه ولكن هُدمت الحصون فى لحظة ، ولم يتمكن من الصمود أمامها ، شعوره وهي بين يديه يجدد طاقة الحياة له ، وهي تريد حرمانه من ذلك الشعور ، لا تشعر بالثورات التي يقيمها من أجلها ، لا يريد التعلق بها وفي ذات اللحظة لا يستطيع الابتعاد عنها ، يخشى من خسراتها كما خسِر زوجته وابنه . لم ينسى اعترافها الصريح الليلة بحبها له ، وبمَ شعر حين نطقت بها والآن يريدها أن تشعر بمثلما شعر ! .

شعرت بشفتيه تلامس بشرة عنقها على التأهب لتقبيلها فابتعدت عنه بخجل بسيط بعد أن وعيت على مافعلته وهمت بالنهوض فأرغمها على

البقاء وقرب رأسها منه يقبل جبينها متمتمًا برقة :

_ كفاية بقى ياملاك ! ، أنا مش عايز العلاقة مابينا تبقى كدا

ابعدت يده عنها مردفة باقتضاب :

_ وتقدر تفهمني مش عايز تطلقني ليه ؟!

_ علشان أنا حقيقي مقدرش أقعد من غيرك ، وعلشان اللي كنتي متوقعاه مستحيل وكنتي بتدي لنفسك أمل اتحقق من بدري

دهشت بما قاله حتى وصلت لدرجة عدم الاستيعاب ، شعرت وكأنها فقدت حواسها للتو حتى لمسته على وجنتيها لم تشعر بها ، فقط سمعت همسه بجانب أذنها كتغاريد العصافير في صباح مشرق وسماء صافية :

_ بحبك ياملاكي !

اغمضت عيناها تتلذذ بحروفها على مسامعها ، وتستشعر همسه وأنفاسه الدافئة كأنهم سيمفونية تطرب على أذنيها . فغامت عيناها بالعَبَرات وفرت دمعة هاربة منهم ، فجففها بأنامله وانحنى مُقبلاً وجنتيها بحنان ، وتلقت نظرات رائعة من عيناه الزرقاوتين ، فترتفع الأمواج داخلهم وتتراقص مع فرحها وتسعد لسعدها ، وكأنها كانت تنتظر تلك الكلمة لتذوب كذوبان

الجليد عند شروق الشمس . لم يتمكن هو كبت رغبته أكثر من ذلك فاقترب طابعًا أولى لمساته ، يصك ملكيته بكل حب ، يضمها لعرينه ؛ لتصبح من أهله وذويه ؛ كي تصبح زوجته أمام الله قبل الجميع ، ويتحدان معًا كروحان تجمعا في الحلال بدون معصية .

***

فتحت الباب ودخلت فوجدتها جالسة على فراشها كعادتها بصمت ، فتوجهت وأتخذت مجلسًا لها بجوراها لتتمتم بترقب :

_ مراد طلب يتجوزك ياسارة النهردا من أبوكي وأخوكي وجدك وهما موافقين ومنتظرين ردك إنتي بس

رمقتها بصدمة وذهول !! ، لا تتمكن من هضم ماسمعته ، " يريد أن يتزوجها !! " ، حتمًا أنه شفق على حالها ولم يتحمل رؤيتها في تلك الحالة المزرية فأراد أن يتزوجها ، " ليتك طلبته قبل أن يحدث ماحدث كنت وقتها سأوافق بدون تفكير " حدثت نفسها هكذا في حسرة ومرارة لتجيب أمها بصوت مسموع :

_ مراد شفق عليا مش أكتر يا أمي وأنا مش عايزة أحس بالشفقة من حد

_ مش واضح أنه شفقة ياسارة ، وحتى لو كان شفقة مش ابن عمك أولى بيكي ، خصوصًا بعد اللي حصل وياستي لو عوزتي تتطلقي بعدين مفيش مشكلة بس أهو هيكون اسمك مطلقة مش كدا ولا إيه ، بصي لمصلحتك ياسارة ومراد مش وحش حتى لو كان شفقة منه ده مش معناه أنه هيعاملك وحش !

_ سبيني أفكر يا أمي بالله عليكي وبكرة بأذن الله هرد عليكي ، بس سبيني وحدي دلوقتي لأحسن أنا تعبانة بجد ومش قادرة أتكلم

نهضت وتركتها سابحة في بحر شجونها وتحسرها على حالها ... !

***

فتحت عيناها ببطء في صباح يوم جديد ومشرق ، نظرت بجانبها فلم تجده ولكن سمعت صوت رذاذ المياه في الحمام فنهضت وارتدت " الروب " الخاص بها وبدأت بترتيب الفراش ، حتى خرج وهو واضعًا المنشفة على شعره ولا يرتدي سوى بنطال منزلي كعادته . شعرت بيده تلتف حول خصرها من الخلف ضامًا أياها ومغمغمًا بحنو :

_ صباح الخير

التفتت له وهتفت بحياء بسيط ممزوج بالسخط :

_ لما تطلع من الحمام ألبس الهدوم يا أستاذ لأنك معرض لأي تعب بسهولة جدًا كدا

ضحك بخفة مجيبًا بمداعبة :

_ طيب ردي الأول وقولي صباح النور حتى !

_ لا أصل حاجة مستفزة ، يعني أنت اخدت البنطلون والفوطة وجات على التيشرت مش قادر تاخده طيب إنده عليا وقولي هاتي تيشرت ياملاك !

قرص وجنتها بمشاكسة مستطردًا بمكر :

_ طيب متعصبش نفسك ياجميل مفيش حاجة تستاهل ، بعدين أنا بحس بالحر بسرعة فبختصر الوقت والمجهود وأقعد كدا أحسن !!

قرصته في ذراعه بشدة قائلة باغتياظ وقد اصطبغ وجهها بلون الحمرة :

_ احترم نفسك وبلاش قلة أدب على الصبح يا أسيد

قهقه بقوة ثُم قال بشئ من الجدية :

_ لا بس إيه الشجاعة دي أمبارح دخلتي لأكرم الزفت ده وسجلتي ليه ،

وأنا كنت بقول عايزة تدخله وحديها ليه !

بدلال أنوثي وهي تغمز له بطرف عيناها في شئ من اللؤم :

_ منك نتعلم يا أُسيد باشا ، مفهاش حاجة لما اكتسب خبرة من مُعلمي

لاحت في عينيه نظرة جريئة وخبيثة ويجيب بهيام مُقتربًا منها :

_ وبتقولي بلاش قلة أدب على الصبح ! ، طاب دي أعملها إزاي بالله عليكي قوليلي ؟

نكزته في كتفه ضاحكة بقوة وترفع جسدها الصغير وتطبع قبلة على وجنتيه ثم تقول وهي متجهة نحو المرحاض :

_ البس هدومك يلا علشان ننزل نفطر

***

كانت تتحدث ليلى في الهاتف بعصبية لا تبالي أي شئ وهي تصيح :

_ بقولك إيه ياروان أنا مش ناقصة وجع دماغ أنا قولت اللي عندي ولو معملتيش اللي قولتلك عليه إنتي حرة

فتلتفت بزعر خلفها على صوت مراد الذي قال بنبرة رجولية مخيفة :

_ روان !!

الفصل الثالث والعشرون

فتلتفت بزعر خلفها على صوت مراد الذي قال بنبرة رجولية مخيفة :

_ روان !!

أخفت الهاتف خلف ظهرها بسرعة في خوف بعد أن أنهت الاتصال وتمتمت بتصنع الخنق :

_ أيوة الزفتة اللي اسمها روان معندهاش دم شغالة تتصل ليها فترة وقرفاني وأنا آخر ما زهقت هددتها إنها لو اتصلت تاني مش هيحصلها كويس

دقق النظر في وجهها يراقب عيناها الزائغة والغارقة في بحر أسود مخيف ، شفتيتها الشبه مرتجفتان ، إصفرار وجهها بسرعة بمجرد رؤيتها له ! .

نفض عن زهنه تلك الأفكار وفضّل عدم الانشغال بها ؛ فاستدار وهم بالرحيل لولا صوتها الذي استوقفه لتقترب منه وتهتف بحيرة :

_ هو إنت في حاجة بينك وبين أخوك ، متخانقين يعني ولا إيه ؟!

_ حاجة زي كدا !

تمتمت بريبة أشد في قلق :

_ متخانقين ليه ؟ ، إنتوا أول مرة تعملوها !

ثانية بالتحديد وأكملت بدهشة امتزجت بأعين ملتهبة حين تذكرت ماحدث له منذ أيام :

_ ليكون اليوم اللي جيت فيه وقولت اتخانقت كان مع أخوك يا مراد ، أسيد عمل كدا !!!

زفر بانزعاج شامل ومسح على وجهه مُتأففًا ليهتف بحدة ، يريد أن يُنهي الأمر فأن تدخلت بينهم ستتعقد الأمور أكثر :

_ أمي ملكيش دعوة بالموضوع ده ومتدّخليش بينا ، مشكلة حصلت وقاطعنا بعض بسببها ، انتهينا بقى !

***

تسرح شعرها بهدوء تام ، وتراقب انعكاس وجهه في المرآة وهو جالس على الفراش خلفها ، منشغل بإنهاء شئ خاص بالعمل قبل أن يغادر .

فسرحت بذاكرتها لليلة أمس تستعيد ذكرياتها ، كيف كان اعترافه كسمفونية هادئة عزفت على أوتار قلبها فجعلته يسكن ويهدأ ، كيف جعلها تعيش لحظة من أجمل لحظات حياتها . رأته وهو ينظر إليها

مبتسمًا ، فنهضت وسارت لتجلس بجوراه متمتمة في خشوع :

_ هو إنت رايح الشغل إمتى بظبط ؟

_ دلوقتي ، هقوم البس وأمشي ، إنتي عايزة حاجة ولا إيه ؟

هزت رأسها نافية قبل أن تتحدث بتردد :

_ لا ، بس أنا كنت عايزة .. اروح عند زمردة

_ وليه زمردة متجيش هي هنا ؟

_ يا أسيد عايزة أطمن عليها بعد اللي عمله أكرم ، وبعدين تاجي هي إزاي يعني !؟

تنفس الصعداء وهو ينهض من جوارها ويردف بموافقة جميلة :

_ ماشي ياملاك استني بليل لما أجي هاخدك ونروح

لاحت ابتسامة جميلة على ثغرها تتطلع إليه بها في حبٍّ قبل أن يقول بجدية قصدها :

_ وجهزيلي شنطتي علشان مسافر بكرة للندن شغل !

تحولت نظرتها إلى الدهشة والضيق ، لا تصدقه سيتركها ويذهب و أمس فقط بدأ كل منهم يرتبط بالآخر فعليًا . بدت طريقته في التحدث غريبة ، عادت شبيهة بمعاملته السابقة ! . نهضت من الفراش وغمغمت بترقب :

_ يعني هتروح وحدك مش هتاخدني معاك

تصنع الحدة الشديدة وهو يشيح بوجهه عنها قائلاً بخنق مزيف :

_ أخدك إزاي يعني ياملاك بقولك شغل ، هتاجي تعملي إيه معايا !

_ على الأقل أكون معاك ، أنا مش عايزة أقعد وحدي هنا

صاح في نبرة شبه مرتفعة يتصنع الغضب والضيق أمامها كي تسير خطته كما خطط لها :

_ وتقعدي وحدك ليه ما الكل قاعد أهو وأنا يومين وهاجي ، بلاش شغل العيال ده ياملاك

طالعته بريبة من أمره وشعرت بالدموع تجمعت في مقلتيها ، لا تفهم سبب قسوته العجيبة تلك ، كان منذ ساعات قليلة يضحك ويشاكسها ، ماذا حدث له ! . فصاحت به منفعلة في غيظ فلم تعد ملاك التي تخاف من كل

شئ :

_ طيب مش عايز تاخدني براحتك بس متزعقش كدا ، وأنا أصلاً خلاص غيرت رأي مش عايزة أروح معاك مكان

ضحك بقوة لانفعالها السريع واقترب منها ولف ذراعه حول كتفها يضمها إليه قائلاً من بين ضحكاته :

_ مش عايزة تروحي معايا ! ، طاب والتذاكر اللي حجزتها دي أوديها فين ، ولا بقى عايزاني أروح لندن والبنات يضحكوا عليا وأجيلك متجوز

دفعته بجفاء وهي تقول بتذمر طفولي :

_ روح أتجوز هو أنا منعتك !

ارتفعت صوت ضحكته الرُجولية متمتمًا بمكر دفين :

_ هتفضل إنت الأصل برضوا ياجميل ، يلا بقى جهزي نفسك علشان بكرة تكوني جاهزة ومتقولّيش نسيت ما أعمل إيه ومعرفش إيه !

دارت بوجهها للجهة الأخري وهي تجيبه بتبرم في غضب :

_ ومين قالك إني عايزة أروح أساسًا قولتلك غيرت رأي خلاص

شهقت بفزع عندما أحست به يقترب منها فجأة ، ظلت تتراجع للخلف في توتر وهي يتقدم ، حتى وقف وصاح بها في ضجر مزيف :

_ تعالي هنا أخلصي !

انتفضت بخوف بسيط وأبت التقدم فأكمل صياحه بنفس الجملة السابقة لتضطر للاقتراب منه بارتباك وحين وقفت أمامه وقال بازدراء :

_ بهير يقول لبهبوري إيه !؟

انفجرت ضاحكة بشدة وانهالت عليه تلقنه بيدها الرقيقة بعض الضربات على كتفه صائحة به بغيظ :

_ يامستفز يابارد ، وبهير يقول لبهبوري زفت عليه !

_ نعم !

تراجعت فورًا عن ماقالته لتجيبه بتصنع الخوف :

_خلاص يقول حاضر !

شاركها الضحك ، قبل أن يضمها لصدره معانقًا إياها ، يستشعر بها بين ذراعيه وينحني يقبل شعرها بعشق لتسمع صوته الحاني يهمس في نبرة

جمعت كل معاني الحنان والحب والرقة :

_ ده الواحد على كدا يقدر يضحك عليكي بسهولة ، صدقتي علطول أول ماقولتلك مش هاخدك ياملاك . هو برغم إنه شغل فعلاً بس ميمنعش إني هاخدك ونتفسح شوية ونقضي شهر لطيف كدا ولا إنتي إيه رأيك ؟

اكتفت بصمتها كعلامة على موافقتها ، تشعر بكل حرف يقوله ، تعشقه في كل حالته : حين يغضب ، وحين يكون مرح ، وحين يتحول إلى شخص عاشق تتجسد به كل سمات الرقة والحنان . لم تراه يداعبها هكذا منذ بداية رحلتهم مع بعضهم ، كل يوم تكتشف شيء جديد عنه كما أخبرها من قبل ، رآته كيف يكون حين يعشق ويحب ، وحين يمرح ، وحين يغضب وهذا لا يكون إلا بسبب قوي ! . ربما هناك الكثير يشبهوه ولكنها لم تعهد سواه لم ترى رُجلاً يحمل جميع معاني الكلمة ، ولا تريد أن ترى سواه فهو يكفيها إلى الحد الذي يجعلها تبغض أي رجل غيره ! ..

***

وقفت لأول مرة بعد ماحدث معها على شرفة الغرفة تستنشق الهواء الصافي وتملأ به رئيتها ، تحملق في السماء التي تزينها قطع غيوم متفرقة . تتخيل حياتها كيف تحولت إلى جحيم أو كغيمة حجبت ضوء الشمس من الانطلاق وهي كانت الشمس التي فقدت ضوءها وشعاعها ،

فيعود عقلها يحدثها بتفاءل " وحتمًا الأمطار ستهطل وتزيح تلك الغيمة لتترك المساحة لذلك الضوء بأن ينطلق " ولكن هناك طرقات لا تصل لها الشمس مهما فعلت فحتى إن أشرقت لن تستطيع إشراق قلبها الأشبه بتلك الطرق المظلمة . وقع نظرها عليه وهو يجلس في حديقة المنزل ينظر لها بعينان تتحدثان بالنيابة عنه يطلبان منها الموافقة على طلبه ، أن تعطيه فرصة لكي يزيح تلك الغيوم ويهدم جميع المباني التي تمنع تسلل الشمس لطرقها ، أن تسمح له بأن يعيد النور لقلبها الذابل . يتفهمها جيدًا ويعرف ما تفكر به تشعر بالنقص تأبى شعورها بالشفقة منه ، تحس أنها بعد ماحدث ليس لديها الحق في الزواج والعيش بسعادة كالذي ارتكب جرم ويحاسب نفسه عليه ! . سمعت صوت أخيها من خلفها فالتفتت وحين رأى العَبَرات متجمعة في عيناها تحرك نحوها وهتف بقلق جلي :

_ مالك ياسارة ؟

ارتمت داخل أحضانه وانفجرت باكية بشدة وتهتف بتشنج :

_ تعبت ياريان مبقتش عارفة أعمل إيه ، كرهت نفسي وحياتي كلها

انتبه إلى مراد الذي يسير تجاه سيارته ويستقل بها ففهم الأمر فورًا ، وأبعدها عنه ليقول بهدوء في حنو أخوي :

_ لو مش موافقة براحتك دي حاجة ترجعلك إنتي ومفيش حد هيقدر

يغصبك على حاجة

اجهشت في البكاء أكثر وتشدقت بصوت مرتجف في صراحة غير مألوفة :

_ أنا منكرش إن كان في مشاعر تحركت مني ليه ومازالت المشاعر موجودة بس أنا مش عايزة أتجوز بالطريقة دي يا ريان مش عايزة أحس بالشفقة منه

_ لو عايزة رأي أنا مش معارض على مراد وواثق أنه هيحافظ عليكي وأنسب واحد ليكي حاليًا ولكن في النهاية دي قرارك وبراحتك هاا قولتي إيه ؟

صمتت قليلاً تفكر في الأمر مليًا لا تعرف توافق أم لا ، وضعت في موقف لا تحسد عليه . وأخيرًا بعد تفكير عميق قررت الموافقة ، لربما تعطي لنفسها فرصة معه وإن لم تنجح الفرصة لن تخرج خاسرة فكما قالت أمها ستسمى بالمُطلقة وسيكون أفضل من وضعها هذا ! . وجدها تهتف بخفوت وهي تجفف دموعها :

_ موافقة ياريان قولهم موافقة !

***

وقفت في أحد الأركان المختفية عن أعين أي شخص بحيث لا يستطيع أحدهم سماعها وتحدثت بانفعالية لخالد :

_ يعني إيه متقدرش يازفت إنت !

_ يا أشجان هانم طلعيني من موضوع ملاك ده خالص أي حاجة فيها ملاك اعتبريني مش موجود ، أنا خايف على نفسي

قهقهت مستنكرة وهي تجيبه بشيء من السخرية :

_ خايف على نفسك ، لا متخافش ملاك مش بتعض ، ولا بقى أسيد عرف حاجة وهددك ؟

وكأن أنفاسه كُتمت ولم يستطيع الرد وفي لحظة جال بخاطره تهديد أسيد له كيف كان ؛ فأصرّ على موقفه . بينما هي فالتفتت خلفها بفزع عندما شعرت بالهاتف يسحب من على أذنه بعنف ويضعه على أذنه يهتف بصوت جهوري :

_ خليك فاكر تحذيري ياخالد كويس

ازدرد الأخير ريقه برعب وأنزل الهاتف من على أذنه وألقاه على الفراش

بارتعاد ، أما أشجان فكأن العاصفة المدمرة قامت للتو ولن تذهب إلا بعد تدميرها . شحب لون وجهها ، وأخذ الرعب يصعد حتى وصل إلى وجهها ، وأحدث اختلاجًا في شفتيها .

سمعته وهو يقول بتهديد مباشر وأعين مشعة بشرارة الغضب :

_ أحيانًا بتضطريني لحاجات أنا مش عايز أعملها يامرات عمي ، حتى الآن تغاضيت عن كل عمايلك من بداية خيانتك لعمي مع أبو ملاك ولما لقتيه سابك واكتشفتي أنه بيستغلك علشان يوصل لعمتي مستحملتيش ، وقتلتيهم ومن بعديهم ملاك اللي حاولتي تقتليها ومن ثُم أخيرًا عزت اللي قتلتيه لما عرف بحقيقتك وكان هيكشفك .. هو طبعًا متفتكريش نفسك هتهربي باللي عملتيه ومسيره هيجي اليوم اللي هتدفعي تمنهم . ودلوقتي أنا بحذرك أقسم برب العزة ورحمة مريم لو جربتي بس تقربي من ملاك مش هاجي أتكلم معاكي لا أنا هتعامل بالفعل علطول ولو حصلتلها حاجة أول حد هشك فيه هو إنتي

ابتسمت بغطرسة وعقدت ذراعيها أمام صدرها تهتف بنظرة متقدة كلها ذكاء وحقد :

_ وإنت مش خايف أعمل فيك زي ما عملت مع عزت !

ضحك بقوة ، وأجابها بنبرة ثابتة كلها تحدٍ وعدم إكتراث لسخافتها تلك

امتزجت باللهجة الصعيدي :

_ شكلك إكده لسا متعرفنيش ! ، أنا مبخفش من الحريم وخصوصًا لو كانوا زيك مع احترامي ليكي طبعًا ، بس مش أنا اللي تهددني حُرمة أي كانت مين باختصار شديد لإني لا عمي عزت وجوز عمتي اللي قتلتيه ولا غيرهم ، أنا لو عايز دلوقتي هدفنك في أرضك ومحدش هيحس بيكي ولا هيعرفولك جثة ، واعية للكلام اللي بقوله ولا لا خليكي بعيدة عن ملاك لمصلحتك بدل ما أخليكي تعيشي آخر أيام حياتك في جحيم !

وفي لحظة وجدته بنصرف من أمامها كالشبح الذي ظهر في لحظة وانصرف في لحظة . ظلت مذهولة من كلماته ، لم تراه يتحدث بتلك الطريقة من قبل وكأن كل كلمة قالها عزم على تنفيذها بالفعل إن اقتربت من زوجته ولن يبالي لأحد ، ولكن كما قال المثل إن أدرت قتل الثعبان فعليك برأسه .. !

***

كانت أسمى تجلس على طاولة الطعام الصغيرة التي تتوسط نصف المطبخ وتمسك بيدها كوب الشاي خاصتها شاردة الزهن ، أحيانًا تتعجب من مروان تتغاطي أكثر من مرة عن نظراته وتفسرها بأنها شيء عادي ولكن مع كل مرة يثبت لها أنها تحمل في جوفها معانٍ جمة ، تذكرت نظرته

الغامضة للخاتم حين أعطته له وكلماته التي لم تفهم معظمها ، ماذا كان يقصد بهم ؟ .

وجدت ملاك تدلف للمطبخ وتبدأ الأخرى بتحضير كوب الشاي خاصتها ، يبدو أنه إدمان لجميع أفراد المنزل ، وحين انتهت اقتربت وجلست على المقعد المقابل لها تحاول خلق حديث معها وتهتف بصفاء :

_ مقولتيش عملتي إيه لما أتأخرتي برا والسواق مجاش ، مروان جالك علطول

هزت رأسها بامتعاض في إيجاب فأكملت بتصنع المرح :

_ وأكيد طبعًا بهدلك ؟

_ إنتي عايزة توصلي لإيه ياملاك ؟!

تنهدت الصعداء بعدم حيلة وغمغمت بضيق :

_ ولا حاجة يا أسمى ، عايزة أفهم سبب تعاملك معايا كدا

_ إنتي عارفة إيه سببه كويس أوي

_ لا ده مش سبب يا أسمى لإن إنتي عارفة إني مليش ذنب في أي حاجة

حصلت ، إنتي بس مش حباني فبتحاولي تلاقي حجة تعلقي شماعتك عليها مش كدا

التزمت الصمت ، محملقة بها بخنق ، ربما تكون لديها الحق في ماقالته فهي بغضتها ؛ لسبب غير مقنع وهو أنها لم تستلطفها فتحججت بأنها بغضتها لأن أمها هي السبب في موت أبيها التي لا تعرف عنه شيئًا . ربما إن أعطت لنفسها فرصة في التقرّب منها لن تندم ، ولكنها فضلت الابتعاد حتى الآن .

نهضت وغادرت المطبخ فورًا وكأنها تهرب من الإجابة ، أما ملاك فقد هدأت نفسها قليلاً وتأكدت من تأثير كلماتها عليها وأن علاقتهم ربما تصبح جيدة قريبًا جدًا .

***

غابت الشمس وحل محلها ضوء القمر الذي ارتفع في السماء . وبينما هي جالسة على في الهواء الطلق على مقعد وثير يتسع لثلاث أشخاص وتتأمل النجوم الساهرة ، شعرت به يجلس بجوراها يلف ذراعه حول كتفها ضامًا أياها متمتمًا بمشاكسته المعتادة :

_ نفسي أهم إيه حبك في إنك تقعدي تتأملي في النجوم والسما كدا

طالعتها بستخفاف وغمغمت بابتسامة امتزجت بالغرور والفخر :

_ ولا هتفهم ؛ لأن إيه فهمك إنت في التأمل والهدوء هما العقول المدبرة كدا ياحبيبي

_عقول مدبرة ! ، أممم قولتيلي !

قهقهت بشدة على طريقته واقتربت منه أكثر تسند رأسها على صدره بارتياحية أكثر وتغمغم بعفوية بعد أن لاحظت ملابسه :

_ إيه ده إنت لسا جاي ! ، أنا افتكرتك طلعت غيرت وبعدين نزلت

_ معلش بقى هي كدا العقول المدبرة مش فاضية تركز في اللي حاوليها !

لمست نبرة السخرية في صوته فازداد ضحكها أكثر ورفعت رأسها لتكون في مستواه وتترك لمستها الناعمة بشفتيها على وجنته فتقابل ابتسامتها الدافئة ، ثُم تعود تسند رأسها على صدرها وتمد يدها تلك المرة لتعبث بلحيته المغرية بالنسبة لها ، فإن سؤلت ما أكثر شيء تعشيقه في شكله ستجيب بدون تردد لحيته ! . ساد الصمت بينهما لدقائق طويلة حتى قطعته هي برزانة :

_ حكيلي يا أُسيد عن مراتك الله يرحمها ، يعني إزاي اتعرفتوا حياتكم كانت إزاي ، عايزة أعرف تفاصيل أكتر

قطب حاجبيه باستغراب وتمتم بريبة :

_ وإيه اللي خلاكي تقولي كدا يعني ؟!

_ عادي يا أُسيد يعني أهو بندردش وبصراحة عندي فضول أعرف كل حاجة عن الإنسانة اللي كان عندك استعداد تكمل حياتك كلها مخلص ليها ومتفكرش في الجواز ، أو اللي خلتك تحبها للدرجة دي

أخذ نفسًا عميقًا بشجن حين ذكرته بها ، مازال حتى الآن كلما يتذكرها ينفتح جرح قلبه مرة أخرى . كانت مثال للزوجة الصالحة بالفعل في كل شيء ، كانت لا تعصي له أمرًا ، تتجنب غضبه وضيقه منها كمن يتجنب الوقوع في الهاوية ، لم يذكر أنها في أحدي المرات رفعت نبرة صوتها عليه ، حتى في غضبها كانت رقيقة وحانية ! .

تنهد بأسى وتمتم بنبرة مريرة :

_ كان تعارفنا تقليدي جدًا وقتها أنا مكنتش بفكر في الجواز نهائي بس بابا الله يرحمه هو اللي صمم إني أتجوز وهي كانت واحد معرفة لبابا فقالي عليها وكان الموضوع عادي جدًا روحنا وعملنا الرؤية الشرعية

وعجبتني وبعديها تم الموضوع بسهولة ومن فترة الخطوبة وأنا ابتديت أتعلق بيها لما كنت بتعرف عليها وحدة وحدة وبعد الجواز طبعًا اللي ابتدت علاقتنا تاخد مجرى تاني زي أي أتنين متجوزين بجواز صالونات زي مابيقولوا ، يعني مفيش حاجة مثيرة في حياتنا كانت أو مشوفة

صمتت لبرهة من الوقت ثم قالت بترقب :

_ يعني لسا بتحبها ؟

كانت إجابته سريعة بدون تردد يجيب بصراحته المألوفة :

_ طبعًا

_ وأنا ؟

رأت الابتسامة الساحرة تشق طريقها إلى ثغره ، حتى في غيرتها ، ليس غيرة أنثى ناضجة بل غيرة طفلة . انحنى وقبّل جبينها ويده أتخذت طريقًا من الخلف تمرر أصابعها على وجنتها وسط همسه الرائع :

_ إنتي حاجة مختلفة ياملاك ، مش معني إني لحد الآن مش قادر أنسى مريم ولسا بحبها يبقى مش بحبك ، إنتي كنتي زي الملاك فعلاً اللي ربنا بعتهولي علشان يداويلي جروحي وعوضنا احنا الأتنين عن اللي شوفناه

ببعض ، بمعني أصح احنا بقينا زي اللي عايشين بقلب واحد لا أدإنتي تقدري تبعدي عني ولا أنا أقدر أبعد عنك . مش عايزك تفكري أو تشكي في حبي ليكي

ضحك رغم عنه عندما سمعها تهتف بخزي وخوف :

_ يعني إنت مش ممكن في يوم تتغير وتبقى زي أكرم ؟!

أردف من بين ضحكاته :

_ إنتي سمعتيني أنا قولت إيه ! ، طاب أنا راضي ضميرك ده منظر واحد ممكن في يوم يبقى زي المخفي ده أو على الأقل في تعامله مش يمد إيده عليكي ، أتقي الله ياملاك ده أنا مبيهونش عليا أنيّمك زعلانة مني

بادلته الضحك مهمهمة برقة مغرية :

_ خلاص معلش متزعلش

تصنع الضيق والغضب وتمتم بمكر دفين :

_ لا أزعل طبعًا ، صالحيني يلا

وثبت واقف من مكانها وقالت وهي تسحبه من يده :

_ بس كده من عنيا ، تعالى ده أنا عاملة بسبوسة النهردا الصبح تاكل صوابعك وراها !

رأت ضحكته الرجولية تتأجج بقوة :

_ هتصالحيني ببسبوسة !

_ أنت تطول أصلاً تاكل من البسبوسة بتعتي !

هب واقفًا وهو يجيب مبتسمًا :

_ مرة تورتة ومرة بسبوسة هفتحلك محل حلويات أنا بعد كدا !

***

أجابت على الهاتف بعفوية شديدة تلقي السلام مصاحب معه سؤالها بـ " من " ، فتصيبها الدهشة حين سمعت صوته الرجولي التي لم تنساه منذ أول مرة تقابلا فيها :

_ أنا ريان يازمردة ، عاملة إيه دلوقتي ؟

تحنحنت بارتباك وغمغمت بصوت مبحوح :

_ كويسة الحمدلله ياريان ، حكيت لمروان اللي حصل وطبعًا زي ما

اتوقعت أتعصب عليا وكان عايز يروح لأكرم لولا إني قولتله أنه في السجن دلوقتي ، ومنعني من الخروج من البيت ألا معاه

تمتم بنبرة هادئة في ابتسامة :

_ طاب زين !

وجدت نفسها تندفع به في غيظ :

_ زين إيه ياريان ، ده أنا هقعد تحت رحمة وقته يا فضيلي يا لا

اتسعت ابتسامة بقوة فوجدها تكمل بعذوبة وحبٌ صافي :

_ أنا طبيعي هاجي بكرة مع مروان علشان كتب كتاب مراد وسارة ، أهو نحاول نفرحها شوية لما نبقى جمبها

_ أيوة هي محتاجة ده جدًا دلوقتي فعلاً يازمردة

قالت بحماس جلي وخبث واضح :

_ طيب مانعملّها مفاجأة ، يعني مثلاً بكرة كتب الكتاب وكله تمام وبعدين مراد ياخدها ويروح بيها بيته وأنت أتفق معاه تعملوا فرح من غير ماتعرف وظبطوا كل حاجة في السر وموضوع الفستان والجزمة والحجات

دي سيبهالي أنا وملاك هنتكفل بيها ، يعني بحيث أن الفرح نعمله بعد كتب الكتاب على الأقل بيومين وبكدا هي هتفرح جدًا والله وفي نفس الوقت مش هنبقى حرمناها من فرحة لبس الفستان والفرح وأنها تبقى عروسة ، فاهمني ؟

أعجبته فكرتها بشدة ، لم يتوقع أنها تفكر بالجميع هكذا ، اكتشف أنها ذو قلب حنون لا تختلف عن أخيها بشيء أو عن ملاك . كلما يتذكر ما فعله بها يلوم نفسه أشد اللوم ، وبرغم كل هذا نسيت ماحدث وكأن لا شيء حدث بينهم .

أجاب بنبرة ناعمة وجميلة :

_ فاهمك يازمردة هي فكرة جميلة جدًا ، خلاص بكرة لما تاجي بإذن الله نتفق ونشوف هنعمل إيه

_ تمام أشوفك بكرة بقى ، مع السلامة

ودعها وأنهي الاتصال مبتسمًا بعذوبة ، كان من البداية ينوى الاتصال بها للأطمئنان عليها فقط في حوار لا يتعدى الدقيقة ولكن أخذ الحديث مجراه وتعدى الدقيقة بكثير ، ووجد لسانه هو من يجاريها في الحديث وحين أنهته بقولها " مع السلامة " كان يود أن يقول لها " انتظري قليلاً فأنا لا

أريد إنهاء الحديث " ، ولكن لم يكن عساه سوى قول " مع السلامة " مثلها .

***

تتابعه وهو يمسك بالصحن على يديه ويتناول ما بداخله في نهم وتلذذ ، وجدته يمد الشوكة إلى فمها ، ففتحته وتناولت ما فوقها لتستقبل تغازله الصريح بها في لؤم :

_ بسبوسة بتاكل بسبوسة ياناس !

وقفت قطعة " البسبوسة " التي تناولتها في فمها وتحولت إلى بندورة طماطم يكاد الدم ينبجي من خديها ، وفي ظرف ثوانٍ بدأت تسعل بقوة فناولها الماء وهو يضحك قائلاً :

_ طلعتي بتتكسفي أهو يعني ده أنا قولت إنتي بقيتي عديمة مشاعر ومعندكيش دم من ساعة ما أخدتي عليا !

ضربته على ذراعه بقوة وهي مستمرة في السعال فيخرج صوتها المبحوح :

_ أخرص ، هات ده كدا

همت بأن تسحب الصحن من يده فأحكم هو القبض عليه قائلاً بحدة مزيفة :

_ اقعدي مكانك يابت !

_ يارب بجيلك تلوث في معدتك !

فغر عيناه بدهشة وترك الصحن بجواره ؛ ليقترب منها كحيوان مفترس يتربص لفريسته ؛ فتراجعت هي للخلف على الفراش بخوف بسيط ، ظل يقترب وهي ترجع برأسها للخلف حتى أسندتها على الفراش فتسمع همسه المدهوش :

_ يارب إيه ؟

أدركت نفسها وقالت بابتسامة بلهاء في رقة أنوثية :

_ يارب تروح الجنة

_ يارب ياختي ، أيوة كدا اتعدلي بس لازم تتعاقبي

لمست نبرة اللؤم في جملته الأخيرة فكان رد فعلها أسرع حيث جذبت الوسادة الناعمة ووضعتها على وجهها تتفادى أي تصرف منحط منه ،

ذكرى محمود

فسمعت صوت ضحكه وهو يحاول إبعاد الوسادة وهي تصرخ به متوسلة :

_ خلاص يا أسيد بالله عليك هحترم نفسي بعد كدا صدقني

بأصرار تام ولهجة لا تقبل النقاش وسط ضحكاته الساخرة :

_ ولو لازم تتعاقبي أنا نويت خلاص ياحبيبتي

وسط محاولات فاشلة منها في بداية الأمر لكي تتفاده وصوت ضحكها مرتفع لكل من يمر بجانب غرفتهم ، ولكن في النهاية خضعت قوتها له واستسلمت بارهاق .

***

في مساء اليوم التالي الذي كان بشرة لبداية حياة جديدة لأحدهم ، حيث أتم عقد قرآن مراد وسارة وأصبحت زوجته شرعي وعلى سنة الله ورسوله ، عزم على أن يخرجها من ظلامها وسيفعل ، سيشعرها دائمًا بوجوده ، ستكون أميرته وطفلته سيُدللها كما لو أن الله رزقه بابنة . ما مرت به شيء وما ستعده في عصر زوجها شيء لم يخطر على بالها حتى ! .

كان الجميع يرتص حول مائدة ضخمة أتسعت لهم في حديقة المنزل وكان

هو يجلس بجوارها متعمدًا لف ذراعه حول كتفها ؛ لكي يشعرها بالأمان بقربه وبالفعل نجح في جعل ذلك الشعور يتسرب في خلاياها ، ولكنها كانت ساكنة تمامًا بين ذراعيه تقلب عيناها بينهم جميعًا وتُتابع حديثهم وضحكهم بجمود . سرت قشعريرة بجسدها حين شعرت بأنفاسه الدافئة تلفح أذنها وهو يهمس بحنو :

_ لو تعبتي ياسارة قومي نروح يلا ؟

أكتفت بهز رأسها بالرفض دون أن تنظر له حتى ؛ نتيجة لخجلها منه ، قلبه يدق بعنف كلما تسمع صوته الذي يضرب في أذنها كالرعد وهو يضحك ويبادلهم الأحاديث ، لم يكن خوف منه قط بل كان خجل فطالما تخليته كصديق وابن عم فقط لم تتخيله كزوج ، دائمًا كانت تنظر له على أنه أخيها ، سوى في الفترات الأخيرة تغيرت نظرتها له وبدأت مشاعرها تتحرك ولكن أيضًا لم يصل عقلها إلى حد التخيل به كزوجها ، والحقيقة الآن أنه زوجها بالفعل وتجلس بين ذراعيه أمام الجميع . تعرف أنها لم تندم على موافقتها ولكن ما سيحزنها أنها لربما تشعر بالشفقة منه تجاهها .

أقترب أحد الحراس من ريان وانحنى إلى أنه يهمس بنبرة جادة :

_ معتز برا يا ريان بيه ومصمم يشوفك إنت وأسيد بيه وبيقولي لو مطلعتوش هيدخل ومش هيحصل طيب

الفصل الرابع والعشرون

أقترب أحد الحراس من ريان وانحنى إلى أنه يهمس بنبرة جادة :

_ معتز برا يا ريان بيه ومصمم يشوفك إنت وأُسيد بيه وبيقولي لو مطلعتوش هيدخل ومش هيحصل طيب

وقع نظره أول شيء على ملاك الجالسة بجانب أسمى تشاركهم الضحك بعفوية ثُم بدأ يقلب نظره بينهم على أُسيد فلم يجده ، وفي لحظة وجده يخرج من المنزل مسرعًا فعرف أنه رآه من أعلى . فهب واقفًا وسبقه إلى الخارج أما هو فاقترب من حشدهم وانحنى على أذن زوجته يهتف بحدة :

_ اطلعي أوضتك ومتزليش إلا لما أقولك

نظرت للجميع بدهشة مماثلة لهم فأتاها صوته الأكثر غلظة :

_ قولت اطلعي ياملاك

اتاه صوت جده باستغراب :

_ في إيه يا ولدي وريان طلع برا ليه ؟!

_ مفيش حاجة ياجدي متشغلوش بالكم

تأكد من دخول زوجته المنزل حتى اندفع إلى الخارج يلحق بريان ، فلم يتسطيع مراد البقاء هكذا فنهض ولحق بهم وكان خلفه مروان ، همّ ثروت بالنهوض ورائهم فقبض على ذراعه محمد يأمره بالبقاء .

كان أول المتقدمين إليه ريان حيث صاح به منفعلاً :

_ إنت إيه اللي جايبك هنا ؟

_ عايز أختي يا ياريان وعارف إنها هنا ومش هتحرك من هنا قبل ما أشوفها وياقاتل يامقتول

أبعد أسيد ريان بغضب عارم وجذبه من ملابسه مغمغمًا بخفوت مخيف :

_ أختك مراتي وأنا اللي أقول تقابلك أو لا ، وبقولك مش هتشوفها يامعتز ودلوقتي قدامك حلين ياتمشي على رجلك يأما متشال في كفنك

_ تمام بقى هو كدا ، وإنتوا اخترتوا المقتول بقى !

قال أخر كلمة وهو ينغز في أحشائه سلاح صغير أشبه بسكين أخرجه من جيبه ، وتابع قسمات وجهه التي أصبحت ملتهبة وعيناه ظهر بها الألم

ولكنه أمتزج بشرارات الوعيد ، تتحدث عيناه وتقول بصمود على غير المعتاد : " لست أنت أيها الوغد من سيستطيع إخضاع أسيد الصازي له بتلك الطريقة " .

هرول إليه مراد وهم بأن يقبض على ذراعه يسنده فدفع يده وتحامل على نفسه ليوجه له بعض الضربات التي أبرحته أرضًا ، أبعده عنه ريان وتولى مهمته يّكملها ، أما أُسيد فوضع يده على أحشائه وهى ينحنى بجزعة للأمام فقد كان الألم أكثر من أن يتحمله بشر اقترب منه مروان مسرعًا وقال :

_ يلا بينا على المستشفى يا أُسيد

هز رأسه نافيًا بعناد شديد فقال مراد وهو يصيح به و يترنح من الغضب :

_ لا إيه أنت هتستهبل يلا ، خد الكلب ده ياريان واحنا هنوديه المستشفى وناجي وراك

كان يحدق به معتز بتشفي ، يراه وهو بدأ يفقد توازنه شيئًا بشيء ، أوشك على السقوط جريحًا فاقدًا الوعي .. لفت نظرهم صرخة الأنثى التي انطلقت من غرفته بأعلى عندما رأته بذلك الوضع :

_ أُسيد !!

ندى محمود

كان معتز أول من رفع نظره فرأى أخته تقف في شرفة الغرفة منذهلة من مايحدث أمامها !! ، وفي ثوانٍ دخلت وهرولت داخلة ترتدي حجابها وتغادر راكضة ، فحاول نزع يدي ريان عنه ولكنه وضع يده على منطقة معينة في رقبته وضغط عليها باحترافية جعله يفقد وعيه في الحال ! ، ثُم جذبه ووضعه في مقعد السيارة الخلفي وأنطلق بها .

جميع الجالسين بالأسفل أنتفضوا على صرختها وهبوا واقفون بدهشة وهم يرونها تركض إلى الخارج في هلع بادي على وجهها ، فوقفوا ولحقوا بها راكضين في خوف .

رأت كل من مروان ومراد يساعدونه في الركوب بالسيارة فركضت نحوهم قبل أن يغلقوا الباب وصعدت بجواره وهي تبكي بحرقة ، صعد مراد بمقعده المخصص وانطلق بالسيارة بسرعة البرق ، فخرج صيحة ليلى المصدومة :

_ ابني ماله يامروان ، أسيد ماله

كان يلهث من أثر الخوف الذي هيمن على الجميع في لحظة وأجاب بإيجاز في نبرة سريعة :

_ الموضوع مش خطير ميستاهلش كلكم تاجوا ، كفاية جدي ومرات عمي والباقي يقعد واحنا هنطمنكم

صاحت أسمى بارتجافة صوت :

_ وانا جاية معاكم !

***

كانت تضمه إلى صدرها وهي تبكي بحرارة متمتمة :

_ أسيد استحمل ياحبيبي خلاص قربنا نوصل

أغلق عيناه بعدم قدرة على التحمل أكثر من ذلك وغاب تمامًا عن أي شيء حوله فازداد بكائها أكثر وهي تكرر اسمه مرارًا وتكرارًا على أمل أن يفتح عينه ثانيةً ، فقالت لمراد متوسلة :

_ بسرعة يامراد بالله عليك ، النزيف شديد !

قال لاهثًا في قلق جلي :

_ خلاص كمان دقيقة ونكون قدام المستشفى

مرت الثواني واللحظات وهي على تلك الحالة تحاول مخاطبته على أمل أن يفتح عيناه مُجددًا .

وأخيرًا وصلت السيارة إلى المستشفى وخلفهم كانت سيارة مروان وبها

الباقية فترجل مراد فورًا من مقعده وفتح الباب وحاول إنزاله من السيارة بمساعدة مروان وبعض الممرضين في المستشفى الذين وضعوه على محفة وساقوه إلى غرفة العمليات بداخل .

ظلت تجوب الطرقة إيابًا وذهابًا في خوف وبكاء مرير ويماثلها البكاء من جهة أسمى وليلى التي وقفت وصرخت بها بحقد :

_ كل ده بسببك ياوش النحس إنتي لو ابني حصله حاجة مش هرحمك

أجابتها ملاك منفعلة :

_ وأنا مالي باللي حصل ، أسيد جوزي وخوفي عليه يمكن أكتر منك شوية كمان ومستحيل أقبل ليه بالآذية

_ وأديكي قبلتي بيها لما ممنعتيش أ.....

سمعت صيحة عنيفة من مراد يقول بصرامة :

_ اقعدي يا أمي ده مش مكان للخناق لما يقوم أسيد بالسلامة نبقى نشوف الموضوع ده

تعجبت ملاك بشدة ولكنها لم تكترث لكلامهم فكل تفكيرها كان مُثبت على زوجها وتنتظر خروج الطبيب لكي يبشرها بخروجه سالمًا .

***

تلقى ضربات متتالية على يد ريان حتى كاد أن يسقط ضريحًا بين يديه ، ثوران عاتي بداخله كلما يتذكر مشهد ابن عمه وصديقه وهو يُطعن أمامهم على يدي ذلك الحيوان ؛ فيزداد عقابه له أكثر وتشتد الضربات الموجهة له قوة وقسوة وهو لا يبالي بوضعه إن كان يوشك على فراش الموت أم لا ، لولا أحد رجاله الذي هتف برزانة :

_ ريان بيه أنا آسف لو بدّخل في حاجة مليش فيها ، بس أنا رأي كفاية كدا ممكن يموت في إيدك وهتبقى في مصيبة كبيرة ليك لو حصل ده

صاح مندفعًا موجهًا له آخر ضرباته :

_ لما واحد زي ده يتطاول علينا ، يبقى أقل حاجة فيه الموت

خرج صوته الضعيف متمتمًا بتحدي :

_ أختي هاخدها منكم ياولاد الصاوي ، مش كفاية أبويا وأمها اللي قتلتوهم !

_ أحب أقولك إنك مش هتشم ضفر ملاك حتى ولا هتلمح ضلها بعد اللي عملته ، يمكن قبل اللي حصل ده كان يبقى في أمل إنك تشوفها لكن

دلوقتي إنسى

فضّل الصمت في تلك اللحظة وأن يُثبُت له فعلاً وليس قولاً في ما يقوله حول الحصول على أخته ، أما ريان فرمقه بنظرة احتقار وتحدّث إلى أحد رجاله :

_ خلى بالك عليه وإياك يهرب منك

***

في تلك االحظة التي خرج الطبيب من غرفة العمليات كان الجميع يركض إليه يترأثهم ملاك التي هتفت بأعين دامعة :

_ طمنا يادكتور

_ الحمدلله هو بخير ، السكينه اللي أضرب بيها كانت مسمومة بس الحمدلله إنكم لحقتوه بسرعة قبل ما السم يسري في الجسم كله

قالت ليلى بتوسل :

_ طيب أدخل أشوف ابني بس دقيقة وهطلع يادكتور

_ مينفعش يامدام حاليًا للأسف ، احنا هننقله غرفة عادية دلوقتي وأول

تركت حشدهم ملاك وجلست على أحد المقاعد بعيدًا عنهم تشارك همومها وحزنها بأسى ، فهي ليست مؤهلة لخسارة أي شخص آخر وبالأخص إن كان زوجها ، ولكن هدأت نفسها قليلاً حين طمئنها الطبيب ، ولكن لم تهدأ تجاه من فعل هذا وتتخيل إن وضعت أمامه ماهي أشكال العذاب التي ستوجهها له ! .

لم يكن أحد متوقع حدوث هذا ، فقد اقتحم بيوتهم على غفلة وفعل بهم الأفاعيل ، تذكرت كيف قضت الأيام السابقة مع زوجها في سعادة ، وحمدت ربها الآن أنه حفظها لها ولهم .

قضوا ما يقارب الساعة وهم منتظرين أمام غرفته ، ينتظرّن الأشارة للدخول ، والجميع كان في حالة صمت مرير ، يهمين عليهم الشجن والعبوس ، فكل هذا البكاء والصراخ أهلك قوتهم . أنقذهم من هذا العبوس خروج الممرضة تسمح لهم بالدخول ، فركضوا جميعًا وكأن آخرهم ملاك حيث ووقفت تتابع عناقهم له وفي عيناها عبرات أبت الخضوع فسارت في طريقها للنزول ، كانت تفكر فيما قالته " ليلى " وأنها السبب في كل هذا ، لا تعرف ماذا فعلت ولكن كلماتها جعلتها تبدأ تشك أن سببه هي ! .

لاحظت نظرته الدافئة لها وهو يمد يده بتعب يحثها على القدوم إليه ، فهرولت مسرعة وبكت بشدة دون النطوق بأي حرف بينما هو فاقترب

برأسه وهمس بجانب أذنها :

_ خلاص ياملاك في إيه أنا كويس ، متخلنيش أعمل حاجة مش كويسة والناس قاعدة كدا عيب

ابتسمت رغم عنها بعد أن ابتعدت وبدأت تجفف دموعها ، كان وجهها يكشف كل شيء له فعزم على سؤالها حين ينفرد بها ، ثم وجه سؤاله إلى مروان قائلاً بصلابة :

_ ريان فين أمال ؟!

_ ريان مع الكلب اللي عمل كدا وقالي لما تفوق أرن عليه ، ممكن يكون جاي في الطريق دلوقتي

قالت ليلى بقلق أمومي وصوت مبحوح :

_ المهم إنت كويس ياحبيبي ؟

_ كويس يا أمي متقلقيش

ودّ مراد لو يقترب من أخيه ويعانقه ويَحمّد الله على سلامته ولكن لا يستطيع فقد قطع حبل الوصل الذي بينهم في تلك الليلة إن لم يكن هو

الذي قطعه فأسيد من فعل هذا ، لاحظت ملاك الفتور الذي بينهم فأشارت بيدها إلى مراد أن يتبعها للخارج من دون أن يشعر أحد بهم ، وانصرفت هي من أمامهم مغادرة الغُرفة دون أن ينتبه أُسيد لها وتبعها مراد الذي

هتف بحيرة :

_ في إيه ياملاك ؟

_ إيه معني اللي كانت بتقوله أمك ، أنا فعلاً السبب في اللي حصل ده !

تنفس الصعداء بنفاذ صبر وأجابها بهدوء :

_ لا طبعًا إنتي عارفة ماما يا ملاك وبتقول إي حاجة وقت العصبية

صمتت بقلة حيرة ويأس من أن يُخبرها بشيء وسرعان ما انتقلت للأمر الثاني :

_ هو إنت وأُسيد يعني مبتكلموش بعض مش كدا

زفر بخنق واضح وقال بصرامة :

_ أيوة ياملاك بسبب موضوع كدا حصل ، متشغليش بالك بالحجات دي إنتي

وفي لحظة وجدته يغادر ويتركها فتنفست الصعداء بحزن وعادت ورائه للداخل .

***

بعد محاولات عديدة منهم أن يجعلوه يقضي اليوم في المستشفى حتى تتحسن حالاته جيدًا ولكنه رفض بشدة ، وبعد تعب ومجهود بذلوه مع الطبيب وافق بشرط أن يواظب على دوائه ولا يتحرك كثيرًا إلا للضرورة .

عاد إلى المنزل فاستقبله كل من كان بالمنزل ينتظروه بسعادة شديدة وحمدوا الله على سلامته ، وبعد الانتهاء من كل هذا ساعدته ملاك في الصعود إلى غرفتهم ورافقته ، وبمجرد غلق الباب عليهم وتسطح على الفراش فطلب منها الجلوس بجوراه وأردف بنظرة قوية :

_ ممكن تقوليلي مالك بقى ؟!

أطرقت أرضًا وقالت بخفوت حزين :

_ مفيش حاجة يا أسيد

أحمرت عيناه فورًا وقال بشبة صيحة عنيفة :

_ لا في إنتي مش طبيعية من ساعة ما كنا في المستسفى وطلعتي مع مراد تتكلمي معاه في إيه معرفش وفكراني أهبل مش شايف ولا حاسس

بيكي يعني ، اخلصي قولي متعصبنيش أنا مش مستحمل

تمتمت بأعين دامعة وصوت مبحوح ومتشنج :

_ أصل مرات عمي قالت إني السبب في ده كله وأنا مدايقة من ساعتها واللي مدايقني أكتر إني معرفش أنا عملت إيه أصلاً يخليني السبب ولما سألت مراد مقاليش حاجة

فتح ذراعه له يدعوها للانضمام إلى كنفه فلبت الطلب في بشاشة وهي تهمس ببكاء وصوت أكثر ارتجافًا :

_ أنا والله كنت هتجن من الخوف عليك ولو كان حصلك حاجة لقدر الله مكنتش عارفة هعمل إيه ، وبعد ده كله بتقولي أنا السبب طيب أنا السبب إزاي ده أنا مستحملش آذيك بأي شكل من الأشكال هل هكون السبب في حاجة زي كدا

_ إنتي لسا مخدتيش على ماما ياملاك هي بس بتقول كدا دايمًا ، كلام وخلاص ، متشغليش بالك بيها هي أكمنها مش بتحبك بتحاول تلزق أي حاجة فيكي !

أجابته وجسدها ينتفض من فرط بكائها وصوت متقطع :

_ لا ، أنا م..ش عايزة أقعد هنا تاني كفاية ، يلا بينا نرجع بيتنا يا أسيد أنا هناك كنت مرتاحة أوي ومكنش في حاجة بتدايقني

قبّل رأسها وتمتم بنبرة حانية وعاشقة :

_ حاضر ياروح أسيد تعدي اليومين دول بس ونسافر زي ما اتفقنا وبعدين نبقى نرجع على بيتنا

رفعت نظرها له بحبٍّ متبادل ورفعت نفسها قليلاً لتطبع قبلتها الرقيقة على وجنته متشدقة برقة أنوثية :

_ ربنا يخليك ليا ياحبيبي

طالعها بنظرة لئيمة وغمغم في شيء من الوقاحة غير المعهودة ويتصنع البراءة ليخفيها :

_ طيب أنا عايز أغير مش هتساعديني ولا لا

_ لا أساعدك ياحبيبي بس أخري جاكت ، قميص كدا يعني

همهم بنبرة أكثر خبثًا :

_ خلاص يعني أجبلي خدامة ولا ممرضة تساعدني ومراتي قاعدة

اشتعلت عيناها بوميض الغيرة وقالت بنظرة شرسة شبه محذرة :

_ احترم نفسك هاا ، خلي ربنا يكمل شفائك كدا وتقوم على رجلك

ضحك بشدة في تلذذ بمشاكسته معها فوجدها تبعد يده وتضع رأسها على صدره وتغمض عيناها باستمتاع فقال مبتسمًا :

_ بتعملي إيه !

_ عايزة أنام إيه هتمنعني أنام كمان

_ ومالك بتتكلمي بثقة كدا ليه ولا كأنك نايمة في حضني يعني !

رفعت نظرها له وهمست بمكر فاق مكره ودلال ورقة :

_ وإيه هو مش حضنك ده ملكي ولا في وحدة تاني بتشاركني فيه !

إطال النظر في وجهه مبتسمًا ، عقله يرفض تصديق أن تلك هي الملاك التي تعرف عليها في بداية مشوراهم ، كيف تحولت هكذا وأصبحت أنثى ناضجة تعرف كيف تصل لطرق قلبه وتغريه بكلماتها الماكرة ونظراتها القاتلة ، كيف قضت على خجلها منه في أيام قليلة وتحولت إلى أنثى

حقيقية ، حين يوجب عليها الدفاع عن نفسها ومن تحبهم فتتحول إلى وحش كاسر وحين يوجب عليها أن تكون جنسها الحقيقي فتتقمصه بمهارة ، والآن لعبت الدور باحترافية حيث جعلته ينظر لها بإعجاب على ما وصلت إليه ولا يشك في أنها تقصد أن تَشعرُه بذلك الشعور .

سمعت همسه الهائم بها وهو يقول بعشق جارف :

_ وهي مين دي بس اللي تقدر تاخد مكانك ياملاكي ، أنا سبق وقولتلك إن لو وحدة دخلت قلبي وسيطرت عليه صعب جدًا يقبل أي ست غيرها ، زيك كدا بظبط !

دفنت وجهها بين ثنايا صدره بأنفاس منتظمة وتُرسم على جانب ثغرها ابتسامة ساحرة تعبر عن راحتها وهي بين ذراعيه ، ثوانٍ وبدأت تشعر بيده يمررها على ظهرها صعودًا ونزولاً بنعومة فأغمضت عيناها بتلذذ ؛ لتغرق في النوم بعد مساء شاق ومتعب مر بهم .

***

دخل مراد غرفته وإذا بها تثب من مكانها واقفة وكأنها كانت تنتظره وتخشى قدومه ، فاقترب منها بوجه متعجب واكتفى فقط بمسك يدها التي شعر برعشة جسدها بمجرد لمسه لها وغمغم بخفوت دافيء :

_ سارة أنا خلاص بقيت جوزك مش عايزك تخافي مني لأي سبب من

الأسباب ، لأني مستحيل أذيكي فهمتيني ، ولو في حاجة مدايقاكي تعالي وقوليهالي علطول ومتخبيش عني حاجة خلاص

سحبت يدها ببطء وهمست بنبرة تحمل في جوفها بعض الخوف :

_ يعني هتقعد معايا في نفس الأوضة وجمبي على السرير

فهم فورًا بماذا هي تفكر فقال بحكمة أقنعتها بشدة :

_ طبعًا هقعد معاكي في نفس الأوضة علشان لو احتجتي حاجة أكون جمبك دايمًا ، أما موضوع النوم ده فبراحتك أنا ممكن أنام على الكنبة لو مش حابة أنام جمبك !

شعرت بتانيب الضمير قليلاً حين قال سينام على الأريكة ، فهي تخشاه من دون سبب تخشى ان تقترب من أي رجل ولكن هو لن يؤذيها بشيء حتى وإن بقى بجوارها فهي متيقنة من هذا .

قالت بخفوت بسيط :

_ لا متنامش على الكنبة نام جمبي بس هنحط مخدات

ضحك بخفة وأجابها بمداعبة جعلتها تبتسم :

_ نفترض إني واحد قذر هل هتمنعني المخدات دي يعني !؟

_ هتمنعك وحتى لو منغيرها مش هتقرب لإني واثقة فيك

طالعها بابتسامة ساحرة وغمغم بحُبٍ :

_ ولما هو إنتي واثقة فيا كدا ، خايفة مني ليه !

قالت بأعين غائمة بها الدموع :

_ مش منك بس ، أنا بقيت بخاف من أي راجل ومش بستحمل لمسة إيدهم عليا حتى بابا وريان بقيت أكش منهم ، غصب عني والله يامراد ، بس مش معني إني بخاف منك إنت وبابا ريان أبقى مش واثقة فيكم لا طبعًا ، بس ده أصلاً خوف طبيعي تولد فيا تجاه أي رجل من ساعة اللي حصل واللي عايز أفهمولك إنه مش خوف أنكم ممكن تأذوني أو كدا لا هو مجرد رهبة ونفور إني مش بقدر اتحمل لمسة أي حد عليا

اردف بتفهم وهمس ناعم وحاني :

_ فاهمك كويس وعارف ، أنا متجوزتيش غير لأني حابب أكون جمبك وأخرجك من اللي إنتي فيه والسبب التاني إن حتى لو أنا وإنتي انفصلنا يبقى قدامك فرصة إنك تعيشي حياتك وتتجوزي من تاني

_ يعني إنت مش زعلان مني في حاجة

_ وأزعل ليه ؟! هو إنتي عملتي حاجة أساسًا تخليني أزعل ، أنا ممكن أزعل في حالة وحدة لو كنتي مدايقة من حاجة وفضّلتي تكتميها في نفسك ومتقوليش أو حاجة إنتي خبتيها عني مثلاً

تابع بابتسامة مرحة ونبرة جميلة :

_ نتفق اتفاق بقى هتعملي اللي قولتلك عليه ده علشان نبقى حلوين مع بعض وإلا هتشوفي عقاب قاسي مني ، فاكرة الشوربة اهو حاجة زي كدا

اتسعت ابتسامتها رغمًا عنها وقالت برقة طبيعية :

_ حاضر !

_ أيوة كدا ، أنا أحبك أكتر وإنتي مطيعة

تعمد مسك يدها تلك المرة وطبّع قُبلة رقيقة على ظاهرها ؛ لكي يجعلها تتعود على لمسته شيئًا فشيء وتكسر الحاجز الذي بينهم بالأخص ، فيستطيع التعامل معها بعفوية وراحة ؛ حتى يتمكن من أن يخرجها من ذلك الظلام التي دفنت حية به .

ذكرى محمود

أما هي فلم تُربكها لمسة يده أكثر من ملمس شفتيه ، ربما لأن يدها عاهدت لمسة يده للتو أما شفتيه فكانت شيء خارق لطبيعتها ، جعلتها تكاد تفقد توازنها وتسقط أمامه لولا همسه الذي ريح قلبها :

_ أنا هاخد دش عشان بعد كدا ورايا شغل وطالع لو عوزتي حاجة أنا وبرا رني عليا علطول

تعجبت من قوله عمل في ذلك الوقت المتأخر ولكن كل ما أهمها أنه سيتركها بعد أن كادت تفقد وعيها في وجوده ! .

***

قبل أن تغادر كان صوته يوقفها فاستدارت وعادت له وهي تقول بفضول :

_ عملت إيه مع معتز يا ريان ؟

_ عملت معاه اللي لازم يتعمل

_ إنت مش شايف إنه غلط أننا نخبي حاجة زي كدا عن ملاك

هتف في سخط جلي :

_ لا مش غلط يازمردة لما يبقى أخوها واحد حيوان زي ده وممكن يأذيها يبقى حلال اللي بيحصل فيه وإننا نخبي عنها

_ براحتكم بس لو ملاك عرفت إنك عارف إنت وأسيد ومخبين عنها طول المدة دي مش هيحصل كويس أنا عارفة ملاك كويس أوي لما بتزعل وتعاتب حد بجد

تنفس الصعداء بإرهاق وقال بتشويق بسيط :

_ هاا هنعمل إيه في موضوع الفرح

قالت بحماس مماثل له :

_ أنا كنت ناوية أخد ملاك طبعًا بس بعد اللي حصل ده أسيد مستحيل يخليها تطلع من البيت فاممكن نشوف أسمى ونروح أنا وهي وإنت ومراد ظبطوا الأمور الباقية وزي ماقولتلك في التلفون بس إنت تاجي معانا بقى لما نشتري الفستان لأن إنت هتكون عارف زوقها أكتر منينا فتختارته معانا

أجابه بضيق حقيقي وخنق :

_ لا بقولك إيه احنا متفقناش على كدا أنا مبطيقش لف محلات الستات دي

أصلاً مش ناقص قرف أنا

ضحكت بقوة وتشدقت بصرامة زائفة :

_ هتاجي ياريان غصب عنك ، استحمل شوية علشان أختك ياحنَيّن

_ طاب امشي من قدامي يابت حنَيّن في عينك أنا بتاع الكلام ده

طالعته بضحك أشد ومن ثُم أستدارت وعادت من ممان ما مانت ذاهبة حيث سيارة أخيها ، بينما هو فظل واقفًا مبتسمًا في حنو ، ثوانٍ توالتها اللحظات حتى أفاق وحس على نفسه فانصرف فورًا من أمامها ! .

***

استيقظت سارة في صباح اليوم التالى ، وفتحت عيناها بصعوبة في وجه الشمس الضاربة في عيناها ، نظرت إلى جانبها فوجدته نائم بثبات تام فلم تود استيقاظه ، نهضت من الفراش وسارت نحو النافذة لتغلقها فيقع نظرها على روان المندفعة نحو المنزل كالثور الهائج وكأن تلك المرة تختلف عن سابقيها ، لن تفوت الفرصة هذه المرة في معرفة كل شيء فوضعت الحجاب على شعرها وغادرت الغرفة ركضًا حتى تلحق بها قبل أن تقع تحت إيدي ليلى أو غيرها ، وبالفعل قبضت عليها وطلبت منها

القدوم معها في مكان ما في الحديقة بعيدًا عن أنظار أي شخص ،
ومرت دقائق طويلة وهم يتحدثون حتى نفض جسدهم صوت الصراخ
المنبعث من المنزل ! .

الفصل الخامس والعشرون

ومرت دقائق طويلة وهم يتحدثون حتى نفض جسدهم صوت الصراخ المنبعث من المنزل ! .

فأشارات سارة إلى روان بالذهاب وهرولت هي إلى الداخل فذُهلت حين رأت زوجة عمها واقعة على الأرض وتمسك بقدمها ويتعالى صراخها ، ورفعت نظرها لأعلى لتجد ملاك تقف في منتصف السلم وعلامات الصدمة محتلة وجهها ، ولحظات وكان كل من مراد وأُسيد بالإضافة إلى أسمى يركضون نحو أمهم الواقعة على الأرض وتصرخ وكان أول من يهتف بفزع هو أُسيد :

_ أمي مالك حصل إيه !

فتجيبه بتمثيل بارع وتقمص دور المظلوم :

_ مراتك يا أُسيد أنا قولتلك إنت دخلت عقربة وسطينا ، زقتني من على السلم

تحولت نظرات الجميع المندهشة إلى ملاك ماعدا سارة التي رمقت ليلى بنظرة استحقار وبغض ، وكأن كل ما فعلته في الماضي مع مراد تُريد إعادته مجددًا ولكت بأحداث مختلفة ومثيرة ، لم يكفيها ما جعلت ابنها

يشهده والألم الذي سببته له ، الآن تُريد تكراره مع أسيد ، ولكنها لم تسمح لها بأن تفعل كما فعلت سابقًا مع مراد ! .

نظرت ملاك للجميع بأعين دامعة وبالأخص إلى زوجها هاتفة بصوت باكي :

_ معملتش حاجة والله دي هي اللي شدت معايا ورمت نفسها من على السلم علشان تقول إن أنا اللي عملت كدا

صاحت ليلى بألم شديد وسط أنينها :

_ كمان ليكي عين تكدبي ، روحي منك لله ياشيخة

صاحت أسمى مندفعة في ضجر :

_ آه ماهو ده اللي إنتي عايزاه ياست ملاك ، قال وأنا اللي كنت بدأت أصدق إنك كويسة فعلاً

همت ملاك أن تُجيب باكية ولكن انتفضت واقفة على صوت زوجها وهو يقول :

_ اطلعي فوق ياملاك واستنيني ومتطلعيش من أوضتك أبدًا

وحدها سارة من استطاعت رؤية الابتسامة الخبيثة التي لاحت على جانب

ثغرها ، وظلت واقفة تتابع الحدث لأخره والذي انتهي بأنهم أخذوها إلى المستشفى . فصعدت إلى ملاك ودخلت لها وقد كانت في حالة مزرية بها ، حيث أحمرت عيناها من كثرة البكاء وانتفخت فاقترب منها سارة وقالت بعد أن ضمتها لصدرها :

_ اهدي ياملاك ياحبيبتي

_ أنا معملتش حاجة والله ياسارة دي هي اللي رمت نفسها من على السلم

_ عارفة والله إنك معملتيش حاجة ومستحيل أصدق إنك تعملي كدا

خرج صوتها المتشنج قائلة :

_ شوفتي أسيد بيبصلي إزاي وبيزعقلي إزاي ، مش مصدقة إنه صدقها بسهولة كدا

_ معلش مهي برضوا أمه وهو وقتها كان متعصب متقلقيش كل حاجة هتتحل وعد مني متخافيش

ابتعدت عنها وقكبت حاجبيها متمتمة بريبة :

_ وعد ! ، هتعملي إيه يعني !

قالت بأعين تشتعل بشرارات الوعيد :

_ لا من ناحية هعمل فأنا هعمل كتير لسا مع ليلى هانم دي

_ في إيه ياسارة أنا حاسة إني بتكلم مع وحدة معرفهاش ، وبعدين مالك مدايقة منها كدا ليه ؟!

_ هقولك على كل حاجة بس مش دلوقتي ، نامي إنتي وارتاحي ومتقلقيش مفيش حاجة هتحصل بينك إنتي وأسيد

طالعتها باستغراب حتمًا أن هناك شيء تخفيه وإلا لما ستحمل كل هذا الحقد والغل لزوجة عمها ؛ إلا لسبب قوي ، بدأت تخشي منها فكأن سارة من كانت تعرفها في الماضي ستعود أنثى مفترسة مستعدة لإلتهام إي شخص .

***

في مساء ذلك اليوم ...

كان يجلس بجوراها على الفراش في غرفتها يطمئن عليها بعد نهار طويل

قضوه في المستشفى ، وعودتهم الآن بعد أن أطمئنوا على وضعها .

هتفت بتصنع البراءة والحزن :

_ يعني أنا بعد ده كله تعمل فيا كدا ، أنا منكرش إني مكنتش بحبها بس ابتديت اتقبلها واحاول أخلي علاقتنا كويسة تقوم تعمل كدا معايا

_ إنتي متأكدة إن ملاك زقتك يا أمي ؟

هتفت بانفعال بسيط :

_ طبعًا متأكدة ، إنت بتشك فيا ! يعني أنا هتبلي عليها يا أسيد

تنهد بعمق وغيظ ، فمن جهة لا يستطيع يُصدق أنها فعلت شيء كذلك ومن جهة لا يستطيع تكذيب أمه ، فانحصر بين تصديق أحدهم أما أن ينحاز لزوجته أما لأمه وفي كلتا الحالتين لن يتمكن من مراضاة أي من الطرفين ، فقرر أن يسألها عن التفاصيل حتى يكون على إلمام بالأمر وقال بحيرة :

_ إنت قولتيلها إيه ؟

_ أنا مقولتش حاجة ده أنا بتكلم معاها وبقولها على مريم وإن إنت متعود بتزورها كل أسبوع والنهردا اليوم اللي بتروح فيه وقولتلها أبقي روحي

معاه وأنا أول ما نطقت بكدا ودي فتحت فيا وقالت وهي متعصبة وأنا مالي بلا مريم بلا قرف ، أروح ليه معاه هو أسيد عايز يزورها يروح لكن أنا لا ولما شديت معاها وبقيت أقولها ليه يابنتي ومعرفش إيه بقت تهوشني وزقتني هي يمكن مكنش قصدها تزقني بس كفاية اللي قالته على مريم دايقني جدًا

_ ملاك قالت كدا !!!؟

هزت رأسها في صدق مزيف ووجه مُتأثر ، فقد استخدمت الوتر الحساس لديه وهي متيقنة أنه لا يتحمل أي كلمة تقال عن " مريم " أي من قالها فسيتلقى عقابه العسير منه ، صمتت وتابعت أثر وقع كلماتها على وجهه الذي تحول إلى حمرة نيران ملتهبة ونهض من جوارها وغادر منفعلاً وهو على أتم الاستعداد لفض سخطه بها ، فابتسمت متشفية وهي تقول :

_ ولسا هو إنتي شوفتي مني حاجة يابنت فردوس

اندفع الآخر نحو غرفته وفتح الباب على مصراعيه ، فهبت هي واقفة في رعب وطالعته بارتعاد وهمت بالتحدث فسبقها هو في غضب عارم :

_ ممكن تقوليلي حصل إيه بينك وبين ماما يا ملاك هانم

قالت بصدق وأعين دامعة :

_ والله ما عملت حاجة دي هي اللي قعدت تزعق معايا زي العادة وأخر الحوار قامت رمت نفسها علشان تقولكم إن أنا اللي زقيتها

_ آه يعني مجبتوش سيرة مريم في الموضوع ؟!!

هتفت في دهشة :

_ لا وأنا هتكلم عن مريم ليه أصلاً يا أُسيد

عض شفاه السلفى واقترب منها ليجذبها من ذراعها هامسًا بأعين مخيفة ونبرة خافتة تحمل التحذير :

_ طيب يا ملاك أنا هعدي اللي عملتيه مع ماما مع إن واحد غيري كان وراكي النجوم في عز الضهر ، لكن قسمًا عظمًا لو سمعت إنك جبتي سيرة مريم بالسوء أو أي حاجة مش هعديها خالص وهتشوفي أُسيد عمرك ما شوفتيه

طالعته بأعين غائمة بها الدموع ، تساءلت في عقلها كأي أنثى هل لو فارقته وصعدت روحها لله وتزوج بعدها وزوجته تحدثت عنها بالسوء كما يقول هل سيفعل معها كذلك ، فتوقعت بكل تأكيد أنه لن يفعل ، باختصار

لأن حبه لزوجته أكبر من أي شيء ويفوق حبه لها بدرجات ، ربما كُتب عليها أن تكون دائمًا في الخانة الثانية ، أن تصبح في المرتبة الثانية و إن خير بينها وبين الأخرى فسيفضلوا الأخرى عنها . قررت أن تنهي الأمر ولا تجادل في أمر لن يجدي بنفع وهتفت بخزي :

_ حاضر يا أسيد متقلقش مش هجيب سيرتها أصلاً ، علشان حضرتك متتدايقش أصل الصراحة إنت كل مرة بتثبتلي إني حاجة ومريم حاجة مختلفة زي ما قولت بس هي مختلفة عني أوي ، وأبقى قول لمرات خالي ملاك بتعتذر منك وبتقولك ألف سلامة

أثبتت كل شيء عليها عن قصد فباتت لا يهمها شيء إن ظهرت أمامها صادقة أم كاذبة فلن يهمها يكفي ما قاله منذ قليل . أما هو فوقف صامتًا يحدق بها بدهشة فكان أقل ما يتوقعه منها أن تحاول تبرير نفسها ولكنها فعلت العكس .

***

دلف مراد غرفته فوجدها جالسة على الفراش صامتة كالعادة فاقترب منها وجلس بجوارها متمتمًا بحنو :

_ أكلتي يا سارة ؟

_ أيوة أكلت ، مرات عمي عاملة إيه ؟

_ الحمدلله بقت كويسة والله أنا مش مصدق إن ملاك تعمل كدا !

قالت ساخرة بهمس وصوت لم يسمعه جيدًا :

_ ومش هتصدق لما تعرف اللي عملته أمك فيك وبتعمله في أخوك دلوقتي

_ بتقولي إيه ؟

تنهدت بضيق وهبت واقفة وهي تقول :

_ مبقولش حاجة ، أنا هروح أطمن عليها عايز حاجة مني

تعجب منها بشدة فقد عادت كشخص عادي يتحدث وكأن لم يحدث معه شيء ، ولكن " سارة " التي يعرفها دفنت أسفل التراب ونهضت لتخل محلها أنثى أخرى ، أنثى يُخشى منها حقًا ، نهض ووقف أمامها متمتمًا بحيرة :

_ سارة إنتي كويسة ؟

_ كويسة يامراد متقلقش أنا عارفة إنت مستغرب ليه ، يمكن أنا بقيت بتعامل مع الكل كأي إنسان عادي بس سارة القديمة عمرها ما هترجع تاني للأسف فمتستغربش على وضعي ده من هنا ورايح

استقبلت النظرة المذهولة منه وغادرت الغرفة لتتجه نحو غرفة " ليلى " وتفتح الباب الباب بهدوء ثم تدخل وهي تقول بطيبة متصنعة :

_ حمدلله على السلامة يامرات عمي

_ الله يسلمك ياسارة ياحبيبتي تعالي اقعدي

توجهت وجلست بجوراها على الفراش وساد الصمت بينهم لثوانٍ حتى قطعته هي قائلة :

_ هي روان سقطت ابنها فعلاً يامرات عمي

_ أيوة منها لله قتلت ابنها وحرمت ابني من أنه يكون ليه عذوة وعيال مكفهاش خيانتها ليه قامت قتلت ابنه

هزت رأسها بتفهم وهي تصر على أسنانها بغيظ ، يالكِ من خبيثة استطعتي خداعنا جميعًا ولم يشك أحد في فعلتك الدنيئة ، ولكن لن يطول

الزمن طويلاً وحتمًا ستنالين العقاب . استكملت بشيء من اللؤم :

_ وليه محدش فكر إن ممكن يكون حد غصبها تعمل كدا وهددها

_ قصدك إيه يعني !

هبت واقفة وهتفت باستياء جلي ونظرة مفترسة :

_ قصدي إنتي فهماه كويس أوي يا مرات عمي أنا عارفة كل حاجة ، هددتي روان بأختها وإنك هتقتليها لو معملتش اللي قولتليها عليه وبالفعل خطفتيها و لما عملت اللي طلبتيه منها حتى إنك رجعتليها أختها الصغيرة ، أنا ابنها فهي زي أي أم مهنش عليها تنزل ابنها وإنتي لما لقتيها رافضة سلقطتي عليها شوية بلطجية وضربوها لغاية ما سقطت ، وكل ده ومكفكيش دلوقتي بتحاولي تفصلي بين ملاك وأسيد

صاحت بها في سخط أمتزج بالخوف :

_ إنتي إيه اللي بتقوليه ده إنتي كدابة و.....

قاطعتها بصوت جهوري ومخيف قائلة :

_ اللي بقوله هو الحقيقة ياليلى ، أنا مش عارفة إنت إزاي أم قتلت حفيدك بقلب ميت ومصعبش عليكي ابنك ودلوقتي حتى أسيد ياشيخة حرام

عليكي ده حتى أسيد لسا في صدمة موت مراته وابنه مش هاين عليكي تسبيه متهني مع ملاك يمكن ربنا يكرمه ويعوضه عن ابنه اللي خسره

_ اطلعي برا ياسارة بلاش كلام فارغ

_ هطلع بس لما تسمعي اللي جاية أقوله ، بكرا الصبح هتقولي لأسيد على الحقيقة وإن ملاك معملتش ليكي حاجة وإنتي السبب في كل ده ، ولو معملتيش كدا مراد وأسيد هيعرفوا بكل حاجة وسعتها هتخسري ولادك التلاتة بما فيهم أسمى فاتقي شري يا ليلى وأنهي المشكلة اللي عملتيها بين ملاك وأسيد زي ما بدأتيها هتسألينا إزاى هقولك معرفش تتصرفي بس المهم أصحى الصبح ألاقي كل حاجة زي ما كانت إمبارح وكأن مفيش حاجة حصلت ، أظن الكلام وصل وألف سلامة عليكي تعيشي وتتكسري إن شاء الله أكتر وأكتر !

طالعتها بدهشة فكيف أصبحت في ساعات بكل تلك القوة فحتى الأمس كان لا يظهر لها صوت ومازالت داخل صدمتها ، الآن تهددها بدون خوف ، كانت صدمتها من طريقتها أكثر من معرفتها لكل شيء .

***

كان يجلس في غرفته ويمسك بهاتفه يقلب بين صورها بحبٌ ، لا يعرف إلى متى سيظل في ذلك العذاب يتمني أن تكون له وزوجته ، حتمًا أنه سينهي ذلك الأمر وسيعترف أمام الجميع بحبه لها . تسللت من خلفه بدون أن يشعر وخين رأت صورتها في الهاتف شهقت بدهشة وهتفت :

_ إيه ده يامروان ياخبيث صورة أسمى بتعمل إيه معاك في التلفون ؟

التفت لها بخضة بسيطة وهتف بغضب :

_ في إيه ياجزمة إنتي جاية في ودني وتتكلمي ، جاتك القرف في شكلك

قهقهت بشدة وقالت بمداعبة وهي تقرص وجنتيه :

_ أتخضيتي يا بطة ! ، لا بس إنت طلعت خبيث أوي مش تقولي طيب كنت ظبطلك الموضوع

_ امشي يازمردة روحي شوفي وراكي إيه

_ هو أنا إيه ورايا أهم منك يابيبي بس !

رفع حاجبه بمكر وتمتم باسمًا :

_ الله ده احنا بقينا بنعرف نتكلم كمان !

ضحكت بقوة وجلست بجوراه متمتمة في حماس :

_ هو مع إني مبحبش البت أسمى دي وبحسها باردة بس مش مشكلة استحملها عشانك إيه مش ناوي تكلم مراد وأسيد في الموضوع ولا إيه

_ ناوي إن شاء الله بس مستني الوقت المناسب لأن زي ما انتي شايفة المشاكل مش خلصانة اليومين دول ، مستني الأمور تهدى علشان افاتحهم في الموضوع

هتفت بتشويق شديد وسعادة :

_ أيوة كدا عايوين تفرح ونبل الشربات

_ قومي من هنا يازمردة مش ناقص صداع

_ بقى كدا ! ، طاب يارب ماتتجوز

قالت جملتها الأخيرة وركضت نحو غرفتها قبل تقع أن بين يديه فتتلقى منه ما تستحقه ، أما هو فابتسم بخفة ونهض متجهًا نحو غرفته ليرتدي ملابسه ويرحل .

***

قضت شطرًا من الليل بمفردها في الغرفة ، وعيناها تذرف الدموع كلما تتذكر ما وقع بينهم في الصباح ، وكيف كانت كلماته قاسية على قلبها الضعيف ، ألقمه بألفاظه الحجر بدون وعي لما يقول . حتى وإن كان يحبها فلا يعقل أن تغار من امرأة ذهبت لرحمة الله ، مهما حدث فلا يجب منها سوى الدعاء لها ، والآن هي تُريد الذهاب لأمها فمن يرحل عن تلك الحياة يستريح من كل شيء .

فُتِحَ باب الغرفة ودخل فطالعته هي بجمود تام ولم تبدي أي ردة فعل أو تأثير على وجهها وهو كذلك ! ، فساد الصمت بينهم لدقائق حتى قطعه هو بصوت خشن :

_ أكلتي ؟

رمقته بامتعاض ولم تجيبه فسمعت تكرار سؤاله بنبرة مخيفة ومرتفعة :

_ لما أكلمك تردي عليا من اتخرستي

_ ملكش دعوة آكل أو لا ، خليك في نفسك !

_ يعني إنتي اللي غلطانة وبعد كل اللي عملتيه ده وزعلانة كمان !

تأففت بخنق وقالت وهي تهم بالتمدد على الفراش :

_ أنا هنام تصبح على خير

وجدت يده تقبض على ذراعها ويصرخ بها بتعصب :

_ لما أكون بتكلم معاكي متتجاهلنيش وكأني مش موجود وتردي

_ أرد أقولك إيه ، طيب أيوة أنا غلطانة وزعلانة يا أسيد بيه عندك مانع ، وكمان مش عايزة أكلمك هتدخل وتطلع من الأوضة وكأني مش موجودة لا توجهلي كلام ولا أنا هكلمك ، خلاص

اشتعل بنيران الغيظ والغضب ، فبرغم غضبه منه لم يتمكن من حجب نفسه عنها حتى وإن كان عن طريق شجار بينهم . وهتف لها بحدة :

_ مش إنتي اللي تقوليلي إمتى أكلمك وإمتى لا ، براحتي وقت ما أحب أكملك هكلمك ومغصوب عليكي تردي عليا

قالت بنفاذ صبر وعدم مبالاة :

_ طيب سيب إيدي بقى علشان عايزة أنام ومصدعة

ترك يدها كالمغلوب على أمره ، فما تفعله يجعله يستشيط غيظًا منها ، فسكوتها وبرودها هذا يستفزه بشدة ، كان ينتظر منها الدفاع عن نفسها ولكن تصرفاتها تُجننه أكثر .

ابتعد عنها وبدأ في تبديل ملابسه وهي تدثرت بالغطاء وغاطت في نوم عميق ، فتسطح بجوارها على الفراش وظل يحدق بها لدقائق ، يتأملها بأسى ، لا يعرف من بهم على حق هي أم أمه وكلاهما يثق بهم ! ، يخشى فتور العلاقة بينه وبين زوجته بعد بدأت تستقر ومن جهة يخشى تضايق أمه منه أنه لم يبدي أي فعل لما فعلته معها ، وبالفعل انتهى به المطاف إلى إرضاء أمه تفضيلاً عنها .

***

استيقظت سارة بعد ليل طويل ومرهق قضته في الحديث مع زوجها حول أمور عديدة ، فقد بدأت العلاقة بينهم تأخذ مجراها وبدأت تتقرب منه قليلاً و المسافات التي بينهم قد أزيلت قليلاً ، بات خوفها منه كشيء ليس قوي كمن بدأ يتعود على شيء ولم يعد يخشاه . وحين فتحت عيناها وقع نظرها عليه وهو يرتدي ملابسه يستعد للذهاب فقالت بصوت ضعيف :

_ صباح الخير

قال مبتسمًا في نعومة :

_ صباح الفل ياجميل

ابتسمت بخجل ثم قالت بريبة :

_ فطرت ؟

_ لا هفطر في الشركة ، قومي إنتي بس اغسلي وشك كدا وفوقي وكلي متقعديش من غير أكل

نهضت من الفراش واقتربت منه متمتمة برجاء :

_ طيب أنا هنزل أحضره واستني نص ساعة أو ساعة بالكتير لغاية ما أحضر الفطار وناكل

_ اتأخرت ياسارة كلي إنتي ملكيش دعوة بيا

_ عشان خاطري مش عايزة آكل وحدي يا مراد

_ كمان مرة ، عشان خاطري !

همت بالضحك ولكن تصنعت الحزم وقالت بغضب :

_ وبعدين بقى ، أنا قولت هتستنى يبقى هتستنى

قال مداعبًا :

_ إنت تؤمر ياباشا بس في الإنجاز هاا!

_ حاضر دقايق وأكون جاية بالأكل

دخلت المرحاض وغسلت وجهها ثم خرجت ارتدت حجابها وغادرت على عجالة وبينما هي في طريقها للأسفل رأت غرفة ملاك وأسيد مفتوحة فأصابها التعجب من أمرهم ليس من عادة ملاك أن تترك الباب هكذا وهي تعلم أن مراد هنا ، فاقتربت من الباب وطرقت في البداية منادية عليها فلم تجد إجابة منهم ، ففتحته بحذر ودخلت عندما لم تجد أحد ، وبحثت عنها بنظراتها في الغرفة بأكملها وأخيرًا قررت الذهاب إلى المرحاض لعلها تكون بالداخل وبمجرد رؤيتها لها صرخت بشدة ...

الفصل السادس والعشرون

كان يقف أمام غرفة الطبيب مستندًا بظهره على الحائط ويضع يده على وجهه ، بخوف وقلق شديد ، أما سارة ومراد كانوا يجلسون على المقاعد الذي أمامه .

تكاد عيناه تذرف الدمع على زوجته ، فلم ينسى انتفاصة صوته وجسده حين رأها ملقية على الأرض ومن حولها الدماء تملأ كل مكان ، لقد حاولت الانتحار ، لا يصدق أنه أوصلها لتلك الحالة المزرية ، التي جعلتها لا تفكر في أي شيء .. لم تفكر بنفسها أو به كيف سيعيش بدونها ، أو كيف سيعيش خيبة الأمل لمرتين وفقدان أحبائه ، ولكنه الآن يدعو الله أن تخرج له سالمة ولا يريد شيء آخر .

خرج الطبيب من الغرفة بعد وقت طويل كان مشحون بالقلق والتوتر فكان أول من سأله هو أسيد الذي قال بخوف :

_ طمني يادكتور خير

_ بخصوص المدام فهي بخير الحمدلله بس هي واضح أنها أخذت خطبة شديدة جدًا على بطنها وكانت نتيجتها أنها أجهضت الطفل هي كانت حامل في أول أسبوعين ، أما هي فالحمدلله بخير ولحقنا ننقذها

القمه بذلك اللحفظ حجرًا ، وأخبره بفقدانه الثاني لأحد أبنائه ، لا يعرف ما الجرم الذي ارتكبه كي يعاقبه الله عليه بهذا العقاب الصعب ، ولكن مع كل هذا حمدلله وشكره على سلامتها وكان يردد استغفار الله وقول (الحمدلله) بهمس في وجهه متألم .

أما سارة فطالعة زوجها وابن عمها بعينان دامعة ومغتاظة ، فقلبها نزف الدماء على ابنة عمتها التي كانت على أعتاب خسارة حياتها وخسرت طفلها فقط ؛ بسببه وبسبب حمقه ، فلم تتمكن من حجب نفسها لتقترب منه وتهتف باستهزاء في صوت باكي :

_ زعلان ليه يا أسيد ، مش ملاك برضوا وحشة وكانت عايزة تأذي الهانم ليلي ، وبتكدب عليك وهي حربايه ، أنا من رأي متزعلش على حاجة إنت السبب فيها .. عارف ده كله حصل ليه بسبب غبائك

طالعها بدهشة مما تتفوه به ولكن صمت يستمعها للآخر فهتف مراد بغضب بسيط :

_ إيه اللي بتقوليه ده يا سارة ، ياتقعدي ساكتة يا أما ترجعي البيت

_ إنت أكتر واحد المفروض تسمع اللي هقوله ده ، علشان تعرف مين الحربايه اللي بجد

تنهد أسيد بنفاذ صبر وقال بضيق :

_ سارة أنا مش طايق أسمع أي حاجة سبيني في حالي

_ طبعًا مش طايقين ، هيبقى ليكم مزاج إزاي ، إنتوا بس ليكم مزاج تتعصبوا ، مفيش واحد فيكم كان عنده ذرة ثقة في مراته وأدي النتيجة . ملاك معملتش حاجة واللي قالته صح مرات عمي هي اللي عملت كدا علشان تفرقكم وأهو بسبب غبائك وظلمك ليها ربنا عاقبك بأكتر حاجة نفسك فيها

قال مراد بدهشة :

_ قصدك إيه بظبط ؟!

بدأت تسرد لهم كل شيء بالتفاصيل فترى الصدمة تحتل مركزها على وجه مراد أكثر ، وهو لا يستوعب ما يسمعه ، أن أمه تفعل به شيئًا كهذا ..

فهتف بانفعال :

_ إيه اللي بتقوليه ده !

_ هي دي الحقيقة روان كانت الضحية في الموضوع ده كله ، وإنت كنت طرف تاني ، ولو مش مصدقني روح وأسأل أمك وشوفها هترد وتقولك

إيه . تعرفوا والله أنا فرحانة فيكم وفي اللي حصلكم وبذات إنت يا أسيد

ثم اندفعت من أمامهم منطلقة إلى خارج المستشفى فأشار أسيد بعينه إلى أخيه أن يلحق بها ، أما هو ففتح باب غرفة زوجته ودلف إلى الداخل وهو منكب على حزنه وشجنه . وجلب أحد المقاعد ليجلس أمامها ويتأمل وجهها الشاحب والضعيف بأسى ثم يمسك بكفة يدها ويقبلها ويهمس بصوت يغالبه البكاء وهو واضعًا رأسه عليها :

_ ليه عملتي كدا يا ملاك ، ليه يا حبيبتي كنتي عايزة تحرميني منك

استكمل بصوت مبحوح وباكي :

_ أنا آسف سامحيني ، عارف إني ظلمتك ومصدقتكيش

أنكب على وجهه يبكي بكاءًا حارًا لأول مرة في حياته .. يبكي كطفل صغير كان سيفقد أمه ، فهو لم يبكي هكذا عندما فقد زوجته ؛ ربما كان بكائه لشعوره بالندم و أنه تلك المرة كان سيخسرها ؛ بسبب حماقته ؛ وأنه لم يصغى لها عندما قالت أنها بريئة ولم تفعل شيء ، فضل سماع معتقداته الخاطئة ورفض سماع صوت قلبه الذي يلح عليه أن يتأكد قبل أن يظلمها ولكنه تجاهل ذلك الصوت واستمع لعقله الذي استند إلى مسلمات خاطئة وغير صحيحة ، وكانت النتيجة مؤلمة له ! .

دقائق وأحس بيدها التي بين يديه تتحرك العها بتلهف ينتظر أفاقتها وأن تفتح عيناها كاملاً ، وكانت ثوانٍ حتى فتحتها وبمجرد أن أتضحت الرؤية أمامها ورأته ، فنزعت يدها عن يده بعنف وهي تقول بنفور شديد منه :

_ ابعد عني !

تجاهل جملتها الصارمة ومد يده يملس على شعرها من فوق حجابها وهو يقول بحنان :

_ طيب إنتِ كويسة يا حبيبتي

رمقته شرزًا وقالت بقسوة :

_ هكون كويسة طول ما انت بعيد عني ، قوم من جمبي يا أُسيد

غمغم بصوت نادم ونبرة راجية :

_ أنا آسفة يا ملاك ياسمحيني ، عارف إني غلطت معاكي بس غصب عني دي مهما كانت أمي وكنت لازم هدايق

استفزتها أكثر جملته الأخيرة ، فإذا كانت هي أمه فهي أيضًا زوجته ويجب إن يكون بينهم بعض الثقة ، ولكنه أثبت لها أن ليس هناك ما يدعى الثقة بينهم ! . هتفت بجفاء أشد وهي تشيح بوجهها بعيدًا عنه :

_ قولتلك قوم يا أسيد مش عايزة أشوفك قدامي

تنهد الصعداء بعدم حيلة ونهض ليتجه ويجلس على مقعد آخر بعيدًا عنها ، ويحدق بها بألم نابع من أعماق قلبه ، فهو كان بحاجة إلى معانقتها وأن يشعر بيدها عليه فلمستها تشعره بالراحة والطمأنينة ! .

***

كانت تجلس أسمى بجوار أمها وتهتف بسخط بسيط :

_ ماما أوعي يكون ليكي إيد في اللي حصل لملاك ؟!

صاحت بها مندفعة :

_ إيد إيه يابت إنتي مجنونة ماهي كانت قدامك وواضح أنها انتحرت بالحبوب اللي أخدتها ، أنا مالي بقى

تسلل الشك في ثناياها ، فهي برغم عدم حبها لها فلا تستطيع أذيتها ، وتراجعت أيضًا عن رغبتها في تفريقهم ، بعد أن رأت سعادة أخيها وحبه لها ، ولا تريد أن تكون السبب في عودة الحزن إلى قلبه من جديد . قالت بترقب :

_ أممم وياترى ملاك زقتك فعلاً ولا دي كدبة عملاها عشان تخليهم

يتخانقوا

_ في دي أنا هقول الحقيقة ، هي معملتش حاجة أنا اللي وقعت نفسي !

هبت واقفة لتصيح بها منفعلة وساخطة :

_ ماما كفاية لو سمحتي مش عايز تحبيها براحتك بس كفاية اللي بتعمليه ده لو مش عشانها عشان أسيد ، حرام عليكي خليه يفرح شوية بعد كل اللي شافه ، يعني هو ملوش نفس يفرح ولا إيه

_ ياسلام وده من إمتى الحب ده ما على أساس إنك مش طيقاها !

قالت بازدراء :

_ مش بحبها آه بس مش عايزة أفرق ما بينهم عشان شايفة أسيد مبسوط معاها ، والحق يتقال هي مش وحشة مع حد ودايمًا في حالها ، والمرة دي لو عملتي حاجة يا ماما تاني أنا اللب هوقفلك لأني مش هسمحلك تخربي سعادة أسيد

قبل أن تتجه إلى غرفتها وجدت باب المنزل يُفتح ويدلف منه مراد وسارة ، وكان مراد على وجهه قسمات نفس غاضبة يحدق بأمه شرزًا ، أنا

سارة فرمقتها بنظرة متشفية وشيطانية ، فسرعان ما فهمت أنها أخبرته بكل شيء .

قالت أسمى بهدوء :

_ عاملة إيه ملاك يا سارة

_ الحمدلله كويسة أسيد قاعد معاها ، بس للأسف كانت حامل وأجهضت

رمقت أسمى أمها بنظرة لا تختلف عن أخيها فبسبب أفعالها جعلته يعيش خيبة أمل جديدة ، وهمت بأن تصعد إلى غرفتها في غضب هادر فسمعت صوت سارة وهي تقول مبتسمة :

_ استني يا أسمى عشان تسمعي اللي هيتقال دلوقتي

التفتت لها وحدقتها بتعجب ثم تابعتها وهي تقترب من أمها وتهتف بثقة :

_ ممكن تقولي لينا يا مرات عمي ، روان سقّطت ابنها إزاي وخانت مراد إزاي

بأعين زائغة ومرتعدة حولتهم بين ابنها وابنتها في خوف من ردة فعلهم عندما يكشفوا كل شيء وقالت بشيء من الانفعال وهي تتصنع الجهل :

_ وأنا إيه عرفني إزاي ما تروحي تسأليها هي ، وبعدين إنتي بتتكلمي كدا ليه معايا

_ مراد وأسيد عرفوا كل حاجة خلاص يا ليلى هانم يعني مفيش مفر ، هتقولي كل حاجة غصب عنك

سار مراد نحوها محملقًا بها بحزن وكأنه يتمنى أن يكون ما قالته سارة خاطئًا ، فهمس بخفوت :

_ الي قالته سارة صح يا ماما ؟!

هزت رأسها بالنفي في رعب وصاحت بارتعاشة صوتها :

_ لا طبعًا أنا معرفش حاجة عن اللي عملته روان صدقني يا مراد

صاح بها في صوت جهوري كالمجنون :

_ متعرفيش إيه ! ، حرام عليكي ياشيخة عملتي كدا ليه ، لو مكنتيش طايقة قعادنا معاكي في البيت كنتي قولتي وأنا كنت هاخد مراتي ونعيش في بيتي لكن تعملي فيا كدا ليه يا أمي ، عملتلك إيه أنا ، مصعبتش عليكي لما كنتي بتشوفيني علطول مدايق بسبب اللي حصل ، لا ومكفكيش إنك خربتي حياتي عايزة تفرقي بين أسيد وملاك ، إنتي إيه !

لم ينتظر منها سماع أجابتها فقد اندفع إلى غرفته بأعلى وعي تصيح منادية عليه ببكاء حار متوسلة إياه :

_ مراد اسمعني يابني أنا عملت كدا عشانك صدقني يا حبيبي ، مراااد !

جلست على المقعد وهي تجهش بالبكاء الحار وجسدها ينتفض من فرط البكاء ، فسمعت همس سارة بجانب أذنها تقول :

_ كنتي بتقولي عليا إني مختلفش عن أمي وقادرة زيها وأنا فعلاً كدا ، ولسا كمان معرفوش موضوع ملاك بتاع النهردا اللي أنا متأكدة إنك السبب فيه !

ثم اندفعت إلى أعلى تلحق بزوجها أما أسمى فطالعتها بذهول من ما فعلته ، لا يتسوعب عقلها أنها تفعل كل هذا بهم ، فقد دمرت حياة أبنائها بسبب حقدها وغلها على زوجاتهم ، ولم تفكر سوى في نفسها . فاندفعت نحوها تصيح بها لتتلقى هي نصيبها من ابنتها :

_ إزاي عملتي كدا ، أنا مش مصدقة ! ، حرام عليكي يا ماما روان عملتلك إيه هي ومراد ، ليه بتعملي كدا في ولادك ياشيخة حرام عليكي

هتفت ببكاء عنيف :

_ أسمى أنا عملت كدا عشان مصلحتهم صدقيني

صرخت بها في انفعال :

_ مصلحتهم أن كل واحد فيهم يعيش مع مراته طالما مبسوط معاها مش إنك يبعدوا عنهم ، أحب أقولك إنك مخسرتيش مراد وأسيد بس لا حتى أنا خسرتيني

***

_ البسي يلا ولمي هدومنا

سمعت تلك الجملة التي انطلقت من بين شفتاه ، وقالها بحزم وهو يستشيط غيظًا فردت هي بهدوء :

_ طيب استنى حتى لما أسيد وملاك ياجوا ونتطمن على ملاك

صاح بزمجرة :

_ وإنتي فكرك إن أسيد هيقعد هنا ، حتى هو هياجي ياخد مراته ويروح يقعد في بيته ، يلا يا سارة البسي متنرفزنيش

_ حاضر !

جلس على فراشه وأخرج سيجارة من الدُرج وبدأ يدخن بشراسة بعد أن كان قد أقلع عن التدخين ، فعاد له من جديد في محاولة منه أن يخفف عن نيرانه المتوهجة .

فأكثر ما يعصبه أنه كان ساذج ووقع فريسة لمصيدة أمه فشك بزوجته وخسرها ، فشعوره بالندم كان يدمي قلبه الدماء ويجعله يريد أن يفرغ شحنة غضبه المكتظة بأي شيء أمامه ، ولكنه تمالك نفسه بصعوبة إلى حين انتهت زوجته من ارتداء ملابسها وتجهيز حقيبة ملابسهم ، ثم حمل حقيبتين كانوا ممتلئين بالملابس ونزل بهم الدَرج متجهًا للخارج وكانت هي تتبعه . وبمجرد أن رأته ليلى يحنل حقائب ملابسهم ويستعد للرحيل فاندفعت تهرول نحوه وتمسك بذراعه تتوسله وهي داخل موجة بكاء عنيفة :

_ لا يامراد متمشيش يابني أبوس إيدك ، أعمل اللي إنت عايزه فيا بس خليك معايا ، سامحني ياحبيبي أنا آسفة

دفع يده عنه بقسوة وهتف بصوت رجولي مخيف :

_ وانا خلاص مش هقدر أقعد معاكي في بيت واحد يا ليلى هانم ، هاخد مراتي ومش هتشوفيني في البيت ده تاني نهائي

_ لا متقولش كدا أنا مقدرش أعيش من غيرك إنت وأخوك صدقني ، طيب أقعد معايا وهوعدك مش هتدخل في أي حاجة تاني بينك وبين مراتك بس خليك معايا يابني متحرمنيش مني

كانت نظرته لها متوجعة ومتألمة وهو يقول بمرارة :

_ زي ما حرمتيني من مراتي وابني هحرمك مني ، يلا يا سارة !

اندفع إلى الخارج وسارت سارة خلفه تلحق به ، وهو غير مبالي لصراخ أمه وتوسلاتها ، أما أسمى فكانت تتابعه بأعين تهيمان بالدموع من نافذة غرفتها وهو يضع الحقائب في السيارة ويستقل بها مستعدًا للرحيل مع زوجته ؛ زرفت الدموع بحرقة وجهزت نفسها لذلك المشهد حين ينعاد مرة أخرى مع أخيها الآخر (أسيد) .

***

كان ريان متجه إلى خارج مقر الشركة ليصعد بسيارته وينطلق ، فوقع نظره على " زمردة " التي تسير باتجاه الشارع الرئيسي لكي تستقل (بتاكسي) ، فلم يستطيع أن يصيح مناديًا عليها في وسط الشارع فأسرع في خطاه يلحق بها حتى أمسك بذراعها ؛ ليوقفها فأحس برعشة جسدها الشديدة وهي تلتفت خلفها في ارتعاد ورعب جلي ؛ وحين رأته تنفست

الصعداء بارتياح بسيط ولكن هتفت بغضب :

_ إيه يا ريان حرام عليك ياخي قلبي كان هيقف

ابتسم ابتسامة بسيطة ثم قال بتعجب :

_ بتعملي إيه هنا ؟

_ عادي كنت جاية أقول لمروان على حاجة وماشية دلوقتي البيت

سمعت نبرته الرجولية التي لم تنساها منذ أول لقاء بينهم وهو يقول بلهجة لا تقبل النقاش :

_ طيب تعالي هوصلك يلا

هتفت باعتراض بسيط في توتر من ردة فعله :

_ لا ملوش لزمة مش عايزة أعطلك أنا هركب تاكسي واروّح

كانت جملته كافية لتعبر عن رده على ما قالته واعتراضه المخيف :

_ هستناكي في العربية يازمردة

زفرت بخنق وسارت خلفه مغلوبة على أمرها ، ثم استقلت بالسيارة

بجواره وانطلق قاصدًا منزلهم ، وعم الصمت بينهم في اللحظات الأولى حتى اخترقه قائلاً :

_ إنتي نازلة مخصوص يعني من البيت عشان تقولي الحاجة دي لمروان

_ لا طبعًا أنا كنت أساسًا في الشغل وأنا جاية عديت عليه

_ إنتي بتشتغلي إيه ؟!

_ مدرسة لغة أنجليزية

طالعها مبتسمًا يتغحصها بتدقيق وكأنه يحتقرها ثم يجيب بجدية مزيفة :

_ لغات يعني وكدا بقى !

لمست نبرة السخرية في صوته فطالعته بقرف وقالت :

_ آه لغات ، إيه مش باين عليا ولا إيه !

استكمل سخريته المزيفة منها وهو يجيبها بإبداعية :

_ أها خالص الصراحة يعني إنتي أخرك تبقي الفرّاشة بتاعت المدرسة

رأى عيناها التي تحولت إلى جمرة من النار الملتهب ووجها أحمر من فرط الغيظ واندفع نحوه سيل منجرف من الغضب وهي تصيح :

_ فرّاشة في عينك ده أخرك إنت يا عديم الأحترام ، نزلني ياريان اخلص !

انفجر ضاحكًا بشدة على تصديقها السريع لما قاله ، كأنها طفل صغير يستطيع أي شخص أن يستغلها بكلمة . ثم قال من بين ضحكاته :

_ طاب أداهدي خلاص إنتي صدقتي علطول كدا ، ده أنا بهزر معاكي

_ قال فرّاشة قال ، روح أشتغلها إنت ياخويا

أجابها برزانة مبتسمًا :

_ و مالهم الفراشين مش ناس زينا برضوا وبيشتغلوا وياكلوا بعرق جبينهم !

قالت بشيء من الاستهزاء والاستياء :

_ طاب اسكت بقى كدا علشان إنت عصبتني

اتسعت ابتسامته لتصل إلى عيناه ، وهو يحملق بها بنظرته المعتادة ، بات

يشعر بالخطر لمجرد قربه منها ، وكأنها مغناطيس يجذبه إليها وهو لا حول له ولا قوة ، ويزيد ذلك الشعور المجهول داخله في كل مرة يراها فيها ، والآن أدرك أنه في دائرة الخطر ويجب عليه أن يتوخى الحذر فيما بعد لأي تصرف سيصدر منه .

***

في مساء ذلك اليوم .....

فتح باب المنزل ثم سبقها هو في الدخول وهم بإمساك يدها ليساعدها على الدخول ويصطحبها إلى غرفتهم ؛ فأبعدت يدها عنه في حركة واضحة منها رغبتها في عدم اقترابه منها ، فظهر العبوس على وجهه من جديد و تابعها بعينه وهي تتجه نحو غرفتهم ، ثم أغلق باب المنزل وسار خلفها فوجدها تسطحت على الفراش بتعب ، فكان ردة فعله تلقائية وهو يقول :

_ هجبلك الأكل عشان تاكلي وتاخدي علاجك

هتفت بسخط جلي :

_ مش عايزة منك حاجة يا أسيد ، وملكش دعوة بيا لو سمحت كل واحد في حاله

هنا وصل صبره إلى آخره فقال بغضب مماثل لها :

ندى محمود

_ مفيش حاجة اسمها كل واحد في حاله ، وانا مش بخيرك تاكلي أو لا ده إجبار

_ وانا مش عايزة حاجة منك ياخي إيه ده !

قال بمرارة وصوت متضايق بشدة :

_ إنتي بتعملي كدا ليه يا ملاك ، مش عايزة تفهمي ليه إني مدايق أكتر منك على اللي حصل وإني شكيت فيكي وخليك الوضع يوصل لكدا ، أنا مش زعلان على ابني اللي راح قد ما زعلان إنك شايلة مني بالطريقة دي ومش طايقة لمسة إيدي حتى

هتفت بصوت باكي وأعين دامعة تصنعتها بمهارة :

_ عشان إنت مش متخيل الوجع اللي أنا كنت فيه إمبارح لما خيبت ظني فيك ، تعرف أنا لما أمك رمت نفسها مكنتش خايفة من حاجة عشان واثقة إنك هتكون واثق فيا ومش هتصدق كلامها لكن إنت حتى مكلفتش نفسك تسألني حصل إيه يا ملاك وصدقتها مع إنك عارف أنها بتكرهني ومش بعيد تعملها لأنها مش عايزاني في البيت معاها أصلاً ، قولتلهالك قبل كدا وهقولها تاني أنا مش عايزة أكون عايشة مع واحد معندوش ثقة فيا ، وصدقني مش هسمح لأي حد ياجي عليا أو يهيني حتى لو كان إنت يا

توجه وجلس بجوارها ثم أمسك بيدها وقبلها بعشق جارف وتمتم :

_ وانا عمري ما هعينك لأني متجوزتكيش عشان أبهدلك معايا ، اللي حصل ده كان غباء مني وغلطة وندمان عليها فبلاش تكوني إنتي كمان عليا وسامحيني متبقيش قاسية ياملاك

سحبت يدها بهدوء وقالت بعدم أكتراث :

_ أنا مش قاسية أنا بحاول اظهرلك جزء من قسوتك اللي كانت معايا ، وإنت جيت عليا ومش هعدي ده بسهولة ولا هسامحك بسهولة فاهم

لاحت في عيناه نظرة مريرة ، فكلماتها هذه تزيد من نزيف قلبه ، فهو أعلن الأحزان منذ معرفته بخسارته لابنه مجددًا ويحمل فوق أكتافها أعباء لا يستطيع جبل تحملها ، فكان بحاجة إلى حضنها وأن تقف بجواره وتسامحه على ما اقترفه بحقها ، ولكن هيهات فهي لم تعد ملاك الساذجة التي عرفها في بداية الأمر ، تغيرت وأصبحت لا تسامح بسهولة ! .

نهض من جانبها وانحنى ليطبع قبلة مطولة على جبينها هامسًا بأسى :

_ عايزك تعرفي إني هفضل أحبك لأخر نفس فيا وهفضل جمبك ومعاكي لغاية ما تسامحيني ، وأوعي تفتكري إنك لما تحاولي تبعديني عنك

هتخليني أكرهك وأبعد عنك لا ده إنتي كدا بتخليني أعاند أكتر

أشاحت بوجهها للجهة الأخرى في خنق حتى وجدته اندفع إلى الخارج في حزن ، فابتسمت هي بعشق ، كم تمنت أن تعانقه وتخبره بمسامحتها له بعد أن اظهر لها عن ندمه الصادق ، فقد كان أكثر ما يضايقها أنه لم يسمع لها وصدّق ما قالته أمه ، ولكنها كانت تعرف طيبة قلبه وحنانه وإن اقتربت منه وحاولت شرح الموضوع له بهدوء وتفصيل كان من الممكن أن يصدقها ولكن غضبها منه كان يمنعها عن فعل أي شيء ، وبعد ما حدث في الصباح ورأت ندمه وسمعت بكائه الشديد وهو يجلس بجوارها ويمسك بيدها ؛ فانفطر قلبها هي لرؤيتها له وهو في تلك الحالة المزرية وفورًا سامحته على كل شيء ، ولكن ما تفعله الآن فقط حتى يكون عبرة له وأن لا يكررها مجددًا .

***

وقفت خلفه وهي تراه يجلس على الأريكة ويمسك بيده السيجارة ، التي منذ الصباح لم يتركها من يده ، وكلما تنتهى يخرج واحدة أخرى ؛ فأشفقت بشدة على حالة وندمت لأنها أخبرتهم ، ولكن تعود وتقول بأنهم كانوا سيعرفون الحقيقة لا محال وربما يكون ذلك هو الأفضل لهم .

اقترب منه لتقف بجواره وتسحب من يده السيجارة ثم تطفئها وتقول

بضيق :

_ مش كفاية ولا إيه يامراد إنت مخلص يجي علبتين سجاير لغاية دلوقتي ، وده كله على الريق وإنت مكلتش حاجة من الصبح

_ عايزاني أعمل إيه يعني !

قالت بحنو وابتسامة جميلة :

_ ولا حاجة مدايقش نفسك حصل اللي حصل حصل ومش هتقدر تغيره ، أنا كنت زيك كدا طول الفترة اللي فاتت بسبب اللي حصل معايا بس بعدين عرفت إن كل اللي أنا بعمله ده ملوش لزمة ومش هيغير الماضي وإن ربنا عمره ما هيعمل حاجة وإلا وهو واثق إن هيكون فيها خير ليا حتى لو مكنش فيها هيكون الخير في الي جاي بعديها ، يعني أنا مثلاً عوضني ربنا بيك ، وانت مكنتش تعرف الشر هيجليك منين لو كنت كملت مع روان ، هتفولي أنا مدايق بسبب ماما هقولك برضوا دي في الأول والآخر أمك وادعيلها بالهدايا ، أنا عملت كدا بس مش عشان أخرب علاقتكم أو بمجرد كره أو حقد لا عشان أخليكم تخادوا حذركم وهي تفوق ولما تلاقي نفسها خسرتكم يمكن ترجع عن اللي بتعمله وتتعظ

ترك كل ما قالته وتجاهله ولكن هناك جملة جعلته يندهش وهو يجيبها

بدفء :

_ ربنا عوضك عن اللي حصل بيا أنا !!!

ابتسمت بهدوء في خجل بسيط ثم قالت بصدق :

_ أيوة يعني أنا مكنتش هلاقي حد يقبل يتجوزني وحتى لو أتجوزت كنت هحس بالنقص وأنا عايشة مع الراجل ده ، لكن إنت مخلتنيش أحس بده نهائي وبتعاملني بطبيعية جدًا وكأن مفيش حاجة حاصلة معايا وجوازنا كان جواز عادي زي أي أتنين بيتجوزا ، ومخلتنيش أحس حتى بشفقة منك لا بالعكس إنت اتجوزتني وحميتني من كلام الناس وكمان مخليني عايشة معاك ملكة

لاحت الابتسامة أخيرًا على وجهه ، ابتسامة سعادة وحب من كلماتها التي صوبت نحو قلبه واخترقته فجعلته يشتعل بلهيب حبها ، فهو أحبها بصدق وكان يعمل جاهدًا على نسيانها ما حدث وأن يجعلها تعود لحياتها الطبيعية وعندما قالت الآن أنه نجح في ذلك جعلت قلبه يرفف فرحًا . وكان تصرف تلقائي منه أن يمسك بيدها يقبلها ثم يضمها لصدره قائلاً بنبرة عاشقة :

_ أنا لما أتجوزتك يا سارة مهمنيش اللي حصل أصلاً ولا كان في بالي ، وكان كل همي زي ما قلتي إني أحميكي من كلام الناس وإنك حتى لو حبيتي تطلقي مني بعدين يكون ليكي فرصة إنك تعيشي حياتك ومتحسيش

بالنقص زي ما قلتي ، وهمي الأكبر كان إني احاول أنسيكي اللي حصل قدر الإمكان ومخلكيش تحسي إني متجوزك مجرد شفقة وإن جوازي منك كان سببه الأكبر لأني كنت عايزك تكوني جمبي وأعوضك

ابتسمت براحة وهي مستكينة داخل أحضانه ولكن قلبها كان لا يهدأ عن الطرق بشدة وتشعر بجسدها يرتعش من قربه منها ، فهمها قالت له أنها بدأت تعتاد عليه ، فمازال خوفها وقلقها من اقتراب أي رجل منها قائم ولن تستطيع التخلص من ذلك الشعور بسهولة ، ولكنها ستحاول على تخطيه حتى تتمكن من العيش معه بسعادة كأي زوجين .

ابتعدت عنه وقالت برقة ووجه بشوش :

_ أعتقد إنك مش هتعارض دلوقتي لو قلتلك هجبلك الأكل وناكل مع بعض

قال بصوت رجولي جميل ومحب :

_ أعارض إزاي بعد الكلام اللي يفتح النفس اللي قولتيه ده !

ابتسمت بعذوبة ثم اندفعت نحو المطبخ وبدأت بوضع الطعام في الأصحن ، وتنقله إلى مائدة الطعام بالخارج لكي يتشاركوا تناول الطعام باستمتاع ! .

***

في صباح اليوم التالي كان هو قد غادر المنزل قبل استيفاظها وذهب إلى منزلهم ، ودخل من الباب ولم يجد أحد في طريقه فاتجه إلى غرفته بأعلى وفتح الخزانة وأخرج حقائب ملابسهم وبدأ يملأها بملابسه هو زوجته ففتحت أسمى الباب حين سمعت صوت ضجيج بسيط منبعث من الغرفة وعندما وجدته أخيها يجهز حقائب ملابسهم قالت بحزن :

_ هتمشي إنت كمان ؟!

_ أيوة بعد اللي عملته ماما أنا مش هطمن على ملاك وهو معاها في نفس البيت

قالت بأعين دامعة وصوت يغالبه البكاء :

_ طيب ماما وغلطت معاكم ، إيه ذنبي أنا تسبيوني وتمشوا إنت ومراد ، أنا طبيعي مبقتش أكلم ماما وقاطتعها زيكم هقعد مع مين في البيت

نظر لها بحنو أخوي ثم اقترب منها وضمها إلى صدره وقبل شعرها قائلاً بمداعبة :

_ نسيبك إيه ياهبلة هو احنا روحنا بلد تاني

قالت بعد انفجرت باكية بحرقة :

_ لا أنا متعودتش على غيابكم إنتوا الأتنين ، خليك يا أسيد عشان خاطري بلاش تمشي

أبعدها عنه ومسح دموعها بأنامله وهو ينحني يقبل جبينها متمتمًا بجدية في نعومة :

_ مش هقدر يا أسمى يا حبيبتي صدقيني ، روحي إنتي لمي هدومك يلا والبسي وتعالي اقعدي معانا

_ لا اقعد معاكم إيه ، مش عايزة ادايقك إنت وملاك ومش هتاخدوا راحتكم في البيت ، ده غير إن هي أصلاً أكيد مش هتحب قعداي معاكم بسبب المشاكل اللي بينا

قال باسمًا :

_ مشاكل إيه ده ملاك ما هتصدق لما تلاقيكي جيتي واتكلمتي معاها وهتفرح جدًا

هتفت بلهفة في فرح :

_ بجد ! ، أصل أنا بصراحة كنت طبيعي عايزة أعتذرلها عن اللي عملته

معاها بس مش عارفة إزاى

_ طيب يلا روحي البسي وأهو يمكن تحنني قلبها شوية عليا لما تتكلمي معاها

تهللت أساريرها وهرولت إلى غرفتها تحضر حقيبتها بسعادة صادقة ، أما هو فجلس على فراشهم مهمومًا يفكر في كل تلك المصائب التي تلقى عليه من كل مكان ولا يعرف كيف يلاحق عليها ، وحتى زوجته أصبحت ضده الآن .

دقائق وكانت أمه تدخل الغرفة وتطالعه بوجه مبتسم قائلة بحنان صادق :

_ أسيد ، أمال فين ملاك ياحبيبي

حدق بها بحفاء وجمود ليجيب بغيظ :

_ ملاك في بيتي وأنا جيت إخد هدومنا وماشي تاني ، يعني متتخيليش أنا هقعدلك هنا يوم واحد تاني

نظرت إلى الحقائب المجهزة وعادت بنظرها إليه وهو تقول بمرارة :

_ حتى إنت يا أسيد عايز تسيبني ، مش كفاية أخوك اللي سابني ومشي

_ أنا مش هقولك إن إنتي السبب في إني خسرت ابني لأني مؤمن وعارف أن ده قضاء ربنا بس هقولك إنك السبب في اللي حصل بيني وبين ملاك ، و هقولك إنك خدعتيني واستغليتي الفرصة علشان تفرقي ما بينا وخلتيني ساذج وغبي

اقتربت منه وامسكت بيده وهي تقول بأعين دامعة :

_ طيب خليك معايا أبوس إيدك يابني ووعد منك هتغير مع ملاك وهعتذر منها عن كل اللي عملته

أجابها ساخرًا في عدم اهتمام :

_ خلاص بقى تعتذري بعد إيه ما اللي حصل حصل ومعادش ينفع الندم ، لازم تستحملي نتيجة أفعالك يا أمي ، أنا بنصحك متحاوليش مع حد فينا لأن مش هتطلعي بفايدة ، وأسمى هتاجي معايا بيتي دلوقتي

جثت على الأرض ودخلت في نوبة بكاء حار ، تندب وتنوح على كل شيء ، فقد خسرت أبنائها الثلاثة ولم يعد بيدها شيئًا لتفعله سوى الجلوس هكذا والبكاء والنواح .

***

ندى محمود

وصل إلى منزله بعد دقائق طويلة ورافق شقيقته إلى غرفتها التي ستبقى فيها ، ثم عاد هو إلى غرفته فوجدها مازالت نائمة ، فبدل ملابسه وتوجه ليمدد جسده بجوارها على الفراش واضعًا قبضتي يديه أسفل رأسه ويحدق بالسقف في شرود ، وكانت ثواني قليلة حتى اندهش بها عندما وجدها غيرت وضعية نومتها وعانقته وواضعة رأسها على صدره ، فطالعها بدهشة واتضح له فيما بعد أنها نائمة ولا تدري بشيء ، فاستغل الفرصة ولف ذراعه حولها يضمها إليه مبتسمًا .. وزادت دهشته عندما وجدها تهتف بنعاس وهي مغمضة عيناها :

_ أطفي النور يا أسيد عايزة أكمل نوم

حجب نفسه عن الضحك بصعوبة وهتف :

_ لا مش هطفيه وقومي كفاية نوم عشان تاكلي و تاخدي علاجك

كانت الإجابة منها بنعاس أكثر كشخص متغيب عن الواقع ولا يشعر بأي شيء :

_ ياعم إنت مالك بيا أصلاً !

قال ضاحكًا بشدة :

_ حتى إنتي ونايمة مش حرماني من إنت مالك دي !!!

هنا فتحت عيناها بدهشة عندما أدركت الوضع وأتضح صوته لها أكثر .....

الفصل السابع والعشرون

هنا فتحت عيناها بدهشة عندما أدركت الوضع وأتضح صوته لها أكثر ؛ وابتعدت عنه فورًا وهي تصيح منفعلة :

_ إنت بتعمل إيه جمبي !؟

اقترب منها مجددًا ووضع يد بجانب رأسها من اليسار واليد الأخرى من اليمين وهو شبه فوقها ويهمس بمكر :

_ بقفلك الشباك عشان تعرفي تنامي !

أحست برعشة سرت في أنحاء جسدها ومنعتها حتى عن التحرك ، وقد أسعفت الكلمات من فمها بصعوبة وتهتف بتحذير :

_ أبعد يا أسيد عني

_ لا

كانت أجابته مباشرة تدل على رفضه القاطع فأكملت بصوت أكثر ارتباكًا :

_ قولتلك أبعد ! ، أصلاً أنا وإنت مفيش كلام ما بينا

قال بوجه مبتسم :

_ بس بالنسبالي في كلام كتير .. في إنك قاسية ومنشفة ريقي من إمبارح بسبب اللي حصل وحاولت مليون مرة أصالحك مفيش فايدة ، طاب بزمتك أنا قاسي كدا معاكي ده حتى إنتي دايما بتغلطي ومش بقدر أخليكي زعلانة مني وبروح أنا اللي أصالحك بالرغم من إن إنتي اللي المفروض تعملي كدا

_ أنا بغلط في حجات بسيطة ، لكن غلطتك إنت مش صغيرة ومش حاجة هينة عشان أسامحك عليها بمجرد ما تقولي أنا آسف

قالت بعبوس بسيط في حنو :

_ طيب قوليلي إنتي أعمل إيه عشان أخليكي تسامحيني وأنا هعمله علطول ؟

أكملت قسوتها بدون رحمة وهي تهتف بحدة :

_ عايزاك تبعد عني خالص والكلام بينا هيبقى بحدود يعني كأننا أغراب ويا إما إنت تروح تنام في أوضة تاني يا إما أنا أروح

طالعها بأعين شبه غاضبة ومنزعجة ، من كلماتها التي أثارت جنونه .. فهو يعرف جيدًا أنه يستحق عقابها وأنه أذنب في حقها ، ولكن كان ينتظر أن يرى الشفقة والرحمة في عيناها .. أن يرى ذلك الملاك الذي رآه أول مرة .. وأن يشعر بأنها تشعر بألمه وتقدر موقفه ، فهذه هي المرة الأولى له الذي شك بها وأهان كرامتها وكانت ناتجة عن حماقة منه ، وقد أقسم على عدم تكرارها .. ألا يحق له أن تلتمس له العذر وتسامحه .

فهي إن دخلت وفتشت في قلبه ستراه متهالكًا وضعيفًا ، يحارب كل الظروف التي تصر على إيقافه عن العمل وجعله جثة هامدة مكانها بين التراب ! . فإن كانت هي حزينة على فقدانها لطفلها فهو الأسى مزقه لأشلاء ومع ذلك يحاول الظهور أمام الجميع بالمظهر القوي والثابت ، فقد كان ذلك الطفل سيعيد لقلبه المتهالك نشاطه وحيويته ، ولكن هي فضلت أن تكون مرض خبيث يزيد من تهالك قلبه وتصر كالظروف على القضاء عليه .

ابتعد عنها بوجه جامد وغاضب لينهض من الفراش تمامًا ويتجه نحو خزانته وهو يقول بصرامة :

_ اللي حصل إمبارح ده حصل إزاي ؟!

اعتدلت في جلستها ونزلت من الفراش لتقترب منه وتقول ساخرة :

_ أسأل ليلى هانم حصل إزاي وهي هتقولك !

اتسعت عيناه بدهشة حين نطقت بأسم أمه وقال بصدمة :

_ ماما عملت إيه ؟!

_ أمك هي السبب في إني أجهضت ، دخلت الأوضة عندي واتخانقت معايا زي العادة ووسط الخناق زقتني على الأرض واتخبطت ببطني في سن السرير وهي طبعًا مشيت وسابتني ، أنا قومت بالعافية ودخلت الحمام ووقتها كنت حاسة بألم فظيع فمستحملتش ووقعت .. فأنا قدامك دلوقتي يا أسيد بقولك ابني اللي خسرته ده مش هسامحها عليه وهتظفع التمن ومش هيهمني إنها أمك ، لأني سكتّ كتير بس أنه يوصل أنها تقتل ابني مش هسكت عن كدا

_ وهي إيه عرفها إنك كنتي حامل ؟!!!

صاحت بغصب عارم وأعين عارم :

_ معرفش يمكن تكون سمعتنا أنا وسارة لإني قبليها بليل أنا كنت بتكلم مع سارة وبقولك إني عملت اختبار حمل وطلعت حامل وبقولها إني هقولك بكرة على الخبر ده ، وهي طبعًا مضيعتش وقت .. أنا مش عارفة هي بتعمل معايا كدا ليه ، طيب إيه ذنبه الطفل اللي قتلته ده حتى حفيدها ،

أنا مش فاهمة إيه الحقد ده كله .. عشان كدا أنا البيت اللي هناك ده مش هدخله طول ما هي موجودة فيه

مسح وجهه وهو يتأفف بصوت مسموع ومخيف لا يبشر عن خير أبدًا . وهو لا يطاق يصدق أن أمه فعلت به كدا ، وهي أكثر شخص تعرف أشتياقه لطفل يملأ عليه فراغه .. لطفل طالما تمناه طوال إلى ما يقارب الست سنوات وكان يدعو الاله مرارًا وتكرارًا أن يرزقه بالزرية الصالحة ، والآن هي رأت ذلك الكفل الذي كان سيأتي ويملأ حياته هو وزوجته كثير عليه .

جذب مفاتيح سيارته وانطلق مغادرًا المنزل يلتمس طريقه ليجد شيء يفض به غضبه. أما هي فجلست على الفراش تبكي بحرقة وألم لا يختلف عنه كثيرًا ، فمنذ الأمس كانت تكتم ذلك الألم بداخلها حتى كاد يقتلها ! .

***

كانت تقف في المطبخ تقوم بتحضير وجبة الأفطار ، وتقف شاردة عن العالم من حولها تفكر في أشياء كثيرة .. تفكر كيف تغيرت حياتها بعد إن كانت جميلة وهادئة إلى صراعات دائمة وباتت كظلام دامس تسير فيه ، كل خذا كان كافيًا لكي يجعلها لا تنسى ما حدث مهما مر عليه أيام وشهور وسنين طوال .

تركت ما بيدها والتفتت خلفها لكي تذهب وتخبره بأن الطعام جاهز ، فتسمرت بأرضها كالصنم حين رأت ذلك الوغد المدعو " أسلام " يقف على مقدمة الباب ويطالعها مبتسمًا بتشفي ، كان وجهه بالنسبة لها كشبح يقف أمامها ، مخيف ومرعب . تراجعت للخلف في إرتعاد وقد بدأ جسدها ينتفض بمجرد تذكرها لتلك الليلة ، وزاد من نفضته أكثر حين وجدته يقترب منها .. لم تفكر قط أن ما أمامها مجرد خيال أو صورة وضعها عقلها الباطن أمامها ، فكان كل تفكيرها أنها تراه ويقترب منها وهذا كافي لكي تشعر بارتعاشة جسدها وأنسيابه ، وعندما وجدته يقترب أكثر فدفنت وجهها بين كفيها وأخذت تصرخ بخوف ؛ لحظات وكان الآخر يركض مفزوعًا من أثر صراخها ووقف أمامها يمسك بكتفيها قائلاً بقلق :

_ في إيه يا سارة !؟

رفعت رأسها بإطمئنان حين سمعت صوته وطالعته بأعين دامعة وصوت مرتجف :

_ أاااسلام شوفته يامراد كان واقف هنا وبيقرب مني

تلفت حوله باستغراب ثم قال متعجبًا :

_ مفيش حد ياسارة هنا !

قالت باكية بخوف جلي :

_ صدقني شوفته وكان بيبصلي ويضحك ، نفس النظرة اللي كانت في عينه بعد .. بعد ما .....

لم تستطيع تكملة الجملة فانهارت باكية بعنف ،حتى أحست بذراعيها تحيطانها وتضمانها إلى صدره الدافيء وبيده يملس على شعرها هامسًا بحنان وصوت هادئ مطمئن :

_ طيب اهدي خلاص إنتي كنتي بتتخيلي بس مش أكتر مفيش حد غيري في البيت ، ومحدش هيقدر يقرللك طول ما أنا موجود

لم تهدأ قط بل ازدادت في البكاء أكثر وكانت ترتجف بين يديه من الخوف ، فلف ذراعه حول كتفها ورافقها إلى الغرفة ثم تسطحت على الفراش وهي مازالت داخل نوبة بكائها ، حتى وجدته يبعد الغطاء عنها ويتسطح بجوراها ثم يفرد ذراعها يدعوها للإنضمام إليه ، فلبت طلبه واقتربت لتضع رأسها على صدره وهي تصدر نشيج مسموع ، فاحنى رأسه وطبع قبلات متتالية على شعرها هامسًا بصوت ينسدل كالحرير ناعمًا :

_ سارة ياحبيبتي ال... اللي اسمه أسلام ده خلاص مش موجود ومش هتشوفيه تاني ؛ لأنه هيكمل بقية عمره إن شاء الله في السجن ، فمش عايزاك تخافي كل ما تفتكريه وحتى لو طلع مش هيقدر يعملك حاجة ؛

لأني معاكي ، خلاص اهدي وبطلي بكى بقى !

_ غصب عني يامراد مش قادرة أنسى وكل ما أحاول أعيش حياتي طبيعية بلاقي الحجات دي بتجري ورايا

قال بجدية في شيء من المرح :

_ يبقى متضعفيش ليها وخليكي قوية قدامها ، أمال فين سارة اللي كانت إمبارح واقفة وبتزعق فيا أنا وأسيد وماما

ابتسمت رغمًا عنها وقالت بهدوء :

_ لا دي حاجة ودي حاجة مختلفة

_ ياسلام !!

شاركته المرح البسيط في وجهه مازال لم ترحل عنه آثار البكاء :

_ وحياة عبد السلام !!

فعاد يقبل شعرها وجبينها متمتمًا بنبرة عاشقة وهو يتغزل بها :

_ أيوة كدا اضحكي ، حرام لما القمر ده يزعل والله والعيون الحلوة دي

تبكي ، إنتي ميليقش عليكي غير الضحك ياجميل إنت

أحمرت وجنتيها بخجل مفرط ثم هتفت بتصنع الغضب :

_ احترم نفسك

قال بمكر أشد :

_ يعني نايمة في حضني ومعرفش إيه وجات على الكلمتين دول واحترم نفسي !!!

همت بأن تنهض وتبتعد عنه فقبض على ذراعها وشدد من ضمه لها قائلاً بمداعبة في ضحك :

_ لا خلاص وحياة سيدك اللبلوبي ما إنتي متحركة من مكانك ، احنا آسفين يا صلاح

بعد أن كانت داخل نوبة بكاء عنيفة وشجن شديد انفجرت ضاحكة بشدة ، وبقيت كما كانت في مكانها ، فهو ماهر في إزالة حزنها و كلما تكون حزينة وتبكي يبدع في اختراع الطرق المختلفة لجعلها تضحك وتنسى الحزن ، وبالفعل بدأ يحرك عواطفها من جديد نحوه بعد إن دُفنت وأصبحت تنظر له كأخ ! ثم عادت تتطلع إليه بنظرة مختلفة .

***

استقرت بغرفتها منذ رحيله غارقة في أشجانها ، حتى سمعت صوت طرق الباب فظنته عاد ، فقالت بخنق :

_ ادخل

ذهولت عندما رأت أسمى أمامها ، واعتدلت في جلستها فورًا باندهاش قائلة :

_ أسمى !! ، إنتي إمتى جيتي وإزاي دخلتي !؟

قالت باستحياء بسيط :

_ جيت مع أسيد الصبح وكنت قاعدة في الأوضة

فهمت من كلامها أنها ستبقى لفترة معهم فلم تبدي أي ردة فعل بل حدقتها بصمت وجمود ، حتى تقدمت هي نحوها وقالت بندم شديد :

_ لو مش حابة قعادي هنا أنا همشي أصلاً ، أنا جيت بس عشان اعتذرلك عن كل حاجة وأقولك أنا آسفة سامحيني أنا غِلطّ في حقك كتير وظلمتك

ابتسمت لها برقة وطيبة ناطقة في وجهها :

_ أولاً ده بيت إخوكي تقعدي فيه زي ما انتي عايزة ، ثانيًا أنا مش زعلانة منك أصلاً يا أسمى ولو كنت زعلانة منك مكنتش هاجي واقعد معاكي وأحاول أفهم منك إنتي بتعامليني كدا ليه ؟!

طالعتها بسعادة غامرة ثم قالت بعدم تصديق :

_ بجد يعني إنتي مش مدايقة مني ولا حاجة

_ أيوة لإن إنتي معملتيش حاجة تخليني أكرهك عشانها كل ما في الموضوع إنك مكنتيش حباني

اتسعت ابتسامتها أكثر ، فهي لم تكن تتوقع أن الأمر سيكون بكل هذه السهولة ، وأتضح لها أيضًا أنها لا تختلف عن أخيها كثيرًا في طيبته وحنانه ، ولا تحمل في قلبها بغض لأحد مثله ، اندفعت نحوها وعانقتها بحب جلي هامسة :

_ مش عارفة أقولك إيه والله ، شكرًا بجد

قطع حديثهم طوت رنين الباب فابتعدت ملاك عنها وذهبت لتفتح الباب ، وبمجرد ما فتحته وجدت زمردة ترتمي عليها وتعانقها بخوف مفرك وهي تهتف :

_ ملاك إنتي كويسة يا حبيبتي أنا مروان بليل قالي على اللي حصل وكنت عايزة أجيلك بس مرضيش يخليني أجي

أبعدتها عنها وقالت مبتسمة بصفاء :

_ أنا كويسة الحمدلله يازمردة متخافيش ، ادخلي

دخلت ليقع نظرها على أسمى الواقفة على مسافة قريبة منهم ، فحوّلت نظرها إلى ملاك باندهاش من وجودها معها ؛ فرمقتها ملاك بنظرة هادئة تطلب منها الصمت حتى تسرد لها كل شيء ، فعادت مجددًا بنظرها إليها تقابلها بابتسامة عذبة وبادلتها هي الابتسامة حتى قالت بهدوء :

_ طيب أنا هروح أوضتي يا ملاك

_ ماشي يا أسمى ولو احتجتي حاجة اندهي عليا

رفعت زمردة حاجبها باستنكار وبمجرد رحيلها قالت بسخرية :

_ ومن إمتى الحب ده إن شاء الله !

_ تعالي هفهمك كل حاجة

اصطحبتها إلى غرفتها وجلسا على الفراش ثم بدأت تسرد لها كل الأحداث طوال الفترة الماضية وهي تصغى إليها باهتمام من بداية حديثها حتى نهايته الذي ختمته بشجارها مع زوجها ! .

كان وجه زمردة يعبر عن اعتراضها لما فعلته حيث قالت بجدية :

_ والله أنا شايفة إن إنتي مزوداها حتى لو عايزة تقرصي ودنه زي ما بتقولي ، وكفاية لغاية كدا

_ كفاية ليه يازمردة هو أنه يشك فيا حاجة سهلة !

صاحت به مندفعة :

_ وهو شك في شرفك ياختي متقرفنيش ! ، وبعدين إنتي ذات نفسك لو كنتي مكانه كنتي هتصدقي أمك ؛ لأن مهما حصل ده أمه وأي حد مش بيستحمل اللمسة على أمه

قالت بعناد :

_ ماشي كنت هعمل كدا فعلاً ، بس على الأقل كان ياجي يسألني وكنت هقوله

_ لا والله ما انتي بتقولي سألك وزي الغبية قولتي أيوة عملت كدا ! ،

ياشيخة حرام عليكي ده حتى ممدش إيده عليكي وكل اللي عمله زعق شوية وزعل منك ، واحد غيره كان وراكي الويل ، راعي أنه تاني مرة يخسر ابنه يعني هو تلاقيه زعلان أكتر منك بلاش تبقي إنتي كمان عليه

غمغمت بانفعال في غيظ :

_ في إيه يا زمردة إنتي جاية تشتمي فيا !!

قالت بقرف وزمجرة :

_ أيوة عشان إنتي متخلفة .. ولا هو عشان لقيتيه طيب وحنين معاكي هتتمادي فيها ، تعرفي والله خسارة فيكي أسيد يانكدية ، لو بإيدي كنت أخدته أنا

نظرت لها مبتسمة بسخرية ثم قالت بأعين دامعة وصوت يغالبه البكاء :

_ عارفة إيه اللي قاهرني أكتر يازمردة ، إن أنا لو أتحطيت في كفة ومريم في كفة هيختار مريم وواثقة من كدا ، أسيد منسيهاش ولا عمره هينساها وهيفضل يحبها ، يعني أنا بتخيل لو هي عايشة كنت هتحط أنا على الرف وكنت هبقى مجرد زوجة ليها أوضة في البيت معاهم يعني باختصار كنت هبقى مجرد حاجة ملهاش أي لزمة أخري بس إني أشوفه بياحي يطمن عليا وخلاص ، ومتقوليش لا لأن أنا متأكدة من كدا وأكبر

دليل أنه مكنش متعصب جامد لما عرف إني زقيت مرات عمي لكن مشوفتيش شكله يا زمردة لما قالتله إني قال جبت سيرة مريم بطريقة مش كويسة وغِلط فيها ، كان على ثانية وهياكلني .. عرفتي بقى أنا زعلانة كدا ليه مش زعلانة عشان شك فيا ولا اتعصب ولا حاجة لأني عارفة زي ما قولتي أن أي راجل هيعمل نفس اللي عمله ، لكن اللي قاهرني إنه قالي بطريقة غير مباشرة إن إنتي ولا حاجة قدامها وإنك هتكوني مجرد نكرة لو اتحطيتي بمقارنة بينها ! .

انفطر قلبها عليها وغامت عيناها بالعبرات مثلها ، فهي تشعر بما تشعر به ، ونبرتها كانت كافية لعرض ما يدور بداخلها من ألم .. شعورها بأنها في الخانة الثانية يجعل قلبها يتشقق إلى أشلاء ! . قالت بأسى في حزن :

_ فاهماكي والله يا ملاك ، بس صدقيني أسيد بيحبك جدًا وأكبر دليل أن زي ما قولتي هيتجن لأنك مش عايزة تسامحيه

خرج صوتها ضعيف وباكي :

_ وأنا معنديش شك أنه مش بيحبني عارفة كويس إنه بيحبني بس زي ما بقولك أنا لما أتحط بمقارنة بيني وبين مريم هطلع الخسرانة للأسف ، ثم إني مسمحاه بس قلبي رافض يتقبل كلامه مش قادرة أنساه .. أنا عشت بما فيه الكفاية مع أكرم يا زمردة وجربت يعني إيه أكون في الخانة التانية

وأكون حاجة ملهاش أي لزمة بتترمي على الأرض ويدّاس عليها ، ومعنديش استعداد أعيش الاحساس ده تاني ولو وصل بيا الأمر للطلاق هنفذه ، بس سعتها لما أطلق مش هقعد هنا أصلاً هسافر برا مصر وهنسى كل حاجة ، هعيش حياتي زي ما أنا عايزاها بقى ؛ لأني بشر ومن حقي أعيش مبسوطة ولو أيام قليلة ، أنا من ساعة ما فتحت عيني على الحياة وأنا مشوفتش كام شهر على بعض مرتاحة ومبسوطة كانت حياتي أنا وماما عبارة عن حزن وألم ، أنا بقيت زي الواحد المريض والدكاترة قالوله مفيش أمل إنك تتعالج وقاعد مستني لحظة موته على فراش المرض !

عانقتها زمردة بشدة وقد انفجرت باكية بحرقة وقالت بشيء من التفاؤل :

_ متقوليش كدا ، إن شاء الله ربنا هيسعدك صدقيني .. وأنا متأكدة إن أُسيد مكنش قصده هو بس عشان متعصب فمكنش عارف هو بيقول إيه ، ومتقوليش مقارنة ومعرفش إيه لأنك مش هتتحطي في المقارنة دي أصلاً ؛ لأن باختصار كريم ماتت خلاص ، وأُسيد ليكي وحدك دلوقتي ودورك إنتي إنك تحاولي تكسبي قلبه وتخلي مكانتك أكبر من مكانتها

قالت مبتسمة بسخرية وعدم اهتمام :

_ ولا أكسب ولا أخسر ، مبقتش فارقة معايا ، اللي عايز يحبني أهلاً وسهلاً واللي مش عايز يبقى وقر

قطع حديثهم صوت رنين هاتف زمردة فأخرجته ونظرت إلى الشاشة ثم قالت بصوت مبحوح بعد أن جففت عبراتها :

_ ده مروان أصله قالي هيعدي عليا هو وجاي وياخدني ، هرد عليه وأقوله امشي وأنا هاجي وحدي

قالت برزانة في ابتسامة متصنعة :

_ لا قومي ياحبيبتي بدل ما يتعصب ولا يدايق منك ، أنا بقيت كويسة وارتحت شوية لما أتكلمت معاكي

طالعته بتردد وقلبها لا يطاوعها على تركها في تلك الحالة فقوجدته تكمل بحنان :

_ قومي يلا يازمردة وأسمى قاعدة معايا أهي

كان هو بالخارج يقف يستمع إلى حديثهم منذ أن بدأت ملاك تفرغ ما بداخلها من أحزان .. آلامها التي تحدثت عنها شيء طفيف بالنسبة لآلامه التي تولدت في هذه اللحظة ، ما سمعه جعله يكره نفسه الذي فعلت هذا

وجعلت من قلبه ينشطر إلى أجزاء متفارقة ، كلماتها كانت كافية لتولّد جراح كانت التئمت منذ وفاة زوجته وابنه ، والآن عادت تنزف من جديد ! .

لم يقصد قطّ أن يؤذيها بكلامه أو يشعرها بما قالت أنها شعرت به فكل ما صدر منه كان عن لحظة غضب وأخبرها بندمه الشديد على كل ما قاله ، تقول مقارنة وما شابه قبل أن تسأله عن رأيه ، فهو ليس من هؤلاء الرجال الذين لا تكفيهم زوجة واحدة ، فكان لم يتزوجها من الأساس وكما قال الله تعالى (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) وهو يعرف جيدًا أنه كان سيفشل في أن يعدل بينهم ولذلك كان لن يضع نفسه في ذلك الموقف منذ البداية .

مازالت لم تصدق أنه يحبها وأنه احتلت مركزًا في قلبه لا يختلف عنها ، وجعلت منه رجلاً مهوسًا بها كما كان مع مريم بل وأكثر منها قليلاً ، فهو لا يتذكر أنه كان لا يطيق أن يظلا كل منهم مقاطع الآخر فقد كان يستحمل أن يبقوا مقاطعين بعضهم لأيام ولكن معها إن رآها بدون أن يحدثها يجن .

هي لا تعرف مدى عشقه لها ، لا تعرف كيف يكون حاله حين تبتعد عنه .. لم تعرف أنها أول امرأة جعلته ينكب أمامها باكيًا حتى مريم لم تستطيع أن تفعلها معه .. لا تعلم إن ليس هناك امرأة تستطيع السيطرة عليه مهما كانت من جمال وتمتلك مقومات ساحرة ، هي فقط التي جعلت منه طفلاً متلهف لأمه الذي تمد يدها له من بعيد .. أو كمراهق أول مرة

له يعيش تجربة الزواج . إن انتبهت لكل هذه الأشياء ستعرف أنها لم تمتلك جزء فقط من قلبه بل هي تمتلك نصف قلبه ، فكل منهم كان قدةفقدَ نصف قلبه وتدمر وحين اجتمعوا اصبحوا قلبًا واحدًا لا يستطيع أي منهم العيش بدون الآخر . ربما عليه أن يمون أكثر دقة في إظهار ذلك الحب ! .

استدار وذهب إلى أحد الغرف الفارغة وأغلق الباب خلفه بعد أن فك أزرار قميصه العلوبدية ؛ حتى يجعل القليل من الهواء يتسلل إلى رئتيه قبل أن يختنق ويموت ، ثم جلس على الفراش ودفن وجهه بين كفيه ويستنشق الاكسجين بصعوبة ! .

***

في مساء ذلك اليوم كان كل من وريان ومراد يجلسون في أحد المقاهي يبتبادلون الأحاديث بينهم باهتمام حتى قال ريان باهتمام في قلق :

_ قولي صح يامراد ملاك عاملة إيه ، أنا مقدرتش أروحلها وحاولت اتصل بأسيد لقيت تلفونه مقفول

_ كويسة الحمدلله متقلقش

_ الحمدلله

أجاب مراد مبتسمًا :

_ قولي إنت بقى ظبط اللي اتفقنا عليه

قال غامزًا بثقة :

_ طبعًا كل حاجة جاهزة وهنعمله بكرا والفستان زمردة ظبطت الموضوع ده ، وإنت عليك بقى بقية التجيهزات من بداية الطريقة اللي هتاخد بيها سارة على الكوافير وهتخليها توافق إزاي

_ أطمن وحط في بطنك بطيخة صيفي

هتف مازحًا من وسط ضحكاته :

_ ياخوفي لتطلع البطيخة قرعة !

ضحك مراد بقوة على وأخذ يبادله المزاح بمرحهم المعتاد .

***

ساقتها قدماها إليه كالمغيبة وهي تحمل بيدها صينية الطعام ، فدلفت الغرفة ووضعتها أمامه على الفراش ، ثم رفعت نظرها فترى بيده سيجارة

يدخنها بشراسة وتستقر نظرة منه مريرة عليها ، فقالت بخفوت :

_ أنا جبتلك الأكل ، إنت مكلتش حاجة من الصبح مينفعش تقعد كدا

حدجها بصمت وجمود حتى قالت بضيق تحاول إخفائه :

_ إنت هتنام هنا ؟!

استمر في صمته ولم يرد أيضًا ! ، فاشتعلت هي غيظًا وهمت بالرحيل لولا صوته الذي خرج خشن :

_ اقعدي ياملاك عايزة اتكلم معاكي شوية ، ومتقوليش مش فاضية ومعرفش إيه والحجج التافهة دي

تنهدت بعمق ثم اقتربت وجلست بجواره تستمع إليه بخشوع حتى سمعته يطرح عليها سؤال غريب :

_ لو معاكي فستانين واحد قديم والتاني جديد وعلى الموضة والأتنين غالين عندك إيه هتعملي فيهم ، مع العلم إن القديم ده مبقيش ينفع تلبسيه تاني نهائي ؟

تعجبت في بداية الأمر من السؤال ولكن أجابت بعفوية :

_ عادي هلبس الجديد والقديم هركنه في الدولاب

_ طيب ولو حد جه وطلب منك يشتري القديم هتوافقي ؟

قالت بلا تردد :

_ أكيد لا مش هوافق ؟

_ لييييه ؟!

_ لأن زي ما قولت إن الأتنين غالين عندي فمش هقدر أفرط فيه

لاحت في عيناه نظرة حزينة ويائسة وهو يقول بألم :

_ أهو إنتي ومريم بالنسبالي كدا ياملاك ، ليه مصممة تحطي في دماغك إني بحب مريم أكتر منك ، ليه مصرة تقنعي نفسك إنك ولا حاجة بنسبالي ، مش معنى إن مريم غالية عندي وبحبها يبقى أنا مستعد في لحظة أشيلك من حياتي ، مريم خلاص ماتت وإنتي اللي هتكملي حياتك معايا وهتكوني أم لولادي إن شاء الله ، يعني إنتي تقريبًا تخطيتي مريم ، إنتي حبيبتي ومراتي وكل حاجة بالنسبة ليا دلوقتي فبلاش تقنعي نفسك بحاجات ملهاش أصل من الأساس ؛ لأن إنتي بقيتي روحي اللي مقدرش أعيش من غيرها

_ وكلامك اللي قولته لما قالتلك أمك إني جبت سيرتها كان إيه ، هتقولي كنت متعصب وطلع مني الكلام من غير ما أحس هقولك لا الكلام ده حقيقة

تنهد الصعداء بحزن قائلاً :

_ كنت متعصب فعلاً ومش هقولك إنه طلع مني من غير أحس ، أنا فعلاً أدايقت لما قالت ماما كدا واتعصبت لأن مهما كان أنا مش هسمح لأي حد يجيب سيرتها بالوحش ، هي كل اللي محتجاه دلوقتي الدعاء

هبت واقفة وهي تقول بغضب :

_ متحاولش تقنعني بالكلام ده لأني مش هصدق

وقف الآخير وأمسك بيده قائلاً بصوت صادق أنبعت من ثنايا قلبه :

_ أقولك إيه أكتر من كدا عشان تصدقي ، والله بحبك ومش قادر استحمل تجاهلك ومعاملتك دي ، إنتي متعرفيش اللي أنا فيه من إمبارح

استكملت جفائها قائلة :

_ ولا إنت كمان تعرف اللي أنا فيه من إمبارح !

ثم تركته وغادرت يشتعل من الغيظ فلم يجد ما يخرج به غضبه سوى الحائط الذي ركله بقدمه وهو مغتاظ من قسوتها وإصرارها على أن تدمي قلبه الدماء أكثر وتصيبه بجروح عميقة لن تشفى بسهولة .

***

كان في صباح اليوم التالي داخل مقر شركته وفي مكتبه يباشر أعماله بصعوبة وتفكيره تستحوذ هي عليه ، بحيث تشله عن التفكير في أي شيء عداها ، حتى دخل مروان لينتشله هو من تفكيره المتعب بالنسبة له :

_ ادخل ولا مش فاضي يامعلم

_ ادخل يامروان

قالها مبتسمًا فبادله هو الابتسامة وجلس على أحد المقاعد ليستقبل سؤاله المتعجب :

_ إيه في حاجة في الشغل ولا إيه !؟

_ لا حاجة ملهاش علاقة بالشغل أصلاً

قطب حاجبيه وأجاب بفضول :

_ أمال إيه ؟

بدأ من بداية الموضوع بدون مقدمات حيث قال بثبات مبتسمًا بعذوبة :

_ بخصوص أسمى ، أنا كنت جاي اطلب إيد أسمى منك

الفصل الثامن والعشرون

بدأ من بداية الموضوع بدون مقدمات حيث قال بثبات مبتسمًا بعذوبة :

_ بخصوص أسمى ، أنا كنت جاي اطلب إيد أسمى منك

استغرق أُسيد لحظات في صمت يطالعه بدهشة ممتزجة بابتسامة حتى قال بنبرة رجولية خشنة :

_ ويا ترى ست الحسن أسمى تعرف ولا لا ، وأنا آخر من يعلم !

قال بشيء من الضحك :

_ لا متقلقش متعرفش أنا بس لمحتلها مش أكتر

بادله المداعبة قائلاً :

_ طاب ما كنت لمحتلّي أنا كمان بدل ما أنت داخل عليا كدا فجأة وبتقولي إنا عايز أطلب إيد أسمى !!

_ ما تنجز بقى ياعم وقول موافق ولا لا ؟

رجع بظهره للخلف علة المقعد في غرور شديد وهتف :

_ سيبني أفكر شوية

قطب حاجبيه بتعجب ثم أجابه باستنكار في جدية :

_ سيبني أفكر !! ، إيه يا أسيد لتكون إنت العروسة لا مؤاخذة !

حجب ابتسامته بصعوبة ثم انتصب في جلسته وقال بحزم مزيف :

_ اطلع برا يا مروان

قهقه بشدة ثم قال باعتذار مرح :

_ معلش حقك عليا امسحها فيا !

بادله الضحك ثم وضع المزاح على جانب وبدأ يتحدث بجدية قائلة :

_ موافق يا مروان ؛ لإني مش هلاقي أفضل منك راجل استأمنه على أسمى ، استنى بس أعرض عليها الموضوع وأشوف رأيها وهقولك

***

خرجت من الغرفة بعد أن انتهت من تجهيز نفسها ، وكان هو يجلس على الأريكة بالخارج صامتًا ويحملق في السقف وكأنه يفكر في أمر شديد

الأهمية ، فهتفت بخفوت :

_ مراد أنا لبست !

نظر لها فورًا وهب واقفًا متحمسًا ثم قال :

_ جبتي كل اللي قولتلك عليه ؟

_ ايوة ، بس احنا هنروح فين !!؟

اقترب منها وامسك بيدها يقبلها قائلاً بحنو :

_ أصل أنا عاملك مفاجأة النهردا ولازم تروحي الكوافير وتتظبطي بقى

قطبت حاجبيها باستغراب وهي تهتف بفضول :

_ مفاجأة إيه دي اللي لازم أروحلها الكوافير !؟

_ زمردة هتقولك علة كل حاجة هناك

ازدادت دهشتها أكثر لتجيب بشك :

_ زمردة !! ، ولما إنت عاملي مفاجأة مالها زمردة بالموضوع !؟

وكأنه كان يجهز الأجوبة لكل سؤال ستطرحه حيث قال بجدية :

_ أنا قولتلها تروح تقعد معاكي في الكوافير عشان متقعديش وحدك

زمت شفتيها بعدم حيلة وأماءت بإيجاب ثم تبعته للخارج وصعدت معه بالسيارة وانطلقوا .

دقائق معدودة وكانت السيارة ترتص أمام ذلك " الكوافير " فترجل هو أولاً ثم هي وبمجرد ما رأتهم زمردة وهرولت مسرعة للخارج لكي تستقبلهم ، وطالعتهم بابتسامة عذبة ولكن سرعان ما سحبت مراد من ذراعه ووقفوا في مكان يصعب عليها فيه سماعهم واقتربت من أذنه وبدأو بتغامزون في همس حول أشياء عديدة ، أما سارة فكانت على وشك الانفجار من الغيظ ، يخبئون عنها شيء ولا يريدونها أن تعرفها والآن تسحبه لجانب بعيد عنه ويتكلمون وهي تقف لا تفقه أي شيء .

أخيرًا انتهوا وعادوا لها من جديد فقابلوا نظراته المغتاظة وهي تهتف مستنكرة :

_ ليه جيتوا ما لسا بدري ! ، ممكن تفهموني كنتوا بتقولوا إيه ؟!

هتفت زمردة مبتسمة :

_ أنا هقولك يا سارة ، امشي إنت خلاص يامراد وأطمن ولما نخلص هنرن عليك

أماء لها بموافقة ثم استقا بسيارته ورحل فهتفت سارة بانفعال :

_ لا أنا عايزاه هو يقولي ، اللي شغال يتهامس معاكي ويضحك ومعرفش إيه وانا زي الحمارة واقفة هنا !

قهقهت بقوة وتجيبها بمكر :

_ إيه إنتي غيرانة ولا إيه يا سارة ؟!

قالت بخنق وغضب :

_ ابعدي يابت عني ، امشي من هنا إنتي إيه اللي مقعدك معايا !

قالت بافتخار وغرور :

_ لا مش بمزاجك أنا ماخدة أوامره من مراد وريان

_ كمان ريان ! ، لا ده كدا وسعت أوي .. لو مقولتيش إيه اللي بيحصل يا زمردة والله همشي وابقي وريني إنت وريان ومراد بتوعك دول هتعرفوا تجبوني هنا تاني إزاي

قبضت على ذراعها وسحبتها للداخل وهي تقول ضاحكة :

_ حاضر والله هقولك ادخلي بس الأول

***

مرت ساعات عديدة ، حتى اقترب موعد حفل الزفاف .. وكان أسمى وملاك يجلسون في الغرفة وملاك تجلس على الفراش ، أما أسمى فتبدأ بتحضير نفسها وتارة تنظر إلى ملاك الجالسة على الفراش بصمت ومازالت لم ترتدي ملابسها ، وتارة أخرى تحاول إخراجها من تلك الحالة عن طريق أخذ رأيها فيما تفعله وترتديه وتحاول رسم الابتسامة على محياها ولكن دون فائدة .

قد كانت تفكر في حالها هي وزوجها ، قلبها لا يكُف عن لومها ويقول لها مرارًا وتكرارًا إنها ناكرة للجميل ولكل شيء فعله معها .. ناكرة لكل لحظة أخطأتي فيها وسامحك عليها ، وهذه هي المرة الأولى له الذي يخطأ معها وتعانلت مع قسوة وترفض مسامحته . أما عقلها فيخبرها بأن ما تفعله صائب وأنها ستجعله يدرك قيمتها في حياته وستكون عِبرة له بأن لا يكررها مرة أخرى ، وأنها من حقها الحزن على ما قاله فهي زوجته ومن حقها أن تحظى ببعض الثقة منه ، أن تشعر بحبه الحقيقي لها وليس فقط مجرد كلمات لا فائدة منهت وحتما سيموحها الزمان بمجرد قدوم أي عاصفة .

ظلت على تلك الحرب لدقائق طويلة لا تعرف ماذا تفعل ، هل تقبل أعذاره

أم تستمر في إحزانه وإحزان قلبها على بعده ، ولكن إلى متى ستظل مصرة على معاقبته ومقاطعته هكذا ، حتمًا ستنهار أمامه وتذوب .

قالت أسمى بقلق :

_ ملاك قاعدة كدا ليه قومي البسي !

هزت رأسها بالموافقة ثم نهضت وأخذت ملابسها واتجهت بها للمرحاض لكي ترتديها ثم خرجت وبدأت بارتداء حجابها ووضعت لمسات خفيفة جدًا من مساحيق الجمال ثم غادرت الغرفة لتتجه إلى تلك الغرفة التي يكمن بها منذ الأمس فوجدته انتهى من ارتداء ملابسه ويعقد ربطة عنقه ، تنفست الصعداء ثم دلفت واغلقت الباب لتقول بضيق بسيط :

_ إيه هو حتى إنت النهردا مش هتكلم مراد !؟

نظر لها باستغراب وهتف بصرامة :

_ ومين قالك إني مبكلمهوش ؟

_ أنا عارفة يا أسيد كل حاجة سمعتكم بالصدفة بتتكلموا ، بس أعتقد كفاية كدا ده النهردا فرحه حتى ، وأنا شايفة إنه عرف غلطه خلاص واتغير ، روح أوقف معاه بدل ما إنت هتروح الفرح زي الغريب !

قال بجفاء بسيط لا يختلف عنها :

_ دي حاجة متخصكيش يا ملاك ، ده موضوع بيني وبين أخويا واحنا نحله مع بعض بمعرفتنا !

استشاطت غيظًا من ذلك الكلام وسرعان ما اندفعت نحوه وهي تهتف بغضب عارم :

_ لا يخصني يا أُسيد لما تبقى مقاطع أخوك طول الفترة دي عشان حاجة هو غلط فيها وخلاص عرف غلطه وتاب وندم

انفعل بها صارخًا ليخرج كل ما بداخله من سخط وألم :

_ إنتي بذات متتكلميش عن المسامحة ، لإنك متعرفهاش أصلاً .. فاهمة ولا لا ، واتفضلي اطلعي برا يلا مش عايز اشوفك !

هيمن عليها حالة من الصدمة وهي تطالعه بذهول مما تفوه بها ، يطلب منها الخروج ويخبرها بأنه يبغض رؤيتها أمامه ، هل كل ما فعلته بغباءها جعله يكرهها ! ، صاحت منفعلة :

_ مش هطلع يا أُسيد !

جذبها من ذراعها وهو يهتف بنظرة نارية أرعبتها :

_ هتطلعي ؛ لإني مش طايق أشوفك خلاص ! ، قوليلي كام مرة أعتذرلك وأقولك إني ندمان ومش قادر استحمل بعدك عني وإنتي ولا هنا ، إنتي اللي أثبتيلي يا ملاك إنك مبتحبنيش مش أنا ، وأقولك على حاجة كمان لو عايزة تتطلقي أنا معنديش مشكلة ومستعد دلوقتي أروح وأخدك عند المأذون وننهي جوازنا اللي كان غلطة زي ما بتقولي

غامت عيناها بالعبرات وهي لا تصدق أن تلك الكلمات تخرج من فمه هو ، " لا لا هذا ليس أسيد الذي أعرفه بالتأكيد أنه ليس بوعيه وغير منتبه لما يتفوه به " كانت تقول لنفسها هكذا في صدمة ، فقد وضعت كلامه كله في جهة ورغبته في إنهاء زواجهم واستعداده التام لذلك كانت الصدمة الكبرى لها ، فهتفت بصوت يغالبه البكاء :

_ إيه اللي بتقوله ده !!!

بعدم مبالة وبرود تام أكمل بقسوة أكثر :

_ زي ما سمعتي بالظبط أنا مبقيش عندي مشكلة في موضوع الطلاق خلاص !

استغرق الوقت للحظات وهي تحدقه بدهشة حتى قررت التحدث بنفس طريقته القاسية وعدم تحقير كرامتها أمامه لتقول بثبات :

_ تمام أوي ولا أنا كمان عندي مشكلة ، وعايزة أطلق

_ تمام النهردا بليل هاخدك ونروح !

امسكت دموعها قبل أن تسيل كالشلالات وأسرعت إلى الخارج تاركة العنان إلى دموعها بحرقة وتدخل الغرفة تزيل كل ما وضعته من مساحيق الجمال بدموعها ، اشفقت أسمى عليها كثيرًا ثم توجهت إلى أخيها في غرفته فوجدته جالس على الفراش بخنق بسيط وحين رأها قال بشيء من الندم :

_ زودتها مش كدا !

_ أمممممم جدًا ، ده صوتك أنا كنت خايفة منه !

_ لازم كنت أعمل كدا عشان أخليها تصدق ، روحيلها وحاولي تهديها ، وأنا هروح لمراد وهبقى ابعتلكم السواق ياخدكم

أماءت له بالموافقة ثم نهض هو ورحل .

***

وصل إلى شقة أخيه وطرق الباب ففتح له ريان الذي طالعه مبتسمًا وقال مازحًا :

_ إنت إيه اللي جايبك !؟

أزاحه عن طريقه وهو يهتف ضاحكًا :

_ وإنت مالك يانطع

ثم دلف إلى الداخل قاصدًا تلك الغرفة التي يتجهز بها مراد وحين رآه ابتسم بتلقائية في سعادة فهو لم يكن يتوقع مجيئه مطلقًا ، كان يظن أنه مازال غاضبًا منه ، ولكن اقترب منه وقال بحنانه الأخوي والأبوي الذي اعتاد عليه :

_ مبروووك ، الصراحة مقدرتش مجيش !

عانقه مراد بحرارة مبتسمًا بصفاء ليقول :

_ الله يبارك فيك ، فرحتني جدًا والله يا أسيد بجيّتك دي

رتب على ظهره بحنان ثم ابتعد عنه وهتف :

_ لازم أجي طبعًا أمال أسيبك وحدك في يوم زي ده

خرج ريان ليجيب على الهاتف قائلاً :

_ أيوة يازمردة

صاحت به مغتاظة :

_ إيه يا ريان هنقعد كتير كدا يعني ما تخلصوا

_ بتزعقي ليه يابت ، لمي لسانك ده بدل ما أجي اقصهولك

قالت ساخرة باستنكار :

_ آه صح ، بس عشان إنت بتطلع تطلع وتنزل على مفيش ومباخدش منك غير كلام ! ، واخلص قول لمراد يلا ، دي العروسة خلصت وهو لسا !

هتف متوعدًا باغتياظ :

_ ماشي يازمردة وحياة أمي لما أجي هربيكي وأوريكي اللي مبتاخديش منه غير كلام ده

أغلقت الاتصال فورًا وهي تضحك فرأت نظرة سارة لها المستفهمة فقالت ضاحكة :

_ لا مفيش حاجة أخوكي مستحلفلي بس لما ياجي

_ أحسن تستاهلي !

توجهت وجلست بجوارها لتقول بمغازلة :

_ إيه الحلاوة دي بس ، تصدقي كنت عايزة أبخرك يابت

ضحكت بخفة ثم قال بهمس جميل في سعادة تتدلى من عيناها :

_ إنتي مش متخيلة أنا فرحانة إزاي دلوقتي والله

_ عشان تعرفي بس مراد بيحبك إزاي ، هو اللي ظبط تقريبًا تلات أربع الفرح وأهتم بكل حاجة وريان عمل الباقي وأنا بقى جبت الفستان الحلو دي ، يالهوي على زوقي وجماله !!

_ قومي من جمبي يازمردة !

مر ما يقارب الساعة حتى وجودوا الباب يفتح ويدخل ريان من خلاله ، فوقفت لتكون بمقابلة أخيها وتستبقل قدومه عليها ومعانقته لها بسعادة وفرح ، ثم ابتعد عنها وهتف بنبرة أخوية محبة :

_ إيه الحلاوة دي بس ، مبرووك ياحبيبتي

أخيرًا وجدته يدخل إليهم ويقترب منها بنظرة عاشقة تحمل الكثير من المعاني بداخلها ، فلم تهمله هي الوقت حيث عانقته بسعادة في عناق دام لدقيقتين حتى سمعها تهمس برقة بجانب أذنه حيث أنه هو الوحيد الذي سمعها :

_ ربنا يخليك ليا يا حبيبي

أبعدها عنه بذهول بسيط مما سمعه واقترب ليهمس أيضًا بجانب أذنها في غيظ :

_ يعني يوم لما تقوليها ، تقوليها هنا ، ماشي يا سارة حسابي معاكي في البيت !

ضحكت بخفة ، أما زمردة فسرحت في ذكرياتها للحظة ، متذكرة زوجها التي كانت داخل أحضانه وقتل بين يديها .. تتذكر كيف كان وضعها في ذلك الوقت حين وجدته سقط قتيلاً أمامها . ولكت انتشلها من شرودها ريان الذي هتف متعجبًا :

_ مالك يازمردة !

نظرت له بصمت ودققت النظر به بتحسر ثم خرج صوتها ضعيف وهي

تقول :

_ مفيش حاجة أنا هروح الحمام !

نظر مراد لها وسرعان ما فهم سبب بكائها فتنهد الصعداء بضيق عليها ورأى قسمات وجه ريان وسارة المتعجبة فتظاهر هو الآخر بالجهل ، ودقائق وخرجت ثم استقل كل من مراد وسارة بالسيارة المجهزة لهم ويوجد بها السائق كالعادات التقليدية في الأفراح ، أما زمردة فصعدت بالسيارة مع ريان الذي كان ينظر لها من آن إلى آن بحيرة من أمرها فلم يتمكن من حجب نفسه عنها حتى قال متسغربًا :

_ إيه يازمردة ماتقولي مالك ؟!

_ صدقني مفيش حاجة ياريان أنا تعبت بس شوية

قال مستنكرًا :

_ وهو التعب يخليكي تبكي ؟!

اخترعت كذبة مقنعة لتقول مبتسمة :

_ لا أصل أنا فرحت جدًا لسارة يعني بعد كل اللي حصلها ربنا عوضها وفرحها ، فمقدرتش أمسك نفسي وعيني دمعت الصراحة

اقتنع قليلاً ولكن مازال قلبه يتخلل به الشك إلى كل جزء ، فقرر إزالة هذه الكآبة وتمتم بودٍ في نظرة دافئة وشبه عاشقة ! :

_ عقبالك كدا إن شاء الله !

لاحت على ثغرها ابتسامة متحسرة وحزينة على حالها ، وتمنت أن تخبره بكل شيء ولكن لن تستطيع و خالفة أوامر مراد الذي حذرها مرارًا وتكرارًا أن تبقى ذلك السر مخفيًا حتى ينتهي من الأمر وتكون هي في أمان .

***

بدأ حفل الزفاف والجميع كان سعيد باستثناء زمردة التي تحزن على زوجها وفراقه ، وملاك التي تفكر في أسيد وقلبها يبكي الدماء .. هل سيطلقها بتلك السهولة ويتخلى عنها ! ، إذًا إين كلامه الذي قاله ليلة أمس عن حبه لها وعشقه الذي لا يمكنه حتى من الافتراق عنها ليوم ! ، إين ذهب كل هذا في يومٍ وليلة !!؟ .

صك سمعها همسه بجانب أذنها وهو يقول بخشونة :

_ قومي يلا المأذون مستنينا !

رمقته بدهشة ، وتأكدت الآن أنه لم يكن حلم أو خيال ، و لم يكن هو يتحدث في لحظة غضب أو بدون وعي ، فدهست على قلبها ونهضت معه وهي تسير معه وفي إعتقادها أنه تخلى عنها وسينتهى زواجهم الآن بهدوء كما بدأ !! .

استقلت بالسيارة وانطلق وظلوا طوال الطريق لا يتحدث أحدهم مع الآخر ، هو ينظر أمامه في الطريق وهي تتابعه من النافذة بجانبها . ولكن انتابتها الحيرة عندما وجدت السيارة تقف أمام شقتهم _ هي وأمها _ فنظرت له وقالت بصوت مبحوح :

_ إنت جايبني هنا ليه !

ترجل من السيارة وفتح لها الباب للنزول وهو يقول بصلابة :

_ انزلي وهتعرفي فوق

ترجلت كالمغلوب على أمره وسارت خلفه حتى وجدته يخرج المفتاح من جيبه ويفتح الباب ثم يشير لها بيده الدخول فتهتف هي باستياء :

_ إنت جبت المفتاح منين !؟

رأت نظرة مرعبة استقرت في عيناه يأمرها بالدخول ، فدخلت بازدراء وبمجرد ما وجدته يدخل خلفها ويغلق الباب فصاحت به مزمجرة :

_ فهمني جبت المفتاح من فين ، وفينه المأذون اللي مستنينا ده !

تجاهل أسئلتها وتوجه إلى غرفة النوم وهي تصيح عليه منفعلة واندفعت خلفه صائحة :

_ ماترد عليا هو أنا بكلم نفسي

وجدته يخرج إمامها عقد ويضعه في يدها فحملقت به بدهشة ثم نظرت له وقالت بريبة :

_ ده عقد تمليك !!

أظهر عن صف أسنانه البيضاء وفي عينه وهج جميل تطل منه إسراقة ساحرة ثم قال :

_ إنتي مش كان نفسك تشتري البيت ده ويبقى ملكك وأهو بقى ملكك والعقد في إيدك

أطالت النظر إليه بذهول ودقات قلبها تسارعت عندما قال هكذا ، فطالما تمنت أن تحتفظ بذلك المنزل الذي قضت به طفولتها مع أمها ويكون ملكًا لها ولن يستطيع أحد أخذه منها ، غامت عيناها بالعبرات وهي تهمس بصوت باكي :

_ الكلام ده بجد يا أسيد !؟

_ إمال هزار يعني ! ، طبعًا بجد يا حبيبتي

انهمرت دموعها على وجنتيها سريعة ولم تتمكن من حجب نفسها عنه ، حيث ارتمت داخل أحضانه وهي تجهش باكية وتقول :

_ أنا مش مصدقة والله

ملس على ظهرها وهو يحني رأسه ليطبع قبلات متتالية على شعرها من فوق الحجاب ويهمس بنبرة عاشقة :

_ لا صدقي ، أنا من بدري كنت ناوي أعمل كدا بس أنشغلت وهو جه وقتها ، أهم حاجة تكوني مبسوطة

_ أكيد طبعًا مبسوطة ربنا يخليك ليا يارب !

أبعدها عنه و أردف بابتسامة مشرقة :

_ يعني نقول صافية لبن خلاص

جففت دموعها ثم قالت بغضب مزيف :

_ لا لسا عشان الطريقة اللي جبتني بيها وخلتني أصدق إنك فعلاً مش عايزاني واتخليت عني وهنطلق !

قرب وجهه من وجهها واستند بجبينه على جبينها هامسًا بصوت يفيض رقة وحنانًا :

_ أنا مستحيل أتخلى عنك ياملاكي ، هتفضلي مراتي لغاية آخر نفس فيا ، إنتي يمكن مش مدركة لسا إنتي بتعملي فيا إيه لما تكوني قدامي ومعايا ، وكنت في كل مرة بحاول أصالحك فيها وإنتي بتصديني كنت ببقى على احظة وهتجن ، بس إنتي ما شاء الله تخطيتي الأرقام القياسية في القسوة

قال بأغين دامعة :

_ اللي إنت متعرفهوش عني ، إني مبقساش على حد إلا لما أكون بعشقه بجد ، وأنا قسيت عليك عشان بحبك وكنت مدايقة من اللي عملته وكنت عايزة أقرص وجدنك عشان متكررهوش تاني

قال مبتسمًا بحب :

_ لا إنتي قرمطيها ودني مش قرصتيها !!

انطلقت منها ضحكة أنثوية مرتفعة فجذبها من خصرها إليه وقال بلؤم في

غضب مزيف :

_ الضحكة دي في بيتنا مش هنا عشان أعرف أرد عليكي كويس يامدام يا محترمة !

حجبت نفسها من أن تنطلق منها ضحكة آخرى مشابهة لسابقها ثم وجدته يقترب منها ويهم على تقبليها ولكن هاتفه أصدر رنينه فانتفضت هي واقفة وأبعدته عنها بعنف فصاح بها مغتاظًا :

_ إيه ياملاك خلتيني أحس إن احنا زي الاتنين اللي هاربين في شقة وخايفين لحد يكشفهم .. براحة ياحبيبتي إيه الخوف والتوتر ده كله !

وضعت يدها على وجهها وتنفجر ضاحكة على غيظه الشديد منها ومن المتصل اللعين ، الذي أجاب عليها بخنق :

_ إيه يا ريان في إيه ؟!

_ إنت فين ؟ ، حتى ملاك مش موجودة

_ ملاك معايا كنا في مشوار وراجعين دلوقتي

_ أمممم طيب ، سلام

انهى الاتصال ونظر لها بغيظ قائلاً :

_ اطلعي ياختي قدامي يلا

وقفت أمامه مباشرة وقالت بشجن :

_ متزعلش مني يا أسيد على معاملتي ليك ! ، أنا كنت ناوية والله في البيت أقولك إني مسمحاك وخلص الموضوع بس لما لقيتك بتقول الكلام ده تراجعت

أمسك بكفها وقبله وتشدق بصوت ينسدل كالحرير ناعمًا وأعين تشع حب وعشق :

_ مش زعلان ياحبيبتي ، إنتي آه زودتيها شوية ! بس أنا كمان غلطت في حقك ، وانا اللي غلطان لأني مخلتكيش تحسي بحبي ليكي فعلاً ومخلتش عندك ثقة فيا وفي حبي ليكي اللي هو أكتر من حبي لمريم بكتير ، بس إن شاء الله ربنا يقدرني وأثبتلك ده ، ومخليش اللي حصل ده يتكرر تاني

***

استيقظ في صباح اليوم التالي ونظر بجوارها فلم يجدها ، فتعجب بشدة

ونهض من الفراش ثم توجه نحو المرحاض وغسل وجهه وأخذ حمامه الصباحي وعندما خرج صاح مناديًا عليها فأتاه صوتها من المطبخ فذهب لها ووقف خلفها بعانقها من الخلف هاتفًا :

_ في عروسة تقوم الصبح تحضر الأكل !

قالت بدلال وهي تمنع نفسها من الضحك :

_ والله أنا جعانة لو إنت مش جعان حاجة ترجعلك

قال بقرف وهو يسخر من طريقتها :

_ جعانة !! ، وبعدين مواعين إيه اللي بتغسلي فيها على الصبح ده !!

_ مواعين العشا بتاع إمبارح ولا إنت بتاكل وتنسى !

تهجم وجهه وقال بخنق وغضب :

_ لا تعالي خُديني قلمين أحسن !

أنفجرت ضاحكة بقوة ولفت ذراعها حول عنقه قائلة برقة :

_ لا طبعًا مقدرش ، أنا ممكن أعملها في حالة وحدة لو أنا مستغنية عن روحي !

ابتسم بفخر وقال :

_ كويس إنك عارفة

أكملت بدلال أكثر :

_ هاا أحضر الأكل ولا لا

سحبها من يدها قائلاً في خبث :

_ لا لا مش وقته تعالي بس عشان عايز أقولك حاجة مهمة حصلت إمبارح في الفرح احنا وفي القاعة

***

كانت زمردة تستقل بالسيارة مع ريان بعد أن أصر أن يوصلها لمقر عمله حين قابلها في الطريق ، وفي وسط الطريف طلبت منه أن يتوقف ؛ لكي تنزل وتشتري شيئًا من أحد المحلات ، فأوقف السيارة ونزلت ولسوء الحظ أنه نسيت حافظتها الشخصية مفتوحة على المقعد مكانها ، فنظر هو إليها وأصابته الصدمة عندما رأى صورة ذلك الرجل .

الفصل التاسع والعشرون

أصابته الصدمة عندما رأى صورة ذلك الرجل ، أنه أخيه !! ، ماذا تفعل صورته معها ؟! ، حتمًا أنها تخبي أمرًا خطيرًا عنهم ولن تهدأ نفسه إل حين معرفته .

دقائق ووجدها تفتح الباب وتستقل بجواره متمتمة بعفوية :

_ خلصت خلاص ياريان يلا !

أخرج لها الصورة يعرضها أمام وجهها ويقول بحزم :

_ صورة عبدالرحمن بتعمل إيه معاكي يا زمردة ؟!

جحظت عيناها بدهشة ، واختلطت البرودة والسخونة التي وصلت إلى جسدها حتى جعلتها تثاب بحالة نفضة وتوتر من ردة فعله عندما يعرف أنها زوجة أخيه ! ، وبالأخص عندما يعرف كيف توفى .. منذ البداية كانت تدرك أن الأمر سيكون خطيرًا وكانت تستعد لتلك اللحظة ولكن الآن هي في وحل سقطت به ولن تخرج منه بسهولة . سمعت صوته الأكثر حدة يقول بصوت شبه مرتفع :

_ ما تنطقي يازمردة !

أغمضت عيناها وكأنها لا تريد سماع صوته اليذ سيتحول الآن بعد أن تخبره وهمست بصوت خافت :

_ عبدالرحمن جوزي

لم يأتيها أي رد منه ففتحت عيناها ونظرت له لترى الصدمة التي احتلت مركزها على وجهه ، والصورة سقطت من بين يده ، تداخلت وتناطحت الأفكار في عقلها من فرط الدهشة أن أخيه كان متزوج ولم يخبرهم ، وتزوج من الفتاة التي بدأت تسحبه إلى شباك حبها الآن ، بينما هي عندما وجدته هكذا قالت معتذرة :

_ ريان أنا آسفة والله كنت هقولكم ، بس مقدرتش ومراد وعمي ثروت منعوني

أنفجر بها كالغول يقول بصوت جهوري :

_ كنتي هتقولي إمتى قاعدة طول المدة معانا وعلطول معايا وإنتي مرات أخويا وأنا معرفش ، إيه اللي يخليكي تخبي حاجة زي كدا

صاحت به باكية :

_ عشان أخوك مماتش موتة عادية زي ما فهموكم ، أخوك أتقتل وهو في

حضني واللي قتله بنت خالتكم نهلة اللي كانت خطيبته

رمت الصاعقة الثانية دفعة واحدة وهو لم يفق من الأول بعد ، فمسح على وجهه وهو يترنح من شدة الانفعال ويقول بصوت مخيف :

_ إنتي واعية للي بتقوليه ده !

_ أيوة واعية يا ريان ، عبدالرحمن كان بياجي عندينا مع مراد وأسيد وبعديها بفترة طلب إيدي من بابا ووافق وهو اللي رفض يقولكم لأن محدش يعرف إن بابا كان متجوز تاني أساسًا غير عمي ثروت وده غير إنكم مكنتوش هتوافقوا فكتبنا الكتاب وقولنا مش هنعمل الفرح غير لما تعرفوا وكان ناوي يقولكم ، بس في اليوم ده أخدني وروحنا شقتنا كان عايز يفرجني على آخر التغيرات اللي عملها فيها وهناك واضح إن كان في حد عارف إننا رايحين فاستخبى في الشقة وأول ما روحنا وقعدما نتكلم وبعدين مش فاكرة قالي إيه أو أنا قولت حاجة فحضني وفي اللحظة دي طلع واحد من الأوضة وكان معاه مسدس ضربه وهرب أنا ملحقتش طبعًا أعمل حاجة من الصدمة وقعدت أصرخ ولغاية ما راح المستشفى كان أتوفى والدكاترة قالوا إن الرصاصة كانت مسمومة وأتصوبت في مكان خطر ففي لحظتها أتوفى

وجدته دفن وجهه بين كفيه كحركة تعبر عن فرط ألمه فأكملت قائلة بصوت متشنج :

_ بعدين جات بنت خالتك دي وهددتني إني لو قولت لحد هتقتلني زيه بظبط ، ولما قولت لعمي ومراد قالولي متقوليش لحد لغاية ما يلقوها لأنها زي ما أنت عارف هربت علطول بعد اللي عملته بس طبعًا ليها التلس اللي بيقولولها على كل حاجة ، عبدالرحمن قبلها كان قايلي أساسًا أنها مش طبيعية يعني بمعني أصح مجنونة وعشان كدا فسخ الخطوبة ولما عرفت إنه أتجوزتني قتلته ، يعني غصب عني والله مراد اللي منعني كان خايف عليا لتعمل فيا حاجة المجنونة دي ، وطول الفترة دي كانوا بيدوروا عليها بس مش لقيناها لسا من يومين سمعت مراد بيتكلم مع واحد بيقوله إنه عرف حاجة عنها ! .. هي حتى أمه وأبوها ميعرفهوش الموضوع ده ، ومحدش يعرف بموضوع جوازي غير مراد وعمي حتى ملاك متعرفش

رفع نظره لها وقال متغطرسًا بشيء من الزمجرة :

_ آه وأنا كيس الجوافة اللي ما بينكم ميعرفش حاجة ، أخوه يتجوز ويتقتل وهو ميعرفش حاجة !

_ والله كنت ناوية أقولك ياريان ، ده حتى مروان مقولتلهوش غير من

فترة قليلة !

صرخ بها بنبرة نفضتها نفض :

_ اسكتي يازمردة مش عايز أسمع صوتك

همست بصوت باكي :

_ ريان إنت ليه مش عايز تفهمني ، بقولك غصب عني خبيت عنكم

_ انزلي يازمردة من العربية

طالعته بذهول مما تفوه به ، وشعرت بعيناها تزرف الدموع ، من قسوته معها وكأنها ارتكبت جريمة في حقه ، لم يعذرها ولم يفهمها ، فقط حكم عليها من مسلمات عقله الخاطئة ! . رأى هو نظرة عتاب وحزن منها ولكن كان غضبه يعميه عن أي شيء فلم يأبى لها ، أما هي فنزلت من السيارة فورًا وهي تمسح دموعها التي فرت هاربة منها لا إراديًا وغادرت تستقل بإحدى السيارات الأجرة لتأخذها حيثما كانت ذاهبة _ إلى عملها _ تاركة خلفها قلبها المتحطم من جفاءه فتلك هي المرة الثانية التي يكسر فيها قلبها إربًا .

***

سمعت صوت صياحه وهو يندە عليها ، فركضت إليه في غرفة مكتبه فوجدته يجلس على المقعد ورأت في عيناه نظرة مريبة كانت كافية لجعل أوصالها ترتعد ، وتتساءل بحيرة عن سبب غضبه المجهول ، بهي لا تتذكر أنها فعلت شيء من الأمس حتى الآن يجعله يغضب منها . سمعته يهتف بزمجرة :

_ روحتي فين لما طلعتي إمبارح الصبح من غير ما تقوليلي !

ازدردت ريقها بتوتر ، من نبرته وعقلها يتساءل مجددًا كيف عرف ! ، ثم وجدته يعيد سؤاله بطريقة أكثر حدة وصوت شبه مرتفع فقالت في خفوت :

_ روحت أزور ماما اللي يرحمها ، كنت مدايقة جدًا

صاح منفعلاً :

_ وأنا مليش أي لزمة في البيت ولا إيه ، ولا هو عشان كنا متخانقين لقتيها فرصة وقولت أطلع مش مهم

_ لا ملقتهاش فرصة طبعًا ، أنا مكنتش بكلمك وإنت كنت نايم فقولت هروح وأرجع بسرعة قبل ما تصحي وفعلاً روحت وجيت قبل ما تصحى

هب واقفًا ثائرًا وهو يهتف بازدراء :

_ إيه مش بكلمك دي !! ، في فرق بين إننا متخانقين وفي فرق إن رجلك متخطيش برا عتبة البيت من غير أذني ياملاك حتى لو كان الوضع وصل بينا للطلاق

أطرقت أرضًا وقالت باعتذار صادق ونبرة ضعيفة :

_ حاضر ، أنا آسفة ، بس مفيش حاجة تستدعي كل العصبية دي صدقني أنا روحت وجيت ومفيش أي حاجة حصلت

اقترب منها بعد أن سمع صوتها الحزين ، وأدرك أنه أنفعل عليها بشدة ، وأظهر عن جفاءه مجددًا ؛ فلعن غضبه الذي لا يمكنه من البقاء هادئًا لثوانٍ ، وهي تصر على إظهار غضبه بما تفعله دومًا ، ومن ثم بعد ذلك تضايق من ردة

فعله العنيفة وكأنها لا تعرفه ! .

حاوط وجهها بكفيه وهو يقول بصوت ونبرة تختلف تمامًا عن التي كان يتحدث بها للتو :

_ لا يستدعي ياملاك ، أنا مبضمنش الأيام دي أي حاجة حتى أسمى مخلهاش تطلع وحدها ، أنا بتعصب عشان خايف عليكي ، عايز أشوفك

بستمعي كلامي واللي أقوله ليكي يتنفذ مش ألاقيكي ماشية بدماغك

همست برزانة في ابتسامة ساحرة :

_ عارفة ، أنا في مواقف مبزعلش من عصبيتك فيها عليا لإني عارفة إني يا أما ببقى غلطانة يا إما إنت خايف عليا وأحيانًا بتبقى الأتنين

لاحت ابتسامة جذابة أبرزت عن أسنانه الناصعة وهو يهمس متغازلاً بها :

_ ربنا يهديكي كمان وكمان ، أيوة كدا أنا بنبسط لما أشوفك مطيعة وهادية ، يخليه ليا القمر ده ياناس

قالت مبتسمة بدلال وهي تقترب منه أكثر وتثبت نظرها في عيناه الزرقاوتين :

_ أنا طول عمري مطيعة وهادية تقدر تنكر !

أتسع بؤبوي عيناه كدليل على تأثره بها ، كساحرة متمكنة استخدمت أسهل طريقة لتسحره وأصّعبها عليه ، تجعل منه كالمتنوم مغناطسيًا حين تنظر له بهذه النظرة الماكرة التي تستخدمها بتعمد حين تريد إلقاء تعويذتها عليه ، فهذا هو سلاحها القوي الذي تستخدمه في المواقف

الخطرة إذا أرادت محو غضبه وجعله هائم بها فتستخدمه على الفور وتخرج منتصرة ، فهو لم يعرف كم من المرات الذي كان فيها غاضبًا وإزالة ذلك الغضب بسحرها هذا ، وحولته في لحظة إلى رجلٌ عاشق لا يطيق حتى الابتعاد لثانية عن عشيقته تجعل منه مراهق في الحب لا يتمكن من السيطرة على جموح مشاعره .

أخذ شهيقًا قوي ثم أخرجه زفيرًا على تهمل وهو يغمض عيناه ، وبحركة غير متجهز لها جذبها من خصرها إليه واقترب من أذنها يهمس بهيام :

_ ملاك ياحبيبتي بلاش الحركات دي احسلك ، احنا مش لوحدينا في البيت ، خلينا محترمين أفضل ، عيييب ياروحي عيب !

ضحكت بقوة لاعترافه بنجاحها في السيطرة عليه من نظرة واحدة وقالت من بين ضحكاتها :

_ وهو أنا عملت حاجة أصلاً !

تركها ودفعها بخفة بعيدًا عنه بنفاذ صبر وهو يكبح ابتسامته :

_ معملتيش حاجة ، وأخفي من قدامي يلا بالذوق لأحسن أنا مش ضامن نفسي

ازداد ضحكها أكثر ثم قالت بشيء من الجدية :

_ طيب يلا تعالى ورايا عشان أنا حضرت الفطار

_ ماشي

***

بعد نهار قضى نصفه في طريق السفر حيث عودته إلى منزلهم في (جنا) ، وأخيرًا استقرت أمام المنزل وترجل منها متحفزًا وقاد خطواته السريعة والواثبة إلى الداخل وبمجرد ما فتح الباب له صاح مناديًا على أبيه بصوته الجهوري ، يستعد لإفراغ غضبه في من المتسبب في كل هذا ، فهو أخفى عنه كل تلك الحقائق لثلاث سنوات ، وحان وقت المواجهة .

نزل أبيه الدرج وهو يقول متعجبًا :

_ ريان ! ، جيت إمتى يا ولدي ؟!

_ عايز أسمع كل حاجة تخص عبدالرحمن دلوك ومنك إنت بذات يابوي

عاد للهجته الصعيدية التي نشب عليها ، وتجعل منه رجلٌ مهيب وذو وقار في كل شيء . أما ثروت فنظر إليه وإلى زوجته التي أنضمت لهم على أثر صياح ابنها ، ثم قال بارتباك :

_ تسمع إيه ؟!

تمتم ساخرًا :

_ أسمع اللي مخبيه عني ، أسمع إني أخويا كان متجوز زمردة ومحدش يعرف غيرك ، أسمع وأعرف إن أخويا مماتش في حادث زي ما اقنعتنا وإنك زورت التحليل الشرعي

رمقت أشجان زوجها بصدمة وهي تقول :

_ إيه اللي بيقوله ده يا ثروت !

تنهد بعمق ثم سار مبتعدًا عنه وجلس على مقعده هاتفًا :

_ بما إنك عرفت كل حاجة فخلاص ملوش لزمة أخبي حاجة تاني ، ومن الواضح إنك عرفت الحجات دي من زمردة يا أما مراد

صرخ به بجنون وهو يترنح من فرط غضبه :

_ إنت كيف قادر تقعد إكده بهدوء وسايب بنت ... اللي قتلته مرتاحة في عيشتها ، ورب العزة في سماه لو شفتها لأشرب من دمها ومش هيهمني بنت خالتي ولا زفت عليها

هب واقفًا وقال برزانة :

_ ومين قالك إني مرتاح أنا ومراد مسبناش مكان ومدورناش فيه عليها حتى أبوها وأمها ميعرفوش وينها ، دي مجنونة يا ولدي ومحدش يعرف هي وين ولا بتعمل إيه ولا مستعدة تعمل إيه تاني

_ مراد !! ، هو ولادك ماتوا ولا إيه رايح لولد أخوك وسايب ولدك قاعد زي الطربوش مفهمش حاجة

_ مقولتلكش لإني عارف إن ده اللي هيحصل وعارفك زين إنك متهور ومكنتش ضامن تعمل إيه فكنت مستني لما القيها وهقول للكل ، ومراد عرف لوحده أنا مقولتلهوش حاجة

زاد من التهاب النيران بداخله أكثر قائلاً :

_ آه عشان إكده خبيت عني كل ده ! ، أخويا يتجوز ويتقتل واحنا كلنا في الضياع .. ماشي يابوي بس مبقاش أنا ريان الصاوي إما جبت بنت ... دي وإذا كان هي مجنونة فانا أجن ، وخليك فاكر إن اللي عملته ده مش هسكت عليه وهياجي معاده

هم بالرحيل ولكن انتفض جسده عندما وجد أمه تسقط على الأرض فاقدة الوعي ، فركض هو أولاً نحوها بهلع ..

***

فتحت الخادمة الباب لأسمى التي كانت تنظر لها برعب وتهتف بارتعاش :

_ مالها ماما ؟!

_ من ساعة ما مشيتم ياست هانم محطتش حاجة في بطنها وإمبارح بليل أغمى عليها وفوقتها وشربتها عصير بالعافية وبقت طول ماهي نايمة تهلوس بيكم ، وحتى علاج السكر مبتاخدوش ، حالتها بقت صعبة أوي يا أسمى هانم من ساعة ما سبتوا البيت كلكم

لم تجيبها بل اندفعت إلى أعلى حيث غرفتها وفتحت الباب ، فتصلبت بأرضها من الذهول عندما وجدتها كالقماش الملقي على الأرضية تتسطح على فراشها وتغمض عيناها ، وجهها شحب وبات أسود اللون ، خسرت الكثير من ورزنها في هذه الأيام القليلة . ندمت كثيرًا لأنها تركتها ورحلت فبات حالها بهذا الوضع المزري .

تركوها ولم يسألوا على حالها وكأنها ليست أمهم ، ربما أخطأت في حقهم ولكن رغم كل شيء فهي ستظل أمهم . اقتربت منها وجلست بجوارها بتهمس بصوت باكي :

_ ماما !

فتحت عيناه فورًا وبمجرد رؤيتها لها أشرق وجهها قليلاً وهبت جالسة تعانقها قائلة بسعادة :

_ أسمى حبيبتي ، أخيرًا جيتي يابنتي وحشتيني يا حبيبة أمك

_ ليه كدا يا ماما مش بتاكلي ولا بتاخدي علاج !

تجاهلت سؤالها وقالت بابتسامة أمومية حانية :

_ طمنيني أخواتك عاملين إيه ، أسيد كويس ملاك لسا زعلانة منه ولا لا ، ومراد حبيبي كان نفسي أروح فرحه إمبارح بس مقدرتش كنت عارفة إنه مش بعيد يطردني

أجابته بأعين دامعة على حالها :

_ لا متقلقيش مش زعلانة منه ، ومراد لو كنتي جيتي كان يمكن يهدى من ناحيتك كويسة

_ معكيش صورة ليه هو وسارة في الفرح

أماءت برأسها فورًا وأخرجت لها هاتفها وتخرج صورهم جميعًا أمس من الحفل فتحدق هي بأبنائها بحسرة وحزن وتهمس بصوت تحاول أن يمون طبيعيًا :

_ ربنا يحفظهم يارب

طالعتها أسمى بأسى عندما وجدتها تقول :

_ عارفة إن مفيش واحد فيهم هيسامحني

_ هيسامحوكي إن شاء الله متقلقيش

أنفجرت باكية وهي تهتف بصوت متشنج صادق :

_ خليهم يرجعوا يا أسمى وأنا هشيل مرات كل واحد فيهم فوق راسي ومش هدّخل في أي حاجة هقعد زي الكرسي اللي قاعدة عليه ، بس هما يرجعوا هو ميعرفوش إن هما أغلى حاجة عندي

قالت أسمى بصوت مبحوح :

_ لما إنتي بتحبيهم كدا يا ماما عملتي معاهم كدا ليه ، حرمتي مراد من مراته وابنه وأدي أسيد حرمتيه من الطفل اللي مستنيه من سنين

قالت ببكاء أشد ونبرة صادقة في كل حرف :

_ لا أنا محرمتش أسيد من ابنه ، صدقيني مكنتش أعرف إن ملاك حامل ولو كنت أعرف مكنتش هزقها أبدًا .. ومراد ميعرفش إن مراته دي كانت حربايه فعلاً أنا غلطت لما مقلتلهوش فعلاً بس اللي كان في بطنها مكنش ابنه عشان كدا هددتها بإنها تنزله كانت بتخونه فعلاً أنا متبليتش عليها ، لو هي مكنتش بتخونه فعلاً مقالتلهوش ليه على اللي بعمله معاها ، يعني عايزة تفهميني إنها خافت ، أنا فعلاً خطفت أختها علشان أهددها بيها مش أكتر ، بس هي ذات نفسها خافت تقوله يقوم بعدين يعرف إنها بتخونه وإن اللي في بطنها من ابنه فقالت أنا أعمل زي ما هي عايزة وفي الأخر أطلعها أنها قتلت حفيدها وبوظت حياة ابنها ، ومش زي ما قالت لسارة إني بعتلها بلطجية يضربوها لا هي بنفسها راحت للمستشفى وأنا روحت معاها .. أما أسيد فانا فعلاً استاهل زعله مني لإني اللي عملته مع ملاك ملوش أي سبب أنا بس مكنتش طيقاها إكمنها بنت فردوس وأنا وفردوس كان في مشاكل بينا ومكنتش متقبلة إن بنتها تبقى مرات ابني لكن والله ما كان قصدي إني اخليها تسقط العيل أنا زقيتها من غير قصد

قالت أسمى بشك :

_ ماما بلاش كدب تاني ، وقولي الحقيقة

_ والله العظيم دي الحقيقة يا أسمى أنا أول مرة أكون بتكلم بصدق زي دلوقتي ، روان مكنتش طاهرة زي ما فاكرها مراد أنا أنقذته منها

_ ولما هو فعلاً مقولتيش ليه لمراد إن مش دي الحقيقة وإنك معاكي حق

_ وإنتي فكرك إنه كان هيصدقني

قالت أسمى بغضب :

_ ماما بس إنتي كنتي خايفة جدًا !

قال باكية بشدة :

_ كنت خايفة لإني عارفة إن لو مراد صدق الكلام ده هخسره وخايفة كمان ليعرف إني كنت عارفة إنه مش ابنه وروحت معاها بنفسي وخليتها تنزله لإني عارفة إني غلطانة ومليش حق أخليها تنزله أو تسيبه وكان المفروض أقوله وهو يتصرف معاها ، لكن أنا خليته يطلقها من غير مايفهم حاجة وقولتله إن اللي في بطنها ابنك عشان تكون أشد لما يعرف أنها نزلته ويطلقها

هبت أسمى واقفة وظلت تجوب الغرفة إيابًا وذهابًا تفكر في كلامها

وتحاول تحليله في عقلها ، وتصدقيها ثم همست بضيق :

_ معلش ياماما بس بعد كل اللي حصل ده أنا مش قادرة أصدقك

أمسكت بهاتفها وقالت لها بتلهف :

_ تعالى اسمعي التسجيل الصوتي ده عشان تصدقي ، هي جات أول إمبارح هنا !

تناولت الهاتف من يدها وبدأت تسمع حديثهم بإصغاء واهتمام ، وتسمع كلمات روان التي تنم عن نفس متشفية وكأن ما سعيت إليه تحقق ، ذلك التسجيل أثبت لها صحة ما تقوله أمها وأنها لم تؤذي ابنها كما ظنوا هما ، هي اعترفت بخطأها الشديد مع ملاك وأنها كانت قاسية وحقودة ولم تفكر في ابنها ولكن لم تخطيء فيما فعلته مع روان تلك ، فنظرت لها وقالت بشيء من الجدية :

_ تمام بس خليني برضوا اتأكد بنفسي يا ماما عشان لما أحاول أخلي مراد يسامحك أبقى واثقة تمامًا من اللي بقوله

أماءت برأسها في موافقة وهي تهمس بحنان أمومي :

_ وحشوني أوي يا أسمى أخواتك ، وأسيد أسأليني على زعله ده حتى لما عرف إني السبب في قتل ابنه مجاش ولا زعق معايا ولا أي حاجة ده أكبر

دليل أنه شايل مني جدًا ومستحيل يسامحني

_ هيسامحك بعد تعب لو كنتي زي ما بتقولي مكنتيش تعرفي فعلاً إنها حامل ، أسيد مبيعرفش يشيل في قلبه من حد لفترة طويلة ومسيره هيسامحك

_ يارب

***

كانت جالسة أمام التلفاز تشاهد أحد الأفلام الأجنبية ، فأنضم هو لها بعد أن خرج من حمامه الدافئ وجلس بجواره متمتمًا :

_إيه بتتفرجي ؟

قالت بملل واضح :

_ معرفش أنا لقيت نفسي زهقانة فقولت أشغل أسمع أي حاجة

اقترب منها أكثر وفتح لها ذراعه يحثها على الانضمام إليه فلبت طلبه بكل حب واستندت برأسها على صدره وتشاهد التلفاز معه ، مرت لحظات حتى قالت هي بعفوية :

_ أقوم أحضرلك الأكل لو جعان ؟

رمقها مغتاظًا وهي بسخط مزيف :

_ هو إنتي كل ما تشوفي خلقتي تقوليلي جعان يا سارة في إيه ، هي حياتنا كلها أكل !

انفجرت ضاحكة بقوة وهي تدفن وجهها بين ثنايا صدره ثم تقول :

_ طيب أنا غلطان إني بهتم بيك

_ اهتمي بيا ياحبيبتي ده بالعكس على قلبي زي العسل بس مش كدا ! ، ده أنا كل ما أقرب منك أو أقعد جمبك ألاقيكي بتقولي أعملك أكل ! ، ليكون مكتوب على وشي عايز أكل وأنا معرفش !!!

زاد ضحكها أكثر حتى دخلت في نوبة ضحك عنيفة حتى كادت أنفاسها أن تنقطع ، ثوانٍ وتوقفت ثم قالت بأنفاس لاهثة :

_ متتكلمش تاني يامراد عشان أنا مش قادرة أخد نفسي والله ، وبعد كدا هسيبك جعان إيه رأيك

قال لها بجدية ونظرات مشتعلة :

_ لا ماهو إنتي مش تهمليني خالص يا أما تكرهيني في الأكل استغفر الله العظيم ، خير الأمور الوسط البني أدم ليه تلات وجبات في اليوم ولو زاد ممكن ياكل مرة معاهم بكتيره مرتين لكن مش كل ساعة عايز تاكل !!

وضعت يدها علي فمها تمنع انطلاق صوت ضحكتها الأنثوية بسببه ، فهي أصبحت تعشق كل شيء به ، أعاد لها شعورها بالحياة مجددًا .. أعاد لها شغفها ومرحها .. جعلها تنسى ما عاشته وتتذكر فقط ماتعيشه معه الآن .. تتذكر حنانه ورومانسيته ومرحه معها ، كل هذا كان كافيًا لدرجة تجعلها تهيم معه في بحور ومحيطات عشقه ، كأنثى متحررة من أي قيود ستعانقه وتقبله بدون خوف من أحد ؛ ولأنها تعلم أنه سيكون معها أمد العمر وسيرزقها الله قريبًا بطفل منه ، كل تلك الأشياء تجعل منها طائر حر وسعيد .

نظرت له وهي تقول بشيء من الرقة :

_ أصل الفترة اللي فاتت كنت بشوفك مبتاكلش يامراد فبعوضها الأيام دي ، إنت مش ملاحظ خسيت إزاي

_ ياستي أنا عايز أخس إنتي مالك !

قالت بضيق مزيف وهي تتطلع إلى التلفاز أمامها :

_ أنا مالي صح ، إن شاء الله تبقى زي خلة السنان حتى مليش دعوة بيك

خطف قبلة سريعة من وجنتها مغمغمًا بمكر :

_ ابقى زي إيه !؟

_ خلة السنان !

قال بخبث أشد :

_ لا قوليها بنفس الطريقة

فهمت مقصده فهي قالتها بدلال ورقة أنوثية ولكن لم تكن مخططة لها فهي خرجت منها بدون ترتيب هكذا ، فقالت له بعناد وببرود :

_ لا مش هقول !

امسك بجهاز التحكم الخاص بالتلفاز وأطفأه ثم انحني وحملها قائلاً بلؤم :

_ تمام براحتك ، إنتي دايمًا بتجبريني على كدا !

***

طرق أسيد الباب ففتحته له ثم دلف إليها وأغلقه خلفه ، نظرت له وفهمت سبب مجيئه فقالت مبتسمة بشيء من الخجل :

_ من قبل ما تسأل فكرت متقلقش

ضحك بقوة ثم قال مداعبًا :

_ ما إنتي طلعتي بتفهمي أهو ! ، بس مش هتكوني أكتر منك لإني عارف ردك ، والله يا أسيد أنا فكرت كتير وموافقة صح ولا لا ، وأنا أساسًا متأكد إنك مفكرتيش ولا حاجة

طالعته بحياء بسيط وقالت ضاحكة :

_ وعرفت إزاي إني موافقة بقى

اقترب منها وقرص وجنتها متمتمًا بحنان أخوي :

_ عشان من ساعة ما قولتلك مروان متقدملك وإنتي فرحتي بس مقدرتيش تقوليلي في وقتها علطول موافقة وقولتي سيبني أفكر يوم أو يومين

ارتمت داخل احضانه وهي تقول بسعادة :

_ ربنا يخليك لينا يارب يا أسيد

_ أمين ياقلب أسيد

تنهدت الصعداء قبل أن تهتف بجدية وعبوس :

_ أنا بكرا الصبح هرجع بيتنا

_ ليه حصل إيه ؟!

قالت بأعين غائمة بالدموع :

_ ماما روحت أشوفها النهردا وكانت تعبانة جدًا يا أُسيد مبتاكلش أساسًا وحتى علاجها مبتاخدهوش ، وقالتلي أنها مكنتش تعرف إن ملاك حامل وقعدت تحلف وكان واضح إنها مبتكذبش ، سامحها يا أُسيد والله دي هتجن عليك إنت ومراد

أشاح بوجهه للجهة الأخرى في خنق ثم قال وهو يتجه إلى الخارج متجاهلاً كلامها وكأنها نكرة :

_ لما تطلعي الصبح استنيني عشان أوصلك أو أخلى حد يوصلك متروحيش وحدك

كانت كلامته كدليل على رفضه القاطع لما طلبت منه ..

***

الأضواء خافتة في غرفتها وتجلس هي على الفراش تمسك بكتاب القرآن الكريم وتقرأ به ، ولينما هي غير منتبهة لدخوله وجدته يقترب منها ويتسطح أمامها واضعًا رأسها بين قدماها ، مثلما تفعل الأطفال مع أمهاتهم حين يودون النوم أو الشعور بالإطمئنان ؛ فقالت هي " صدق الله العظيم " ووضعت كتاب القرآن بجانبها وحدقت به باستغراب لثوانٍ وهي تجده مستكين بين قدماها بهدوء فمدت يدها وغلغلت أصابعها بين خصلات شعره متمتمة بصوت ينسدل كالحرير ناعمًا :

_ مالك يا حبيبي !

خرج صوت يحمل في طيأته الكثير من الألم والحزن وقال بخفوت :

_ متسألنيش يا ملاك ، استمري في اللي إنتي بتعمليه بس

قطبت حاجبيها باستغراب وحيرة من أمره وأكملت ما تفعله وتملس على شعره برقة وتارة تنزل بلمساتها إلى لحيته الكثيفة فتخلل أصابعها بها ، وهو مغمض العينان بتلذذ بذلك الشعور المريح الذي ينتابه الآن ، أما هي

فكانت شاردة في وضعه تحاول فهم ما يحدث معه ، فهذه أول مرة له يفعل هكذا معها ، وأخيرًا بعد دقائق وجدته يهمس من تلقاء نفسه :

_ عارفة ياملاك بحس بإحساس مش قادر أوصفهولك لما أحس بلمسات إيدك كأنها سحر ، أنا ببقى قدامك زي واحد مسلوب الإرادة مش بقدر اتحكم في مشاعري

ابتسمت بحب واستمرت فيما تفعله وهي مدركة تمامًا أنه يفعل هذا لكي يلهيها عن التفكير في سبب ضيقه ، ولكنها همست :

_ ومش ناوي تقولي إيه اللي مدايقك !

نهض من مكانه وحدق بها فبعد تفكير كثير قرر أن يخبرها بأمر أخيها ويبرر لها أسباب إخفاءه عنه لتلك الحقيقة ، فهمها كان غضبها منه لن يعادي شيئًا إن عرفت من أحد غيره .

همس بصوت رجولي وهو يمسك بيدها يحتضنها ويقول :

_ ملاك إنتي واثقة إني مبعملش حاجة غير لمصلحتك مش كدا ؟

قالت فورًا بدون تردد :

_ أكيد

_ واللي هقوله دلوقتي أنا معملتهوش غير لإني خايف عليكي وعايزاك تكوني في آمان

_ عملت إيه !!؟

ندى محمود

الفصل الثلاثون

عندما ذكرَ كلمة " آمان " أصابها بالفضول الشديد حول ما الذي فعله لها جعله يبدأ الحديث بكل هذا الغموض فقالت بريبة :

_ عملت إيه ؟!

_ إنتي طبعًا عارفة معتز

أماءت برأسها في إيجاب ثم همست بفضول أكثر :

_ أيوة عرفاه مش إنت حكيتلي عنه وكفاية اللي عمله معاك وحاول يقتلك

تنهد الصعداء بضيق بسيط بعد أن قرر أن يدخل في ورد الموضوع فورًا دون أن يبدأ في مقدمات أخرى ليس لها فائدة وهتف بصوت خافت :

_ معتز أخوكي ياملاك ، والدك كان متجوز قبل عمتي الله يرحمها وكان معاه ابن ، أنا وريان كنا عارفين من زمان جدًا بس كنا بنخبيكي منه لأن مكناش واثقين فيه وكنا خايفين لما يلاقيكي يحب يأذيكي أو كدا لأن اللي أعرفه أمه ماتت بسبب أنها جاتلها صدمة لما عرفت أن جوزها أتجوز عليها وبعدين حصل معاها مضاعفات وماتت ، فكنا متوقعين أنه هيبقى

عايز ينتقم لأمه منك ومازالنا متوقعين ده عشان كدا أنا وريان بنحاول نخليكي بعيدة عنه لغاية ما نخلص منه

ران الصمت المخيف بينهم وهي تطالعه بجمود تام وكأن ما قاله لم يؤثر فيها حتى ظن لوهلة أنها تعرف بالأمر ، ولكن في الواقع فقد أخذت الصدمة طريقًا مغايرًا هذه المرة على وجهها بدلاً من أن تنفعل بقيت صامتة تحدقه بسكون شديد ، ومن الداخل تجاهد في استيعاب الأمر ، وأن ما يقوله ليس مزحة بل حقيقة ! ، أن لديها أخ ولم تراه أو تعرف به حتى ويتضح بكل سهولة أن زوجها وابن خالها الذي كانت تثق به ثقة عمياء يخفي عنها أمرًا خطيرًا ومهمًا ، حتى وإن لم يكن على درجة عالية من الأهمية بالنسبة لهم فهو بالنسبة لها شيئًا شديد الأهمية .

ظل يحدقها بحيرة من صمتها الغريب هذا بالنسبة له حتى أخيرًا وجدها تهمس ببلاهة :

_ معتز مين !! ، قصدك معتز اللي كنت بتكلم عنه دلوقتي أنه حاول يقتلك واللي قولتلي أنه خطف أسمى وكان السبب في حادث هي عملته وسرق فلوس منكم ؟

_ أيوة هو ياملاك

قالها بعبوس فانحرف نظرها عنه ليدور في الغرفة بأكملها في ذهول وهي تكمل ساخرة :

_ أهاا وأنا الغبية اللي بينك إنت وأستاذ ريان ، في البداية ريان استغل ثقتي فيه وخبى عني حاجة زي كدا وحتى إنت لما عرفتك وأتجوزتك مفكرتش تقولي ، بمعني أصح إنتوا استغبتوني

هتف باعتذار وهو يحاول تبرير موقفه :

_ ملاك ياحبيبتي أنا قولتلك كنا خايفين عليكي منه ومازلنا

وثبت واقفة من الفراش لتصيح به مندفعة وكأن ما كان قبل قليل هو هدوء ما قبل العاصفة :

_ بأي حق تخبوا عني حاجة زي دي ، أنا مش قادرة استوعب اللي بتقوله أساسًا ، وإنت بتقولي كنا خايفين عليكي قال .. هو ينفع أروح أخونك يا أسيد وأجي أقولك بعد فوات الآوان أنا كنت بخونك وأبرر موقفي بإني كنت خايفة عليك من الصدمة !!

هب هو الآخر واقفًا وقال بهدوء في صوت رزين :

_ في فرق بين إني أعمل الحاجة عشان مصلحتك وعشان متأذكيش وفي فرق بين إني بعمل الحاجة لمجرد الاستمتاع والخوف من ردة الفعل لو

على مثال الخيانة زي ما قولتي !

صاحت به كالمجنونة :

_ إنت مدرك إنت بتقول إيه أصلاً ، قال معتز إخوكي ياملاك ! ، يااااه بكل سهولة كدا أنا طلع عندي أخ ومكنتش أعرف ومنتظر مني أعمل إيه أفرح مثلاً !!

_ ممكن تهدي عشان نعرف نتفاهم وأفهمك الموضوع من الأول وبهدوء

صرخت به بأعين دامعة :

_ تفهمني إيه هاا ! .. تفهمني إنك إنت وابن عمك خلتوني زي المغلفة ، ولا إنك كنت بتبص في عيني كل يوم وتحكيلي عنه وعادي جدًا ومفيش أي ضمير عندك ، لا برافوا بجد يا ولاد الصاوي !

اقترب منها وأمسك بيدها وهمس بصوت صادق ونبرة حانية :

_ ليه مش عايزة تفهمي إني مكنتش هعمل كدا إلا لو عارف إنه هيأذيكي ، كنت خايف عليكي ياملاك

سحبت يدها بعنف وقالت بصوت يغالبه البكاء :

_ هو مأذنيش بس إنت آذتني باللي عملته ده

ثم تركته وغادرت الغرفة لتذهب إلى أحد الغرف المجاورة لتترك مساحة لدموعها بالنزول .. تترك مساحة لعقلها تقبل تلك الحقيقة التي سمعتها الآن !! ، أما هو فجلس على الفراش يخنق وحزن وفضّل أن يتركها بمفردها حتى تهدأ ويعود للحديث معها مُجددًا .

***

مع إشراقة شمس يوم جديد .....

كانت قد خرجت ليلى من غرفتها وذهبت إلى المطبخ ؛ لكي تقوم بتحضير شيء تتناوله بعد أن أعطت أجازة للخادمة وأجبرتها على الذهاب ، ووقفت تحضر الطعام بشرود تتذكر كل شيء مر عليها الأيام الماضية فتسيل دموعها كالشلال .. فهي استسلمت لحقدها على زوجة ابنها وكانت السبب في خسارة ابنها لطفله الذي ينتظره بفارغ الصبر ، وحين حاولت إنقاذ ابنها الآخر من زوجته التي كانت تسعى وراء المال أنقلب كل شيء رأسًا على عقب وأصبحت هي في المواجهة . لم تكن بكل هذا السوء الذي تصوروها به فهي كأي أم تريد الخير لأبنائها وتحبهم وكل ما فعلته مع مراد كان لصالحه ، أما ملاك فربما هي أخطأت في حقها ووجهت لها اتهامات ليس لها معنى من الأساس ، ولكنها تُقسم الآن إن عاد أُسيد لها

فستكون شخصًا مختلفًا ولن ترى زوجته منها سوى الطيبة والمودة ، ستتلافى كل أخطاءها واحدًا تلو الآخر .

رفعت نظرها ليقع على زوجها الواقف أمامها ويطالعها بأسى وعتاب فخرج همسها المندهش :

_ ياسر !

همس بتحسر :

_ عملتي كل ده ومستنية منهم إيه ، يسامحوكي !

_ أنا معملتش حاجة صدقني يا ياسر

وجدته يقترب منها وهو يهتف بغضب وحزم :

_ هي دي الأمانة اللي سبتهالك يا ليلى تعملى كدا مع ولادك ، دمرتيهم .. مراد يمكن نسي اللي حصله وعايش مرتاح مع سارة لكن أسيد خسرّتيه ابنه وحتى لما حب يتجوز ويفرح مسبتهوش مرتاح مع مراته

قالت ببكاء عنيف في صدق :

_ أنا مقتلتش ابنه والله ، أنا مكنتش أعرف إن ملاك حامل صدقني يا ياسر و لو كنت أعرف عمري ما كنت هعمل كدا

_ كدابة يا ليلى كدابة ، وحتى لو مراد وأسيد سامحوكي أنا مش هسامحك

انهارت باكية وهمت بأن تقترب منه وتلمسه وهي تهتف برجاء :

_ لا يا ياسر متقولش كدا ، أنا مخنتش الأمانة اللي سبتهالي دول ولادي ومستحيل أذيهم

قبل أن تمد يدها لتلمسه كان ذلك الخيال ينصرف من أمامها فتقف مذهولة وتبدأ بالتلفت من حولها وهي تهمس بأسمه في خفوت باندهاش ، وفي آخر مرة همست بأسمه كانت تخر على الأرض باكية وتشهق بصوت عالي متمتمة ببعض الكلمات الغير مفهومة .

لحظات وكانت أسمى تدلف إلى المنزل فتسمع صوت نحيبها قادم من القمطبخ فتركض نحوها وعندما وجدتها فذ ذلك الوضع جثت على قدماها أمامها وقالت بهلع :

_ ماما مالك ؟!

نظرت لها وقالت بصوت مرتجف :

_ أبوكي كان هنا يا أسمى أنا شفته وقالي حتى لو مراد وأسيد سامحوكي

أنا مش هسامحك ، قالي مش هيسامحني يا أسمى ياسر زعلان ومدايق مني بيقولي إني خنت الأمانة اللي سبهالي ومكنتش لولادي الأم والأب زي ما وصاني

طالعتها بأعين دامعة وقد تشقق قلبها حزنًا على حالتها ، فقد وصل بها الوضع للتخيل ، بدأ عقلها بصور لها أشكال ويخلق أحاديث من داخله لكي يشعرها بالندم أكثر . حزنت بشدة لأنها لم ترى والدتها بهذا الوضع في حياتها حتى يوم وفاة والدها لم تفعل هكذا فقد بقوا بجانبها حتى تلافت تلك الصدمة ، والآن هي في صدمة عتيدة ولن تستطيع الخروج منها بأي شكل إلا عندما يعود الحال كما كان عليه سابقًا ! .

عانقتها بحنان وقالت بصوت يغالبه البكاء :

_ اهدى يا ماما مفيش حاجة من اللي بتقوليها دي ، إنتي كنتي بتتخيلي بس مش أكتر ومتقلقيش والله أنا واثقة إن أسيد ومراد هسامحوكي ، في الأول والآخر إنتي أمهم ومش هيقدروا يقعدوا مقاطعينك كدا كتير وأسيد عاقل أول ما يهدى شوية وينسى الموضوع هو من نفسه هياجي يكلمك !

ازداد بكائها أكثر في احضانها وظلت تبكي بحرقة لدقائق طويلة .....

***

فتح الباب ودلف ثم أغلقه ونزع سترته عنه وبدأ يفتش عنها في المنزل كالعادة فمنذ ما حدث الأمس لم يذهب لها وتركها كما قرر حتى تهدأ قليلاً . فتش في المنزل بأكمله فلم يجدها حتى بقى غرفتها ففتح الباب وجدها تجلس على الفراش وتضم ساقيها إلي صدرها وتلف ذراعيها حولهم وتستند بذقنها عليهم ، وجهها واضح عليه الشحوب وكأنها لم تنم طوال الليل فاقترب منها وجلس بجوارها ومد يده ليلمس ذراعها فانكمشت على نفسها أكثر بعيدًا عنه ؛ فأصدر تنهيدة حارة بوجه عابس ثم همس :

_ إنتي منمتيش ولا إيه ؟!

استقرت نظرة منكسرة منها عليه توضح من خلالها الدمار الداخلي الذي يمتلكها منذ أن أخبرها بتلك الحقيقة ، وهتفت بثبات وقوة مزيفة :

_ ملكش دعوة بيا ، وقوم من جمبي مش عايزة أشوفك

نظرتها صوبت نحو قلبه الضربة القادية ومزقته ، جعلته يشعر بأنه لم يوفي بوعده لها حين تزوجها بأنه لن يجعل تلك النظرة المنكسرة في عيناها أن تعود لعيناها الجميلة مجددًا ، بات لا يعرف لماذا كل شيء يسير معاكسًا لرغباته ووعوده ؟! ، أصبح كل يوم يواجه مخاطرة من شكل مختلف وكل منهم تصر على جعله أن يخلف بتلك الوعود وتكاد تفعل بالفعل ولكنه يدرك نفسه قبل فوات الآوان ، ولكن الآن فات الآوان فقد

رأى تلك النظرة مجددًا .

إلحاح قلبه وعقله عليه بأن يضمها ويستخدم سحر كلماته لربما يزيل تلك النظرة التي تمزقه إربًا كان لا بتوقف ، فاستسلم لذلك الإلحاح وضمها لصدره وهو يهمس بصوت خافت وصوت كان له أثره بالفعل على نفسها حيث تبلور كسمفونية عُزفت بإيدي عازف ساحر وماهر في السحر ، فلكل منهم سلاحه الخاص في السيطرة على الآخر :

_ أنا قبل ما أقولك ، سألتك لو إنتي واثقة في إني مبعملش حاجة غير لمصلحتك وكانت الإجابة منك أكيد ، أنا مش بقولك إني مغلطتش بس لما يكون الموضوع يخص حد بتحبه مش هتفكر لحظة في حمايته حتى لو إنت عارف إن العواقب هتكون وخيمة فيما بعد ، وأنا عشان كدا قررت أقولك بنفسي لأن مهما كان غضبك مني عمره ما هيكون زي لما تعرفي من حد تاني ، أنا مش عايز منك حاجة غير إنك تفهميني .. تفهمي خوفي عليكي وإني بعمل المستحيل علشان أخليكي في آمان ، قولتلك قبل كدا إنتي أمانة من ربنا وده واجبي إني أحافظ عليكي ، فلما أخبي عنك حاجة أنا واثق إنها هتأذيكي مش عايز أشوف نظرة الانكسار دي في عينك كأني بدل ما أحميكي أذيتك .. مش عايزك إنتي كمان تديري ضهرك ليا !

أجهشت بالبكاء أكثر ولم تقدر على فعل شيء سوى التشبث بملابسه كالغريق الذي يستنجد بأحدهم لينفذه من الغرق ، وهو يحكم القبض عليها

ولف ذراعيه حولها بينما هي فتنتفض بين يديه من فرط بكائها ، فدفن هو وجهه بين ثنايا عنقها يستنشق رائحتها ورائحة شعرها ، حتى شعرت بقبلة منه على عنقها أذابتها وجعلتها تسكن تمامًا كالذي كان على وشك أن تغادره روحه ، وخرج همسها ضعيفًا :

_ ده مش سبب يا أُسيد إنت كنت قادر تقولي ، وتقولي إن أخوكي عايز يأذيكي لكن تسيبني كدا لا إنت مش عارف أنا مقهورة إزاي .. يمكن هو مش عايز يأذيني ولا حاجة ولو كان فعلاً عايز يخليني جمبه يمكن مكنش ده كله حصل معايا مكنش أكرم قدر يعمل معايا كدا لأنه هيكون عارف إن في ورايا ضهر ولو عملي حاجة هيتصدرله لكن باللي عملتوه إنت وريان خلتوني لعبة في إيد أكرم خلتوني مكسورة وللأسف لما أحتجت لريان ملقتهوش جمبي

مرر يده على شعرها وقال بصوت متألم :

_ أنا لو كنت قاعد وقتها وعرفت مكنتش هسمح لحاجة زي ده تحصل أبدًا

_ بس مكنتش موجود يا أُسيد لا إنت ولا ريان وأنا اللي دفعت التمن ودلوقتي وضحتولي قد إيه أنا كنت ساذجة لما وثقت فيكم

أبعدها عنه وأحاط وجهها بكفيه قائلاً بنعومة :

_ إنتي مجبورة تثقي فيا دلوقتي لأنك مش هتلاقي حد يحبك قدي ومستعد يضحي بسعادته على حساب سعادتك إنتي

قالت بثبات وأعين غائمة بالدموع :

_ بس إنت ضحيت بسعادتنا احنا الأتنين يا أسيد

أبعد يداه عنها وقتل بنظرات حزينة :

_ يعني إنتي شايفة كدا ! ، شايفة إني معنلتش أي حاجة عشانك ، شايفة إني مستحقش مسامحتك !

أشاحت بوجهها للجهة الأخرى في أعين دامعة ووحها متألم ، وهي تستعد لغضبه الآن على قسوتها التي يشهدها للمرة الثانية ولكن وجدت العكس منه حيث نهض وزفر بضيق ثم انحنى وطبع قبلة أقل ما يقال عنها أنها جعلتها تغمض عيناها بتلذذ وقال بحنان :

_ طيب يا ملاكي براحتك أنا مش هضغط عليكي ، وهسيبك برضوا ونكمل كلامنا بعدين لما تكوني هديتي أكتر . لو احتجتي حاجة أنا برا

تابعته وهو يغادر بضيق لا تعرف إن كان منه أم من نفسها لأنها أصبحت

حمل تُسبب له الألم دومًا والحزن ! .

***

أجاب مراد على الهاتف مبتسمًا بمرح وهو يقول :

_ أهلاً إيه الأخبار يا نسيبي ؟

وجد انفجار بركاني يصيح به قائلاً :

_ إنت فين يا مراد ؟

_ في البيت ليه في إيه ؟!

خرجت نبرته السابقة المتعجبة بشدة من طريقته وفورًا وجده يختف بجدية ونبرة لا تقبل النقاش :

_ طيب البس واستناني في في شقتك القديمة أنا جاية في الطريق من البلد

_ في إيه يا ريان ماتفهمني ؟!

_ لما أجي هتفهم سلام !

انهى الاتصال معه ثم اندفع إلى غرفته يرتدي ملابسه على عجالة وعقله يطرح ملايين الأسئلة حول غضبه العجيب هذا ، وبينما هو راحل وجد سارة تعتري طريقه قائلة باستغراب :

_ رايح فين يا مراد ؟

_ أخوكي عايزني ضروري رايحله !

قالت بشيء من الخوف والهلع :

_ ليه هو حصل حاجة لحد ؟!

أمسك بيده كحركة تلقائية لطي يطمئنها وقال بصوت ناعم وجميل :

_ لا يا حبيبتي مفيش حاجة هو تلاقيه موضوع في الشغل إنتي مش عارفة أخوكي ونرفزته يعني

_ طيب بس متنساش تطمني برضوا

انحنى وخطف قبلة سريعة من وجنتها هاتفًا على عجالة :

_ حاضر ، يلا في رعاية الله

غادر المنزل تاركًا إياه تقف متسمرة بأرضها تفكر في الأمر بجدية وخوف .

دقائق ليست بطويلة وكان قد وصل مراد إلى شقته وفتح الباب ثم دخل وجلس على الأريكة ينتظره . في لحظة جال بعقله أنه عرف بأمر زمردة وهذا هو سبب غضبه ، ولكن نفض عن ذهنه تلك الفكرة ؛ فأن كان عرف كانوا بالتأكيد سيعرفون ؛ لأنه لن يترك الأمور تسير بكل هدوء هكذا وكان سيقلب الطاولة فوق الجميع .

مرت دقائق طويلة تكاد تكون ساعات بالنسبة له ، حتى وجد طرق الباب القوي فنهض فورًا وفتح ، ليقابل الثوران العاتي المندفع منه بعد أن دفعه بعيدًا عن طريقه ودخل ، فأغلق مراد الباب وقال بفضول :

_ في إيه مالك ؟!

استقرت نظرة ملتهبة منه وهو يصيح به منفعلاً :

_ كنت عارف بموضوع عبدالرحمن وجوازه من زمردة ومخبي عني يا مراد ، استغبتوني كلكم

ظهر أن ما توقعه كان صحيح ، يبدو أنه عرف منها ، بات يتساءل ما الذي جعلها تقول الحقيقة له يا ترى ، ولكن الآن أصبح الأمر أكثر تعقيدًا

من ذي قبل وسيواجه هو الطوفان العاتي المندفع من ابن عمه حاليًا ! .

قال في هدوء :

_ أيوة كنت عارف بس طبيعي كنا نخبي عنك يا ريان لأنك مجنون ومش بعيد كنت تروح تقتل بنت خالتك ومتقولش مكنتش هعمل كدا ، وأهي دلوقتي محدش

عارفلها طريق ومن الواضح إنها سافرت برا مصر خالص

صرخ به بصوت جهوري مخيف :

_ وزمردة إيه كمان كنت هقتلها لما أعرف أنها مرات أخويا ، مخبين حاجة زي دي عني ليه !!؟

_ لأن طبيعي لو كنا قولنا موضوع زمردة هيتعرف موضوع قتل عبدالرحمن ، واحنا مش عايزين نهلة تشك إننا عرفنا وبندور عليها ، بلاش عصبية يا ريان وتهور وفكر بالعقل ولو عندك حل أو طريقة نوصل بيها لنهلة دي قول

جلس على أحد المقاعد دافنًا رأسه بين كفيه وهو يقول بشيء من التحسر :

_ عقل إيه إنتوا خليتوا فيا عقل ، وحتى زمردة مش بترد عليا

توجه وجلب مقعد ليجلس أمامه قائلاً بريبة :

_ احكيلي حصل إيه لما قالتلك طبعًا أكيد بغباءك اتعصبت عليها

زم شفتيه بضجر ثم بدأ يسرد له كل ما حدث فصاح به مراد لاعنًا إياه بغيظ وهو يقول :

_ مش بقولك حمار ! ، وهي إيه زنبها يا بني آدم بتتنرفز عليها ليه بعدين احنا اللي خلناها متتكلمش مش هي من نفسها خبت عنكم كدا

_ معرفش بقى أنا مقدرتش اتحكم في أعصابي واتعصبت عليها ، ولما بحاول اتصل بيها دلوقتي أعتذر منها مبتردش

أجابه ساخرًا بازدراء :

_ طبيعي متردش يعني كمان غلطان ومش عاجبك إنها مبتردش

***

أسدل الليل ستاره على الجميع وبينما كانت هي جالسة على الأريكة تتأنل النجوم كعادتها اقترب منها وجلس بجوارها ثم بقى للحظات ودقائق يحمل معها في السماء بشرود وصمت حتى قطعه قائلاً :

_ هتفضلي زعلانة كدا مني كتير ؟!

قالت بضيق بسيط :

_ أيوة !

لم يغضب أو يتضايق هذه المرة منها فهو يرى المسامحة في عيناها ولكنها تأبى الخضوع تكاد تكون ضعيفة وتحتاج لعناق آخر منه ولكنها ترفض استسلامها له .. يرى أنها بسهولة سيستطيع إزالة ذلك الجليد فهو لم يكن مشابه لذلك الجليد الذي تجمد على قلبها في المرة السابقة وكان سيهوي بهم إلى الحافة .

فأكمل بخشوع أشد :

_ وهتفضلي لغاية إمتي كدا ؟!

_ معرفش !

تنفس الصعداء بخنق ثم جلس يكمل جلسة الصمت خاصتهم حتى جالت بعقله فكرة خبيثة ، سيستطيع من خلالها تلطيف الجو قليلاً بينهم ، فنظر لها ودقق النظر بها جيدًا ثم قال بدهشة :

_ إيه اللي عدى هناك ده

نظرت إلى ما ينظر إليه بتلقائية وقالت بعفوية :

_ إيه اللي عدى ده

تصنع الفزع والخوف بمهارة لكي يخلق لها جوًا مخيفًا ولعلمه تمامًا أنها تخشى الأشباح والظلام ثم قال :

_ في واحد شفته هناك واقف

انتصبت في جلستها فورًا بتوتر ثم قالت لها بتحذير :

_ أسيد لو بتحاول تخوفني مش هيحصل طيب

_ وأنا هخوفك ليه ! .. أهو ظهر تاني مش شيفاه

قالت بشيء من الاستنكار بعد أن أدركت أنه يستغلها :

_ لا مش شيفاه ومش عايزة أشوفه !

ولكن مهما فعلت لن تستطيع الانتصار على هذا الماكر الذي مدرك تمامًا لكل خطوة هو يفعلها ، فظل محدقًا أمامه بصدمة ثم فجأة بدأ يفك أزرار قميصه العلوية ليجعل بعض من الهواء يدخل لرئتيه ويضع يده على رقبته

يتنفس بصعوبة ، ونجح في إثارة خوفها وقلقها حيث قالت :

_ أسيد مالك

لم يستطيع الأجابة عليها وعيناه بدأت تنغلق وصدره يعلو ويهبط فصاحت به برعب وإرتجاف :

_ أسيد رد عليا إنت كويس .. أسيد

_ هاتيلي مايه ياملاك

ركضت إلى المطبخ لتجلب كوب الماء له بينما هو بيتسم بلؤم فإن كان يريد إخافتها فالبطبع لديه هدف .. وهو أن يثير مشاعر الخوف بداخلها ويجعلها تتراجع عن النوم في غرفة بمفردها اليوم وتأتي في غرفتهم لتشاركه الفراش ! . ثواني وأتت بكوب الماء وقدمه له بيد مرتعشة من الخوف ، فتناوله منها وشربه دفعة واحدة ليجدها تهتف :

_ حصلك إيه إنت ؟

قال بصوت رخيم في جدية تامة :

_ معرفش أنا مرة واحدة لقيت حاجة بتخنقني كدا .. واضح إني مكنتش بتخيل ولا حاجة

هنا بدأ يثير الخوف بداخلها بالفعل حيث بدأت تتلفت حولها بارتعاد بسيط فأكمل هو الخوف أكثر عليها حيث قال :

_ أهو قدامك مش شيفاه

لا يعرف أنها مهوسة بشيء يدعى الأشباح وبإمكانها أن تتخيلهم بالفعل إن كانت خائفة !! ، صور لها عقلها الباطن طيف مر سريعًا من أمامها فجلست فورًا بجواره وقالت بخوف وهي تتشبث بذراعه :

_ حرام عليك بتخوفني ليه ؟!

ساد السكون بينهم للحظات وهي تتابع كل ركن في المنزل بخوف ، وبينما هي شادرة اقترب من أذنها وصرخ بها فانتفضت جالسة وحين وجدته يضحك ففهمت فورًا أنه كان تمثيل بارع منه ، فانهالت عليه توجه له الضربات القوية في كل مكان من جسده العلوي وتصيح به باغتياظ :

_ حيوان والله كنت على ثانية وهيغمى عليا من الخوف

كان داخل نوبة ضحك هستيري ويحاول الإمساك بيدها الصغيرة التي تتحرك بخفة في كل ناحية لتضربه بها ، حتى قبض عليها أخيرًا وقال من بين ضحكاته :

_ ده أنا مزودتش الجرعة كمان قولت حرام كفياها كدا

_ أنا عارفة إنت بتعمل كدا ليه ، وبرضوا هنام في الأوضة وحدي

لم تجدي خطته نفعًا ، ومصرة على النوم بمفردها بعيدًا عنه فلم يكن عساه سوى أن يقول لها وهي مغادرة :

_ طاب خلي بالك ليجليك بليل !

ابتسمت له بقرف ثم قالت متغطرسة :

_ أهلاً وسهلاً بيه يشرفني !!

ضحك بخفة ثم قال ضاحكًا :

_ أبقى سلميلي عليه طيب متنسيش !

أتجه كل منهم لغرفة مختلفة ومرت ما بقارب الساعتين ولم يستسلم أي منهم للنوم ، فكل منهم مستلقي على فراشه بفكر في أمور مختلفة . لم يعتاد هو على تركها الغرفة له ينام بمفرده فهو يواجه صعوبة في النوم بدونها إن كانت غاضبة منه ، ولن يتحمل ذلك الوضع كثيرًا ، فنهض من مكانه وخرج متجهًا نحو كهرباء المنزل بأكملها ثم أطفأها وعاد إلى

غرفته مجددًا يتصنع النوم وينتظر قدومه وهو يعرف جيدًا أنها ستتوتر من الظلام وستأتي له .. وبالفعل دقائق قصيرة وكانت تفتح الغرفة وتقترب منه تهزه قائلة :

_ أسيد قوم النور قطع ليه ؟!

قال وهو يتصنع النعاس والرغبة في النوم :

_ نور إيه اللي قطع ده !!؟

_ نور البيت مفيش نور في البيت

_ طيب وأنا أعملك إيه أروح اتخانق مع شركة الكهربا يعني ، نامي يا ملاك وبلاش شغل عيال

التهبت عيناها بلهيب نيراني مغتاظ ثم قالت بتذمر وهي تدفعه قليلاً للخلف لتنام بجانبه :

_ طيب ادخل جوا شوية !

أفسح لها مساحة تكفيها ومن داخله يكاد يتراقص فرحًا ، استلقت هي بجواره ووبته ظهرها ومازالت تحملق في الظلام من حولها بخوف

وكالاطفال تذكرت ما حاول إخفاتها به منذ قليل عن الأشباح فزاد ذلك من خوفها أكثر ، ولكن فجأة شعرت بجسده يعانقها ويضمها من الخلف فلولا ذلك الوضع الذي هي فيه لكانت انفعلت بشدة على ما بفعله الآن ولكنها كانت في أشد الماسة لقربه ولمسته لكي تطمئن نفسها قليلاً وتستطيع النوم فلم تبدي أي اعتراض على اقترابه منها بل أغمضت عيناها بتلذذ وغاصت في النوم بعد دقائق ليتبعها هو الآخر ! ....

***

في الصباح ارتدت أسمى ملابسها واستعدت للخروج ، فصعدت بالسيارة ثم صعد بالمقعد الأمامي السائق الخاص بها وأخبرته بالمكان الذي تريد الذهاب إليه . دقائق طويلة وكانت السيارة أمام مبنى ضخم وكبير فتترجل هي منها وتخبره بأن ينتظرها حتى تأتي ، ثم صعدت الدرج قاصدة شقة معينة فإذا بها تتفاجئ بأن الباب مفتوح فتدخل ببطء وتبحث بنظراتها في المنزل وحين يقع نظرها على ذلك المشهد فترتجف رعبًا ودهشة ! .

الفصل الواحد والثلاثون

ثم صعدت الدرج قاصدة شقة معينة فإذا بها تتفاجئ بأن الباب مفتوح فتدخل ببطء وتبحث بنظراتها في المنزل وحين يقع نظرها على ذلك المشهد فترتجف رعبًا ودهشة ! ، وكأن صاعقة نزلت عليها فجعلتها متسمرة بأرضها .. كان المنظر كافيًا لجعل أشد رجل يهتز بأرضه من الدهشة ، فقد رأت " روان " ملقية على الأرض ومن حولها الدماء تملأ الأرض وقد كام أحدهم بذبحها وهي مستيقظة ولم يستكفي بهذا بل وضع لمسته القذرة قبل فعلته وهي أنه قد حاول الاعتداء عليها وأهلكها ضربًا وتعذبيًا قبل ذبحها ! . لم تتحمل ذلك المنظر فكانت يداها توضع على فمها بحركة تلقائية لتكتم صرختها ،وكادت أن تسقط من هول المنظر لولا أنها استندت على الحائط ، وبينما هي في صدمتها يصك سمعها صوت أقدام على الدرج قوية ، فلم يكن عساها شيء سوى الركض لتصعد بالطابق الأعلى قبل أن يروها وتقف ترتجف من الخوف عندما سمعت صوت الشرطة .. ترتجف كمجرم ارتكب جريمة ويخشي أن يُقبض عليه .

أخرجت هاتفها وأجرت اتصال بأسيد فلم يجيبها فراحت تحادث مراد الذي أجابها بضيق قائلاً :

_ إيه يا أسمى في إيه ؟!

خرج صوتها الباكي والمبحوح بهمس قائلة :

_ مراد تعالى خدني بسرعة

هب واقفًا بهلع وقال بصوت خشن :

_ بتبكي ليه يا أسمى إنتي فين ؟

قالت ببكاء شديد :

_ أنا روحت لروان ولقيتها مقتولة والشرطة جات وخايفة يشوفتي يفتكروا إني ليا إيد في حاجة ومش عارفة أعمل إيه

وقعت كلمة " مقتولة " على مسامعه كالرعد وأصابه الذهول ولكن أدرك نفسه وقال فورًا بقلق :

_ متخافيش يا حبيبتي امسحي دموعك وانزلي عادي كأنك من سكان العمارة وأنا هجيلك دلوقتي حالاً

أماءت برأسها في إيجاب ثم وضعت الهاتف في حقيبتها وفعلت كما أخبرها و نزلت الدرج بثبات استهلك كل ما تبقى من شجاعتها وبمجرد مرورها من أمامهم بسلام حمدت ربها أن ذلك اليوم مر بدون مشكلة ووقفت أمام المبنى تنتظر سيارة أخيها .

***

فتحت عيناها ببطء وانزعاج وكان أول ما تنظر له هو جوارها على الفراش فلم تجده ، أصابتها الدهشة وتساءلت بداخلها أين ذهب في الصباح هكذا واليوم هو أجازته من العمل ؛ فتنهدت بخنق بسيط لعدم وجوده ثم اعتدلت في نومتها وهبت واقفة من الفراش وأتجهت نحو المرحاض لتغسل وجهها ؛ حتى تزيل أثر النعاس من عيناها . ثم خرجت وبدأت بتبديل ملابسها لترتدي فستان قصير يصل إلى الركبة بحملات وبمجرد أن رأت نفسها في المرآة تذكرته حين رأها بذلك الفستان لأول مرة كيف أعجب بها ولقن سمعها بكلماته المعسولة والمتغزلة بها . فخطر على بالها أنه يكفي لهذه الدرجة من الخصومة والشجار بينهم فهو لا يستحق كل هذه القسوة منها ، فهو محق في أمر أنها أصبحت كبقية الظروف القاسية التي تصر على إحزانه وعدم دخول الراحة إلى عينه .. محق عندما قال أنها ملجأه الوحيد من تلك الأعصاير التي تصر على تدميره هي ذلك الحبل الذي يتشبث به ويمسك به جيدًا وسط تلك الرياح القوية فإن قطعت ذلك الحبل سيطير في رياح الأعاصير وهو لا يعرف إلى أين سينتهي به المطاف وتستقر قدمه في أنهي منطقة .

انتشلها من شرودها صوت فتح الباب فغادرت الغُرفة فورًا وعندما وقع نظره عليها ابتسم بساحرية وقال بودٍ :

_ إيه القمر اللي طالع في النهار ده !

تصنعت الغرور والفخر ونظرت إلى تلك الأكياس التي يحملها بيده وهتفت وهي توليه ظهرها وتتجه نحو المطبخ :

_ تسلم

ابتسم بغيظ من ردها ثم حمل كيس معين من ضمن الأكياس وأتجه به نحوها ليقف خلفها ويعانقها هامسًا بمكر :

_ إيه ياملاكي طيب قولي صباح الخير حتى قالبة وشك كدا ليه ، ده حتى أنا جايبلك مفاجأة

حجبت ابتسامتها بصعوبة وابتعدت عنه لتقول ببرود وابتسامة مستنكرة :

_ شكرًا خليها ليك !

أخرجت الكيس من خلف ظهره ليظهر محتوياته التي كانت عبارة عن طعام وحلوى وعصائر وقال بخبث :

_ تصدقي وفرتي آكلهم أنا أحسن !

تلألأت عيناه بدهشة ولمعت عيناها من السعادة كالأطفال وكانت سرعان ماتخطف الكيس من يده وتهتف بنبرة شرسة وهي تضمه لصدرها :

_ تاكله ده إيه ، عشان آكلك أنا !!

قهقه بقوة ثم سحبه بعنف من صدرها قائلاً :

_ مش هتاخديه غير لم تقوليلي مش زعلانة منك خلاص !

لاحت ابتسامة ساخرة على ثغرها وقالت متغطرسة :

_ طاب ما أنا ممكن أقولك مش زعلانة وأخده وبعدين ولا كأني قولت حاجة

_ وهو أنا عبيط ولا إيه ، مش أنا اللي تضحكي عليه ياقلبي

ضمت حاجبيها بغيظ وقالت منفعلة :

_ أسيد هات الكيس يلا ، وإلا إنسى إني أسامحك أصلاً

اقترب منها بنظرات لئيمة فتراجعت للخلف ورفعت أصبعها في وجهه قائلة بتحذير وارتباك :

_ هات الكيس من غير ما تقرب

_ قولي مش زعلانة منك الأول

ظلت تتراجع وهو يقترب حتى التصقت بالثلاجة وتطالعه بتوتر بسيط وتستعد لحركته القادمة وهي التهام شفتيها ولكن هيهات فذلك الماكر لن تستطيع الانتصار عليه بسهولة . أغمضت عيناها بخجل وهي على أتم الأستعداد لتلك الخطوة وتشعر بأنفاسه تلفح صفحة وجهها وكأن المسافة التي بينهم لا تساوي شيئًا وإذا بها تسمعه يقول مبتسمًا بضحك :

_ لا حتى دي مش هدهالك !

فتحت عيناها وأحمرت مقلتيها من الغيظ ، تكاد تُخرج الشرارات منهم ، وزاد من غيظها ضحكه على منظرها فانهالت عليه تضربه بقوة على ذراعيه وتصيح بانفعال هادر :

_ إنت أصلاً حقير ، ثم إن مين قالك إني كنت هخليك تاخدها أصلاً ، أنا كنت مستنية اللحظة المناسبة بس علشان أزقك

هتف من بين ضحكاته المستمتعة بذلك الجدال الممتع له :

_ أه طبعًا إنتي هتقولي أنا معنديش شك في كدا !

_ أطلع برا يا أسيد !

اقترب منها ثانيًا وهو يقول بعناد جميل :

_ لا

_ لو حاولت تعمل حاجة تاني المرة دي مش هرحمك والله

وفجأة وجدته يكتم عليها ويضع يده في أماكن معينة بمهارة ويبدأ بزغزغتها لتنطلق منها الضحكات المرتفعة بقوة حتى شعرت بعدم قدرتها على التنفس مش فرط الضحك لتقول أخيرًا بصدق مستسلمة من بين ضحكاتها :

_ خلاص والله مش زعلانة منك أبعد عني بالله عليك

توقف فورًا وقال بسعادة بادية على محياه جعلت من ابتسامته شيء أجمل وهو يقول :

_ كلام رجالة يعني مش زعلانة خلاص ؟

استغرقت لحظات لكي تستعيد أنفاسها ثم تلف ذراعيها حول عنقه قائلة بدلال في عشق :

_ بعد اللي بتعمله عشاني ده أنا مقدرش أقول غير كدا أصلاً

لمعت عيناه بوميض العشق اللامتناهي وحبه الأبدي لها ، فقد كان يعرف أنها مهما قست عليها في البداية سيأتي اليوم الذي ستنهار حصونها أمام سيله الجارف من العشق لها ، كانت أقصى يحتاجه في هذه اللحظة هو معانقتها فضمها على صدرها يقبل شعرها ويستنشق رائحته الجميلة وهو مغمض العينان بشعور رائع وتُبادله هي نفس الشعور

***

طرق باب غرفتها طرقات خفيفة ثم دخل الطارق فطالعت زوجة أبيها بأعين يائسة وحزينة ثم أشاحت بوجهها للجهة الأخرى لكي تخفي تلك الدموع المتجمعة في مقلتيها ، فاقتربت منها أحلام وجلست بجوارها صامتة لثوانٍ ثم قالت بضيق :

_ زمردة اللي حصل حصل خلاص كفاية زعل

قالت بصوت تخنقه العبارات :

_ لا مش كفاية ياخالتي أنا بيعاقبوني وكأني ارتكبت جريمة وريان كان مش طايقاني كأني كنت بعمل حاجة غلط ما أخوه واستني كمان لما ياجي دور ملاك وأسيد ويعرفوا . محدش حاسس بيا وإني قلبي محروق على

عبدالرحمن أكتر منهم ، أنا أتحرمت منه من قبل ما أكون معاه حتى ، حسبي الله ونعم الوكيل فيها ربنا مش هيسيب حق جوزي أبدًا

رتبت على ظهرها بحنو وأعين متأثرة وهي تقول بحنان زارف :

_ متزعليش نفسك يابنتي ، ملاك طبيعي هتزعل منك لما تعرف لإنك خبيتي عنها حاجة زي كدا وريان أعذريه برضوا هو عنده حق يتعصب الصراحة

لم تُجيبها فقط اكتفت بالصمت وهي تطرق أرضًا في أسى فوجدتها تنهض وتقول باهتمام :

_ قومي اغسلي وشك وريحي جسمك كدا ومتفكريش في اللي حصل كفاية

رمقتها في ودٍ وابتسامة صافية ، فغادرت أحلام وبقيت هي كما كانت وحيدة تفكر في شجونها ، وإذا بها تجد هاتفها يعلن عن رنين أحدهم فتلتقطه وعندما تقرأ اسم المتصل الذي لا يتوقف عن الرنين منذ أمس ومُصرّ على إجابتها عليه ، فمن الواضح أنه لن ييأس من محاولاته الفاشلة منذ الأمس وسيظل يحاول ويزعجها باستمرار . للمرة الثانية التي تشعر بالإهانة منه وهو غير مبالي لمشاعرها ، ثم يعود كالعادة ليسألها

العفو عنه ولكنها تلك المرة لن تسامحه بسهولة ، كان يجب عليه أن يدرك كلماته قبل أن يلفظها من بين شفتيها يدرك نتائجها السيئة عليه وعليها .. يدرك وضعها السيئ وأنها في وضع صعب لا يتحمل أي كدمة مؤلمة من أحدهم ، ولكنه أعطاها إياها دون مبالاة لوضعها ! .

أجابت عليه في مضض وصوت جاهدت في إخراجه قوي وحاد غير مبحوح :

_ خير !؟

تنفس الصعداء بارتياح وقال بهدوء :

_ أخيرًا ، ممكن تنزلي بقى تحت أنا مستنيكي عايز أتكلم معاكي ضروري

قالت بغضب هادر :

_ ريان مفيش كلام ما بينا خلاص ، أديك عرفت كل حاجة يبقى خلاص من هنا ورايح الكلام ما بينا هيبقى ليه حدود وآخره السلام ما بينا

لم تسمع صوته للحظات قصيرة فقط كان صمت بينهم حتى همس هو بصوت رجولي حازم :

_ طيب يا زمردة ، ممكن تنزلي بقى عايز أتكلم معاكي بخصوص عبد الرحمن في كام حاجة عايز أسألك عليها

ران الصمت مجددًا بينهم وهي تفكر هل توافق أم ترفض لينتهي الأمر بإجابتها الصارمة عليه :

_ طيب وهتسأل اللي عايز تسأله ومفيش كلام زيادة وهتمشي ومش هتتصل بيا تاني فاهم

ربما أخذ أمر سؤاله لها عن بعض الأسئلة التي تخص أخيه حجة لكي يراها ويحاول الاعتذار منها ولكن من الواضح أن جميع الطرق أغلقتها في وجهه الآن بلهجتها الصارمة التي لا تظهر أي لين تجاهه ، فتنهد بخنق وأجابها بضجر بسيط :

_ فاهم يازمردة

أنهت الاتصال معه وبدأت في ارتداء (إسدالها) وحجابها وتنزل له فتجده يقف أمام سيارته يستند عليها بجسده ومحياه واضح عليها الزمجرة والضيق ، وبمجرد رؤيته إياه استدار وصعد بالسيارة فتصعد هي بجواره وتهتف بثبات تام :

_ هاا عايز تسأل إيه ؟!

طالعها بصمت للحظات يحاول إيجاد شيء يسألها عنه ، فهو لم يكن يتوقع

أن يتعلق بها لتلك الدرجة ، أن تسحبه إلى وحل لن يستطيع الخروج منه بسهولة . بدأ يتيقن الآن أنه ليس لديه حظ في الحب وكأنه حُرم عليه ، من الأفضل أن يكُف عن الميل إلى أي امرأة ويضع على قلبه قيودًا من حديد حتى لا يتمكن أحد من اختراقه .

قال بخفوت مرير في تساءل :

_ نهلة مسابتس أي دليل وراها لما جات وهددتك

هزت رأسها نافية في تضجر وهي تقول :

_ للأسف لا هي بس كل اللي قالته إنها هددتني وقالتلي إنها هتسافر برا مصر مش أكتر

أماء في تفهم بيأس وسرعان ما وجدها تحملق أمامها في شرود وكأنها تذكرت شيء شديد الخطورة لتنفجر قائلة في حماس :

_ أنا ازاي نسيت حاجة زي كدا ، إيه الغباء ده ! ، لما جاتلي ومشيت أنا بصيت من البلكونة وكانت راكبة عربية ملاكي تقريبًا مع واحد فأنا لمحت رقم العربية وسجلته في ورقة ، بس مش عارفة إزاي مدتهوش لمراد أو عمي طول الفترة دي ونسيت ، دلوقتي بس اللي افتكرت

ابتسم بفرحة وتشويق شديد وأجابها بحماس أشد :

_ والورقة دي فين ؟

_ أنا شلتها في بيتنا بس مش فاكرة فين أكيد هتكون موجودة في المكان اللي خبيتها فيه

في ظرف ثوانٍ وجدته يحرك محرك السيارة ويستعد للانطلاق فتقول هي باستغراب :

_ رايح فين ؟!

_ هنروح بيتك ندور على الورقة دي

_ إنت بتهرج نروح بيت إيه أنا نازلة ومقولتش لخالتي ولا مروان حتى

قال في إيجاز بعد أن أنطلق بالسيارة مسرعًا :

_ أنا هتصل بمروان دلوقتي وأخليه يسيب الشركة وياجي ورانا

***

وصلوا إلى منزل مراد ودلفوا إلى الداخل فنظرت سارة إلى وجه أسمى المرتعب بتعجب وملامح زوجها المتضايقة ، ثم قالت بفضول :

_ في إيه مالكم ؟!

جلست أسمى على أحد المقاعد وهي تجاهد في السيطرة على إرتجافة جسدها التي ازدادت عندما وجدت أخيها يصيح به منفعلاً :

_ ما خلاص كفياكي بقى أنا مش فاهم إيه اللي وداكي عنديها أساسًا

قالت بارتعاد واضح :

_ روحت عشان أتكلم معاها ولما روحت لقيت المنظر ده وفي ثواني لقيت البوليس جه

صرخ بها بصوت جهوري :

_ تتكلمي معاها في إيه ؟

هيمن عليها السكون للحظات حتى بدأت تسرد له سبب ذهابها وما قالته أمها عن خيانتها له الحقيقة وأمر الطفل الذي لم يكن طفلع وكل شيء بالتفصيل وفور انتهائها قال ساخرًا :

_ آه دحكت عليكي أمك بالكلمتين دول وصدقتي !

_ لا مدحكتش عليا يا مراد ماما كانت بتتكلم بجد المرادي ومكنتش بتكدب

لإنها سمعتني تسجيل ليها وورتني فديو كمان ، بعد المشكلة اللي حصلت في البيت جات روان تشمت في ماما طبعًا

ضحك مستنكرًا في استهزاء لما تتفوه به بعد أن ولاها ظهره ، بينما سارة فكانت تستمع إلى الحديث بصمت تام فقط تتابع الحوار الذي يجري أمامها ، أما أسمى فقد هبت واقفة وقبضت على ذراع أخيها لتديره إليها وتصيح به بعينان تهيمان بالدموع :

_ إيه القسوة اللي فيكم دي إنت وأُسيد ، طيب أُسيد يمكن وعنده حق شوية يزعل منها وإنت فين الحق إذا كان أنا بقولك إنها صادقة ومعلمتش حاجة غير لمصلحتك وعشان تخلصك منها ، أنا كنت رايحة عند روان عشان أجبلك الدليل اللي تصدق بيه إن ماما كان عندها حق . إنت وأخوك مش شايفين حالة أمكم إزاي أنا بأكلها بالغصب والعلاج مبترضاش تاخده وإمبارح جاتلها أزمة سكر بس الحمدلله بقت كويسة ، لو ماما حصلها حاجة يا مراد مش هسامحك لا أنت ولا أُسيد اللي كل واحد فيكم مقاطع أمه عشان مراته ، خليهم ينَّفعكوا لما أمكم تروح من بين إيدكم بسببكم

وفي لحظات كانت تندفع من أمامه لتغادر المنزل منفعلة تاركة إياه يفكر فيما قالته بتفكر ، ثم ينظر إلى سارة بصمت ويندفع هو الآخر نحو غرفته ليدفع الباب خلفه بعنف أصدر صوتًا جعلها تنتفض واقفة ...

***

اسندل ستار الليل وكانوا يجلسون أمام التلفاز يشاهدون أحد الأفلام الأجنبية ويضمها هو إلي صدره ويداه تعبث في خصلات شعرها بشرود عيناه مثبتة على التلفاز ولكنه لا يري أي شيء من الذي أمامه فقد كان عقله شارد في شيء آخر ، بينما هي فكانت في أشد اندماجها للفيلم وتتابعه باهتمام شديد لدرجة أنها تحادثه في أحداثه وهو يكتفي بهز رأسه بإيجاب فقط وكأنه جسد فقط يجلس معها وعقل في مكان آخر .

تلك المرة تحدثت معه وهي تنظر له فرأته شارد تمامًا ، فصمتت ثواني ثم قالت باستغراب :

_ أُسيد !! ... أُسيد

انتبه لصوتها وكأنه خرج من عالم آخر وقال بخفوت :

_ نعم ؟

_ سرحان في إيه ؟!

تنهد الصعداء بخنق ثم قال بصوت رجولي خشن :

_ إنتي تعرفي بموضوع جواز زمردة مش كدا !؟

ابتعدت عنه فورًا وقالت في اندهاش :

_ نعم !!! ، جواز مين !!

_ زمردة كانت متجوزة عبدالرحمن أخو ريان يا ملاك لو تعرفيه !

كانت الصدمة كافية لجعلها غير مستوعبة لما يقوله وهي تقول بدهشة :

_ زمردة مين اللي كانت متجوزة ، بنت خالي !

قال بتأكيد في صلابة :

_ أيوة يا ملاك كانت متجوزة وكاتبة كتب كتابها بس عبدالرحمن اتوفي قبل ما يعملوا الفرح .. أنا كنت فاكرك تعرفي قولت أكيد زمردة هتقولك مش هتخبي عنك إنتي بذات !

_ أنا مش فاهمة حاجة وأول مرة أسمع منك الكلام ده !! ، فهمني يا أسيد بالله عليك وحدة وحدة عشان أفهم كويس

***

فتحت باب غرفتهم ودخلت فوجدته جالس على الفراش واضع رأسه بين

كفيه بحزن دفين وضيق فاقتربت منه وجلست بجواره قائلة بخنق :

_ مش هتاكل يامراد ؟!

هز رأسه لها بالنفي فقالت بهدوء :

_ طاب قوم خدلك دش كدا يمكن تفوق شوية وتعالي كُل بلاش عند بالله عليك

أجابها بصرامة في اغتياظ :

_ مش عايز حاجة يا سارة وقومي وسبيني وحدي !

التمعت عيناها ببريق شرير وخبيث ثم نظرت بجانبها إلى زجاجة الماء فالتقطتها وفتحتها ثم وقفت أمامه وقالت ببراءة :

_ طيب ممكن تاجي معايا

طالعها باستغراب للحظات حتى وجدها هي تقبض على ذراعه وتوقفه وتسحبه خلفها إلى الحمام وتقف أمامه ثم في ثانية كانت يدها الأخرى تخرج من خلف ظهرها وبزجاجة الماء التي بها تسكبها كلها فوق رأسه ثم ألقتها على الأرض وقالت ببرود :

_ أصل أنا لقيتك مش عايز تاخد دش قولت أما أدهولك أنا ، يلا كمل بقى

الدش وأنا هجهزلك هدومك برا

كان هو متسمر بأرضه في دهشة مما فعلته ، ولكن في ظرف لحظات تحولت عيناه إلى جمرتين من النار فاندفعت هي إلى الخارج تركض ويلحق هو بها ، فينتهي بها المطاف لتدخل إحدي الغرف وتغلق على نفسها بالمفتاح فيصيح بها مزمجرًا :

_ افتحي الباب ده بدل ما أكسره فوق دماغك

_ اكسره هو أنا اللي هصلح وهكع الفلوس في الآخر ولا إنت

قالتها ببرود أشد أثار جنونه أكثر فقال صائحًا :

_ طاب افتحي الباب ياجزمة عشان أكع الفلوس بجد بس عليكي إنتي المرادي

قالت ضاحكة ببرود قاصدة إثارة غيظه أكثر :

_ ده كله عشان جزازة مايا مكنتش أعرف إنك جربان كدا يامراد ، ده أنا كأني كبيت عليك مايا نار في إيه !!؟

_ طاب اطلعي خليني اوريكي الجرب اللي بجد

قالت برقة أنوثية تتصنعها :

_ لا ياخويا هو أنا هبلة عايزاني أطلع وتضربني ، بص روح استحمى الأول وأنضف وكُل وبعدين هطلع

صرخ بها بصوت جهوري مخيف :

_ سارة !

صمتت ولم يستمع إلى أي صوت يصدر عنها حتى مرت لحظات ووجد الباب يفتح ففتح ودخل ، وإذا به يقف متصلبًا حين وجدها تقف فوق الفراش تمسك بالوسادة أمام وجهها وصدرها وبيدها مصاصة ، فلم يستطيع حجب ابتسامته التي حاول أخفائها بحكه لذقنه ، ثم مسح على وجهه وهو يقول بهمس :

_ استغفر الله العظيم يارب ، هو انا ناقص عبط !

فوجدها تقول بحماس حقيقي :

_ قامت الحرب بيني وبين !

اقترب منها وقال بجدية مزيفة وهو يجاهد في حجب ضحكته :

_ طاب المخدة وفهمنا إنك بتحمي نفسك والمصاصة دي بتعمل إيه !

قالت وهي تمصها باستمتاع طفولي :

_ لا دي عشان تسليني لو زهقت من الحرب !

ابتسم ببساطة وقال بهدوء :

_ لا بتفكري الصراحة ، تعالي يا سارة انزلي متخافيش مش هعملك حاجة ، اصل المجنون ليس عليه حرج تعالي ياحبيبتي

_ قول والله مش هتعملي حاجة

_ انزلي ياسارة يلا قولتلك مش هعملك حاجة !

القط الوسادة على الفراش ونزلت فتقدم نحوها ووضع يده على جبينها يتحسس درجة حرارتها ثم قال باسمًا :

_ جسمك دافي ، ما أنا بقول برضوا انتي مش طبيعية أكيد فيكي حاجة ، لا ألف سلامة عليكي ياحبيبتي تعالي اعملك كمادات

قالت بضحك :

_ وإنت مش هتستحمي !؟

هتف بخفوت مبتسمًا يحاول تصنع الجدية :

_ لا استحمي أيه ، لما نعالج الموقف العصيب ده الأول ، وهاتي المصاصة دي لتخلص خليها قاعدة عشان لما يكون في حرب تاني تسليكي

انفجرت ضاحكة بقوة وقالت بمرح :

_ لا خلاص الموضوع اتعالج متقلقش ، يلا روح غير هدومك وأنا هروح أعمل الأكل عشان ناكل مع بعض

قالت آخر كلماتها واندفعت إلى الخارج مسرعة فضرب هو كفًا بكفًا ضاحكًا .

***

فتحت الباب على مصراعيه ودخلت فوجدته يجلس على مكتبه صامتًا وعيناه حمراء كالدم يستعد للهجوم على أي شيء أمامه ، وكانت هي قد ذهبت لشباك الصياد بنفسها وقالت :

_ ريان وين مجاش ليه من وقت اللي حصل

_وإنتي مالك بيه ريان !

صاحت منفعلة في غضب هادر :

_ مالي بيه كيف مش ولدي ، ومش كفاية خبيت عني قتل ولدي التاني وجوازه وأنا معرفش حاجة لا وكمان مين اللي قتلته بنت اختي

هب ثروت واقفًا وقال مبتسمًا بسخرية :

_ بنت أختك ، واضح إن العيلة كلها قتالة قتلة ما شاء الله

صمتت قليلاً لبرهة من الوقت تطالعه بتوتر ثم قالت بتعجب :

_ قصدك إيه ؟!

وقف أمامها مباشرة وقال بنظرات شرسة ومرعبة :

_ قصدي إني مندمتش على حاجة في حياتي قد ما ندمت إني أتجوزت واحدة زيك

ابتلعت ريقها بتوتر وهمست بتلعثم :

_ إيه اللي بتقوله ده يا ثروت !

فورًا وجدته يجذبها من شعرها بعنف ويصيح بها بصياح جنوني لاعنًا إياها بالسباب :

_ عايزة تعرفي قصدي إيه ، قصدي فردوس وجوزها وعزت اللي قتلتيهم وملاك اللي حاولتي تقتليها وده كوم وخيانتك كوم تاني وصورك إنتي وفي حضنه

قال آخر كلماتها وانهال عليها بالصفعات على وجهها والضرب في انحاء جسدها فنسقط هي على الأرض وتصرخ باكية تتوسل منه الرحمة وبعد دقائق طويلة كانت هي مسلوبة القوى على الأرض وكان هو قد أفرغ شحنة غضبه المكتظة داخله ، ثم انحني ليهتف بجانب أذنها في همس مؤلم :

_ إنتي طالق يا أشجان ، طالق ، طالق !!!!

....

الفصل الثاني والثلاثون

ثم انحني ليهتف بجانب أذنها في همس مؤلم :

_ إنتي طالق يا أشجان ، طالق ، طالق !!!!

بمجرد أن نخرت كلماته أذناها راحت تلطم على وجهها وتصرخ باكية على طلاقها ، فقد نطقها ثلاث مرات والآن أصبح أمر عودتهم من المستحيل إلا أذا نكحت زوجًا غيره .

خرج محمد من غرفته على صوت صراخها المرتفع وهرول إلى مصدر الصوت المنبعث من مكتب ابنه فوجدها ملقية على الارض تصرخ وتبكي بحرقة وهو يقف بشموخ لا يُبالي لبكائها المزيف هذا ، يحدجها باحتقار واشمئزاز . يود قتلها _ وغسل شرفه الذي تدنس _ كما يجب أن يكون في تقاليدهم عن الشرف والتار ، ولكن ما يمنعه عنها سببين : أبنائه ، وأنها امرأة لا تستحق أن يلوث يده بدمها القذر .

اسرع محمد إليها ليسندها ويوقفها من على الأرض وهو يصيح بابنه قائلاً :

_ واه عامل في مَرَتك إكده ليه ! ، اتجنيت ولا إيه !!

صرخ به ثروت بأعين نارية :

_ سيبها يابوي متقربش منها ، معادتش مراتي خلاص ، واتصل بريان وسارة خليهم ياجوا يشفوها آخر مرة قبل ما ياجي البوليس باخدها !

نقل محمد نظراته بينهم بعدم فهم وصدمة في ذات الوقت من ما يتفوه به ابنه ومن حال زوجته المزري ! .

***

كان يجلس على الأريكة الصغيرة في غرفتهم وزوجته نائمة أمامه على الفراش في سكون تام ، على عكسه هو الذي كان ليس هادئًا أبدًا وينتظر ذلك الهاتف على أحر من الجمر الذي سيأتي ويبشره بنجاح كل شيء .

ظنت هي أن هدوءه معناه أنه لن يستطيع فعل شيء لها ولن يجرؤ ، ولكنها لا تعرف أن هذا الهدوء هو الهدوء الذي يسبق العاصفة ، تلك السماء الممتلئة بالرياح والهواء الممتزج بالأتربة .. رياح مزعجة ولكنها لا تؤذي ، والآن تبدلت لتصبح دمار شامل للبعض . لم ترى كيف تكون الأعاصير المُلقبة بتسونامي حين تأتي وتدمر البيوت وتبيد أقوامًا ، والآن رأتها ! .. رأت أعاصيره المدمرة التي أثارتها بكلماتها وهي تهدده بقتل زوجته وأذيتها .. زوجته التي كانت السبب فيما حدث لها الآن فقط لأنها أدخلتها في أفعالها الدنيئة وهددته بأنها ستجعل قلبه ينزف دمًا مجددًا على موت زوجته للمرة الثانية ، وجعلته يقسم أنه لن يتركها تفر بأفعالها

القذرة في سلام وأن يجعلها تنال عقابها الذي تستحقه ! .

وأخيرًا وصل ذلك الهاتف المنتظر حيث أجاب عليه فورًا قائلاً :

_ هاا حصل إيه ؟!

_ كل حاجة تمام يا أسيد بيه الظرف اللي إدتهوني وديته لثروت بيه والقيامة قايمة في البيت دلوقتي وثروت بيه طلق أشجان بالتلاتة ، وبيقول اتصلوا بريان وسارة خليهم ياجوا يشوفوا أمهم آخر مرة قبل ما ياجي البوليس ياخدها

ابتسم بتشفي وقال بهدوء :

_ تمام عفارم عليك ، إنت لغاية هنا دورك خلص ولما أجي بكرا هديك اللي اتفقنا عليه ، ولو في أي جديد حصل لغاية بكرة اتصل بيا قولي

_ يعني إنت جاي بكرا يا باشا

قال بخبث في لؤم :

_ طبعًا لازم أروح أواسي أشجان هانم في مصيبتها دي مهما كان مرات عمي برضوا

فهم الآخر لهجته الساخرة والمتشفية فابتسم بمكر أكثر وقال :

_ طول عمرك صاحب واجب يا بيه

أنهى معه الاتصال وألقى الهاتف على الأريكة ثم اقترب من ملاك و انحنى بجزعة للأمام إليها ليطبع قبلة عميقة على جبينها ووجنتها ثم دثرها بالغطاء جيدًا وغادر الغرفة ومنها المنزل بأكمله وجلس أمام الباب في الطلق يستنشق بعض الهواء النقي .

***

فتحت عيناها ببطء وتكاسل ، فوقع نظرها عليها وهو يرتدي ملابسه ويستعد للخروج فقالت مبتسمة :

_ صباح الخير

_ صباح الفل ياملاكي

قالت بصوت ناعس وخافت :

_ إنت هتنزل من غير ما تفطر يا أُسيد !

ارتدي سترته واستدار ليتوجه نحوها ويجلس بجوارها على الفراش ،

ويمد يده إلى شعرها يخلخل أصابعه بين خصلاته قائلاً بنعومة في نظرة عاشقة :

_ أنا مش جعان ولو جعت هفطر في الطريق المهم إنتي تاكلي ومتقعديش من غير أكل عشان أنا عارفك لما أكون مش موجود مش بتاكلي ومبتسأليش تاكلي

قالت بمرح بسيط شبه ضاحكة :

_ في إيه ياحبيبي هي كلها كام ساعة اللي بتروح فيهم الشغل وبترجع بعد الضهر وبنتغدى مع بعض

_ لا ما أنا النهردا مش هتغدى معاكي واحتمال تتعشي وحدك كمان لإني مسافر البلد واحتمال ارجع بليل متأخر فتقفلي الباب على نفسك كويس وتخلي بالك من نفسك لغاية ما أجي

أعتدلت في نومتها فورًا وقالت وهي تقطب حاجبيها بدهشة في فضول :

_ رايح ليه البلد في حاجة ولا إيه ؟!

أجابها بابتسامة ساحرة وجذابة في رقة :

_ لما أجي هقولك كل حاجة المهم دلوقتي تعملي اللي قولتلك عليه مفهوم

أماءت رأسها بالموافقة وهي تزم شفتيها للأمام بحزن وخنق فاتسعت ابتسامته الجميلة وقال مداعبًا :

_ ده يوم ياملاك في إيه ، أمال لما أسافر لشغل كام يوم ولا أسبوع هتعملي إيه

برزت عن أنيابها وقالت بشراسة :

_ ومين قالك إني هسيبك تسافر وحدك ، رجلي على رجلك مكان ما تروح

قهقه بخفة ثم انحنى إليها مجددًا وقبلها من جبينها مطولاً بحنو وهو يتمتم بصوت ينسدل كالحرير ناعمًا :

_ يلا في حفظ الله

أجابته بأعين تفيض حبًا وإهتمام :

_ خلي بالك من نفسك وسوق على مهلك يا أسيد

_ إن شاء الله

***

استغرق طريق السفر ساعات عديدة حتى وصل إلى (جنا) وتوقفت سيارته أمام المنزل ثم ترجل منها وقاد خطواته إلى الداخل ، فإذا به يفاجئ بوجود أشجان في حديقة المنزل الخارجية وخلفها أحد الحراس يبدو أنه يقوم بحراسته ، وهي منكبة على نفسها تبكي بحرقة شديدة ، فاقترب منها وتطلع إلى الحارس ثم قال بتساءل :

_ بتعمل إيه هنا إنت ؟!

_ ثروت بيه وصاني أحرص الست هانم لأحسن تُهرب

نظر لها مبتسمًا بسخرية ثم عاد بنظره مُجددًا إلى الرجل وقال بخشونة :

_ طيب روح إنت دلوقتي أنا قاعد معاها متقلقش

أماء له الرجل بالموافقة وأنصرف بينما هو فاقترب وجلس على مقربة منها قائلاً بتصنع التأثر :

_ أنا سمعت باللي حصل ، وزعلت أوي الحقيقة يامرات عمي ولا يهمك أهم حاجة إن إنتي بخير

صمتت لدقائق وهي تحدقه شرزًا بعد أن تأكدت من ظنونها أنه هو السبب

في كل ما حدث بالأمس .. هو السبب في تخريب زواجها وبيتها والآن يجلس بجواره ويتصنع الحزن على ما جرى لها ، ياله من ماكر ولئيم .

_ إنت اللي عملت إكده صح يا ولد ياسر !

قال مبتسمًا ببرود تام :

_ أنا !!! ، أنا عملت إيه ؟! ، أنا معملتش حاجة ، قصدك إنتي اللي عملتي كدا في نفسك والجزاء من جنس العمل

التهبت عيناها من الغيظ ، " ياله من حقير " كانت تقول هكذا في داخلها ، يعترف بما فعله ببرود وكأنه لم يفعل شيء .

عاد يكمل كلامه ولكن هذه المرة كان بلهجة مرعبة أوقعت الرغب في قلبها ، وبنظرة ثاقبة كنظرة الصقر الحادة :

_ إنتي يمكن مغلطيش يا أشجان قد ما غلطي لما هددتي أسيد الصاوي ، سعتها قضيتي على نفسك من غير ما تحسي ؛ لإن ياختصار شديد أنا محدش يقدر يمسكني من إيدي اللي بتوجعني

قالت بلهجة متوعدة :

_ صدقني مش هسيبك يا أسيد لا إنت ولا ست الحسن بتاعتك دي

ابتسم مجددًا ولكن تلك المرة كانت الابتسامة مختلفة حيث كانت تحمل بداخلها مزيدًا من القوى والثبات وأكمل بلهجة أشد رعبًا :

_ أهي ست الحسن دي بذات لو فكرتي تلمسي شعرة واحدة منها بس وقتها همحيكي من على وجه الأرض نهائي ، وانصحك يا أشجان متخليش شيطانك يوزك وتجربي تقربي منها بدل ما يحصلك اللي لا أنا ولا إنتي عاوزينه ، أظن الكلام وصل !

قطع حديثهم صوت محمد الذي صاح مناديًا على أُسيد عندما رآه قائلاً :

_ أسيد تعالى عايزك يا ولدي

هب واقفًا بعد أن أماء رأسه له بالإيجاب واندفع إلى الداخل قاصدًا غرفة جده ....

***

كان يسير باتجاه باب المنزل في خطي ثابتة ثم توقف أمامه وطرق الباب وبعد لحظات فتحت له الخادمة وبمجرد رؤيتها له تهللت أساريرها وقالت بفرحة غامرة :

_ مراد بيه !

تنهد بقوة ثم قال بصوت صلب :

_ أسمى قاعدة ؟

_ لا مش قاعدة يابيه ، الست ليلى هتفرح أوي لما تعرف إنك جيت ، استنى هروح أقولها

قبض على ذراعه فورًا قائلاً بنظرة حادة ولهجة أمر :

_ متقولهاش حاجة روحي كملي شغلك إنتي

صمتت وظهر العبوس على محياها ، ثم أماءت له بالموافقة على أوامره وهمت بالرحيل لولا سؤاله الذي استوقفها :

_ هي عاملة إيه ؟

قالت بنبرة متأثرة وحزينة :

_ حالتها صعبة أوي ، تقولك الست أسمى هي عاملة إزاي ، الأكل بنخليها تاكله بالعافية وخست النص ، وكل ما حد يدخل عليها يا إما يلاقيها بتبكي يا إما قاعدة سهتانة وفي عالم تاني .. والله دي روحها فيكم يامراد بيه

أخرج زفيرًا قوي ثم همس بضيق :

_ طيب روحي إنتي خلاص

امتثلت لأمره وانصرفت لتكمل عملها ، بينما هو فصعد الدرج متوجهًا نحو غرفتها ، فتح الباب ببطء ونظر من ذلك الجزء الصغير عليها فيجدها جالسة على الأرض بجانب الفراش وتستند بذراعيها ورأسها على حافته ، ساكنة تمامًا ولكن كما قالت الخادمة في عالم آخر لدرجة أنها لم تراه ! . دومًا أعتاد على أن يرى أمه الصامدة القوية أمام أعتى وأقوى الظروف ، حتى وقت وفاة أبيه بالرغم من أن الجميع كان يعرف مدى تعلقهم ببعض وحبهم إلا أنها كانت صامدة كالجبل الشامخ ولم تزعزها الرياح من أرضها ، ولكنها الآن كقطعة قماش رقيقة مع أول ريح خفيفة طارت في الأفق وأصبحت أضعف وأرق مع تقلبات الجو ، تلك المرأة التي كانت كالأرض الصلبة لا يعرف ماذا حدث لها ، أو بالأصح ماذا حدث لهم كيف أصبحوا بكل هذه القسوة تجاه بعض ، هل غيرته الحياة هو وأخيه لدرجة أنهم نسيوا أمهم التي كانوا لا يبدأون يومهم بدون أن يقبلون يدها ورأسها ويأخذون دعواتها .. وأصبحوا بتلك القسوة لدرجة أن يتركوها في هذه الحالة المزرية ، أم إنها هي التي غيرتها الحياة وأبعدتهم عنها بتصرفاتها وفرقتهم عن بعض . ولكن الآن لا يهمه أي شيء سابقًا كل ما يهمه أن يعود مجددًا لكنف أمه كما كان ويأخذ رضاها الذي كان يجعل من كل شيء في حياته جيد وجميل ، وكان يجعله مرتاح البال ومبسوط ، حتى

وإن أخطأت في حقه فليس هناك أحدًا معصوم من الأخطاء وكما سامحتهم هي على جميع أخطائهم يجب أن يوفيها حقها ويسامحها على خطأها .

أغلق الباب مجددًا ثم نزل إلى المطبخ وطلب من الخادمة أن تقوم بتحضير طعام فطورها لكي يأخذه لها ، وفور انتهائها حمل الصينية وصعد بها إلى غرفتها مجددًا وعاد ليفتح الباب بحذر من جديد ويدخل لها ثم يضع الطعام على الأرض خلفها ويجلس هو بوضعية الاستعداد ثم يضع يده على كتفها فيسمع همسها الضعيف والمختنق :

_ قولتلك مش هاكل حاجة يا أسمى سبيني بقى بالله عليكي

همس بابتسامة جميلة :

_ طيب ولو قولتلك عشان خاطري أنا !

صوته كان كصوت النجاة في أذنها وسرعان ما التفتت له وعلت وجهها ابتسامة واسعة وفورًا كانت تعانقه قائلة ببكاء حار :

_ مراد ، وحشتني يابني .. سامحني أنا آسفة حقك عليا أنا مستعدة أعمل اللي إنت عاوزه إنت وأخوك بس متسوبنيش تاني ، سامحني

مرر يده على ظهرها متمتمًا بحنو :

_ مسامحك

ندى محمد

لم تسمع همسه من فرط بكائها وأكملت ببكاء أشد بعد أن ابتعدت عنه :

_ صدقني أنا مقتلتش ابنك ولا فرقتك عنها دي هي اللي وحدة زبالة وكان كل همها الفلوس وبس ، والواد اللي في بطنها مكنش ابنك والله يامراد صدقني ، أنا مش وحشة لدرجة أن أقتل أحفادي .. أنا يمكن كنت وحشة مع ملاك في المعاملة بس ده عشان أسيد أتجوزها من غير ما ياخد رأي حتى ، وأنا مكنتش بحب فردوس لكن والله ما كنت أعرف إنها حامل ولو كنت أعرف كنت مستحيل أزقها

أحاط وجهها بيده وقال ونبرة صوته تقطر حبًا وحنانًا :

_ عارف يا ماما أسمى قالتلي وأنا مسامحك والله ، اهدي خلاص

جففت عبراتها فورًا وقالت بسعادة غامرة :

_ يعني مسامحني بجد وهتاجي إنت وسارة تعيشوا هنا تاني معايا

تنفس الصعداء بعبوس بسيط ثم قال بهدوء ورزانة :

_ موضوع إني أقعد هنا ده مظنش لإن أنا مرتاح أكتر في بيتي مع مراتي وإنتي فهماني طبعًا وحتى أسيد هيكون كدا ، بس ده ميمنعش إني كل يوم هاجي أطمن عليكي وكل أسبوع هناجي ناخد يوم معاكي

شعرت بالضيق البسيط ولكن قالت برضا وحبًا :

_ ماشي يابني براحتك أعمل اللي يريحك أهم حاجة تكون مرتاح ، ربنا يسعدكم وأبقى بلغ سلامي لسارة عشان أنا عارفة إنها زعلانة مني

قرب رأسها من شفتيها وغمغم بصوته

الرجولي :

_ حاضر ، ومتقلقيش أنا هتكلم مع أُسيد وهفهمه ، أهم حاجة أنا مش عايزك تزعلي على موضوع إننا مش هناجي نقعد معاكي

قالت بابتسامة صادقة وأعين تفيض حنانًا :

_ مش زعلانة متخفش ، طلاما إنتوا كويسين ومسامحيني أنا مش عايزة حاجة تاني

مد صينية الطعام أمامها وقال بمداعبة في مرح :

_ يلا عايز الطباق دي تتمسح ، وهخلي أم أشرف تقولي كل حاجة ولو قالتلي في مرة بس إنك مبتاكليش ولا مبتاخديش علاجك ، قولي على نفسك يا رحمان يارحيم ياليلى

ضحكت بخفة وقلبها من الداخل يتراقص فرحًا وسعادة ويعلن عن بعض أفراحه وينتظر الفرح الكبير وهو عندما ترى أبنائها جميعهم حولها من جديد .

***

بعد ساعات عديدة وصل كل من ريان وسارة إلى منزلهم ودخلوا فوجودا أبيهم جالس على أحد المقاعد وفي الجهة الأخرى أمهم ووجهها به كدمات قوية من أثر الضرب ، فركضت سارة إلى أمهما وقالت بهلع :

_ إيه ده حصل إيه ياماما مالك ؟

خرج صوت أبيهم القوى قائلاً :

_ زين إنكم جيتوا بسرعة سلموا على أمكم يلا آخر مرة

_ آخر مرة كيف يعني !؟

قالها ريان بلهجة صارمة وشبه غاضبة ، فوجد الرد من أبيه صارم أكثر وهو يقف ويقول منفعلاً :

_ أصل أمكم بنت الناس اللي ميختلفوش عنها في حاجة ، اللي قتلوا ولدي وهي قتلت أخوي وأختي وجوزها ومكفهاش لا وكمان حاولت تقتل

ملاك وفوق ده كله كانت بتخوني مع مين معرفشي

نزل محمد وأسيد من أعلى على صوت ثروت المرتفع بعد أن أنهوا حديثهم السري ، بينما ريان وسارة ألجمت الدهشة ألسنتهم وظلوا ينقلون نظرهم بين أمهم وأبيهم بعد استيعاب حتى صاح ريان غاضبًا :

_ إيه اللي بتقوله ده يابوي ، إنت واعي إنت للي بتقوله !!

_ واعي وهي دي الحقيقة وأحمد ربك إنك مجيتش بتاخد عزاها ، وإني هكتفي بالسجن ليها

نظرت سارة إليها وقالت بأعين دامعة :

_ الكلام اللي بيقوله بابا ده صح !؟

لم تجيبها ولكن كان صمتها إجابة قوية على تأكيد ما يقوله أبيهم ، فنفرت عنها فورًا وهي تهز رأسها بالنفي في عدم تصديق وقد بدأت عبراتها في التساقط بقوة ، أما ريان فكان صمته مريب ومخيف للجميع ، صمتًا لا ينم عن خير أبدًا ، وقد بدأت عاصفته عندما وجدوه يقترب منها فوقفت هي فورًا بخوف من ردة فعله وطالعته بارتباك وزاد خوفها عندما وجدته يهتف بخفوت :

_ ساكتة ليه ؟!

قالت بصوت يغالبه البكاء :

_ سامحني يابني أنا آسفة ، أنا عملت كدا عشانكم

صرخ بها في صوت جهوري ومخيف :

_ عشانا تقتلي ، وتقتلي عمنا وعمتنا ، أقولك إنتي عملتي كدا ليه عشان الفلوس يا أشجان مش عشانا إنتي مفكرتيش فينا واصل و لو فكرتي فينا مكنتيش هتعملي إكده ، وخيانتك لجوزك كانت عشانا برضوا

قالت ببكاء حار في ارتجافة :

_ ياولدي خليني أشرحلك بس

في لحظة غضب عُمىَّ على عيناه وكان على وشك أن يرفع يده عليها ويصفعها لولا يد أسيد التي قبضت على يده وكان صراخه به كافي لجعله يفوق من ماهو فيه ، فدفعه بعنف بعيدًا وقال صائحًا :

_ رياااان ! .. هترفع إيدك على أمك ! ، اتجنيت ولا إيه ، مهما كان ومهما عملت هتفضل أمك

لم يجد الآخر أمامه شيء سوى المقعد لكي يفرغ به شحنة غضبه المكتظة والتي ستقتله إن لن يفرغها في أي شيء ، فحمل المقعد وألقاه بقوة وهو يصدر صرخة مدوية اهتز لها أركان المنزل ، وكانت سارة قد أتخذت لها مقعدًا وبقيت تبكي بحرقة على ما وصلوا له بسبب أفعال أمهم ! .

أما ثروت فهم بإخراج هاتفه لكي يتصل بالشرطة ولكن وجد أبيه يسحب الهاتف من يده صائحًا به في حدة :

_ بلاش جنان ياثروت كفاية الفضيحة اللي احنا فيها مش هتروح تفضحنا قدام الخلج لما تاجي عربية البوليس تاخد مراتك من قدام البيت

_ ما قولنا مَعدتش مراتي خلاص ، أنا معرفهاش ولا هي تعرفني ومحرمة عليا ولما ياجي البوليس أنا مستعد أقول للكل إنها مش مراتي

قالت هنا سارة بدهشة :

_ إنت طلقتها يابابا ؟!

_ أيوة طلقتها

صاح محمد بلهجة لا تقبل النقاش :

_ خلص الكلام مفيش بوليس هياجي ياخد حد من بيت الصاوي ، وهي هتلم هدومها وتمشي من إهنه ومتورناش وشها واصل تاني

***

مر اليوم كالكابوس على الجميع بالأخص على ريان وسارة بعد رحيل إمهم من المنزل وتشتُت عائلتهم ، والجميع كان في المنزل يجلس صامتًا لا يصدر أي صوت ، فقطع ذلك الصمت صوت ريان الذي قال :

_ قومي يا سارة ارجعي بيتك مع أُسيد

طالعته بصمت فأكمل أبيها قائلاً :

_ قومي يابتي خليكي في بيتك مع جوزك بدل ما يقلق عليكي لما يلاقيكي اتأخرتي

هب أُسيد واقفًا وهمس لها بهدوء :

_ قومي يلا يا سارة !

جففت دموعها وذهبت معه بعد أن ودعتهم . وساعات من السفر في السيارة حتى وصلت إلى منزلها واصطحبها أُسيد إليه ، ففتح مراد لهم الباب وعندما وقع نظره عليها قال في قلق :

_ في إيه يا سارة مالك ؟!

دخلت إلى الداخل من دون أن تجيبه فهمّ بأن يلحق بها ولكن وجد يد أخيه تقبض عليه وهو يقول له بخشوع :

_ سيبها دلوقتي .. وتعالى ادخل هفهمك كل حاجة

دخل معه إلى مكتبه وجلس يسرد له كل شيء منذ البداية وعن معرفته لذلك الأمر منذ سنين مضت وأنه هو من أرسل ذلك الظرف لعمه ، فأجابه مراد بصدمة :

_ ده كله يطلع من أشجان يوصل معاها لدرجة القتل ، والله عمي غلطان كان قتلها وخلص منها ، وإنت لما بعت حاجة زي كدا مخوفتش عمي يقتلها

_ لا مخوفتش لإني عارف كويس أوي إن عمي مستحيل يقتلها ؛ لإن كلنا عارفين إن عمي روحه فيها ومهما عملت قلبه مش هيطاوعه يقتلها ، أنا مش أهبل وعشان كدا بعتها ليه بذات عشان أول حاجة يطلقها وموضوع السجن ده عليا أنا مش هسيبها من غير عقاب

_ وإنت طلعت عارف كل ده ومدكنه جواك ، ده إنت طلعت أخبث منها

أتاريك ليك فترة بتعاملها كويس طلعت بتجهزلها الفخ

ضحك ببساطة ثم هب واقفًا وهو يقول باسمًا :

_ المهم قوم حاول هدي مراتك وأنا هروح البيت أريح جسمي

بمجرد أن أنصرف أتجه الآخر نحو غرفته فوجدها نائمة على الفراش بصمت تحدق في اللاشيء بشرود ، فاقترب وتسطح بجوارها ثم مد يده وملس على شعرها من الخلف متمتمًا بحنان :

_ سارة

غمغمت بصوت متشنج :

_ أنا مش مصدقة إزاي ماما تعمل كدا وتخون بابا ، أنا عارفة إن ماما وحشة مع الكل وليها أخطاء كتير بس عمري ما أتوقعت إنها تقتل يامراد

اقترب منها أكثر وضمها هامسًا بصوت ينسدل كالحرير ناعمًا :

_ أنا حاسس بيكي ياحبيبتي بس اللي حصل حصل خلاص ومتقدريش تعملي حاجة

التفتت له ودفنت رأسها بين ثنايا صدره وانفجرت باكية بصوت مرتفع

وهو يملس على شعرها وظهرها محاولاً تهدئتها ببعض كلماته الناعمة .

***

كانت جالسة على الأريكة التي أمام الباب تنتظر قدومه وهي من بين آن وآن تغفو عيناها رغمًا عنها من فرط شعورها بالنعاس وتعود مجددًا تفتح عيناها و تحارب سلطان نومها ولكن في النهاية غفت عيناها وغرقت في النوم .

فتح هو الباب ودخل فوجدها أمامه ، ابتسم بعذوبة ثم نزع حذائه عنه وتقدم ليجلس بجوارها ويملس على شعرها ثم يطبع قبلته على جبينها كالعادة وقبل أن يحملها ويتجه بها إلى فراشها ، استيقظت واعتدلت في جلستها قائلة بصوت ناعس :

_ ليه اتأخرت كدا !؟

جلس بجوارها وقال مبتسمًا برقة :

_ معلش ياحبيبتي أصلي عديت على مراد وأتكلمت معاه شوية

فركت عيناها بأصابعها لتمحي أثار النوم ثم قالت بتشويق :

_ مش هتقولي بقى روحت البلد ليه ؟

مد أنامله ومررها على وجنتها مغمغمًا بصوت يقطر حنانًا وحبًا :

_ أنا مش سبق ووعدتك هاخدلك حقك من أشجان وأديني أخدتلك حقك ولسا كمان لما تتحبس هبقى وفيت بوعدي كويس أوي ، هو الحقيقة مش حقك إنتي بس ده حقك وحق أمك وأبوكي وحق عمي عزت وحق عمي ثروت وحق ريان وسارة

_ مش فاهمة حاجة وبعدين إيه دخّل ماما وبابا والباقي في الموضوع ده

تنهد بعمق قبل أن يقول ، فهو مستعد لردة فعلها التي يعرف تمامًا إنها ستكون مقاربة لسارة :

_ أمك مماتش بسبب المرض يا ملاك ، الموضوع كله إن أشجان كانت بتحب أبوكي ولما عرفت إنه أتجوز أمك حبت تنتقم منه وقتلته وبعدين قتلت عمتي وحاولت تقتلك إنتي كمان ولما عمي عزت عرف بالموضوع قتلته خافت ليقول للكل وتتفضح وده كله ليه عشان الفلوس ، وفوق ده كله كانت بتخون عمي ومع مين مع معتز أخوكي اللي قد ريان يعني قد ولادها ، عرفتي ليه أنا كنت ببعدك عنه ومكنتش عايزك تعرفي إن واحد قذر زي ده أخوكي من أساسه .. واحد بيته كل يوم بيبقى فيه واحدة شكل وسريره يشهد على كل قذراته ، ولما عرفتي إني خبيت عنك أتهمتيني إني بستغفلك وبضحك عليكي وإني بستغل طيبتك وأنا في الواقع كنت بحاول

أبعدك عن أي حاجة كانت ممكن تأذيكي يأما في سمعتك يأما الأذية هتبقى نفسية وجسدية لكن إنتي مفمهتيش ده

ظلت تحدق به لدقائق في صدمة مما تفوه به ، يخبرها بأن تلك المرأة اللعينة سرقت منها أبيه وأمها بدون رحمة .. فرقتها عن والدتها التي لم تكن تتوقع أنها ستستطيع العيش بدونها لحظة وحدة ، وجعلت من حياتها جحيم ، وأخيها التي فرحت عندما عرفت بأمره وكانت تأمل بأن ما يقوله زوجها عنه يكون خاطئ ، ولكن أتضح أنه أقذر من تلك المرأة .
أدركت بالفعل أنه كان معروف كبير منه عندما أخفى عنها أمره ، ليتها لم تعرف أن لديها أخ بكل هذا السوء . سالت عبراتها على وجهها بغزارة وهي تهمس بعدم استيعاب :

_ يعني ماما مماتش بسبب المرض اللي عندها وأشجان قتلتها

ضمها إلى صدره وهمس بحنان غامر وحبًا :

_ أمك في مكان أفضل من هنا وربنا يرحمها ، أما أشجام فأخدت جزء من عقابها وعمي طلقها ومحدش من ولادها عايز يبص في وشها والنص التاني هتاخده لما تتسجن

قالت باكية بشدة :

_ حرام عليها تقتلها ليه عملتلها إيه ماما ، حسبي الله ونعم الوكيل فيها ، منها لله

_ خلاص إهدي ياحبيبتي إنتي المفروض تفرحي دلوقتي لإن حقك إنتي وعمتي بيرجع ليكم أهو وهتاخد عقابها على اللي عملته فيكي وفي عمتي

تشبتت بملابسه واستمرت في بكائها المرير الذي يعكس مدى قوة النيران المشتعلة بين صدرها .

***

مر شهر وكانت الأوضاع هادئة في المنزل لدى الجميع وبصعوبة استطاعوا تهدئة مروان حينما عرف أن زوجة عمه هي من قتلت أبيه . ومرت الأيام حتى تم تحديد خطبة كل من مروان وأسمى وأتفق الجميع على أن تكون خطبة وعقد زواج إلى حين يتم الزواج وينتهوا من تجهيز أمور المنزل وكل شيء ، وبينما كان الجميع يجلس على طاولة واحدة يتبادلون الأحاديث ويضحكون بعد عقد الزواج وانتهاء الخطبة عكر مجلسهم صوت انطلاق رصاصة من إحدى الجهات لتستقر في جسد أحدهم .....

الفصل الثالث والثلاثون

عكر مجلسهم صوت انطلاق رصاصة من إحدى الجهات لتستقر في جسد أحدهم ، وكانت صرخة أول امرأة منهم ملاك التي كانت جالسة بجواره وصرخت بفزع :

_ أُسيد

هب الرجال واقفين في فزع وظلوا يتلفتون حولهم في هلع وكأن من أطلق هذه الرصاصة اختفى في لحظتها ، أما أُسيد فكان الألم أكبر من قوة تحمله وفقد دماء كثيرة جعلته غير قادر على فتح عيناه وفي ظرف لحظات كان يغلق عيناه فاقدًا للوعي وسط صراخ كل من زوجته وأمه وأخته الهستيري .

دقائق قليلة وكان الجميع داخل المستشفى باستثناء ريان وثروت الذين قالوا إنهم سيتفحصون المكان من حول المنزل جيدًا لعلهم يجدوا الفاعل .

وبينما كان هو داخل غرفة العمليات كان الجميع بالخارج وكانت ملاك في حالة بكاء عنيف تنتفض جالسة وبجزارها زمردة تحاول تهدئتها ، وليلى تندب وتبكي من خوفها على أبنها ، وأسمى لم تتوقف عن البكاء للحظة واحدة ومروان بجوارها تارة يحاول يضمها لصدره وتارة يحاول تهدئتها بالكلام ، أما مراد فكان ساكنًا تمامًا يفرك يداه ببعضهم في اغتياظ ويقسم أن تلك المدعوة بأشجام هي وراء ذلك الأمر ستكون آخر أنفاس تلفظها

اقتربت كثيرًا ولكن أهم شيء الآن أن يخرج أخيه سالمًا.

بينما على الجانب الآخر كانت سارة تجلس على مقعد بعيد عنهم تمامًا ووضعها لا يختلف كثيرًا عن زوجها تسترجع في عقلها ذلك الكلام التي سمعته من أمها عندما كانت تتحدث في الهاتف مع أحدهم بعدما علم الجميع بأمرها ويبدو أنها تخطط لشيء ولكنها لم تكن تعرف في ذاك الوقت ماهو ذلك الشيء والآن عرفته . هبت واقفة وتوجهت نحو زوجها ثم اقتربت من أذنه لتهمس قائلة :

_ أنا رايحة الحمام

طالعها بصمت ولم يُبدي أي ردة فعل وظل يتابعها وهي تتجه كما تقول للحمام ولكن لاحظ أن ذلك لم يكن الطريق المؤدي إلى الحمام بل للخروج من المستشفى ، فعلم أنها تنوي على فعل شيء لا يعرفه فأسرع خلفها بعد أن أشار إلى مروان بيده ففهم مقصده وأماء له برأسه بمعنى " لا تقلق " . بينما هي فصعدت بسيارة أجرة وأسرع هو خلفها بسيارته ، دقائق طويلة وتوقفت السيارة أمام إحدى المباني وترجلت هي منها بعد أن دفعت أجرة السائق وهرولت مسرعة إلى داخل المبنى قاصدة إحدى الشقق ، أما هو فظل جالسًا في السيارة يحملق في هذا المبنى بدهشة ، ولكن كانت نيرانه كافية لحرق أي شيء داخله وهو يراها تدخل مبنى لا يعرفه في هذا الوقت المتأخر وتقصد إحدى الشقق الذي لا يعرف لمن

تكون هذه الشقة ، ولحظات ودهش بسيارة الشرطة التي وقفت أمام المبنى ! .

فتحت لها الباب وبمجرد رؤيتها لها عانقتها بشدة وهي تقول بسعادة :

_ سارة وحشتيني ياحبيبتي تعالي ادخلي ، إيه اللي جايبك بليل متأخر دلوقتي !؟

كانت نظراته معاتبة ومتخاذلة لما فعلته ، مليئة بالدموع وهي تقول :

_ كنت عند أسيد في المستشفى ، حالته خطرة ومحدش عارف ممكن يقوم منها ولا لا

تصنعت الصدمة وهي تقول بفزع :

_ إيه !! ، ماله أسيد حصل معاه إيه ؟!

سالت دمعة حارقة منها على وجنتها وهي تقول بحرقة :

_ إنتي مش عارفة حصل معاه إيه يعني ، عملتي كدا ليه ياماما حرام عليكي مش مكفيكي اللي عملتيه ، ليه مصممة تكرهينا فيكي أكتر .. إنتي عارفة غالي علينا أنا وريان وأنا بعتبره أخويا التاني بعد ريان ، صدقيني لو حصله حاجة مش هسامحك أبدًا

تلعثمت في الكلام وقالت بتوتر :

_ عـ..ملت إيه ؟ ، أنا معملتش حاجة وإيه الكلام اللي بتقوليه ده يابنتي !

وجدت أشجان الشرطة يصعدون الدرج ليقفون خلف ابنتها ، فرمقتها بذهول متمتمة :

_ جبتيلي البوليس ياسارة ، هتحبسي أمك !

كانت تسيل عبراتها على وجهها في صمت وهي تطالعها بانكسار وضعف ، وفي ظرف ثوانٍ كان أحد العساكر يقيد إيدي أشجان بالقيود ويسحبها إلى الخارج ، فألقت هي نظرة أخيرة إلى ابنتها قائلة ببكاء :

_ ليه إكده ياسارة ، ربنا يسامحك يابتي

في هذه الأثناء كان مراد يصعد الدرج مسرعًا يحاول إيجاد زوجته فتسمر بأرضه للحظات حينما وجد أشجان والشرطة تكبل يديها وتنظر له بأعين نارية وشرسة ، ولكنه أول ما خطر على باله هو زوجته التي ركض إلى أعلى مسرعًا فوجدها جالسة على الأرض منكبة على نفسها تبكي بحرقة ، فاقترب منها وجثى على ركبتيه أمامها قائلاً بهدوء :

_ سارة ياحبيبتي فهميني حصل إيه !

طالعته بأعين غارقة في الدموع وسرعان ما ارتمت داخل أحضانه تبكي بمرارة مغمغمة :

_ سجنت ماما يامراد ، يعني لو عرفوا كل حاجة عملتها مش بعيد تتعدم

_ طيب إهدي وفهميني إنتي عملتي كدا ليه ؟!

تجاهلت سؤاله وأكملت ببكاء أشبه بالصياح :

_ آاااه ، ليه وصلتينا للوضع ده ياماما حرام عليكي

فهم أنها ليه في وضع يُسمح فيه التقاش أو الرد على أسئلته فمرر يده على ظهرها وقبل رأسها وهي مازالت تبكي بكاءًا عنيفًا وتردد أسمها من بين بكائها ، وكأنها فعلت وندمت على ما فعلت ، وفي ذات الوقت هي تدرك أن هذا سيكون الأفضل للأغلبية منهم ولن تحاول أذية أحد مجددًا . أوقفها على قدميها وساعدها على النزول الدرج وهي غير واعية لأي شيء فقط تبكي بحرقة شديدة .

***

بعد مرور ساعات من انتهاء العملية وبعد أن أخبرهم الطبيب بأن وضعه غير مستقر حتى الآن ولكنه سيبقى تحت المراقبة لمدة 24 ساعة حتى

يتأكدون من سلامته وسمح لهم بالدخول له ولكن شخص واحد يدخل وعندما يخرج يدخل غيره ، وطلب منهم ان لا يعكروا الوسط بالداخل ويصدرون الإزعاج على المريض . وكان أول من دخل هي ملاك حيث وقفت أمامه بعينان غارقتان بالدموع ثم انحنت وقبلت جبينه برقة ، ومن ثم جلست على الأرض أمام فراشه وأمسكت بيده تقبلها قبلة مطولة وهي تصدر تشنجات من فرط البكاء وتتمتم :

_ إنت عارف إن أنا مقدرش أعيش من غيرك لحظة وحدة ، لدرجة إني كنت بدعي ربنا أن يومي يكون قبل يومك مع إني عارفة إن دي أقدار وكل واحد مكتوبله هيموت إمتى ، بس فكرة إن أعيش من غيرك دي مستحيلة صدقني ، أنا أول ما شوفتك عند أكرم في البيت حسيت بحاجة غريبة ، كنت أول مرة أحسها ولما أتجوزتك شوفت الحنية والأهتمام اللي أنا فقدته من وقت موت ماما برغم من إنك مكنتش بتحبني بس معاملتك وطيبة قلبك كانت كفيلة أنها تخليني مجنونة بيك ، كنت بشوف فيك الراجل اللي كنت بتمناه فعلاً ، اللي في وقت الشدة هلاقيه في ضهري وبيحميني وفي الفرح هيكون أول واحد يفرح معايا ، عمري ما حسيت بالإهانة وأنا معاك لا في معاملة منك ولا في كلام ولما كنت بقولك إنك مصنتنيش أو هنتني كنت كدابة لإن عمري ما كنت أحلم إن ربنا يكرمني براجل زيك ، فمش معقول بعد ده كله تحرمني منك ، إنت قوم بالسلامة بس وصدقني مش هزعلك تاني ولا هخليك تتعصب مني واللي هتقوّلي عليه هعمله من غير

كلام

صمتت لبرهة من الوقت ثم أكملت بابتسامة رائعة وهي تقول :

_ تعرف أنا كنت مجهزالك مفاجأة أول ما نرجع البيت وعارفة كويس أوي هتكون ردة فعلك إيه لما تعرفها ، وبالرغم من كدا عايزة أشوف الفرحة في عنيك لما تعرفها

كان يستمع إلى كل حرف تتفوه به ولكن غير قادرًا على فتح عيناه أو التحدث حتى ، ولكن من داخله يتراقص فرحًا لسماعه لهذه الكلمات منها ، لاكتشافه مدى حبها له ووعدها له بأنه إن أفاق لن تجعله يغضب منها مجددًا ، ومفاجأتها له التي يتحرق شوقًا لمعرفتها ، كل هذا كان يسمعه ويود النهوض ومعانقتها ولكنه لا يستطيع فاكتفى بأن يضغط بيده على يدها ضغطة خفيفة ليعلمها بشعوره بوجودها ، فهبت هي واقفة بفرحة غامرة عندما شعرت بلمسته وغادرت الغرفة مهرولة ؛ لكي تخبر الطبيب بوضعه .

***

مرت 24 ساعة بجو يشوبه القلق والخوف وكان الجميع قد رحل بعد أن أخبروهم بأنه لا يمكن أن يبقى الجميع فقط أثنان أو واحد يبقى مع

المريض فبقى كل من مراد وملاك . وبينما كانت ملاك نائمة على المقعد وبجوارها مراد يجلس صامتًا كعادته يحدق في السقف ويفكر في زوجته وسبب فعلتها تلك ، ويتساءل هل عرفت شيء آخر أم ماذا ياترى ، قطع تفكيره صوت الطبيب الذي خرج من الغرفة وقال له بابتسامة عذبة وجميلة :

_ حمدلله على سلامته ، الحمدلله فاق ووضعه اتحسن كتير وهننقله أوضة عادية دلوقتي

اختفى العبوس من على وجهه ليحل محله السعادة وهو يقول :

_ الحمدلله يعني هو كويس دلوقتي

_ كويس الحمدلله وهتشوفه لما نتقله الأوضة

انصرف الطبيب فحمد الآخر ربه بارتياح واقترب من ملاك وقال بهدوء :

_ ملاك ، ملاك قومي

نهضت على صوته وهتفت بفزع :

_ في إيه أسيد حصله حاجة ؟

رأت الابتسامة الواسعة على وجهه وهو يتمتم بوجه مشرق :

_ أسيد زي الفل الحمدلله ، الدكتور بيقول فاق ووضعه كويس وهينقوله اوضة عادية دلوقتي

وثبت واقفة وقد تهللت أساريرها وعادت إشراقة وجهها الجميل ولمعت عيناه العسليتين ببريق ساحر وهي تشكر ربها مرددة " اللهم لك الحمد والشكر يارب ، الحمدلله " ، ثم جلسوا ينتظروا نقله حتى يدخلون له .

مرت ما يقارب الربع ساعة حتى دخلوا له وبمجرد رؤيتها له هرولت إليه تعانقه وهي تقول بسعادة :

_ حمدلله على سلامتك ياحبيبي ، الحمدلله إنك قمتلنا بخير

لف يده حول ظهرها وتمتم بخفوت ناعم :

_ الله يسلمك ياقلب حبيبك

ابتعدت عنه وهي تجفف دموع عيناها التي تدفقت من فرط سعادتها ، فوجد هو أخيه يقترب منه ويعانقه متمتمًا :

_ حمدلله على سلامتك ياراجل خضتنا عليك

نظر حوله وقال بتساءل :

_ أمال فين الباقي ؟!

_ روَّحوا إمبارح لما الدكتور قال مينفعش يقعدوا أكتر من اتنين ، هروح دلوقتي اكلمهم وأقولهم إنك بقيت كويس

أماء له برأسه في ابتسامة هادئة وبمجرد انصرافه تحرك بصعوبة في الفراش ليفسح مجال لها كي تجلس بجواره ثم داعها إلى التسطح بجواره قائلاً :

_ تعالى اقعدي

ابتسمت له بعشق ثم اقترب وجلست بجواره واستندت برأسها على صدره متمتمة :

_ ربنا يخليك ليا وميحرمنيش منك

اتسعت ابتسامته ثم قال بشيء من المكر في صوت ضعيف ومتعب :

_ لا بس مكنتش متوقع إنك بتحبيني للدرجة دي ، وياترى هتوفي بوعدك ولا لا !

فهمت مقصده بعد ثوانٍ طويلة ثم قالت ضاحكة في مرح :

_ إيه ده يا لئيم إنت كنت سامعني ! ، أكيد مش هوفي أنا بس كان الحزن مأثر عليا شوية لكن أنا مقدرش أقعد من غير ما أحرق دمك واناكف فيك

قهقه بقوة قائلاً في مداعبة :

_ ما شاء الله في لحظة رجعتي في كلامك !

شاركته الضحك ثم طبعت قبلتها الرقيقة على وجنته متمتمة بدلال مغري :

_ بهزر معاك ياسيدو ، أكيد هوفي بوعدي وهو أنا مسمعتش كلامك هسمع كلام مين يعني !

طالعها مبتسمًا وقال بشيء من الاستنكار :

_ سيدو !!!

_ إيه مش عاجبك !؟

قرب وجهه منها وهمس في خبث :

_ لا إزاي ، أي حاجة منك سكر ياجميل إنت

دفعته بخفة بعيدًا عنه وهي تقول بشيء من الخجل :

_ بطل قلة أدب بقى

أصدر تأوهًا قوي فاسرعت وقالت باعتذار صادق :

_ أنا آسفة معلش والله ما أقصد إنت بس لو تحترم نفسك ميحصلش كدا

قال بغضب زائف تصنعه بمهارة :

_ لا أسفك مش مقبول ، الكلام مش بيأكل عيش !

_ وإن شاء الله عنك ما قبلته إنت هتتدلع عليا !

كبت ضحكته بصعوبة واستمر في تصنع الغضب قائلاً :

_ طاب قومي من جمبي بلا قرف

_ لا أنا نطعة وهغلس عليك

باغتها بنظرة مغتاظة ومتضايقة فانفجرت هي ضاحكة بشدة ، فقطع ضحكتهم طرق الباب فاعتدلت هي في مجلسها فورًا ودخل مراد ثم توجه أخيه وقال بجدية تامة :

_ أمك جاية دلوقتي معاهم بلاش عند يا أسيد أنا قولتلك كل حاجة وسامحها ، ياخي ده حتى إنت آخر واحد كنت اتوقع إنك تزعل منها كدا

أماء له برأسه في رزانة متمتمًا :

_ ماشي يا مراد متقلقش أنا مش وحش أوي كدا يعني

_ تمام أنا هروح أطمن على سارة وبعدين هروح الشركة أشوف الشغل لو عوزت حاجة أبقى كلمني

_ إن شاء الله

***

وصل إلى المنزل وفتح الباب فوجدها جالسة على الأريكة في صمت وعبوس ، فأصدر تنهيدة قوية واقترب وجلس بجانبها وكالعادة مد يده يمررها على شعرها الناعم قائلاً :

_ فطرتي ولا قاعدة من غير أكل لغاية دلوقتي ياسارة !

تمتمت بوجه شاحب وحزين :

_ مليش نفس يامراد والله

أجابها مداعبًا :

_ لا مليش نفس إيه احنا معندناش بنات تقول مليش نفس ، أنا هقوم أعملك الاكل بنفسي كمان دلوقتي وناكل .. يلا محدش قدك ياعم أنا بكسل ما أعمل كباية شاي لنفسي ، عشان خاطرك هقوم أعمل أكل لينا تخيلي

طالعته بعينان تهيمان بالحب والعشق ثم أمسكت بيده وقالت في نعومة وصوت أنوثي رقيق :

_ ربنا يخليك ليا ياحبيبي بس والله مش جعانة ومليش نفس

استقرت منه نظرة مستاءة ثم قال بجدية مزيفة جعلت الابتسامة تعلو وجهها وتظهر عن صف أسنانها البيضاء :

_ بهيرة تقول لبهبوري إيه ؟

كانت ابتسامتها أشبه بضحكة وهي تجيبه باستسلام :

_ وهي بهيرة تقدر تقول إيه غير حاضر !

هب واقفًا بعد أن زينت الابتسامة العاشقة وجهه وانحنى ليمسك بوجهها ويطبع قبلة حانية على جبينها متمتمًا :

_ إيوة كدا ربنا يهديكي كمان وكمان يابنت ثروت

هبت واقفة معه وهي تتمتم بنعومة :

_ يلا هروح أحضر معاك ميهونش عليا أسيبك وحدك برضوا !

_ طاب بقولك إيه ما تسيبك من الأكل ده

_ أسيبني إيه إنت مش معاك شغل وهتاكل وتمشي

غمز لها بطرف عينه في لؤم وقال بنظرة أربكتها :

_ ياشيخة شغل إيه وقرف إيه هو في حاجة أهم منك ياجميل إنت !

نكزته في كتفه بقوة في حياء بسيط وهي تقول :

_ مرااد !!

أجابها بهيام أكثر :

_ عيونه

تحولت من الرقة والدلال إلى قطة شرسة وهي تجيبه مغتاظة :

_ إن شاء الله هفقعهملك عيونك اللي فرحان بيهم دول

تعالت صوت ضحكته الرجولية التي تجلجلت في المنزل وضحكت الأخرى على ضحكه ثم سبقته إلى المطبخ فلحق بها وهو يلقنها ببعض الكلمات الساخرة التي يقصد بها إثارة غيظها فتلقنه هي بالتي أشد سخرية منه فتثير غيظه هو وينقلب السحر على الساحر كما يقال ! .

***

وصل الجميع إلى المستشفى وكانوا يتبادلون الكلام فيما بينهم تارة يضحكون وتارة يتحدثون بجدية ، ظلوا هطذا لساعات حتى رحل الجميع ولم سواه هو وملاك وليلى ، فتركت لهم ملاك الوسط أيضًا لكي يتحدث مع والدته براحة أكثر وخرجت من الغرفة .

ظل هو يطالعها وهي مطرقة أرضًا لا تقوى على رفع عيناه في عينيه وكأنها تخجل منه فلعن نفسه ألف مرة على أنه جعل الخلاف الذي بينهم يصل لذلك الحد وفهم أن أخيه كان على حق عندما قال أنه أصبح قاسٍ على أمه ، قال بصوت خافت في ابتسامة :

_ إيه يالولو مش هتقوليلي حمدلله على سلامتك وتخديني في حضنك ولا إيه زي ما بتعملي دايمًا لما أتعب جامد

رفعت وجهها له وخرت قواها وسالت الدموع من عيناها وسرعان ما نهضت وهرولت نحوه لتضمه وتقول بندم شديد :

_ سامحني ياحبيبي أنا غلطت معاك إنت ومراتك بس صدقني مش هيتكرر تاني وملاك هشيلها فوق راسي وهتبقى زي أسمى بظبط

أبعدها عنه وقرب رأسها من شفتيه ليقبلها قائلاً بأعين تفيض بالدموع :

_ أنا اللي سامحني ياست الكل ، أعمل إيه بس الغضب عماني وبقيت مش عارف أنا بعمل إيه ، أنا آسف يا أمي ، والله ما استاهل دموعك دي ، سبتك طول المدة اللي فاتت في الحالة دي ومسألتش عليكي يبقى استاهل كل اللي يجرالي يمكن اللي حصلّي ده بسبب إني مزعلك مني طول المدة اللي فاتت

_ متقولش كدا ياحبيبي ربنا ما يوريني فيك سوء أبدًا إنت وإخواتك أنا اللي غلطت وظلمت ملاك كتير ومن حقها تزعل مني وأنا واجب عليا إن اعتذر منها

قال بخشوع وصوت رخيم :

_ متقلقيش من ملاك أنا عارفها قلبها كيب ولو أتكلمت معاها هتسامحك وهتصفى من ناحيتك سبهالي إنتي بس

صمتت لبرهة من الوقت ثم قالت بتوسل :

_ تعالوا أقعدوا معايا ياحبيبي لغاية ما تخف بس وتبقى كويس وبعد كدا أرجع بيتك إنت ونراتك تاني ومش هقولك حاجة ، بس تعالى دلوقتي أقعد معايا بالله عليك

أمسك بيدها وقبلها ثم قال بحنان زارف وصوت رجولي يفيض ودٍ :

_ حاضر إنتي تأمري ، أي طلبات تاني ياست الكل ؟

_ يحضرلك الخير ياحبيبي

انتهى من حديثه معها وبعد دقائق قصيرة دخلت ملاك وجلست على مقربة منه فوجدته يقول بجدية :

_ لما نطلع بليل مش هنروح البيت هنروح ناخد كام يوم عند ماما

شعرت بقليل من الامتعاض والضيق والخنق ولكنها أظهرت العكس حتى لا تضايق زوجها منها ، وإطاعة لأوامره قالت بهدوء تام :

_ تمام ممكن اتصل بريان وأخليه يوديني الشقة أجيب هدوم ليا وليك وكدا يعني

رأت عيناه المشتعلة بالنيران ففهمت أنها تيران الغيرة التي تأججت بداخله فمازال يغار منه حتى الآن ، فأسرعت وقالت مبتسمة :

_ خلاص طيب متتعصبش هروح وحدي الله

وجدته يهتف بصوت رجولي خشن :

_ لما ياجي مراد هخليه يروح معاكي

وكأنها تقصد إثارة غيظه وغضبه وسرعان ما خلفت بذلك الوعد وهي تقول بمكر :

_ واشمعنى مراد آه وريان لا !

استقرت منه نظرة مرعبة جعلتها تقلق من ردة فعله ثم قال :

_ لما نروح البيت هقولك مراد ليه

قهقت بخفة هي وليلى ثم قالت بخوف :

_ لا ولا تقولي ولا أقولك مش عايزة أعرف خلاص !

***

كانت داخل السيارة معه صامتة وهو كذلك يقود بهدوء فقطعت ذلك الصمت وهي تقول :

_ أنا مش عارفة إن لزمته ده ما كنت مشيت وحدي وخلاص

ظل في صمته ولم يجيبها فوجدها تهتف في انفعال :

_ أنا مش بكلمك يا ريان !

أوقف السيارة وصاح في أغتياظ :

_ انزلي يازمردة يلا مش بتقولي إيه لزمته ومش عايزاني اوصلك !

أطالت النظر إليه في دهشة فتلك المرة الثانية التي يقوم بطردها من السيارة ، ولكنها لم تتركه بدون عقاب هذه المرة غصاحت به في اندفاع وانفعال :

_ إنت عايز مني إيه هاا ، اللي كنت مخبياه عليك عرفته وبرضوا مش شايبني في في حالي ياريان ودي تاني مرة تطردني من عربيتك ، بس العيب مش عليك العيب عليا أنا إني ركبت معاك

صرخ به منفعلاً :

_ أنا مطردتكيش يازمردة إنتي اللي مش عايزة تبصي في وشي ولا

تتكلمي معايا حتى كأني قتلتلك قتيل ، يعني جزاتي إني مخلتكيش تمشي وحدك وقولتلك تعالي هوصلك

استمرت في صياحها قائلة :

_ وأنا مش عايزة ابص في وشك ليه مجنونة ، ماهو من عمايلك معايا اللي بتعملها ياريان ، فهمني إنت بتعمل معايا كدا ليه هاا عملتلك إيه أنا ؟

أثارت جنونه وبركانه الخامد لتجعله يصرخ بها وهو غير واع لما يقول :

_ عشان بحبك يازمردة ارتحتي وعرفتي أنا بعمل معاكي كدا ليه !

وكأن صاعقة نزلت فوق رأسها عندما نطق بهذه الكلمة وتعثرت الكلمات في لسانها وألجمته فجعلت منها كالجماد لا يتحرك ولا ينطق فقط يطالعه بذهول مما تفوه به فلم تكن تتوقع قط أن يقوله حتى وإن كان يحبها بالفعل ، أما هو فأصدر زفيرًا حارقًا ومشتعلاً وهو يمسح بيده على شعره نزولاً إلى وجهه بعد أن أدرك ما قاله ولعن نفسه ألف مرة على غبائه وتسرعه الذي جعله يعترف بكل سهولة هكذا من أول جدال بينهم ، ثم حرك محرك السيارة وانطلق بها مجددًا قاصدًا منزلها .

***

في مساء ذلك اليوم بعد أن عاد أُسيد إلى المنزل وكان الحميع في المنزل كالعادة وكان كل من أسمى وملاك في المطبخ يقومون بتحضير الطعام ولكن تركت ملاك أسمى وذهبت لتفعل شيء آخر وبقيت بمفردها في المطبخ تقوم هي بتحضير الطعام كله ، فاستغل مروان الفرصة ودخل لها من دون أن يشعر أحد ثم وقف خلفها وقرب وجهه من أذنها وهمس :

_ طاب إيه ، مش يلا بقى ولا إيه !

انتفضت واقفة والتفتت خلفها وكانت الضربة مباشرة منها على كتفه وهي تقول بغضب :

_ إيه يامروان حرام عليك ، وبعدين هو إيه اللي يلا ده !

_ الأكل ياحبيبتي جعانين

لمسعت في نبرة صوته المكر والخبث فرفعت السكينة في وجهه وقالت بتحذير :

_ والله إنت قليل الأدب ، اطلع برا مينفعش تقف كدا معايا !

اقترب منها بعد أخذ السكين من يدها وجذبها له وهو يقول بلؤم :

_ مينفعش ليه ! ، إنتي مراتي خلاص يعني أعمل اللي أنا عايزه

_ لا ياحبيبي لسا لما نعمل الفرح تبقى تعمل اللي إنت عايزه

_ واضح كدا إني هتعب معاكي ، يا أسمى ياحبيبتي إنتي دلوقتي مراتي قدام ربنا وكل شروط الجواز تمت والإشهار تم والكل عارف إنك مراتي أما الفرح ده بيعملوه عشان الناس تفرح بس والدليل على كدا إن في ناس بتكتب الكتاب ومبيعملوش فرح وبيعوضوا الفرح ده بعمرة أو أي حاجة تاني يعني أنا لو حبيت أخدك دلوقتي وأروح بيكي على بيتنا محدش هيقدر يقولي تلت التلاتة كام

تنفست الصعداء بنفاذ صبر ثم قالت :

_ إيوة إنت عايز إيه دلوقتي يعني !؟

_ عايز بوسة !

صعدت الحمرة إلى وجنتيها ودفعته بعيدًا عنها وهي تهتف بخجل جلي :

_ ياسافل ياقليل الأدب ، برا يامروان بالذوق

قهقه بخفة ولكن قطع حديثهم دخول مراد وهو يقترب منه ويمسكه من

ذراعه قائلاً بجدية تامة :

_ عايز إيه ياحبيبي !

نظر إليها فوجدها تنظر له بتشفي وهي تضحك فعاد بنظره إلى مراد ضاحكًا في مرح :

_ طبعًا أنا لو قعدت أحلفلك للصبح إني نيتي كانت شريفة مش هتصدقني

كبت ضحكته بصعوبة ثم قال بصوت رجواي صلب :

_ لا مصدقك طبعًا ، بس تعالى برا عشان مينفعش نتناقش قدامها عيب تسمع اللي هيتقال

طالعتهم وهم يغادروا وتضحك بشدة عليه وهو يطالعها ويتعهد لها بالعقاب العسير .

***

صعد أسيد إلى غرفته بمساعدة زوجته ودخلوا الغرفة ثم ساعدته في التسطح على الفراش وتسطحت بجواره ، ففتح هو ذراعه لها ولبت هي طلبه كالعادة وأنضمت إلى صدره ، فساد الصمت بينهم لدقائق حتى قطعته هي بسؤالها الرقيق :

_ أُسيد هو إنت إيه أكتر حاجة نفسك فيها ؟

_ حاجة زي إيه بظبط ؟!

قالت مبتسمة :

_ أكتر حاجة نفسك فيها ونفسك تتحقق هي إيه ، حاجة واحدة

أجابها باستغراب بسيط :

_ وإنتي ليه بتسألي السؤال ده ؟!

_ جاوب الأول وبعدين هتعرف بسأل ليه ، بس تجاوب بصراحة

صمت لبرهة من الوقت يفكر ثم قال بمرارة :

_ أكيد طبعًا هيكون نفسي ربنا يكرمنا بطفل

اعتدلت في نومتها وجعلت وجهها في مقابلة وجهه وهي تقول بصوت ناعم وجميل :

_ ولو قولتلك إن ربنا استجاب لدعواتك ودعواتي وأنا حامل هتعمل إيه ؟

الفصل الرابع والثلاثون

كانت الصدمة كافية لجعله ساكنًا تمامًا لا يصدر أي صوت ، فقط يتطلع إليها بصمت ، ويعيد تكرار كلماتها في أذنه ويكاد لا يصدق أن ما سمعه حقيقي ، استمر الوضع هكذا لدقيقة حتى قالت هي باستغراب :

_ أسيد ، إنت سمعتني قولت إيه !

هز رأسه بالإيجاب ثم مد يده وأمسك بوجهها بين يديه وقال في شيء من عدم الاستيعاب :

_ ملاك إنتي عارفة إن الحجات دي مفيهاش هزار ، إياكي تكوني ....

قاطعته قائلة في ابتسامة ساحرة :

_ هزار إيه بس ياحبيبي ! ، أنا حامل بجد

عادت صدمته من جديد ولكن هذه المرة كانت أقل حيث استغرقت لحظات وفجأة وجدته يحتضنها ويقبل كل أنش في وجهه والابتسامة تزين وجهه وتعلوه ، بينما هي فتقبلت جنونه وسعادته بفرحة أكثر وضحك على يفعله بها حتى استوقفته قائلة من بين ضحكاتها :

_ كفاية يا أسيد !

قال بسعادة غامرة :

_ كفاية إيه ! ، يعني مش كفاية مش قادر أقوم بسبب العملية كمان مش عايزاني أفرح

قهقهت قائلة :

_ لا أفرح هو أنا منعتك !

ضمها مجددًا إلى صدره ولكن كان العناق هذه المرة مختلف عن سابقه حيث كان يحمل الكثير من الحب والسعادة والودٍ وهو يقبل شعرها ويقول بنبرة تقطر حنانًا :

_ الحمدلله ، ربنا يخليكي ليا يارب ياحبيبتي ، إنتي مش متخيلة أنا فرحان إزاي

أغمضت عيناها بتلذذ لذلك الشعور الذي لا تشعره إلا عندما تكون بين يديه .. شعور الأمان والطمأنينة ، خرجت الكلمات من فمها خافتة :

_ ويخليك ليا ياحياتي

أبعدها عنه بعد لحظات ثم قال بجدية تامة :

_ اسمعي بقى مش عايز أشوفك بتلفي حوالين نفسك أربعة وعشرين ساعة في البيت زي ما بشوفك دايمًا هتقعدي في مكانك ومتتحركيش كتير بذات في الشهور الأولى دي فاهمة

قالت في صوت رخيم :

_ متحركش إيه يا أُسيد !! ، كل الستات بتشتغل وبتطلع وتدخل في الحمل عادي ياحبيبي متقلقش ، أنا طبعًا مش هروح أشيل حاجة تقيلة أو أحمل نفسي فوق طاقتها يعني هعمل الحجات الضرورية في البيت اللي مينفعش اتأخر عنها ، يعني إنت لسا طالع من عملية إمبارح أسيبك كدا وأقعد جمبك على السرير مثلاً !!

_ أها سبيني ! ، وأدينا هنقعد يومين عند ماما تبقى أسمى تهتم بيا

طالعته باستهزاء وكأن كلماته لم تعجبها قط بل أغضبتها أيضًا حيث قالت له باستياء :

_ يعني مراتك قاعدة وأختك تهتم بيك وتشوف عايز إيه وتعملهولك وأنا أبقى قاعدة جمبك ، بالله عليك أسكت يا أُسيد متعصبنيش

هتف بخشونة :

_ ما أنا عارفك مش هتقعدي علي حيلك واحنا طول ما قاعدين هنا هلاقيكي نازلة طالعة على السلالم !

تنهدت بعمق ثم قالت برزانة :

_ طاب أقولهالك إزاي ! ، لو على السلالم مش هطلع وأنزل غير للضرورة تمام ، أما الحجات التاتية فدي لازم أعملها ياحبيبي ومتخفش والله مش هعمل حاجة تأذيني وبعدين لو الطفل ده لينا لو شلت أثقال مش هيحصله حاجة طول ما هو لينا ، فأطمن بقى وسيبها على ربنا

زفر بضيق بسيط ثم قال باستسلام :

_ طيب ياملاك ، أنا مش هقدر أروح معاكي للدكتورة طبعًا فخدي أسمى وروحوا للدكتورة ، دكتورة ياملاك هاا مش دكتور

أجابته باسمة برقة :

_ حاضر

*

في مساء ذلك اليوم.....

عاد مراد إلى منزله فوجد المنزل هادئ تمامًا لا يوجد به أي صوت ، أنتابه التعجب فصاح مناديًا على زوجته فلم يجد منها ردًا ، فشعر بالقلق واندفع نحو الداخل يبحث عنها فوجدها جالسة على الأرض في غرفتهم ودموعها تسيل على وجنتيها بصمت ، فظن لوهلة أن بكائها بسبب ما حدث مع أمها ، فاقترب منها وجلس بجوارها ثم هم بوضع يده على كتفها فدهش بردة فعلها وهي تدفع يده بعيدًا عنها في شراسة وتصيح به بنظرة نارية :

_ متقربش مني فاهم !

استغرق الوقت دقائق حتى يستوعب الأمر ثم قال بهدوء تام :

_ في إيه ياحبيبتي مالك ؟!!

وثبت واقفة وصرخت به ببكاء هادر بعد أن ألقت بعض الصور في وجهه قائلة :

_ عايز تعرف في إيه .. في إنك واحد خاين وكداب وطول المدة دي كنت بتضحك عليا ومفهمني إنك بتحبني وأتجوزتني عشان بتحبني ومش عشان شفقة منك وهي زي ما كنت متوقعة ، ياريتك ما أتجوزتني

التقط الصور من على الأرض وحدق بها بذهول ، فقد كانت صور له مع

إحدى الفتيات التي كان على علاقة بهم ، رفع نظره لها ثم وقف وقال باستغراب :

_ جبتي الصور دي منين ومين إدهالك ؟!

قالت ببكاء عنيف وصراخ جنوني :

_ مش مهم جبتها منين المهم اللي فيها وإياك تنكر وتقول كدب والصزر متفبركة لإن أنا بفهم كويس ومتأكدة إن الصور دي حقيقة ، ليه يامراد حرام عليك تعمل فيا كدا ليا ، طيب أتجوزتني ليه من الأساس هاا

أخذ تنهة قوية ثم أمسك بذراعيها وقال في حنو :

_ أتجوزتك عشان بحبك ، ومش هكدب وهقولك إنها متفبركة لإنها حقيقية فعلاً ، بس الكلام ده كله كان قبل ما أتجوزك وقبل ما يحصل معاكي أي حاجة صدقيني حتى قبل ما أحبك والله

دفعته بعيدًا عنها صارخة :

_ متكدبش عليا وتقول قبل يامراد كفاية

قال صائحًا :

_ والله ما بكدب ياسارة حتى أنا وأسيد كنا مبنكلمش بعض لشهور بسبب

الموضوع ده

صمت قليلاً قبل أن يتابع بصوت مرير :

_ إنتي عندك حق في كل حاجة هتعمليها لإني استاهل عقابك واستاهل إني مواجهتكيش بالموضوع ده قبل جوازنا بس مكنش عندي الجرأ إني أقولك والله ، أنا كنت فعلاً ليا علاقات وكنت في طريق قذر بعد اللي حصل بيني وبين روان ومش هقولك إني مقربتش من أي ست عشان هبقى كدا بكدب عليكي ، وبعدين عرف أسيد بالموضوع وحصلت مشكلة كبيرة بينا لدرجة إن أنا اتخانقنا خناقة كبيرة في الوقت ده أنا كنت خلاص أساسًا الحمدلله بعدت عن كل ده بس هو شَرَط عليا إنه مش هيسامحني غير لما يحس إني تبت فعلاً ورجعت لربنا ، وفعلاً تبت وندمت وحتى الآن ندمان وبستغفر ربنا في كل صلاة بصليها وبطلب منه إنه يسامحني ، بس والله العظيم ما خنتك ولا بصيت لأي ست من لحظة ما بقيتي على زمتي

تراجعت للخلف في عدم استيعاب لما تسمعه أذناها وقالت وهي تهز رأسها بصدمة :

_ لا إنت مستحيل تكون مراد ، مراد اللي أعرفه ميعملش كدا أبدًا ، ده مبتفوتش صلاة ومجرد ما الأذان يأذن بتقوم تتوضى وتصلي ، ده أنا كنت بحمد ربنا ليل ونهار إنه عوضني براجل عارف ربنا ومش بيفوت صلاة

وبيحبني

عض شفاه السفلي بحزن شديد ثم اقترب منها ثانيًا وقال بنبرة صادقة وأعين تحمل في داخلها آلام كثيرة :

_ مفيش حد معصوم من الغلط ياسارة ، بس أهم حاجة إنك تعرف غلطك وتحاول تصلحه وأنا عرفت غلطي وندمان على كل حاجة وربنا عالم قد إيه أنا بلعن نفسي في اليوم مليون مرة إني عملت كدا في نفسي وكنت في الطريق القذر ده ، كنت غبي ومتخلف وكنت استاهل كل اللي يجرالي

نفرت منه بأعين معاتبة وقال بصوت متشنج :

_ مراد متقربش مني لو سمحت ومن هنا ورايح كل واحد فينا في أوضة ، ده لو مكنتش هَطلقني

تسمر بأرضه عندما صك سمعه كلمتها الأخيرة ، وفجأة وجدها تغادر الغرفة تاركة إياه يتخبط من الشجن والغضب فجلس على الفراش ودفن وجه بين كفي يديه ويزفر بخنق شديد .....

*

استيقظ ريان على صوت رنين الهاتف المزعج ليجيب بسخط بدون أن

ينظر للمتصل :

_ ألو ميين ؟

أتاه صوت أسمى قائلة بقلق :

_ أيوة ياريان ، متعرفش زمردة فين ؟

اعتدل في نومته عندما سمع أسمها وقال بتساءل :

_ لا معرفش ليه ؟!

_ أصلها طلعت من قبل المغرب ومرجعتش لغاية دلوقتي وتلفونها مغلق ومروان قلقان ونزل يدور عليها أنا قولت أكلمك يمكن تكون كلمتها أو شفتها

انتصب جالسًا بفزع هاتفًا :

_ مجاتش إزاي يعني يا أسمى الساعة داخلة على 1 بليل

قالت بخوف شديد :

_ معرفش ما احنا عشان كدا قلقانين وقولت أكلمك

هب واقفًا وقال على عجالة في صوت رجولي حاد :

_ طيب يا أسمى أنا هشوف ولو لقيتها هكلم مروان وأطمنه

أنهى معها الأتصال وفورًا شرع في ارتداء ملابسه على عجلة ثم غادر وهو يقصد مكان معين يتوقع أن يجدها فيه . استقل في سيارته وانطلق بها وهو يهمس بغيظ :

_ شكلك مش هتجبيها لبر يابنت عزت

دقائق قليلة وتوقفت السيارة أمام أحد المباني فترجل منها وصعد إلى أعلى ثم وقف في أحد الطوابق أمام شقة أخيه ثم أخذ يطرق الباب بعنف ، وقفت هي خلف الباب وهي تعلم جيدًا من الطارق وتأبى أن تفتح له حتى سمعت صوته يقول بصوت مخيف :

_ افتحي يازمردة الباب بالذوق أنا عارف إنك واقفة ، افتحي !

ابتعلت غصة مريرة في حلقها ثم فتحت الباب بصعوبة فرأت وجهه عبارة عن جمرة نار مشتعلة ، وإذا بها تجده يدفعها للداخل ويدخل ليغلق الباب ويصيح بها بانفعال مرعب بلهجته الصعيدية :

_ إنتي إيه اللي مقعدك إهنه لغاية دلوقتي ، ومبترديش على أخوكي ليه ، الساعة 1 يا أبلة إيه كنتي هترجعي في نص الليالي وحدك في العربيات

ولا هتاخديها مشي

_ وإنت مالك بيا ، أقعد لوحدة ولا أتنين ولا تلاتة إن شاء الله أقعد في الفجر ، بعدين ده بيتي وأجي أقعد فيه وقت ما أنا عايزة

جذبها من ذراعها صارخًا بها في صوت جعلها تخر واقفة بين يديه :

_ لا مالي ونص ، مش بت عمي ولا إيه ، عايزة ترجعي في نص الليالي ومحدش يكلمك ، ليه ملكيش حاكم ولا إيه ، وبيتك ده لما تحبي تقعدي فيه يبقى معاكي حد ، مش رايحة جاية على الفاضي والمليان وممعرفاش حد رايحة وين ولا جاية منين ، بس العيب مش عليكي العيب على مروان باينله مدلعك قوي وسايبلك الحبل سايب

دفعت يده عنها بعنف وصرخت به في شجاعة :

_ أبعد إيدك وآخر تحذير ليك ياريان متقربش مني تاني ، وبعدين إنت بتتكلم كدا معايا بصفتك إيه إنت زي ما قولت حيالله ابن عمي يعني ملكش حكم عليا ، فاهم واتفضل يلا وأنا هتصل بمروان وأقوله إني قاعدة هنا

_ إنتي في إيه مالك بتعملي كدا ليه ، عايز أفهم ؟!

_ عشان أحرق دمك ياريان زي ما دايمًا قاهرني

ران الصمت عليه للحظات ثم تقدم نحوها فتراجعت هي للخلف وهو يتقدم حتى التصقت بالحائط ووقف أمامها يقول بشيء من الثقة التامة :

_ لا مش عشان تحرقي دمي يا زمردة ، عشان بتحبيني ومتغاظة من معاملتي ليكي اللي إنتي مش فاهمة أنا بعاملك بيها ليه ، أقولك أنا بعمل معاكي كدا ليه ؛ لإني كل ما بشوفك بحس نفسي بضعف قدامك وفي نفس الوقت مش قادر أنسي إن إنتي مرات عبدالرحمن حتى لو كان كتب كتاب بس . عارفة إن في نفس اليوم اللي قولتيلي فيه كل حاجة كنت ناوي في اليوم ده أقولك إني هطلب إيدك من مروان ، طبعًا مكنتيش تعرفي ده ، عرفتي ليه أنا سعتها كانت ردة فعلي بالمنظر ده وحتى الآن تعاملي معاكي ناشف عشان بحاول أشيلك من قلبي وأبعد عقلي عن فكرة الجواز دي ، لكن للأسف في كل مرة بعمل معاكي كدا بيحصل العكس بدل ما أكرهك بحبك أكتر ، متفتكريش إني باقي عليكي ولا بجري وراكي بالعكس أنا بحاول أهرب منك بأي طريقة بس برضوا مش عارف ، فمن سكات كدا ومن غير عناد روحي البسي جزمتك يلا عشان أوصلك للبيت ، وجهزي نفسك لإن مروان نش هيعدهالك المرة دي

ظلت تطالعه بصمت وأعين دامعة لتهمس بخفوت وصوت شبه باكي :

_ وإنت إيه عرفك إني بحبك أصلاً !

_ لإني شايف ده في عينك يازمردة ، بس أنا فاهم اللي بيدور في عقلك ، إنتي ما بين بتحبيني وما بين مش قادرة تنسي عبدالرحمن فمبقتيش عارفة تعملي إيه وأنا زيك للأسف

ابتعد عنها وأشار لها بعينه أن تذهب وترتدي حذائها لكي يذهبوا ، فسارت على مضض ودموعها تسيل على وجنتيها بألم وبعد دقائق عادت له وقبل أن يهم بالرحيل استوقفه صوت المبحوح وهي تقول :

_ نفس المكان اللي إنت واقف فيه دلوقتي ، عبدالرحمن اتقتل فيه ، لما جه واتقدملي كنت فرحانة أوي بالرغم من إني مشفتهوش غير كام مرة وحتى مكنش في مشاعر مني تجاه ، بس من كلام بابا عليه خلاني أحبه وأفرح جدًا إن هيكون من نصيبي واحد زيه ، كنت بدايق منه إنه مخبي عليكم حاجة زي كدا وكان بيقولي مسيرهم هيعرفوا ، وكان دايمًا يحكيلي عن سارة وعنك بذات .. كان بيحبك أوي ويقولي لما تشوفي ريان هتحبيه أوي أصله مجنون زيك وسارة فيها طيبتك وحنينة زيك ، إن جيت للحق كان أحسن واحد فيكم في كل حاجة وبرغم كدا لو كنتوا عرفتوا إنه أتجوزني من غير ما يقول للي في البيت غير عمي ثروت كنتوا مش هتخلوه يتهنى معايا ، بس ربنا ريحه من كل ده وفضلت أنا في الهم ورغم

ده كله لسا الخيوانة دي عايشة حياتها بعد ما قتلته

جاهد في حبس دموعه وهو يغمض عيناه بتوجع من كلماتها ثم استدار لها وقال بهدوء متوعد :

_ الحيوانة دي أنا تقريبًا وصلتلها ولما أوصلها هاخدك أول وحدة معايا عشان تشوفيها وتعملي فيها الي إنتي عايزاه ، مش أنا اللي أسيب حق أخويا يازمردة أنا وعدتك إني هجيبها وإن شاء الله هجيبها

جففت دموعها ومن حين لحين تعتريها نفضة قوية ، سارت معه وصعدت بالسيارة بجواره وهي تحدق في الطريق بشرود ودموعها تنهار على وجنتيها بغزارة ، لا تعرف أتحزن على وضعهما وإن كلاهما يصعب عليه نسيان الفاصل الذي بينهم وهو " عبدالرحمن " والذي يمنع اجتماعهم أم تحزن على زوجها الذي خسرته وهي لم تحظ بالعيش معه حتى وتحزن على قتله الغدر وهو بين يديها ، لا تعرف على أيهما تحزن .

انتشلها من شرودها صوته وهو يقول بصوت هادئ :

_ امسحي دموعك دي يلا ، متدخليش البيت على مروان بالمنظر ده

امتثلت لأمره وفعلت ما أمرها به ثم ترجلت من العربية وسارت باتجاه المنزل وعندما فتح مروان الباب كان فورًا يجذبها من ذراعها صارخًا بها

في صوت جهوري :

_ كنتي فيت ياهانم هاا!

طالعته بأعين دامعة ولم تجيبه فهم برفع يده ليصفعها على وجهه ، لبقائها لذلك الوقت المتأخر من الليل ، تاركة دمائه تغلي في عروقه ، ولكن وجد يد ريان تقبض على يده وهو يهتف برزانة :

_ اهدى يامروان مش كدا ، تعالى أدخل وأنا هفهمك كل حاجة

_ تفهمني إيه !! ، كانت فين ده لغاية الساعة 1 ونص بليل والتلفون مبتردش عليه ، وحياة أمي يازمردة لأربيكي من أول وجديد

أشار لها ريان بعينه لها أن تذهب فتطلعت إلى أخيها نظرة أخيرة تنوى الاعتذار منه ولكنها لم ترى في عينه سوى الغضب فحملت شتات حزنها ودموعها وذهبت إلى غرفتها ، أما ريان فأخذ مروان وأجلسه على المقعد وسرد له كل شيء منذ بداية معرفته بأمر أخيه نهايةً باليوم حتى أنه لم يخفى عنه أمر حبه لها وأنه كان ينوى الزواج منها ولكنه تراجع عندما علم بأمر زواجها من أخيه .

*

دخلت الغرفة وهي تحمل على يديها صينية الطعام له ، لتتقدم وتضعها أمامه على الفراش وتجلس بجانبه هاتفة برقة :

_ يلا عشان تاكل وتاخد علاجك وبعدين أغيرلك على الجرح

_ إيه ياملاك أنا لو عيل صغير مش هتعملي معايا كدا !

قالها باسمًا بسخرية فتصنعت هي الجدية والتقطت قطعة لحم ومدتها لفمه قائلة :

_ يلا إنت هتتعبني ليه !

_ حد قالك إني عامل عملية في إيدي !

قهقهت قائلة بدلال :

_اسيدي بدلعك إنت تكره الدلع يلا بقى هتكسفني

ابتسم لها ثم قرب فمه من يدها وتناول منها قطعة اللحم قائلاً بغزل غامزًا لها بعينه :

_ احلى لحمة دي ولا إيه !

ضحكت بخفة بعد إن ضربته بخفة على كتفه فقال هو بحنان جميل :

_ طيب سيبك مني دلوقتي ويلا كلي معايا

_ لا أنا مش جعانة

هتف مغتاظًا في شيء من الغضب :

_ بقولك إيه شغل مش جعانة ومليش نفس ومعرفش إيه كان زمان متخلنيش أقلب على الوش التاني ، إنتي حامل فمش وقته خالص الدلع ده وتكالي بالذوق بدل ما أكلك بطريقتي

قطبت حاجبيها بريبة من طريقته وبالرغم من أنها كانت قاسية وجافة بعض الشيء إلا إنها لم تغضب منه بل تقبلت غضبه بصدر رحب وسعادة ؛ فقط لعملها بأن سبب غضبه هو خوفه عليها وعلى طفلهم ، فقالت نبتسمة بعذوبة :

_ لا وتقلب ليه أنا زي الكلبة هاكل دلوقتي ، إنت تؤمر بس ياباشا أي أوامر تاني

جاهد في منع ضحكته ثم قال بنبرة غليظة :

_ لا حاليًا مفيش ، يلا اخلصي

انفجرت ضاحكة وهي تهتف من بين ضحكاتها :

_ مش لايق عليك على فكرة الكدب ده ، منظرك مسخرة وإنت عايز تضحك وبتحاول تحافظ على مظهرك الخارجي

شاركها الضحك ثم قال بنبرته الناعمة كما اعتادت عليه :

_ طيب يلا كلي إنتي وساكتة وخليني آكل

فعلت كما طلب منها وبدأت بتناول الكعام ومن بين آن وآن تنظر لها مبتسمة ببلاهة فتجعله يضحك رغمًا عنه ، وفي المرة الأخيرة صاح بها باستياء مزيف :

_ وبعدين معاكي مش هتخليني آكل يعني ولا إيه ، طيب شيلي الأكل مش ماكل

أجابته بضحك هستيري :

_ لا خلاص أهو هسكت والله ومش هفتح بوقي تاني

عاد مجددًا للطعام وعندما انتهوا نهضت هي ونزلت لتضع الصينية بالمطبخ ثم صعدت له مجددًا فلم تجده ، توجهت نحو الحمام لتتأكد من

وجوده فلم تجده أيضًا . أصدرت صرخة شبه مرتفعة عندما وجدته يقبض على خصرها من الخلف ويحتضنها فتلتفت له وتقول اغتياظ :

والله بارد حرام عليك يا أُسيد !

أدارها مجددًا لتوليه ظهرها ثم أخرج من جيبه عقد ذهب كلاسيكي ولفه حول رقبتها ، مدت هي يدها تتحسه ثم قالت بتعجب :

_ إيه ده يا أُسيد ؟!

كانت يده تتحدث قبله حيث تخللت بين خصلات شعرها برقة قبل أن يقول :

_ دي هدية لحبيبتي ، كنت جايبهالك يوم خطوبة أسمى بس مقدرتش أدهالك بسبب اللي حصل ، إيه رأيك ؟

_ جميلة أوي ، بس مكنش له لزمة والله ، لو كنت جبتلي أي حاجة بسيطة كنت هفرح بيها

استند بجبينه على جبينها وقال في عشق :

_ الغالي يلبس الغالي ياجميل ، عارفة إن إنتي شبه مريم جدًا كانت قبل ما تولد بفترة قليلة جبتلها سلسلة كدا وفرحت بيها جدًا ونفس الكلام اللي

قولتيه دلوقتي قالتلهولي ، في تصرفات كتير تشبهيها فيها ، لكن طبعًا تختلفي عنها في العند والدماغ الناشفة واللسان الطويل اللي عايز قصه وغيره كتير

صيقت عيناها بغيظ وقالت ساخطة :

_ بقى أنا لساني طويل ! .. طيب أنا لساني طويل وعنيدة وفيا كل الصفات الوحشة تقدر تعترض ، ولو مش عجباك طلقني ووريني هتعملها إزاي !

تعالت صوت ضحكاته الرجولية ليجذبها إلى صدره ويقول ضاحكًا في صوت ينسدل كالحرير ناعمًا :

_ ومين قالك إني هعرف أعملها أساسًا ، ثم إن قوليلي أنا أقدر أعيش إزاي من غير ملاك أم لسان طويل اللي بتحرق دمي ليل ونهار

_ يلا ياكداب بقى أنا بحرق دمك ليل ونهار

استمر في ضحكه القوي وأخيرًا قبل شعرها وقال :

_ ربنا يخليكي ليا وتحرقي في دمي دايمًا يامستفزة

ضحكت ببساطة ثم همست بنبرة عاشقة :

_ ويخليك ليا

***

صعدت بالسيارة بجواره وهي تقول مبتسمة :

_ صباح الخير ، عملت إيه مع زمردة ؟

_ صباح النور ، موضوع كبير كدا وقعدت أتكلم أنا وريان يعني ماشعليش بالك ، المهم إنتي عاملة إيه ؟!

أجابته بدلال في نبرة أنوثية جميلة :

_ بقيت كويسة لما شوفتك

لاحت ابتسامة واسعة على وجهه وهو يقول ضاحكًا :

_ الله من إمتى الكلام الحلو ده ، ده أنا بشحت منك كلمة من ساعة ما كتبنا كتب الكتاب مش عارف

هتفت مبتسمة في خجل شديد :

_ خلاص بقى متكسفنيش هغير رأي والله !

قهقه بقوة ثم مسك يدها وقربها من فمه ليقبله برقة قائلاً في خبث :

_ أحبك وإنت خجول كدا ياقمر

_ مروااان

كانت لهجتها حادة وخجولة في نفس ذات اللحظة ثم أكملت بهدوء :

_ هتاخدني فين بقى ؟!

غمز لها بطرف عينه في لؤم قائلاً :

_ هخطفك في مكان محدش يعرفه عشان ميجيش حد يقرفنا

_ بقولك إيه والله أنزل ومروحش معاك مكان أساسًا !

تعالت ضحكاته وهو يقول من بينها :

_ إيه خايفة منى ، متقلقيش ياستي هوديكي مكان حلو كدا مفاجأة يعني

اعتدلت في جلستها وقالت بابتسامة طفولية سحرت قلبه :

_ طيب يلا بقى لأحسن أنا أتشوقت أشوف المكان ده

*

فتح أسيد باب المكتب ليجد أخيه جالس على الأريكة صامتًا يحدق في اللأشئ فاقترب منه وجلس بجواره قائلاً :

_ مالك يامراد ؟

صمت لبرهة ثم قال بمرارة :

_ سارة عرفت كل حاجة عني !؟

الجمته الدهشة لدقائق حتى قال في ذهول :

_ أوعى يكون عرفت اللي في بالي

تنهد بعمق ثم هتف بشجن :

_ هو يا أسيد ، لقيتها إمبارح بتديني صور ليا معرفش جابتها منين وحاولت أفهمها إن ده كان زمان وقبل ما أتجوزها وقبل ما يحصل معاها أي حاجة وإني دلوقتي ندمان ورجعت لربنا مفهمتش برضوا ومصممة على الطلاق

مسح على وجهه قائلاً بعدم حيلة :

_ مش عارف أقولك إيه ، إنت اللي ورطت نفسك يامراد والله ودي

النتيجة ، مستني منها إيه لما تعرف ده عنك هتقولك عادي ياحبيبي ولا يهمك

_ لا عارف إنها هتزعل وهتحصل مشكلة بس متوقعتش إنها تطلب الطلاق وتصمم عليه كدا يا أسيد

هب الأخر واقفًا وصاح به منفعلاً :

_ أي وحدة مكانها هتعمل كدا مكانها يا أستاذ أمال إنت فاكر إيه ، دي أقل حاجة منها ، إنت عايز تغلط وميكنش في عقاب وياريت غلط عادي إنت كنت في طريق الزنى فاهم يعني إيه

دفن الأخر وجهه بين يديه وقال بمرارة في أعين شبه دامعة :

_ أسيد أنا مجيتش اتكلمت معاك عشان تأنبني أنا فيا اللي مكفيني ، وربنا يعلم اللي فيا أنا كاره نفسي أساسًا بسبب اللي كنت بعمله ده وبدعي ربنا دايمًا يغفرلي ويسامحني ، والله لو تعرف اللي جوايا مش هتقولي كدا نهائي

تتفس الصعداء في هدوء وهتف برزانة :

_ طيب يامراد ، حاول تصالحها وتراضيها وخليها تنسى موضوع الطلاق

ده بأي طريقة ، هي بتحبك وهتزعل فترة وهتلاقيها سامحتك إنت بس أثبتلها إنك فعلاً ندمت على كل حاجة وحاول بأي طريقة تصالحها

_ أساسًا مقدميش حل حاليًا غير إني أحاول !

*

بعد مرور أيام طويلة من ذلك اليوم كان جالسًا في غرفته فسمع صوت صراخ من الحمام فهب واقفًا وركض نحو الحمام فوجد زوجته تصرخ قائلة بخوف :

_ آه بطني يا أُسيد الحقني ابني يا أُسيد

الفصل الخامس والثلاثون

كان جالسًا في غرفته فسمع صوت صراخ من الحمام فهب واقفًا وركض نحو الحمام فوجد زوجته تصرخ قائلة بخوف :

_ آه بطني يا أُسيد الحقني ابني يا أُسيد

أسرع وأمسك بها هاتفًا بفزع وقد بدأ صدره يعلو ويهبط من أثر الفزع :

_ حصل إيه يا ملاك

كانت فقط تصرخ وتبكي فهرول هو إلى الخارج وجلب لها شيء سريع ترتديه ووضع حجابها على شعرها ثم حملها على ذراعيه وانطلق بها فورًا خارج المنزل واستقلوا بالسيارة وفي ثوانٍ كان ينطلق بها بسرعة البرق .

بعد ما يقارب النصف ساعة داخل المستشفى ...

كانت هي قد فقدت الوعي والطبيب يجري فحصه عليه ويقف أمامه هو يتابعه ومازالت الصدمة تؤثر عليه ولكنه ارتاح كثيرًا عندما أخبره الطبيب بسلامتهم ثم رحل ، فجلب هو أحد المقاعد وجلس بجوارها واحتضن يداها بين يديه وقرب شفتيه منها ليطبع قبل في باطن يدها دامت لدقائق ، بث بها حبه وعشقه وقلقه عليها وعلى طفلهم . استمر الوضع لدقائق أخرى

وهو على هذه الحالة تارة يقبل جبينها وتارة يدها وتارة أخرى هذه البطن التي تحمل بداخلها قطعة منه ، لن يتحمل خسارتها للمرة الثالثة .

استيقظت وعندما رأته بتلك الحالة فزعت واعتقدت أن مكروه صاب طفلها فهمست بأعين دامعة :

_ الدكتور قالك إيه ابني كويس مش كدا

طالعها بابتسامة جميلة قبل أن ينهض ويجلس بجوارها على الفراش ويضمها إلى صدره هامسًا :

_ الحمدلله كويس متقلقيش وإنتي كمان بخير ، أنا بس اللي مش كويس أدتيني خضة مخدتهاش في حياتي

ابتسمت بارتياح وشددت من عناقه وهي تقول بسعادة :

_ الحمدلله ، الحمدلله يارب ، طيب مقالكش إيه السبب في كدا ؟

لاحت في عيناه نظرة غاضبة قبل أن يتحدث بلهجة لا تحمل أي نوع من التسايب أو المزح :

_ قالي بسبب المجهود أصل المدام حضرتها مبتسمعش الكلام ولما أقولها ارتاحي ومتتحركيش بتعملّي فيها الست رابعة العدوية ، شوفتي حصل إيه كل ده بسبب إنك أجهدتي نفسك فجالك الألم ده ، من هنا ورايح هتقعدي

في السرير ومش هتتحركي غير للضرورة فاهمة ولا لا ويارب ياملاك أشوفك بتعملي عكس اللي قلته ده وقتها هخلي نهارك زي ليلك فاهمة ولا أعيد تاني !

أطرقت أرضًا وقالت بخفوت في خوف :

_ فاهمة ، حاضر يا أسيد

لان قلبه لنظرتها البريئة وهدوءها فانفطر قلبه كالعادة عليها وكان سرعان ما يقبل رأسها ويضع يده على أحشائها يحركها برقة ثم يدفن وجهه بين ثنايا عنقها ويهمس بصوت أذاب حصون قلبها وعروشها :

_ أنا خايف عليكي ياقلب أسيد أنا مش مستعد لخسارة أي حد فيكم دلوقتي ، إنتي وابني اللي جاي إن شاء الله هتبقوا كل حاجة بنسبالي ولو حصلك أي حاجة مش هستحمل ، إنتي هتكوني أمي وأختى ومراتي وصحبتي وأم ولادي وحبيبتي يعني كل حاجة ، عشان كدا أنا لما بقسى عليكي بيبقى من خوفي عليكي مش أكتر ، أنا .....

ابتعدت عنه قليلاً ومدت يدها لتخللها بين خصلات شعره السوادء قائلة في عشق :

_ عارفة ياحبيبي والله ، أنا مزعلتش منك لما زعقلتي دلوقتي لإني عارفة

إنك خايف عليا ، وأنا اللي غلطانة واستاهل عصبيتك عليا ، وفلنفترض إني زعلت من موقف عملته هعمل إيه برضوا مش هقدر أبعد عنك هزعل يوم يومين أسبوع شهر ومسيري هرجعلك ، أنا لازقة فيك متخافش مش هسيبك إلا لما روحي تطلع

قالت آخر كلماتها وارتمت داخل أحضانه تستنشق رائحته الرجولية بتلذذ وراحة وهو كذلك .....

***

كانت في وضع عسير حيث تجلس على الأريكة في غرفتها وتحدق في أي شيء أمامها بدون هدف وعقلها مشغول بالتفكير بزوجها ، وهي تقف في منتصف الطريق وإن أكملت طريقها ستوجب عليها القبول بأي شيء يواجهها وإن عادت فستعود خاسرة حتى بدون محاولة أو جهد ، ولكن كلما تتذكر تلك الصور وتتذكره وهو في أحضان امرأة غيرها ويقبلها ، وكأن قلبها يتحدث ليجيب على عقلها بأنه اخطأ والآن كما يقول يشعر بالندم على ما اقترفه ويطلب من الله المغفرة وأن كل هذا كما يقول قبل أن يتزوجها حتى ، ولكن كان عقلها أقوى في السيطرة والهيمنة حيث إنه لم يستمع لكلام قلبه .

قطع حبل تفكيرها جلوسه بجوارها وهو يقول بتحسر :

_ هتفضلي كدا كتير مبتكلمنيش ، عدى أسبوعين لغاية دلوقتي يا سارة وإنتي مش عايزة تبصي في وشي حتى كفاية بقى حسي باللي أنا فيه

طالعته وقد تجمعت العبارات بعيناها قائلة :

_ وأنا مين يحس بيا يامراد هاااا ، مين يحس بالنار اللي جوايا كل ما افتكر صورك حتى لو كانت زمان ، فكرة إن إنت كنت في الطريق ده كفيلة تخليني أشمئز منك ، وحتى لو سامحتك مش هقدر أنسى أبدًا كدبك عليا وإنت بتبص في عنيا لما سألتك بعد الجواز وطلبت منك ترد عليا بصراحة إنت لمست وحدة غيري سعتها رديت وقولتلي لا ، مع إنك لو كنت رديت بصراحة وقتها كنت هزعل طبعًا وهاخد موقف بس كان في حاجة هتشفعلك عندي إنك مكدبتش عليا وواجهتني بالصراحة ، لكن قولي دلوقتي أسامحك إزاي ؟!

أردف حزينًا :

_ إنتي شايفة ردة فعلك إزاي دلوقتي ، وقتها أنا كنت متوقع إنك هتعملي كدا عشان كدا مقدرتش أقولك ؛ لإن أنا ذات نفسي مش قادر أتقبل الموضوع ده وإني كنت كدا

_ وكنت ناوي تقولي إمتى بقى ، لما أموت إن شاء الله وأكون تحت

التراب وتاجي تذور قبري وتقعد وتقولي كل حاجة !

قالتها بلهجة سخرية فأجابها بمرارة :

_ لا كنت بدعي ربنا إن أكون قبلك تحت التراب عشان لما تعرفي الحقيقة مشوفش نظرة الاحتقار والاشمئزاز دي في عينك

_ أنا مش مشمئزة منك ، أنا مشمئزة من كدبك عليا وإن قدرت تبص في عيني وإنت مخبي حاجة زي كدا عني

تنهد الصعداء بضيق وشجن ثم هب واقفًا وقال باستسلام في حزن دفين ، لم يسبق لها أن تراه به من قبل :

_ طيب يا سارة أنا مش هغصب عليكي أكتر من كدا أنا ليا أسبوعين في الوضع ده معاكي وعملت كل حاجة ممكن تتخيلها على تسامحني وبرضوا مفيش فايدة وواضح إني بتعب نفسي على الفاضي وإنتي مش فارق معاكي أي حاجة ، مش هقولك إن إنتي أثبتيلي إنك مبتحبنيش لا بس كنت أقل حاجة متوقعها منك إنك تظهريلي ولو جزء بسيط من الحب ده في أقل فعل زي إنك تمسكي إيدي ولو لقتيني أتأخرت عن فرض أو مقريتش قرآن في اليوم إنتي اللي تاخديني من إيدي ، دي أبسط حاجة بس إنتي متعبتيش نفسك وكل اللي عليكي عايز أطلق ، أحب أقولك وأنا موافق على

الطلاق لإن طول ما علاقتنا بالوضع ده أنا وإنتي مش هنعرف نكمل مع بعض والطلاق أفضل حل لينا احنا الأتنين

هبت واقفة وحدقته بذهول بعد أن بدأت تذرف عيناها الدموع وقالت بتلعثم :

_ بالسهولة دي مستعد تطلقني يامراد !

_ بالنسبالك سهلة لكن بالنسبالي أصعب مما تخيلي بس زي ما إنتي عندك كرامة وعزة نفس أنا عندي كمان ومش هقدر استحمل كلمتك كل ما تشوفني عايزة أطلق ! ، قوليلي هعيش معاكي إزاي وإنتي مش عايزاني بالعقل كدا جاوبيني إزاي ؟!!

أطرقت أرضًا بعد أن أجهشت بالبكاء فقال هو بصوت متمزق :

_ معندكيش جواب صح ، يبقى متقوليش هتطلقني بالسهولة دي إزاي ، ولو عايزة تسيبي البيت وتروحي عند أهلك في البلد لغاية ما أبعتلك ورقة طلاقك مفيش مشكلة جهزي نفسك وهوصلك دلوقتي كمان لو عايزة

كانت نظرتها تجاهه ضعيفة ومنكسرة جاهد بصعوبة في أن يكبح نفسه عنها ، هتفت بصوت مبحوح :

_ ماشي هلبس وأقولك بس ودِيني الأول عند ملاك عايزة أتكلم معاها شوية

_ طيب يلا جهزي نفسك وأنا هستناكي برا

انصرف وتركها فجلست على الأرض تبكي بحرقة لا تعرف هل بسبب موافقته على الطلاق أم لأنها أوصلت الوضع بينهم هكذا .....

***

عادوا إلى المنزل فركضت نحوهم ليلى لتقول بقلق :

_ خير يابني قالكم إيه الدكتور

_ الحمدلله ياماما متقلقش هو بس القرد اللي جاي ده بيقلقنا معاه على الفاضي

نظرت إلى ملاح وقالت بودٍ صادق :

_ حمدلله على سلامتك ياحبيبتي

أجابتها بعذوبة :

_ الله يسلمك يامراد خالي

قال أسيد بهدوء تام :

_ احنا هنمشي بقى ياماما خلي ملاك تروح البيت هناك وترتاح وتهدى كدا بدل ما هيا ماخدة السلم طالعة نازلة عليه

ضحكت بخفة ثم قالت بحنان أمومي :

_ ولو إني زعلت بس ولا يهمك ياحبيبي طلاما كدا هترتاحوا ، بس مش هتمشوا غير لما تتغدوا معايا النهردا ومش عايزة كلمة زيادة

قالت ملاك بعفوية في مرح :

_ خلاص ماشي وأنا هطلع أغير هدومي وأنزل أساعدك في الأكل

انتبهت فورًا لنظرته النارية التي تكاد تحرقها في أرضها فازدردت ريقها بتوتر ووجدته ينظر إلى أمه ويقول بنفاذ صبر :

_ بالله عليكي ياماما ردي عليها عشان أنا لو رديت هي عارفة هيحصل إيه ، أصل دي عايزة تفقعلي مرارتي

قال جملته الأخيرة واندفع إلى أعلى حيث غرفتهم فقالت لها ليلى

ضاحكة :

_ تعملي معايا إيه يابت إنتي عبيكة وحدة جاية من الدكتور ووحامل والعيل مش ثابت تقولي أحضر معاكي الغدا ، امشي يابت غوري من قدامي اطلعي ورا جوزك دي إنتي تفقعي المرارة صح

قهقهت ملاك بصوت مرتفع وأسرعت خلفه لتدخل الغرفة فتجده نزع سترته عنه وألقى بجسده على الفراش بأرهاق فاقتربت وتسطحت بجواره ثم أمسكت بذراعه لتفرده على الفراش وتسند رأسها علي صدره فيضمها هو بذراعه مبتسمًا ، ثوانٍ وسمع همسها قائلة بتلذذ في راحة :

_ الله !

_ إيه القعدة كدا حلوة ؟!

قالت مبتسمة في نبرة جميلة :

_ جدًا !

أجابها في نظرات شيطانية :

_ طيب فين الأجرة بقى ولا إنتي عايزة تاخدي الراحة كدا بلوشي وأطلع أنا من المولد بلا حمص

أدرفت بعدم أكتراث لما يقول وأكملت مزاحها على اعتقاد منها أنه أيضًا يمزح :

_ حاضر تعالى بكرا الصبح بدري أكون قبضت المرتب

_ وليه بكرا الصبح ما احنا فيها أهو دلوقتي !

قالت ضاحكة :

_ ما أنا معييش فلوس دلوقتي الله !

غمز لها بطرف عينه وقال بمكر أشد :

_ ومين قالك إني عايز فلوس أصلاً ، أنا هعمل إيه بالفلوس ؟! ، أنا أجرتي حاجة تاني

عندما نظرت له ورأت الخبث في عيناه ففهمت مقصده فورًا وابتعدت عنه في خجل قائلة :

_ مهو حاليًا الخط خارج نطاق الخدمة تعالى بكرا تكون الشبكة اشتغلت !

ارتفع صوت ضحكاته الرجولية بقوة ثم قال مداعبًا :

_ لا إنتي بتتخيلي ياحبيبتي الشبكة شغالة وزي الفل حتى تعالى كدا أجرب وأعمل اتصال

اغتاظت من وقاحته الشديدة وبينما هي على غفلة قبض عليها وجذبها إليه فاستطاعت أن تفر منه بصعوبة وتركض نحو الحمام لتدخل وتغلق الباب بإحكام هاتفة بحياء شديد :

_ تعرف إن إنت قليل الأدب وسافل

كبح ضحكاتها وتحدث بجدية مزيفة :

_ إيه ده وهو أنا قولت حاجة ، مش إنتي بتقولي الشبكة مش شغالة وأنا بقولك تعالي أعمل اتصال ونجرب ، فيها إيه دي !!

صرخت به ساخطة من فرط خجلها وهي تقول :

_ بس كفاية متتكلمش ولا كلمة تاني

ضحك وقال لها بهدوء :

_ طيب اطلعي من عندك

_ لا

أجاب في برود تام :

_ طيب براحتك ، خليكي عندك أنا وإنتي قاعدين أهو خلينا نشوف هتقعدي في الحمام لغاية إمتى

ضحكت ببساطة بدون صوت على ذلك المجنون التي وقعت رهينة لجنونه المفاجئ .....

***

فتح الباب بعد أن طرق وسمع صوتها تسمح له بالدخول ووجدها تجلس على فراشها وتتصفح هاتفها فاقترب منها وجلس بجوارها قائلاً :

_ زمردة ريان جالي إمبارح في المكتب وإتكلم معايا

تمتمت بعدم مبالاة مزيفة :

_ أيوة وأنا مالي يعني بكدا جاي تقولي ليه يامروان

_ عشان أتكلم معايا عليكي يازمردة

طالعته باستغراب وتمتمت بتساءل :

_ ويتكلم معاك عليا ليه هو مش قالك كل حاجة يومها وعرفت !

تنهد بعمق ثم قال بخشونة :

_ جه عشان يقولي إنه أخد قراره النهائي خلاص وطالب إيدك ومستنى ردك

رأى الصدمة تحتل موقعها على وجهها ولم تعرف بماذا تجيب فأكمل هو بحنان أخوي :

_ زمردة أنا لولا إني عارف ريان كويس وأنا وهو متربين مع بعض مكنتش هوافق نهائي عشان عبدالرحمن بس ريان فعلاً بيحبك وعايزك ياحبيبتي وأنا متاكد إنه هيحافظ عليكي ويشيلك جوه عينه أنا معرفش إيه اللي غير رأيه بس هو أخد القرار الصح وأنا كنت متوقع منه القرار ده ، وفي الأول والآخر القرار يرجعلك سواء وافقتي أو رفضتي ، بس عايزك تفتكري حاجة كويسة جدًا لو موافقتيش على ريان وفيما بعد جالك عريس وكان كويس ومفهوش عيب مش هتقولي لا يازمردة بحجة إنك مش هتقدري تتجوزي بعد عبدالرحمن إنتي لسا صغيرة وحتى يعتبر مدخلتيش دنيا يدوب كتب كتاب ، فشوفي نفسك وقرري كدا على مهلك وردي عليا

نهض وغادر الغرفة ، تاركًا إياها داخل صدمتها ، فهي لم تكن لتتوقع

إتخاذه ذلك القرار مطلقًا كانت معتقدة أنه لن يفكر بالزواج بها مجددًا بعد معرفته بأمر زواجها من أخيه ، ولكنه أخلف كل ظنونها وفعل العكس بل ومن النفترض عليها الآن أن تقرر هل السعادة أم الحزن ! .

***

تعجبت ملاك بشدة من قدوم سارة المفاجئ هذا وسرعان ما عانقتها بسعادة عندما رأتها ودخلوا الغرفة ليتحدثون على راحة أكثر أما أسيد فقد غادر ليتحدث مع أخيه .

ران الصمت بينهم لدقائق حتى خارت قوات سارة وانهارت باكية فهتفت ملاك في هلع :

_ مالك يا سارة في إيه ؟!

قالت ببكاء حار :

_ أنا ملقيتش حد أتكلم معاه غيرك يا ملاك مش عارفة أعمل إيه ، أنا ومراد خلاص هنطلق

_ إيييه

صاحت به منذهلة وأكملت :

_ طلاق إيه يا سارة حصل إيه لده كله إنتوا لسا مكملتوش كام شهر متجوزين

صمتت قليلاً بتردد قبل أن تبدأ وتسرد لها بداية الحكاية فقاطعتها قائلة مبتسمة :

_ متكمليش خلاص أنا عارفة الموضوع ده من بظري من وقت خناقة مراد مع أسيد ، وإنتي طبعًا عايزة تطلقي عشان كدا ، غبية !!

_ يعني إنتي لو مكاني مش هتعملي كدا !!

قالت بنبرة رزينة :

_ هعمل طبعًا بس مش هتوصل بيا للطلاق هزعل وأخد جمب منه لفترة بس مش هتوصل إني أطلب طلاق عارفة ليه ؛ لإنه زي ما قالك كان زمان وهو تاب وندم والحمدلله ربنا هداه ومفيش حد مبيغلطش ، هو إنتي مش غلطتي برضوا لما يا سارة لما مشيتي ورا إسلام ده وشوفتي النتيجة مش كدا وأديكي غلطتي وبعديها ندمتي وطلبتي من ربنا أن يسامحك ، تقدري تقوليلي ليه مراد هو وقتها سامحك مع إنك كنتي غلطانة من ساسك لراسك وكنتي بتكلمي راجل من وراهم وبتخرجي معاه وإنتي عارفة إن العواقب هتكون وخيمة لو عرفوا ، بس هو سامحك وكمان أتجوزك وفوق

ده كله موجهلكيش أي معاملة وحشة صح ولا لا ، لما هو غلط في حاجة دلوقتي مش عايزة ترديله جميله معاكي وتسانحيه وتقفي معاه وتاخدي بأيده للطريق الصحيح ، أنا معاكي ياستي إنه صعب ومعرفش إيه وإن أنا لو مكانك وكان قالي قبل الجواز مكنتش هوافق على الجواز منه ده الواقع بس إنتوا كل واحد فيكم غلط وزي ما هو سامحك إنتي كمان المفروض تسامحيه ، لو هو كان لسا في الطريق ده لغاية دلوقتي أنا كنت أقولك عندك مليون حق كمان وتخليه يطلقك فورًا بس هو مش كدا ، فبلاش هبل يا سارة وشيلي موضوع الطلاق ده مراد مش وحش معاكي بالعكس ده بيعشقك ومستعد يعملك أي حاجة ، أنا آه بطلع عين أسيد بس مبخليش مشاكلنا تتعدى برا البيت وعمري ما أطلب منه الطلاق ، كنت بطلبه في أول جوازنا لكن دلوقتي مهما نتخانق برضوا مقلهوش عايزة أطلق ولو قولتها ببقى بس عشان أحرق دمه يعني بمعني أصح بقرص ودنه مش أكتر ، فإنتي أعملي كدا وأقرصي ودنه لإنه مقالكيش على الموضوع ده من بدري

اقتنعت تمامًا بكل كلمة قالتها وأدركت أنها على حق فيما قالته أنه أيضًا سامحها على خطأها الذي اقترفته ، وأن كلاهما ارتكب أخطاء لا تغفر بسهولة .

***

في مساء ذلك اليوم .....

حيث رحل الجميع إلى بيته ولم يتبقى سوى أسمى وليلى بالمنزل ، فأتي إلى أسمى اتصال من مروان يخبرها بأنه بحديقة المنزل بأسفل ويطلب منه الخروج له ، فتهللت أساريرها وهندمت من ملابسها ثم رفعت شعرها لأعلى وأخبرت أمه بأنه بالأسفل وستنزل له .

وجدته ينتظرها على الأريكة الهزازة في الحديقة في الظلام يحدق في السماء بشرود ، فاقتربت منها وجلست بجواره هامسة برقة :

_ سرحان في إيه ؟!

قال بهيام مزيف في لؤم :

_ أصل في وحدة معايا في الشركة يعني معرفة قديمة عزماني على عيد ميلادها ومحتار أجبلها إيه هدية فقولت أما أجي وأخد رأيك

تأججت نيران الغيرة بداخلها فهو يأخذ رأيها غي أمر كذلك وينتظر منها تقبله بسهولة ، تصنعت التفكير لدقائق ثم قالت ساخرة :

_ جبلها جزمة عشان كل ما تلبسها تفتكرك

_ أنا شامم ريحة إهانة في الموضوع دي صح ولا أنا بتخيل

أجابت باغتياظ بعد أن هبت واقفة وقالت بغضب :

_ لا صح ، ولو جاي عشان كدا فعلاً يبقى تاخد بعضك وتمشي أفضل أنا مش ناقصة شلل

قبض على ذراعها وأجلسها عنوة مجددًا بجواره هاتفًا بضحك :

_ طيب اقعدي بس في إيه !

_ ابعد يامروان احسلك بلا أقعد

جذبها لصدره ضاحكًا ثم همس بعشق زراف :

_ وحشتيني

وكأنها المفتاح الذي أذاب غضبها فابتسمت بخجل وهمهمت برقة أنوثية :

_ وإنت كمان وحشتني

قال شبه ضاحكًا بحب :

_ القلوب عند بعضيها يعني

طالعته بنظرة جذابة فاقترب هو وطبع قبلة رقيقة على وجنتها وهو يقول بمشاكسة :

_ والله أنا سبحان ما مصبرني عليكي لغاية ما نعمل الفرح ، أنا بعمل أكبر إنجاز حاليًا إني حايش نفسي عنك

قهقهت بخجل ثم قالت بصوت رخيم :

_ خلاص كلها شهر ونعمل الفرح بقى في إيه

_ وأنا مستنيه بفارغ الصبر والله ، ياقلبي ، بس إيه برضوا مش هتديني تصبيرة لغاية الفرح

طالعته مغتاظة وابتعدت عنه فقال ضاحكًا :

_ خلاص يا ساتر عليكي ، مش عايز حاجة بس اصبري تبقى في بيتي وأبقى خليني أسمع حسك بس

ابتسمت له بعشق ثم عادت من تلقاء نفسها ووضعت رأسها على صدره من جديد وضمها هو إليه أكثر بذراعه في شعور جميل لكليهما .

***

كانت تنتظر قدومه بفارغ الصبر وعندما وجدته أتي هرولت وأسرعت إلي الفراش لتلقي بجسدها عليه متصنعة أنها فاقدة الوعي ، ربما ليس هناك سبب لفعلتها تلك إلا فقط إثارة غيظه كالعادة ومناكفته . ولحظات ودخل هو الغرفة وعندما وجدها هكذا اقترب منها وهزها هاتفًا بصوت هادئ :

_ ملاك .. ملاك !

ولكن لم يجد منها جواب فعاد يهزها مجددًا وكانت نفس النتيجة فارتعد من القلق والخوف كالعادة .

ندى محمود

الفصل السادس والثلاثون

ولكن لم يجد منها جواب فعاد يهزها مجددًا وكانت نفس النتيجة فارتعد من القلق والخوف كالعادة ، هرول إلى خارج الغرفة ليجلب شيء يستطيع من خلاله ايفاقتها به وعندما عاد وجدها تجلس على الفراش تتطلع إليه مبتسمة برقة ، فتسمر بأرضه للحظات يستوعب الأمر ثم بدأت قسمات وجهه تأخذ شكلاً آخر مخيفًا بعد أن أدرك أن الأمر كله خدعة ، ورأته وهو يلوي فمه ويعض على شفاه بنظرة مميتة فتأكدت حينها أنها أخطأت خطأ كبير بفعلتها تلك ، فقررت إصلاح الأمر ووقفت وقالت شبه ضاحكة :

_ خلاص متتعصبش أنا آسفة كنت بهزر بس والله

كان يطالعها صامتًا بتفس نظرته فتلاشت ابتسامتها تدريجيًا وقالت بتوتر حقيقي :

_ طيب ليه مبتردش عليا

خرج صوته الجهوري صارخًا بها :

_ عشان لو رديت هخليكي تنامي وإنتي بتبكي النهردا ، هزار إيه المستفز

ده هاا هو في هزار كدا ، لا وبتقوليها بكل برود

انتفضت في أرضها على أثر صراخه ولم تتمكن من التفوه بكلمة واحدة فقط تستمع لتوبيخه وعصبيته عليها :

_ شغل الأطفال ده ميتكررش تاني فاهمة ولا لا ، واعقلي في حجات ينفع الهزار فيها وفي حجات لا ، وبذات معايا أنا .. جاية تهزري في حاجة زي كدا أنا فيا اللي مكفيني ياملاك ومش ناقص ، ويارب أشوفك بتكرريه تاني

شعرت بغصة مريرة في حلقها تنبأها بسقوط دموعها الحارقة من قسوته وصوته المرعب ، فهي لم تكن تتوقع ردة فعله القوية هذه ، وكانت فقط تريد رؤية خوفه وقلقه عليها ولكن انعسكت الصورة لترى بركان خامد ينفجر في وجهها ليجعلها تقف ساكنة لا تصدر أي صوت ودموعها على حافة جفنيها تستعد للنزول ، بينما هو فقال جملته الأخيرة واندفع إلى خارج الغرفة وتركها ، وكأن دموعها كانت تنتظر ذهابه حتى تهبط سريعة وغزيرة ، فجففتهم وشدت على محابسهم ثم تسطحت على الفراش ودثرت نفسها بالغطاء وجعلت وسادته تخبئ دموعها وتتحملها وهي تحدق في اللاشئ أمامها بصمت .

***

في صباح اليوم التالي .....

استيقظت من النوم ونظرت بجوارها فلم تجده تنهدت بخنق ثم نهضت وتوجهت إلى المرحاض لتأخذ حمَّاما دافئ ثم خرجت من الغرفة فوجدته نائم على الأريكة بالخارج ، ابتسمت بمرارة وهمست لنفسها " هل كل هذا بسبب ما فعلته "

توجهت نحو المطبخ وقامت بتحضير الفطور وهي شاردة في أشياء كثيرة ، وبينما كانت تحمل المياه السخنة وتهم بسكبها في كاسات الشاي كانت ستسكبها على يدها لولا يده هو التي امسكت يدها وقال بجدية :

_ سرحانة في إيه مش تخلي بالك كنتي هتحرقي إيدك !

نظرت له بصمت تام ثم اشاحت بوجهها عنه واستمرت فيما كانت تفعله فتنهد هو بهدوء ثم تمتم بنبرة رخيمة قاصدًا لفت انتباهها له :

_ صباح الخير

ردت عليه بجمود أعصاب وملامح :

_ صباح النور ، هتفطر معايا ولا في الشغل ؟

تعمد الرد بهذا الرد لكي يرى ردة فعلها :

_ لا في الشغل عشان مستعجل

أماءت له ببرود وعلى عكس ما توقع تمامًا لم تبدي أي ردة فعل بل كانت تظهر له البرود وهي من داخلها النيران تأكلها من الغيظ ، وقف لثوانٍ ثم اقترب منها ووضع يديه على خصرها قائلاً بنعومة :

_ إنتي زعلانة مني عشان إمبارح مش كدا ؟

نفرت منه وابتعدت لتتجه في زواية أخرى من المطبخ وتوليه ظهرها هاتفة بنبرة عادية :

_ لا مش زعلانة !

اقترب مجددًا ثم وقف بجوارها وهمس باسمًا :

_ طاب عيني في عينك كدا

تطلعت له وعندما تلاقت عيناها مع عيناه الثابتة وأدركت أنها إن أطالت النظر أكثر من ذلك ستخرج خاسرة فغضت عيناها عنه فورًا وتطلعت للجهة الأخرى في احتجاج فاتسعت ابتسامته وقال :

_ لعلمك بقى أنا المفروض اللي أزعل مش إنتي

رمقته بنظرة نارية ومغتاظة عندما قال هكذا فضحك وقال مداعبًا :

_ إيه مالك مش دي الحقيقة

تمكنت من السيطرة على نفسها بصعوبة وقررت أن تستمر في صمتها القاتل فتجاهلته للمرة الثالثة ولم تجيب عليه فوجدته يهتف بنفاذ صبر :

_ هتفضلي ساكتة كدا كتير !

_ قولتلك مش زعلانة يا أسيد ، روح يلا البس عشان متتأخرش على شغلك

أدرك حينها أن أحزنها بالفعل وبشدة ليلة الأمس فليس من عادتها أن تكون صامتة هكذا وتجيبه بكل هدوء وتقول أنها ليست غاضبة منه ، فأمسك برأسها وقربها إليه ليقبلها هامسًا باعتذار صادق :

_ أنا آسف عارف إني اتعصبت عليكي جامد أنا كنت جاي متعصب أساسًا وإنتي مع التوتر والخضة عصبتيني أكتر ، هو أنا ناقص توتر أعصاب ياحبيبتي رايحة تهزري معايا زي كدا ، طيب والله من الخوف والخضة حسيت تفكيري أتشل مبقتش عارف أعمل إيه وفي الآهر ألاقيكي بتمثلي ، يعني ده دلع ولا بس عايزة تناكفي فيا وخلاص ، ماهو لو بتدلعي عليا

ممكن أعديها لكن أنا عارفك إنتي عايزة تناكفي فيا وتعصبيني وتحرقي دمي صح ، طيب لما إنتي عايزة كدا أصلاً زعلتي ليه لما اتعصبت عليكي !!

ابعدت يده عنها وقالت بامتعاض :

_ هو أنا اشتكلك ولا قولتلك زعلانة ما قولت مش زعلانة

أمسك وجهها وضغط على فكيها لتنفرج شفتيها وهزه يمينًا ويسارًا قائلاً بمرح :

_ طيب بزمتك ده منظر وحدة مش زعلانة ، وشها مقلوب سبعة في تسعة وضاربة البوز شبرين وتقولي مش زعلانة أمال لو زعلانة كنتي عملتي إيه !

دفعته بعيدًا عنها بعد أن ابتسمت رغمًا عنها وقالت :

_ اطلع برا يا أُسيد !

قهقه بقوة ثم انحنى وخطف قبلة سريعة من وجنتيها قائلاً بصوت رجولي جذاب :

_ طيب يلا اعملي حسابي معاكي هنفطر مع بعض

_ مش رايح الشغل !؟

أجابها بعشق :

_ لا مش رايح هفطر مع ملاكي الأول وبعدين هروح

تتفست الصعداء بهدوء ثم ابتسمت وهزت رأسها بالموافقة فعاد هو مجددًا من الخلف ليطبع قبلته على رقبتها ثم ينصرف .

***

طرق الباب عدة مرات قبل أن يسمع ردها الذي يسمح له بالدخول فدخل واقترب ليجلس بجوارها على الفراش هاتفًا بصلابة :

_ مش هتقولي حصل إيه بينك وبين مراد ، هو جابك إمبارح ولما بسأله يقولي أسألها هي وإنتي تقوليلي أسأله هو ، هو في إيه بظبط !؟

صمتت قليلاً ثم قالت بثبات :

_ عادي ياريان اتخانقنا أنا وهو زي أي مشكلة بتحصل في كل بيت

_ مشكلة إيه اللي تخليكي تجيبي شنطة هدومك وتاجي البيت هنا ويبقى

منظركم إنتوا الأتنين كدا

لم تجيب عليه أو بالأحرى لم تعرف بماذا تجيب فوجدته يستكمل بنبرة أكثر حدة :

_ أنا بكلمك ياسارة اخلصي انتطقي في إيه ، مش أنا وأبوكي وجدك من إمبارح بنحاول نفهم منك في إيه وإنتي مش عايزة تتكلمي

هزت قدميها بشدة كدليل على توترها ولم يطاوعها قلبها ولسانها بأن تقول الحقيقة لهم حتى وإن كانت غاضبة منه فهذا لا يعني أن تخبر الجميع بذلك الأمر فمن واجبها تجاه زوجها أن تستر على أخطائه ولا تخرج أسرار منزلهم للعامة ، فاخترعت قصة وقالت :

_ أنا وهو اتخانقنا على موضوع كدا أنا اللي غلطانة فيه وعصبته وخليته يفقد أعصابه لغاية ما مد إيده عليا وأنا عشان كدا مرضيتش أقعد في البيت وجيت هنا

رفع حاجبه الأيسر بشك ثم قال بصرامة :

_ متأكدة ، أصل مراد أنا عارفه كويس وميبقاش بالمنظر ده إلا لما تكون مشكلة كبيرة

_ ما هو مدايق إنه مد إيده عليا وفي نفس متعصب من اللي قولته وحاول يصالحني وأنا رفضت عشان كدا هو متعصب ، المهم إنتوا متكلمهوش ولا تحاول تحل الموضوع لما هو يكلمك أبقى سعتها نشوف

_ نشوف إيه ؟!

قالها متعجبًا فقالت بجفاء :

_ أشوف هرجع معاه ولا لا لإني ناوية أربيه شوية ؛ لإن مهما كان ميمدش إيده عليا

صاح بها منفعلاً :

_ إنتي مش لسا قايلة إن إنتي اللي عصبتيه وإنتي اللي غلطانة !!

_ حتى لو غلطانة يا ريان ميمدش إيده عليا

زفر أنفاسه بانفعال هادر ثم قال بوعيد :

_ لعلمك كلامك ده مدخلش دماغي عشان عارفة ليه ؛ عشان أنا عارف مراد ومستحيل يعمل كدا ، ولو عمل كدا فعلاً ومد إيده عليكي يبقى ليا كلام تاني معاه

أشاحت بوجهها بعيدًا عنه وكأنها تهرب من نظراته فهب هو واقفًا وغادر ، فتنفست هي الصعداء بارتياح .

***

مرت أيام قليلة ومازالت علاقة كل من ريان وزمردة على نفس الوتيرة وكذلك مراد وسارة ، وفي أحد الأيام كان كل من سارة وأسمى أمام مقر شركة الصاوي فقالت سارة باستغراب :

_ في إيه يا أسمى إنتي ليه جايبانا هنا

قالت أسمى متوسلة :

_ معلش يا سارة هطلع أسلم على مروان بسرعة وهرجع والله لينا فترة مبنشوفش بعض أكمنه مشغول ، استنيني هنا في العربية وأنا ربع ساعة بالكتير وهرجعلك

ضحكت سارة بقوة ثم قالت بلؤم :

_ طيب ياختي روحي بس متتأخريش ، مش حضرتك بتحبي فوق وأنا أبقى قاعدة بتحمص هنا

_ حاضر

قالتها ضاحكة ثم اندفعت إلى الداخل قاصدة مكتب زوجها ، فتحت الباب ببطئ ثم دخلت فوجدته يجلس على مقعده ويرجع برأسه للخلف مغمضًا عيناه وعندما أحس بفتحة الباب قال :

_ أنا مش قولتلك مدخليش حد

ابتسمت برقة ثم تقدمت نحوه والّتفت من خلفه لتقف وائه تمامًا وتمد يديها لتضع كل يد على جانب من رأسه لكي تدلكها له وتزيل عنه بعض الارهاق والألم ، فوجدته بعنف يمسك يديها ويفتح عيناه ثم ينتصب في جلسته ظنًا منه أن ما تفعل هكذا هي السكارتيرة الخاصة به ، وكان مستعد لكي يلقنها درسًا لن تنساه على تجاوزها حدودها ، ولكن دهش بأنها زوجته فعادت ملامحه هادئة مجددًا ولاحت ابتسامة عاشقة على شفتيه ثم نظر إلى يديها الذي يقبض عليهم فلانت لمسته وانحنى ليقبلهم ثم وضعهم على رأسه مجددًا وأغمض عينه متمتمًا بهدوء :

_ ليه مقولتيش إنك جاية ؟!

قالت باسمة :

_ عادي أنا مكنتش مخططة إني أجي أساسًا بس كنت معدية أنا وسارة

كنا بنشتري حجات فقولت أما أجي أسلم عليك بما إنك مبتسألش عليا غير بالتلفون ياندل

اسعت ابتسامته ليمسك بأحدى يديها مجددًا ويقربها من شفتيه يقبلها مجددًا ثم يقول بصوت ينسدل كالحرير ناعمًا :

_ والله ياحبيبتي محدش فينا فاضي نهائي مش أنا بس ده حتى أُسيد ومراد وريان وأكتر واحد متبهدل فينا اليومين دول أُسيد بيرجع بيته آخر الليل

قالت بنبرة رزينة في تفهم ويداها مازالت تعمل على رأسه وتتحرك بمهارة على جانبي رأسه فتجعله يشعر بالراحة ويتلذذ بها :

_ عارفة عارفة يامروان أنا بهزر معاك إنت صدقت علطول ، ربنا معاكم ياحبيبي

فتح عيناه وقال بخبث بدأت تعتاد عليه منه :

_ قوليلي بقى أشتريتي إيه إنتي وسارة ؟!

وكالعادة هي عندما تخجل منه تتحول إلى قطة شرسة وتخرج كلمات كالخجارة من فمها :

_ أشتريت سم عشان أحطهولك في الأكل وأخلص من سفالتك

تأججت ضحكاته الرجولية في أرجاء المكتب ليقول من بينهم في استمتاع :

_ متخافيش حتى أنا وبموت مش هريحك منها سفالتي

نقلت وجهها للجهة الأخرى وهي تبتسم رغمًا عنها قائلاً بنفاذ صبر :

_ مفيش فايدة فيك والله

***

ترجلت سارة من السيارة بعد تفكير عميق وقادت خطواتها تجاه مكتبه ولكن قبل أن تدخل اعترت السكارتيرة طريقها وقالت برسمية :

_ رايحة فين حضرتك

قالت سارة بصرامة ونظرة متفحصة لملابسها :

_ داخلة لمراد بيه ، أنا مراته

قالت بنفس النبرة :

_ معلش يامدام بس مراد حاليًا مشغول ومعاه ضيفة وقالي مدخليش حد

لغاية ما تخلص المقابلة

غلت الدماء في عروقها وأصبحت كوحش ثائر عندما سمعت منها هذا الكلام وأنه مع امرأة بالداخل ويطلب منها عدم دخول أحد ، فلم تنتظر حتى للتحدث معها مجددًا دفعتها وفتحت الباب على مصراعيه وهي تكاد تفتك بهم فوجدته جالس على الأريكة وهي بجواره وأمامهم كومة كليرة من أوراق الأعمال ويتحدثون بأهمية شديدة حولهم ، وكان هو صارم في نظراته وحديثه معها ، ولكن بالرغم من هذا فلم تهدأ نيرانها أيضًا ، تطلع مراد لها بدهشة ثم وقف وقال متعجبًا :

_ سارة !!

تطلعت إلى تلك الفتاة بقرف ثم قالت بغرور :

_ عايزة أتكلم معاك على انفراد

نظرت تلك الفتاة إلى مراد ثم قالت على استيحاء :

_ طيب أنا هستناك برا يا مراد

لفت انتباه سارة نطقها لأسمه هكذا وكأنها تعرفه منذ سنوات فرمقتها شرزًا وهي تغادر وفور مغادرتها اقترب هو منها واغلق الباب ثم وقف

أمامها وقال بهدوء :

_ حصل حاجة ولا إيه ! ، ليه جاية ؟

تجاهلت سؤاله وقالت بغيرة واضحة في اغتياظ :

_ ممكن تفهمني هو إيه الشغل المهم ده اللي يخليك تقول للسكرتيرة مدخليش حد لغاية ما نخلص

بقدر ما فرح لغيرتها عليه بقدر ما غضب لعدم ثقتها به وأنه يقترب من امرأة غيرها ، فقال بنعومة بسيطة محاولاً التغلب على غضبه وخلق جو مرح بينهم :

_ إنتي غيرانة ولا إيه ؟!

قالت بجفاء في سخط :

_ أكيد لا ، بس عندي فضول أعرف إيه هو الشغل ده !

مسح على شعره بضيق جلي ثم هتف وهو يبتعد عنها :

_ إنتي عايزة تسمعي إيه بظبط يا سارة ، إننا كنا بنعمل حاجة غلط

_ أنا مقولتش كدا أنا بسألك سؤال واضح

صاح بها في انفعال هادر جعلها تنتفض في أرضها :

_ وهو سؤالك ده لله وللوطن يعني ما قصدك حاجة أنا وإنتي عارفينها كويس ومتقوليش غيرة لإن في فرق بين الغيرة وبين الشك واللي إنتي بتعمليه ده شك مش غيرة ، عايزة تعرفي إيه يا سارة إني لسا ليا علاقات وإني بخونك ، أنا عندي استعداد أقولك فعلاً بعمل كدا لو ده هيريحك ويخليكي تبطلي تشكي فيا أنا بخونك يا سارة ارتحتي والبنت اللي كانت قاعدة دي مكناش في شغل لا كنا بنعمل حاجة تاني حاجة من اللي في دماغك ، ارتحتي كدا !!

غامت عيناها بالعبرات وقالت في مرارة وحزن جلي :

_ آه ارتحت يامراد ويارب تكون إنت كمان مرتاح

أجابها ساخرًا في ألم :

_ لا أنا مرتاح جدًا متقلقيش حتى بصي على شكلي إزاي مبسوط وحياتي ماشية زي الفل

هطلت عبراتها على وجنتيها غزيرة ورمقته بنظرة معاتبة وحزينة ثم اندفعت إلى خارج المكتب ومن إلى خارج الشركة بأكملها ، أما هو فلم

يستطيع السيطرة على جموح أفعاله وظل يضرب بيده وقدمه الحائط هاتفًا باغتياظ :

_ ماشي يا سارة براحتك خالص

***

إجابت على الهاتف بعد تفكير طويل قائلة :

_ أيوة ياريان

_ جهزي نفسك وانزلي تحت هتلاقي عربية مستنياكي اركبي وهتجيبك لغاية عندي

أصابها الريبة والدهشة وقالت مغتاظة :

_ عربية إيه وتجيبني عندك ليه أساسًا

قال بصوت رجولي صارم :

_ مش عايزة تشوفي نهلة قبل ما أسلمها للشرطة

اتسعت عيناها وقالت بذهول في سعادة :

_ بجد يا ريان لقيتها ، طيب أنا هلبس دلوقتي حالاً وجاية

_ ماشي يلا مستنيكي

دقائق طويلة حتى وجدها أتت إليه داخل أحد الأماكن المهجورة وهو يقف ثابتًا وهي مكبلة بالحبال في الأرضية ، وعندما رأتها تمثلت أمامها صورة زوجها وهو يقع أمامها غريقًا في دمائه ولم تستكع حتى مساعدته ، فسالت دموعها بغزارة على وجنتيها ولم تفق إلا على صوت ريان الذي قال بجانب أذنها في همس جميل :

_ أنا مخلتكيش تشوفيها عشان تبكي قدامها كدا أنا جبتك عشان تعملي فيها اللي إنتي عايزاه

نظرت له وقالت مبتسمة في توعد :

_ أنا لو هعمل فيها اللي أنا عايزاه فهيكون القتل بس ميشرفنيش أدخل السجن في وحدة قذرة زي دي

قالت جملتها الأخيرة وأندفعت نحوها توجه لها الصفعات المتتالية على وجهها بكل ما أوتيت إليها من قوة حتى سالت دماء فمها وفمها ، فكبل ريان يديها بعدما شعر بإرهاقها من كثرة الضرب وقال بخشونة :

_ كفاية يازمردة خلاص

صرخت به باكية في انهيار :

_ لا مش كفاية ياريان قصاد اللي عملته مع عبدالرحمن عملك إيه هو يا حيوانة هاا منك لله ياشيخة ، سرقتيه مني وهو في حضني

همس لها بهمس ساحر ونبرة لها أثرها في نفسها حيث جعلتها تهدأ تدريجيًا :

_ زمردة اهدي خلاص عشان خاطري مينفعش كدا ، إنتي كدا بتبينليها إنها نجحت في اللي عملته

تحدثت تلك الشمطاء قائلة :

_ ولو رجع الزمن بيا تاني كنت هقتله تاني

بتلك الكلمة أثارت غيظه هو هذه المرة فوجه له صفعة ابرحتها أرضًا وأفقدتها وعيها ثم تحدث إلى رجاله قائلاً :

_ خلوا بالكم عليها وإياكم تهربوا منها وإلا إنتوا عارفين هيحصل فيكم إيه

ثم أشار إلى زمردة بأن تسير معه فسارت معه ببطئ وهي تبكي بصمت

حتى صعدت بسيارته بجواره ليتمتم هو بحنان :

_ مش كفاية بكى ولا إيه !

أماءت له بالإيجاب ثم مسحت عبراتها برقة فوجدته يستكمل في تشويق لمعرفة الجواب :

_ إنتي لغاية دلوقتي مردتيش على مروان ، موافقة ولا لا يازمردة

طالعته بصمت قاتل للحظات ثم تفوهت بها بقسوة جعلته ينصدم :

_ مش موافقة ياريان

الفصل السابع والثلاثون (والأخير)

طالعته بصمت قاتل للحظات ثم تفوهت بها بقسوة جعلته ينصدم :

_ مش موافقة ياريان

في الواقع لم تكن صدمته بقدر تقبله للوضع فهو كان يضع احتمال ولو واحد قي المئة أنها سترفض ، فتنهد بخزي وهز رأسه بتفهم ثم هم بأن يحرك محركات السيارة حتى يذهب ويصلها إلى منزلها ، أما هي فتطلعت إليه مبتسمة ثم قالت برقة :

_ هو عشان أكون صريحة أكتر أنا مش موافقة في حالة واحدة بس !

أبعد يده عن محرك السيارة والتفت ينظر لها بتشويق لمعرفة ماهو هذا السبب فهتفت هي برزانة :

_ لو إنت عملت كدا وجبت نهلة عشان ترضيني وتخليني أوافق مش عشان تاخد حق أخوك

تنهد بارتياح أن ذلك الشرط كان هذا وتفرش ملامحها ثم قال بنبرة رجولية لا تحمل المزح :

_ أنا لما مسكت نهلة وجبتها كان السبب الأساسي في كدا إني أخد خث

أخويا اللي قطعت وعد على نفسي من ساعة ما عرفت إني أخد حقه والسبب التاني عشان أوفي بوعدي ليكي لما قولتلك همسكها وهجيبك تشوفيها وتعملي فيها اللي إنتي عايزاه

رأت في عيناه الصدق فغضت نظرها عنه وصمتت لبرهة من الوقت ثم قالت في رقة :

_ تمام وأنا بلغي الكلام اللي قولته من شوية وبقولك موافقة ياريان بيه

لاحت على ثغره ابتسامة رائعة وهو يتطلع لها بعشق ، دام تأمله لها لحظات طويلة حتى قالت وهي تشير بعيناها إلى المقود قائلة في نعومة :

_ هنقعد هنا كتير ولا إيه ؟!

أظهر عن أسنانه البيضاء ثم اعتدل في جلسته وحرك محرك السيارة لينطلق بها ، وهي تخطف نظرات إليه بابتسامة واسعة كلما تتذكر ملامح وجهه عندما قالت أنها موافقة وكيف كان يحدق بها مبتسمًا ببلاهة ، قطعت الصمت الذي بينهما قائلة في جدية :

_ أبقى روح قول لمروان إني قولتلك إني موافقة عشان سعتها تبقى بوظت كل حاجة

قال ضاحكًا :

_ وهو حد قالك إني غبي للدرجة دي ! ، ده أنا هتصل بيه بكرة وهسأله ردت عليك بإيه ست الحسن وكأني معرفش حاجة لا وهفرح كمان كأني أول مرة أسمع منه ده

أجابت بضحك :

_ طيب كويس استمر على كدا !

***

في المساء كانت تقف في المطبخ تقوم بتحضير الطعام بينما هو بالخارج كان يتحدث مع ليلى وعند انتهاء حديثهم أخبرته بأنها في المطبخ فذهب لها فورًا وتسلل من خلفها ببطء وحذر ثم صاح من خلفها قائلاً :

_ أسمى !

انتفضت واقفة والتفتت له فورًا وصرخت به منفعلة :

_ إيه يامروان الجنان ده وبعدين إنت إمتى جيت أساسًا ومقولتليش ليه ؟

استدار وهو يستعد للرحيل هاتفًا مبتسمًا :

_ أمشي يعني تاني !

قبضت على يده وهمهمت بحياء في رقة أنوثية :

_ لا متمشيش ، وحشتني !

قال شبه ضاحكًا :

_ إيه الكدب ده هتروحي فين من ربنا ، ده احنا لسا كنا الصبح مع بعض لحقت أوحشك يافشارة

قال في براءة جميلة :

_ على فكرة بتكلم جد !

نظر خلفه ليتأكد من عدم وجود أحد ثم مد يده إلى خصرها وجذبها إليه هامسًا بلؤم :

_ أثبتي طيب !

_ مروان في إيه الله أبعد !

قالتها باستحياء شديد وقد تحمرت وجنتيها أما هو فقال بخبث أكثر :

_ مش قبل ما تثبتي صحة كلامك

نظرت له بخبث وقالت بتحذير :

_ مروان !

_ يلا أنا مستني وريني هتثبتيلي إزاي إني وحشتك

ابتسمت بمكر ثم صاحت فجأة :

_ ياماما

وضع يده على فمها في اغتياظ فزاحت يده وقالت في تشفي ضاحكة :

_ إيه إنت مش عايزني أثبتلك أديني بثبتلك أهو

تركها ثم قال بغرور :

_ طيب براحتك كنت ناوي أقولك على المفاجأة اللي أنا جيت عشانها بس واضح إنك ملكيش في الطيب نصيب

_ مفاجأة إيه ؟!

قالتها بحماس فأشار هو إلى وجنته بنظرات شيطانية فزفرت قائلة

بتوعد :

_ ماشي يامروان بس لو طلعت بتضحك عليا ومفيش مفاجأة ولا حاجة هخنقك

جلس على المقعد بافتخار منتظر قدومها لتقبله من وجنته ، ليحصل على نوياه الخبيثة التي كانت هي تعلمها جيدًا وتأخذ حذرها عندما اقتربت منه وبمجرد أن لامست شفتيها جلد وجنته وجدته يلتفت لها فورًا لكي يلتقط هذين الشفتين فابتعدت وقالت في مكر :

_ مش أنا اللي يتضحك عليا ياحبيبي ، فاكرني هبلة !

قال في نبرة شبه مغتاظة :

_ لا إنتي خنتي الاتفاق كدا !

ابتسمت ساخرة وهي تقول بضحك :

_ ده على أساس إن إنت طلعت شريف أوي يعني ، ما أنت طلعت سافل ونواياك زبالة بس على مين ! ، اخلص يلا قولي المفاجأة

قهقه بقوة على هذه المجنونة التي لا تختلف عنه وأخرج من جيبه تذكرتين لرحلة إلى لندن هاتفًا في حنان :

_ جهزي نفسك بقى بعد الفرح عشان هناخد شهر العسل في لندن

تطلعت إلى التذاكر وإليه بذهول للحظات حاى قالت بعدم تصديق :

_ قول والله بتتكلم جد يا مروان

_ والله بتكلم جد ياسمسمتي !

أظهرت عن صف أسنانها البيضاء في سعادة غامرة وبتلقائية كانت تنحني إليه معانقة إياه في عشق هاتفة :

_ أنا بحبك أوي يامروان !

تشبت بها ودفن وجهه بين ثنايا عنقها هامسًا بهيام :

_ وأنا كمان ياروح مروان

***

عاد إلى المنزل بعد يوم شاق وطويل في العمل وهو لا يشتطيع حتى الوقوف على قدمه من فرط إرهاقه فنزع حذائه عنه وألقى بجسده على الأريكة المقابلة لباب المنزل فورًا مغمضًا عيناه في تعب ، مر دقائق طويلة ولم يسمع لزوجته أي صوت فاعتقد في بداية الأمر أنها نائمة فهب

واقفًا واتجه نحو غرفته ليتسطح بجوارها ويأخذ هو الآخر حصته من النوم والراحة ، ولكن لم يجدها فقطب حاجبه باستغراب وصاح مناديًا عليها :

_ ملاك

فلم يجد منها رد فتسلل الخوف والقلق لقلبه واندفع خارج الغرفة يبحث عنها في المنزل فذهل بها ملقية على أرضية المطبخ فاقدة وعيها ، فتسنر مكانه لثواني ولكن سرعان ما أسرع إليها وحملها ثم أتجه بها نحو الغرفة ليضعها على الفراش ثم جلب عطره وقربه من أنفها ففتحت هي عيناها تدريجيًا وتطلعت له وصورته تملثت أمامها مشوشة حتى صوته الذي كان ياحدثها به قائلاً :

_ ملاك إنتي كويسة ياحبيبتي

استغرق الوقت لحظات طويلة حتى أدركت أن ما أمامها زوجها وأدركت كلامته فأجابت بصوت ضعيف :

_ كويسة يا أسيد متقلقش

_ مقلقش إزاي !! ، حصل إيه معاكي

اعتدلت في جلستها قليلاً بعد أن استعادت أدراكها كاملاً وبعض من نشاطها وتمتمت :

_ معرفش والله أنا كنت بعمل الأكل عشان لنا تاجي ناكل مع بعض ومرة وحدة دوخت جامد وبعد كدا مش فاكرة حصل إيه

تنهد الصعداء بضيق ثم قال :

_ بتاكلي اللي قالتلك عليه الدكتورة عشان الدوخة دي وعشان لو في أنيميا تروح

وقفت الكلمات في حلقها ولم تعرف بماذا تجيبه فإن أجابت بكلا فسوف تتعرض لبطش عنيف منه وإن قالت نعم فحتمًا سيكشف أمرها وسيعرف أنها كذبت عليه ، فلم تجد حلاً أفضل من الصمت الذي كان بمثابة قولها لا بالنسبة له فصرخ بها في اغتياظ :

_ وبعدين معاكي يعني !! ، هو إنتي طفل صغير مش عارف مصلحته ولا لازم أنا اللي آجي وأقولك كلي ده ومتكليش ده وأعملي ده ومتعمليش ده ، في إيه ياملاك !! مصممة تنرفزيني عليكي ليه ، أنا مش عارف إنتي باعية صحتك ولا بايعة أبنك ولا بايعة الأتنين مع بعض ، مش فاهم أنا في إيه معاكي !

أطرقت أرضًا بحزن وشجن ثم همست بصوت يغالبه البكاء :

_ يتزعقلي كدا ليه يا أُسيد !

أكمل صراخه بها في انفعال أشد :

_ المفروض أعملك إيه يعني ، ما أنا أتكلمت معاحي مليون مرة بالحسنة وحاولت أفهمك إن أهمالك ده هيوديكي في داهية ومفيش فايدة فيكي برضوا

غمغمت في أعين تجمعت بها الدموع :

_ حاضر يا أُسيد أنا آسفة

_ أمممم حاضر ، كلام بس من غير أفعال !

قالت وقت فرت من عيناها دمعة متمردة :

_ خلاص والله هعمل اللي هتقولي عليه من هنا ورايح ومش هههمل نفسي

زفر بخنق عندما رأى عبراتها فمهما كان غضبه منها فآخر شيء يريده أن يراه هو عبراتها فاقترب منها أكثر ومد يده ليمسح بأنامله عبراتها

هامسًا بحنان :

_ دايما بتجبريني أتعصب عليكي وفي الآخر بتعيطي وإنتي عارفة إني مبستحملش دموعك ، إيه لزمته ده من الأول بس

نظرت له مبتسمة وقالت برقة :

_ أنا قولتهالك قبل كدا ، مبزعلش من عصبيتك عليا لما تكون خايف عليا أو أكون أنا اللي غلطانة ، ولما بعيط بعيط ؛ لإني بخاف منك وإنت متعصب وبخاف من صوتك بس مش أكتر من كدا

قالت آخر جملة بطفولية جعلته يقهقه بقوة ثم يجيبها بنعومة :

_ طيب بما إنك بتخافي من عصبيتي بقى يبقى متخلنيش أتعصب سواء كان بسبب خوفي عليكي أو بسبب أي حاجة تاني

أماءت له بالموافقة في حب فوجدته يمد يده ليضعها على أحشائها هامسًا في سعادة نابعة من أعماق قلبه :

_ واضح إن القرد ده هيتعبك ويتعبني معاه لغاية ما ياجي ، بس مش مشكله تعبه راحة طلاما هياجي بصحة وسلامة إن شاء الله وإنتي تقوميلي بسلامة

_ إن شاء الله

***

في صباح اليوم التالي .....

كان كل من سارة وزمردة وأسمى بتسوقون لشراء بعض التجهيزات لزفاف كل منهم وسارة تساعدهم في هذا ، وفور انتهائهم ، جلسوا في أحد المقاهي ليأخذوا قسطًا من الراحة ، وبينما كانت أسمى تشارك زمردة في الكلام كانت سارة في عالم آخر لا تشعر بأي شيء يقولونه ، فنظرت أسمى إلى زمردة بنظرة فهمتها ثم نهضت من جانبهم وذهبا في منطقة بعيدة عن أنظارهم وأجرت اتصال بأخيها .

أجاب على الهاتف في عجلة قائلاً :

_ أيوة يا أسمى في إيه ؟!

_ إنت فين يا مراد ؟

_ في الشركة ، ليه ؟!

ألقت نظرة إلى سارة ثم قالت في هدوء تام :

_ طيب تعالى خدني أنا بشتري شوية حجات في السوق

قال في جدية :

_ إنتي وحدك ولا معاكي حد

_ أنا وزمردة بس

هتف على عجلة من أمره :

_ طيب اتصلي بمروان خليه ياجي ياخدكم أو خدوا تاكسي يا أسمى أنا مش فاضي

أجابته في توسل مخترعة بعض الحجج :

_ مروان اتصلت بيه وقالي مش فاضي برضوا خالص ، والصراحة أنا وزمردة صرفنا كل الفلوس ومعناش حتى فلوس نركب بيها تاكسي ومش هينفع نركب مواصلات واحنا معانا كل الشيل دي ، تعالى يلا يامراد

زفر زفيرًا حارًا بنفاذ صبر قبل أن يقول :

_ ماشي يا أسمى جايلكم

ابتسمت في انتصار هاتفة :

_ تمام يلا مستنينك

عادت لهم من جديد وهي تتطلع لزمردة بابتسامة فهمت عي معناها وواصلوا التحدث حتى قدومه وعندما لمحت أسمى سيارته تقف أمام المقهي هبت واقفة فورًا وقالت :

_ أنا هروح الحمام تعالى معايا يازمردة ، مش هنتأخر يا سارة

أماءت لهم بموافقة في سكون واستمرت في التحديق أمامها بشرود حتى سمعت صوته بعد دقائق بقول :

_ بتعملي إيه هنا ؟!

نظرت له فورًا وتطلعت حولها في عدم فهم لما يحدث ثم طرحت عليه نفس السؤال في خفوت :

_ إنت اللي بتعمل إيه هنا ؟!

لوى فمه بانزعاج ثم جلس على المقعد المقابل لها وأردف بصوت رجولي حازم :

_ أسمى وزمردة فين أمال ؟

ران الصمت عليها للحظات حتى استطاعت فهم الأمر وتوعدت لهم بداخلها ثم قالت بامتعاض :

_ أسمى قالت هروح الحمام وأخدت زمردة معاها بس بعد ما شوفتك أشك في إنها عايزة تروح الحمام فعلاً

فهم هو الآخر ما ترمي إليه وبقى جالسًا في صمت ينتظر قدومهم ، فلم يتمكن من الصمود أمامها وقال قاصدًا إثارة سخطها :

_ أعملي حسابك بعد فرح أسمى هتوصلك ورقة طلاقك وكل حاجة هتخلص زي ما بدأت

لاحت ابتسامة مريرة على محياها وهي تقول :

_ للدرجة دي بايعني ومش فارقة معاك

قال بقسوة أتقن تمثيلها :

_ مش ده قرارك وطلبك ! ، ثم إني مش أنا اللي مش فارق معايا ده إنتي اللي لا فارق معاكي أنا ولا إنتي ولا علاقتنا ولا حياتنا ولا أي حاجة

هبت واقفة وقالت باكية :

_ صح عندك حق إنت مش فارق معايا أنا اللي فارق معايا بس حاليًا هو أنا وابني اللي جاي

هب هو الآخر واقفًا وقبض على ذراعها هاتفًا في صوت رجولي حازم وقوي :

_ ابنك إزاي يعني ؟!!

دفعت يده عنها وقالت في نظرة قوية :

_ زي ما سمعت كدا أنا حامل يامراد

قالت جملتها الآخيرة ورحلت فورًا تاركة إياه في صدمته ، حتى أنها لم تترك له فرصة يُعبّر لها عن سعادته بهذا الخبر حتى وإن كان قيل في معاد ليس مناسب ، أما على الجهة الأخرى قالت زمردة ساخرة :

_ فالحة ياختي جيتي تعدليها نيلّتيها أكتر ، أنا هروح الحق سارة وإنتي شوفي مراد

أماءت له موافقة في يأس .. اندفعت الأخرى خلف سارة وأوقفتها قائلة :

_ سارة رايحة فين كدا بس استنى هنمشي مع بعض

صاحت به في غضب وبكاء :

_ أنا مش همشي مع مراد يا زمردة فاهمة

_ طيب طيب مش هنمشي مع مراد وتعالي أنا وإنتي نمشي ونروح البيت عندينا لغاية ما ياجي ريان بليل وياخدك عشان يوديكي البيت

صمتت كدليل على موافقتها فطلبت منها زمردة أن تنتظرها حتى تجلب أشيائها وعندما ذهبت لهم وجدته يقول لها باهتمام :

_ فينها ؟!

_ مستنياني برا صممت إنها مش هتمشي معانا لو هنمشي معاك فهاخدها ونروح بيتنا لغاية ما ياجي ريان بليل ، وإنت ما شاء الله عليك بدل ما تعدلها خربتها أكتر زي أختك

قالت آخر جملة وهرولت لها تاركة إياه نادمًا على ما قاله ربما إن كان حاول هذه المرة معها لكانت سامحته ولكنه جعل الأمور أكثر تعقيدًا كما قالت .....

***

غابت الشمس وارتفع ضوء القمر في الأرجاء وسكون تام يعم على البعض ، لا لم يمن سمون بل شجون وأحزان تجعلهم في حالة صدمة لا يفعلون شيء سوى النظر والمتابعة في صمت .

أجابت زمردة على الهاتف بتلهف قائلة في رقة :

_ أيوة ياريان فينك ده كله

_ هي سارة صاحية ولا نامت

أجابته في ضيق :

_ صاحية بس قاعدة في الأوضة وساكتة كالعادة والله أنا مبقتش عارفة في إيه ياريان ده أنا قعدت ساعة احاول أعرف منها حصل إيه بينها وبين مراد مش عايزة تقولي كل اللي بتقوله إنهم اتخانقوا وخلاص

قال في استياء بسيط بعد أن تذكر ما قاله له مراد وما أخبره به عندما احتجزه في مكتبه بالشركة ولم يتركه يذهب إلا عندما يخبره بكل شيء وماسبب شجارهم فأخبره ، وكيف كانت ردة فعله في البداية عنيفة معه ولكن هدأت تدريجيًا عندما أحس أنه صادق في قوله أنه نادم على ما فعل وذلك الأمر كان منذ فترة طويلة ومضت ، ولكنه قال أنه لن يتدخل بينهم وإن ظلت شقيقته مصرة على أمر الطلاق فسيطلقها فورًا وإلا سينال

عقابه منه هو :

_ سبيها يازمردة متتعبيش نفسك معاها مش هتقولك ، خليهم يحلوا مشاكلهم مع بعض

قالت في خفوت :

_ طيب إنت مش هتاجي تاخدها ولا إيه ؟!

_ جاي هلبس دلوقاي وهاجي ، المهم قوليلي قولتي إيه لمروان لما سألك

ضحكت بخفة قائلة :

_ إنت مصمم تفكرني بكدبي عليه !

بادلها الضحك هاتفًا :

_ لا حابب أعرف بس قولتيلوا إيه ؟

_ يعني عملت نفسي إني موافقة كدا والسلام عشان بس خالتي هي اللي قعدت تزن عليا ووافقي ومعرفش إيه ، لا وقولتلوا موافقة من غير نفس كأن حد غاصبني على كدا

تأججت ضحكته الرجولية وهتف بمداعبة :

_ يااااه بتخيل مروان هيعمل إيه لو عرف الفيلم ده

قالت بمكر في شجاعة :

_ مش عيعملي حاجة لإن هقول ريان هو اللي خطط مش أنا وأنا مليش دعوة بالموضوع

أردفي في دهشة مزيفة بابتسامة واسعة :

_ الله ، بعتيني عند أول محطة كدا !

_ أمال إنت فاكر إيه ، نفسي نفسي

قال متوعدًا في خبث :

_ طيب ياسكر هنشوف نفسك دي بعدين هتقول إيه

ارتفعت صوت ضحكاتها ثم أنهت معه الاتصال وشرع هو في ارتداء ملابسه .....

***

دخلت إلى الغرفة بعد أن أنهت كل شيء فوجدته نائم في الفراش بسكون جميل ، اقتربت منه وجلست بجواره على الفراش تتأمله بعشق زارف ، متذكرة كيف كان شعورها عندما رأته أول مرة في منزل أكرم ، كيف كانت قلقة وخائفة منه وكانت متشبتة بريان كأنه الدرع الحامي لها منه ، شعورها وجسدها الذي مان ينتفض من الخوف عندما بقيت معه في السيارة وثم نزلت أمام منزلهم ورفض ذهابها في الليل بمفردها . زواجه منها الذي كان بالفعل يثير اهتمام أي شخص ، رجلاً زوجته توفت من وقت قريب ويشرع بالزواج بأخرى ، وما يثير أكثر أنه كان يعشقها حد الجنون ، ولكنه تناسي هذا وقرر الزواج منها بهدف حمايتها ، كانت تتوقع بكل سهولة أن معاملته ستكون قاسية لها بما إنها وافقت على الزواج منه وهي تعرف أنه لا يحبها ولكنه أظهر لها العكس ، من أفعاله معها وطريقته اللطيفة والحنونة في تعامله معها جعلتها تشك بأنه يحبها ، ربما كان هذا هو السبب الذي دفعها لحبه والذي جعلها تعشقه .. معاملته الطيبة برغم كل شيء ، ولكنها نجحت في النهاية بأن تجعله عاشقًا لها ، أن تخضعه لحبها وتتولى عرش قلبه ، نجحت في أن تجمع باقيا وأشلاء قلبها الممزق مع أشلاء قلبه الممزقة ليشكلوا قلبًا جديدًا يحمل روحين إن انفصلا عن بعضهم حتمًا أحدهم سيموت ! .

مدت يدها الرقيقة تخللها بين خصلات شعره السوداء فتنحرف يدها لتسير

في طريقها على وجنته ثم أخيرًا تستقر في مكانها المفضل ، لحيته ، حيث أخذت تعبث بها كما تعبث بشعره برفق كي لا توقظه ، متطلعة إلى ملامحه الهادئة . فابتسمت رغمًا عنها عندما همست نفسها " ليتك تبقى هادئًا هكذا دومًا دون غضبك الذي يجعلك كوحش فُتحَ له القفص فانطلق على الجميع بدون رحمة "

انحنت وتسطخت بجواره واضعة رأسها على صدر مغمضة عيناها باسترخاء ، احس بس عندما أنضمت لأحضانه ففتح نصف عينه ولف ذراعه حولها يضمها أكثر متمتمًا بصوت منخفض :

_ إنتي لسا صاحية !

أجابته بتلقائية :

_ خلصت اللي ورايا وهنام

فتح عيناه جيدًا وقال بحدة :

_ هو إيه اللي وراكي ده ؟!

لوت فمها باغتياظ من لسانها الذي تحدث وقالت في ابتسامة واسعة :

_ أصل إنت بعد ما نمت أنا قعدت أسمع فيلم على التلفزيون ولما خلص جيت أنام

ندى محمود

_ ياسلام !

صمتت ولم تجيبه فقال هو مغتاظًا :

_ إنتي فكراني عبيط يعني ، كنتي بتعملي إيه في المطبخ الزفت ده بليل ، إنتي مبتعرفيش تقعدي مكانك خالص

ابتعدت عنه وطالعته بقرف قائلة في خنق :

_ تصدق أنا غلطانة إني جيت جمبك أصلاً ، ياخي ده أنا مبقتش أقعد معاك في مكان إلا وتزعق وتشبعني بكلامك العسل ده ، إنت شكلك متغاظ مني أكمني حارقة دمك علطول ولقيت الحمل حجة أي حاجة أعملها تزعق معايا ، شوية كمان ولو قولتلك رايحة الحمام هتقولي أنا قولتلك إيه ياملاك يعني مبتسمعيش الكلام ليه وتقعد تسمعني نفس الاسطوانة

ارتفعت ضحكته الرجولية بقوة ثم أجابها باسمًا :

_ طيب وهو أنا زعقت دلوقتي !

قالت بسخرية :

_ لا أنا اللي زعقت ، أسيد بلاش برود أنا سكتالك على فكرة من بدري

ومستحملة عصبيتك عليا بس خلاص كفاية كدا ويارب أشوفك بتزعق فيا تاني

تحول وجهه فورًا وقال في نظرة قصفت الرعب في قلبها :

_ هتعملي إيه يعني لو زعقت !

انكمشت على نفسها وهزت أكتافها لأعلي قائلة في ابتسامة بلهاء وملامح توحي بخوفها :

_ ولا حاجة هقولك كمل زعيق تاني عادي ولا يهمك يا باشا ، ولو عايز تشتم كمان براحتك ، ده كان لساني ده يتقطع كدا قبل ما أرد واعترض على زعيقك ، أقولك حاجة كمل زعيق يلا إنت مش كنت بتزعق دلوقتي أنا أساسًا متربيتش واستاهل والله اسمع مني بس !

تحكم في نفسه بصعوبة شديدة في بداية الأمر ولكن فور انتهائها انفجر ضاحكًا بشدة فابتسمت هي على ضحكه بحب ثم وجدته يعيدها حيث كانت من جديد مقبلاً شعرها هامسًا في حنان امتزج بالمرح :

_ وأكمل زعيق ليه ياروحي ! ، إنتي آه مستفزة ومبتسمعيش الكلام بس خلاص أنا سلمت أمري لله وراضي بقضائه ، لإني واثق ميه في الميه إني عملت ذنب في حياتي خلاه يبتليني بيكي

قالت بحزن بسيط وهي تمط شفتيها للأمام :

_ كدا يا أُسيد !!

ضحك وقال في رزانة وحب :

_ ومين اللي فهمك إن الابتلاء وحش يا قلب أُسيد .. طيب ده إنتي احلى ابتلاء في حياتي ياسلام لو ربنا يبتليني كدا علطول

كالعتع مغتاظة وقالت :

_ لم نفسك هاا أنا فهمتك إنت قصدك كل شوية تتجوز وتلاقي وحدة شكل ، فهمتك أنا

طالعه بنفس نظرة القرف التي طالعته بها منذ قليل وقال وهو يفخض رأسها لأسفل كي تنام على صدره صامتة بدون كلام :

_ فهمتك إيه ، إنتي ولا فاهمة حاجة أساسًا وبتقولي نيلة على عينك ، اتخمدي نامي دايمًا حارقة دمي كدا

نظرت له ضاحكة بعد أن أخرجت لسانها لتثير غضبه وغيظه أكثر فطالعها مغتاظًا بالفعل فقهقهت بقول وقرصت وجنته بخفة هاتفة بنبرة ساحرة :

_ اللي يحبك يناكف فيك ياقلبي ! ، وأنا عشان بحبك بحب أناكف فيك وأغيظك فإنت خليك بارد كدا زي

حجب ابتسامته وقال بلهجة أمر :

_ نامي ياملاك !

طالعته بابتسامة طفولية جانبيه وهي تتلاعب بحواجبها فأرغمته على الابتسامة وهو مغلوب على أمره هامسًا بنفاذ صبر :

_ يارب رحمتك يارب ، استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه . نامي يابنت الناس الله لا يسيئك أنا مش ناقص عبط على آخر الليل ، نامي ياحبيبتي نامي

تثاوبت أمامها ثم قالت بصوت يغالبه النعاس :

_ شوفت إنت راجل ممل أساسًا جبتلي النوم ارتحت كدا !

قال شاكرًا ربه :

_ جالك النوم ! ، الف حمد وشكر ليك يارب يلا بقى نامي

وضعت رأسها على صدره وأغمضت عيناها هامسة :

_ هنام عشان أنا تعبت بس مش عشان خاطرك يعني

_ طاب الحمدلله المهم تنامي وتريحيني

أغمض عيناه ليكمل نومه وكذلك هي غاصت في ثبات عميق .

***

مرت الأيام سريعًا حتى جاء يوم زفاف مروان وأسمى وكان الجميع منشغلاً بشيء معين منذ صباح اليوم وفي النساء كان الحميع يستعد للحفل ، وكان مراد في منزله يستعد ويرتدي حلته .

فتحت سارة باب المنزل بحرص وأغلقته ببطء شديد حتى لا يشعر بها ، فهي قررت أن تنهي ذلك الشجار الذي طال بعدما لقنته درسًا لن ينساه على كذبها عليها وأخفائه لحقيقة مثل هذه عنها . دخلت الغرفة فوجدته انتهى من تسريح شعره ويهم بارتداء ربطة العنق خاصته وحين التفت ليلتقطها تصلب بأرضه بذهول ولوهلة اعتقد أن عقله خيل له صورتها أمامه من فرط تفكيره بها ، ران الصمت بينهم لدقائق حتى قالت هي مبتسمة :

_ مالك متنح كدا ليه !

_ إنتي دخلتي إزاي وجيتي إمتى ومع مين !

قالها بصدمة فأجابت بعدما اتسعت ابتسامتها :

_ ده بيتي وأكيد معايا المفتاح يعني ، أما جيت إمتي فجيت دلوقتي ووحدي ، أصل أنا سألت مرات عمي في البيت قالتلي إنك هنا فركبت تاكسي وجيت

وجدته مازال يقف متسمرًا فانحنت لتلتقط ربطة العنق من على الفراش واقتربت منه ثم لفتها حول عنقه وبدأت بربطها وهو يطالعها بذهول وداخله يقسم أنه يتخيل ، فما يحدث أمامه ليس مقنعًا ولا طبيعيًا ، ماذا حدث لها لتتحدث معه هكذا بطبيعية وكأن كل شيء لم يكن ، فأغمض عينه في محاولة منه لكي يفيق من تخيله هذا ، وفتح عينه بعد لحظات على أمل أن تختفي صورتها من أمامه ولكنها مازالت واقفة تقوم بربطة العنق خاصته . فقبض على ذراعها بقوة وقال :

_ هو في إيه ، أنا مش فاهم حاجة !؟

ابعدت يده بهدوء ثم قالت بصوت رخيم :

_ مفيش حاجة يا مراد أنا عرفاك مصدوم وده حقك ، بص هو أنا كنت فعلاً مصممة على الطلاق بس بعد ما روحت معاك عند ملاك واتكلمت أنا

وهي ، يعني قالتلي كلام اقنعتني وهو إن مفيش حد مبيغلطش وإن إنت كمان سامحتني على غلطي ووقفت جمبي قصاد بابا وجدي وساعدتني في إني اتخطي الحالة اللي أنا كنت فيها وإن من واجبي حاليًا إن اسامحك وأقف جمبك كمان ، أما بقى أنا ليه مجيتش وقولتلك إني مسمحاك طولة المدة دي وسكت لإني كنت عايزة أربيك شوية لإنك خبيت عني حاجة زي كدا وسبتني أعرف وحدي ، وكنا في كل مرة بنقعد فيها مع بعض بنتخانق وأنا بفقد اعصابي وإنت كذلك زي آخر مرة مع أسمى وزمردة ، ودلوقتي قولت كفاية كدا عليك وجيت أقولك إني مسمحاك

تأملها مبتسمًا في عشق زارف لدقائق في صمت حتى قالت وهي تلتفت لتذهب :

_ طيب واضح إن إنت زعلان ومش عايز ننهي الموضوع لم تحب بقى ننهيه أبقى قولي

قبض على ذراعها وجذبها له معانقًا إياها عناق حار في اشتياق ويستنشق رائحتها التي اشتاق لها ويقبل رأسها بحنان ثم دفن رأسه بين ثنايا عنقها مغمضًا عيناه في عشق هامسًا :

_ وحشتيني أوي ياسارة ، إنتي مش متخيلة أنا كنت إزاي في الشهر اللي عدى ده والله

غلغلت أصابعها بين خصلات شعره قائلة :

_ وأنا أصعب منك ، كنت ما بين مسمحاك وما بين مش قادرة أقولك لإني عايزة أقرص ودنك بس

_ ده إنتي تدخلي موسوعة جينس في القسوة ياشيخة ، تعبتيني وكرهتيني في حياتي وتقولي أقرص ودنك ، لما ده قرص أمال لو القطم بيبقى إزاي معاكي

قالت ضاحكة بعد أن ابتعدت عنه :

_ أكيد أصعب

انحنى وخطف قبلة صغيرة من شفتيها ثم وضع يده على أحشائها وقال مبتسمًا في سعادة :

_ يوم لما قولتيلي مدتنيش فرصة حتى أفرح بيه وكنت طول الفترة اللي فاتت قلقان عليكي وبخلي أسمى تسألك دايمًا وتعرف الأخبار وتاجي تقولي عشان أطمن ، وأنا اللي قولتلها تروح معاكي عند الدكتور عشان تاجي وتقولي قالك إيه وأعرف كل حاجة ، يعني أنا كنت في مرار والله وإنتي مش حاسة بيا

قالت في جفاء بسيط وتشفي :

_ عشان تتعلم متخبيش عني حاجة تاني مهما كانت

_ من ناحية أتعلمت فأنا اتعلمت فعلاً

اتسعت ابتسامتها وعادت مجددًا تعانقه لتخرج كل اشتياقها له في هذا العناق .

***

طرق الباب ثم دخل فوجدها تقف مبتسمة تنظر له بخجل وهي ترتدي فستان زفافها وأعلاه حجابها ، كم كانت جميلة ورقيقة كملكة جمال في نظره ، وجهها جميل وملامحها رقيقة لا تزينها سوى بعض مساحيق الجمال البسيطة . أطرقت أرضًا في استحياء وهي تراه يطول النظر إليها ويتأملها ، وأخيرًا بعد لحظات طويلة اقترب منها وأمسك برأسها ثم قبلها بنعومة هامسًا :

_ ربنا يخليكي ليا

رفعت نظرها له بأعين تسبح بها الدموع وبحركة تلقائية منها كانت تعانقه

وتجيبه بنبرة لا تختلف عنه :

_ ويخليك ليا ياحبيبي

دام عناقهم لدقائق حتى ابتعد عنها وانسك وجهها بين كفيه وهمس في مرحه الذي اعتادت عليه :

_ إيه رأيك نسافر بكرا ولا بعده

_ بكرا إيه يامروان إنت مجنون ده ، هتسيب فرح أختك وتسافر

قال ضاحكًا :

_ عادي إيه يعني ورايا مأمورية

رمقته بطرف عيناه في لؤم ثم قالت :

_ خلاص روح قول لريان كدا وشوفه هيقولك إيه ، عشان ما شاء الله ريان حبيبي لسانه متبري منه

تلقصت عضلات وجهه وأجابها في خشونة في زمجرة :

_ ريان إيه ياعنيا !!؟

أجابت بتوتر شديد :

_ ريان صديق الطفولة يعني أصل إنت عارف أنا وريان متربين مع بعض فهتلاقينا فريّ شوية

_ لا ياحبيبتي فري دي عند الست الوالدة ، عندي أنا لا فريّ ولا مفرفرش كل حاجة بحدود بينك وبين ريان

انفجرت ضاحكة بقوة وقالت من بين ضحكاتها :

_ لا فريّ ولا إيه ؟!

_ ولا مفرفرش ، مش وقت ضحك دلوقتي فاهمة

قالها بجدية جاهدًا في إظهارها وهو يحاول إخفاء ابتسامته أردفت هي بإيجاب :

_ حاضر من هنا ورايح لا في فريّ ولا مفرفرش بيني وبين ريان حلو كدا

تشدق باسمًا في خبث وهو يقترب منها :

_ أيوة كدا الله ينور ، يلا بقى عشان إنتي بتسمعي الكلام لازم أكافأك

تراجعت للخلف عندما فهمت نواياه كالعادة وقالت مغتاظة :

_ اتلم يامروان ويلا بينا !

زفر بانزعاج ملحوظ منها وقال بتوعد في نبرة جادة :

_ ماشي يا أسمى نوصل البيت بس ولو مكنش بالتراضي يبقى غصب عنك ، عشان أنا جبت جاز منك خلاص

كتمت ضحكتها واقتربت منه مجددًا وقالت بطفولية :

_ ياتي كميلة طاب والله سكر وإنت متعصب كدا ومتغاظ مني

طالعها مغتاظًا بانزعاج شامل فأكملت هي ضحكاتها المتسلية عليه ، فهي تعشقه بجميع حالاته سواء غضب أو مرح أو وقاحة كعادته .

***

مر اليوم بسلام وسعادة على الجميع وبدأ يوم آخر لاستكمال مسيرة الارهاق الذي كانت بالأمس لتجهيز زفاف واليوم لتجهيز زفاف آخر وهو ريان وزمردة ، على الرغم من التعب الذي كان يسيطر على الجميع بما فيهم العروسين إلا أنه كان جو جميل مصحوب بالسعادة والأمل على الكل

، كان الكل يشارك في التجهيزات معادا ملاك الذي من أمس وهي في شجار دائم مع زوجها كالعادة لرفضه أن تتحرك من فراشها ، وملما يرون بعضهم البعض يقوم الشجار المعتاد بينهم ويعودون بعدها بساعات قليلة يحادثون بعض بتلقائية وكأنه لم يحدث شيء ومن ثم يتشاجرون مجددًا ! ، والوضع كان على هذه الوتيرة .

ولكن بعد كل هذا الارهاق انتهوا ومروا اليومان على خير والكل عاد إلى منزله براحة .

فتح ريان باب المنزل ثم ابتعد للجانب ليفسح لها الطريق بالمرور فدخلت هي أولاً ثم تبعها هو وأغلق الباب خلفه فالتفتت له فورًا بتوتر جلي عندما سمعت صوت غلق الباب وشعرت بدقات قلبها تتسارع بشدة حتى كاد يثب من ضلوعه ، فابتسم هو لها بهدوء لكي يطمأنها عندما أحس بتوترها واقترب منها ثم عانقها وهمس بمرح :

_ أخيرًا ، ياشيخة ده إنتي تعبتيني معاكي لغاية ما وافقتي

قالت ضاحكة وهي بين أحضانه :

_ كان لازم أقرفك وأخليك تلف حوالين نفسك عشان تعرف حجم الزمرد اللي معاك أمال إنت فاكر أي حد يشتري زمرد بسهولة

بادلها الضحك هاتفًا :

_ لا تصدقي عندك حق فعلاً ! ، وخصوصًا لو كان زمرد قمر كدا !

حاولت إخفاء خجلها بهمسها الجميل :

_ ميرسي جدًا أحرجتني والله

غمز بطرف عينه اليسار في مكر وتمتم :

_ لا حتى الآن مفيش أحراج نهائي

تهجمت ملامح وجهها وجمدت ملامحها بارتباك شديد فقهقه هو بقوة وغمغم :

_ مالك كدا ، هو أنا قولت حاجة عشان تتكسفي طيب ، لو قولتلك بخ هتتكسفي !

هنا تحولت من الجمود إلى الشراسة هاتفة باغتياظ :

_ بتتريق صح ، لا قول بتتريق يا ريان بيه

كان سيجيبها بلا ولكن وجدها تندفع مبتعدة منه نحو أحد الغرف فهرول خلفها وحملها على ذراعيه قائلاً بمرح امتزج بخبث :

_ ورحمة الحاج والحجة ما إنتي رايحة مكان خلاص بقى بهزر ، ثم إنك

رايحة فين كدا ؟! ، الطريق من هنا لحقتي تنسي أنا مش جبتك من كام يوم تتفرجي على الشقة

كان يتحدث وهي لا تقوى حتى على رفع عيناها في عيناه وتدفن وجهها بين ثنايا صدره من التوتر والحياء ، وهو سائرًا بها نحو غرفتهم ثم دخل وأغلق الباب .....

***

بعد مرور شهور عديدة ....

كان كل من مراد وأسمى وزمردة وليلى وأُسيد في المستشفى ، وكأن الزمن يعيد نفسه مجددًا حيث كان يسير إيابًا وذهابًا برعب يخشي أن يحدث كما حدث مع زوجته السابقة في مثل ذلك اليوم عندما كانت ستلد طفلهم . شعر بيد أخيه توضع على كتفه هامسًا بهدوء يطمئنه :

_ اهدى يا أُسيد ، ملاك الحمدلله لما دخلت العمليات كانت زي الفل وهتخرج إن شاء الله كويسة هي والعيل

_ يارب يامراد يارب

كان الجميع في توتر لا يختلف عنه حتى استمعوا إلى صوت بكاء منبعث من الداخل ، كان بمثابة الأكسجين له حيث جعل روحه تضج بالروح والحياة من جديد ، وسرعان ما لاحت ابتسامة واسعة على محياه وكان الحميع يبتسم كذلك براحة ، ودقائق طويلة حتى خرج الطبيب من الغرفة وأخبرهم بسلامة كل من الطفل والأم فحمد وشكر ربه مرارًا وتكرارًا بسعادة ، وقاموا بنقل ملاك إلى غرفة عادية وكان أول من دخل هو أسيد ليطمئن على زوجته وطفله وهم الباقية بالدخول فاستوقفتهم ليلى طالبة منهم أن يتركوا لهم القليل من الوقت بمفردهم .

دخل لها وتقدم نحوها ثم عانقها بفرح وقال :

_ حمدلله على سلامتك ياروح قلبي

بادلته العناق وقبل أن تتحدث وتسأل عن طفلها وجدت المنرضة تدلف به وتناوله إلى أبيه الذي حمله عنها ، كان شعور لا يمكن وصفه بالنسبة له وهو يحمل ابنه الذي لطالما انتظره لسنوات ، لوهلة أحس وكأنه يحلم وهو يتفرس ملامحه الجميلة والطفولية وهو نائم هكذا لا يصدر أي صوت ، ورغمًا عنه غامت عيناه بعبارات السعادة واحني رأسه ليطبع قبلة طويلة على جبينه ، وقد تغلغلت الدموع في عيناها هي كذلك عندما رأته في هذه السعادة وعيناه التي تهيمان بالدموع لأول مرة تراه فيها هكذا .

اقترب وناولها إياه فضمته لصدرها وقبلته بحنان أمومي ثم رفعت نظرها

له فرأت دمعة متمردة من عيناه فرت على وجنته فلم تتمكن هي الأخرى من الصمود أيضًا وضمته إليها لتعانقه منخرطة في البكاء ، بكاء من نوع آخر .. بكاء سعادة وفرح لكلاهما ثم ابتعدت عنه ومدت يدها تمسح دمعته ثم تطلعت إلى طفلهم وقالت بصوت مبحوح في ابتسامة رائعة محاولة خلق جو جديد :

_ شبهك أوي على فكرة ركز كدا فيه

اماء برأسه في إيجاب وهو يتأمله من جديد ثم جلس بجوارها واستند بجبينه على جبينها وهمس في صوت ينسدل كالحرير ناعمًا كان يعبر عن مدى عشقه لها :

_ أنا لو قعدت أشرحلك للصبح أنا حاسس بأيه دلوقتي مش هنخلص صدقيني ، ربنا يخليكم ليا يارب وميحرمنيش منكم

أغمضت عيناها بتلذذ وراحة ثم قالت في رقة :

_ أنا هسميه يزيد أظن معندكش اعتراض أكيد

ثبت نظره في عيناها بدهشة فهما كانوا قد اتفقا على اسم قبل دخولها العمليات والآن تخبره بأنها قررت أن تجعل اسمه على اسم أخيه الذي توفي قبل أن يخرج للحياة ، رأت هي في هيناه المزيج من الدهشة والفرح

والعشق الذي لا مثيل لهم ، فلم يعرف بماذا يجيبها سوى أنه انحنى ليلتقط شفتيها معبرًا عن جزء صغير من عشقه وسعادته بهذه اللحظة .

تمت بحمدلله